

أيسر التفاسير

لكلام العليّ الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثالث

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزينة ومنقحة ومصححة وبهامشها

نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من:
رأسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكية

وآياتها ثلاث وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ
وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ
النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ
قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وغيرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الْمَرَّةَ : هذه الحروف المقطعة تكتب المَر وتقرأ الف لَام مِيم رَا . والله

أعلم بمرادها .

بغير عمد ترونها : العمد جمع عمود أي مرثية لكم إذ الجملة نعت .

ثم استوى على العرش^(١) : استواء يليق به عز وجل .

وسخر الشمس والقمر : أي ذللها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها .

هو الذي مد الأرض : أي بسطها للحياة فوقها .

رواسى : أي جبال ثوابت .

زوجين اثنين : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلاً .

يغشى الليل النهار : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء .

آيات : أي دلالات على وحدانية الله تعالى .

قطع متجاورات : أي بقاع متلاصقات .

ونخيل صنوان : أي عدة نخلات في أصل واحد يجمعها، والصنو الواحد

والجمع صنوان .

في الأكل : أي في الطعام هذا حلو وهذا مرّ وهذا حامض، وهذا لذيد

وهذا خلافه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الْمَرْءَ﴾ الله أعلم بمراده به . وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة إلى ما

جاء من قصص سورة يوسف، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل فمن جملة آياتها ما قص

الله تعالى على رسوله . وقوله : ﴿والذي^(٢) أنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن العظيم

﴿الحق﴾ أي هو الحق الثابت . وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي مع أن الذي

أنزل إليك من ربك هو الحق فإن أكثر الناس من قومك وغيرهم لا يؤمنون بأنه وحي الله

وتنزيله فيعملوا به فيكملوا ويسعدوا . وقوله تعالى : ﴿الله الذي رفع السموات والأرض بغير عمد^(٤)

(١) عقيدة السلف في هذه الصفة : وجوب الإيمان بها وإمرارها كما ذكرها تعالى بلا تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وكذا سائر صفاته عز وجل .

(٢) يصح أن تكون الواو عاطفة صفة على أخرى، أي : عطفت الذي على الكتاب فالموصول في محل جرّ نعت للكتاب، وهو نظير قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليت الكنية في المزدحم

ويكون المعنى : تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك والحق : مرفوع على أنه خبر لمبتأ محذوف تقديره : هو الحق . وما في التفسير واضح قال به مجاهد وقتاده .

(٣) قال مقاتل : نزلت هذه الآية رداً على المشركين القائلين : إن محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه .

(٤) في الآيات استدلال بقدرته الله وعلمه وحكمته على أن القرآن الكريم وحيه أوحاه إلى رسوله وتنزيله أنزله عليه ليس كما يدعي المشركون

ترونها ﴿: أي أن إلهكم الحق الذي يجب أن تؤمنوا به وتعبدوه وتوحدوه الله الذي رفع السموات على الأرض بغير عمد مرئية لكم ولكن رفعها بقدرته وبما شاء من سنن . وقوله : ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي خلق السموات والأرض ثم استوى على عرشه استواء يليق بذاته وجلاله يدبر أمر الملكوت وقوله : ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما بعد خلقهما يسيران في فلكهما سيراً منتظماً إلى نهاية الحياة، وقوله ﴿كل يجري﴾ أي في فلكه فالشمس تقطع فلكها في سنة كاملة والقمر في شهر كامل وهما يجريان هكذا إلى نهاية الحياة الدنيا فيخسف القمر وتنكدر الشمس وقوله : ﴿يدبر الأمر﴾ أي يقضى ما يشاء في السموات والأرض ويدبر أمر مخلوقاته بالإماتة والاحياء والمنع والإعطاء كيف يشاء وحده لا شريك له في ذلك . وقوله : ﴿يفصل الآيات﴾ أي القرآنية بذكر القصص وضرب الأمثال وبيان الحلال والحرام كل ذلك ليهيئكم ويعدكم للإيمان بلقاء ربكم فتؤمنوا به وتعبدوا الله وتوحدوه في عبادته فتكملوا في أرواحكم وأخلاقكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله تعالى : ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ أي بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاتاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى فيها أنهاراً ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي نوعين وضربين فالرمان منه الحلومنه الحامض والزيتون منه الأصفر والأسود، والتين منه الأبيض والأحمر وقوله : ﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يغطي سبحانه وتعالى النهار بالليل لفائدتكم لتناموا وتستريح أبدانكم من عناء النهار . وقوله : ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور في هذه الآية الكريمة من مد الأرض وجعل الرواسي فيها واجراء الأنهار، وخلق أنواع الثمار واغشاء الليل النهار، في كل هذا المذكور ﴿لايات﴾ أي علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته وعلى وجوب عبادته وتوحيده وعلى الإيمان بوعدته ووعدته، ولقائه وما أعد من نعيم لأولياته وعذاب لأعدائه، وقوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي بقاع من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات هذه تربتها طيبة وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة وفي الأرض أيضاً جنات أي بساتين من

(١) لما ذكر تعالى آياته الكونية في السماء ذكر آياته الكونية في الأرض استدلالاً بها على قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وعبادته دون سواه .

(٢) أي : وأخرى غير متجاورات فحذفت على حد قوله : ﴿سراويل تقيكم الحر﴾ حيث حذف المقابل وهو : تقيكم البرد .

أعنان وفيها زرع ونخيل ﴿صنوان﴾^(١) النخلتان والثلاث في أصل واحد، ﴿وغير صنوان﴾ كل نخلة قائمة على أصلها، وقوله: ﴿تسقى﴾ أي تلك الأعنان والزرع والنخيل ﴿بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾^(٢) وهو ما يؤكل منها فهذا حلو وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا سمج، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من القطع المتجاورات مع اختلاف الطيب وعدمه وجنات الأعنان والنخيل وسقيها بماء واحد واختلاف طعومها وروائحها وفوائدها ﴿آيات﴾^(٣) علامات ودلائل باهرات على وجوب الإيمان بالله وتوحيده ولقائه، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أما الذين فقدوا عقولهم لاستيلاء المادة عليها واستحكام الشهوة فيها فإنهم لا يدركون ولا يفهمون شيئاً فكيف إذا يرون دلائل وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته فيؤمنون به ويعبدونه ويتقربون إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي الإلهي ونبوة محمد ﷺ .
- ٢- تقرير عقيدة التوحيد وأنه لا إله إلا الله .
- ٣- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا .
- ٤- فضيلة التفكر في الآيات الكونية .
- ٥- فضيلة العقل للاهتمام به إلى معرفة الحق واتباعه للإسعاد والإكمال .

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٌ﴾

(١) الصنوان: المثل، ومنه الحديث: (عمّ الرجل صنواً بيه) ولا فرق بين الشنية والجمع في: (صنوان) إلا بكسر نون المثني، وتنوين نون الجمع، فتقول: هذان صنوان وهؤلاء صنوان.
(٢) كالدقل والحلو والحامض، وبنو آدم كذلك الأصل واحد والخلاف قائم هذا مؤمن وهذا كافر، هذا صالح وهذا فاسد، كما قال الشاعر:

الناس كالنبت والنبت ألوان منها شجر الصندل والكافور والبان
ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

(٣) في هذه الآيات دلائل الوجدانية وعظم الصمدية والإرشاد لمن ضل عن معرفته حيث نبّه تعالى بقوله: ﴿متجاورات﴾ ومع تجاورها قطعة عذبة وأخرى ملحة، قطعة طيبة وأخرى خبيثة كما أنّ التربة واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف طعوم الثمار وألوانه وخصائصه ومنافعه فهذا لن يكون صادراً إلا عن ذي قدرة لا تحدّ وعلم لا ينتهي وحكمة لا يخلو منها شيء، وهو الله تعالى، وأين الطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا إرادة من الله خالق كل شيء العليم بكل شيء؟

جَدِيدٍ أَوْلِيَّتِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ الْأَغْلَالُ
 فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ
 قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْوَلَا
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
 ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
 وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- وإن تعجب : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.
 فمجبب : أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة
 وقوة الحجج .
 لفي خلق جديد : أي نرجع كما كنا بشراً أحياء .
 الأغلال في أعناقهم : أي موانع من الإيمان والاهتداء في الدنيا ، وأغلال تشد بها أيديهم
 إلى أعناقهم في الآخرة .
 بالسيسة : أي بالعذاب .
 قبل الحسنة : أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب .
 المثلاث : أي العقوبات واحدها مثلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم
 الماضية .
 لولا أنزل عليه : أي هلاً أنزل ، ولولا أداة تحضيض كهلاً .

آية من ربه : أي معجزة كعصا موسى وناقاة صالح مثلاً .
 ولكل قوم هاد : أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركون به غيره .
 ما تحمل كل أنثى : أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر .
 وما تفيض الأرحام : أي تنقص من دم الحيض ، وما تزداد منه .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى الإيمان بالتوحيد والنبوة المحمدية والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء ، فقوله تعالى في الآية الأولى (٥) ﴿وإن تعجب﴾^(١) يا نبينا من عدم إيمانهم برسالتك وتوحيد ربك فعجب أكبر هو عدم إيمانهم بالبعث الآخر، إذ قالوا في إنكار وتعجب : ﴿أئذا متنا﴾^(٢) وكنا تراباً أئنا لفي خلق جديد ﴿أي يحصل لنا بعد الفناء والبلوى؟ قال تعالى مشيراً إليهم مسجلاً الكفر عليهم ولازمه وهو العذاب ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ وهي في الدنيا موانع الهداية كال تقليد الأعمى والكبر والمجاهدة والعناد، وفي الآخرة أغلال توضع في أعناقهم من حديد تشد بها أيديهم إلى أعناقهم، ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي ما كانوا أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٦) ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ يخبر تعالى رسوله مقررأ ما قال أولئك الكافرون بربهم ولقائه ونبي الله وما جاء به، ما قالوه استخفافاً واستعجالاً وهو طلبهم العذاب الدنيوي، إذ كان الرسول ﷺ يخوفهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهم يطالبون به كقول بعضهم : ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، قبل طلبهم الحسنة وهذا لجهلهم وكفرهم، وإلا لطالبوا بالحسنة التي هي العافية والرخاء والخصب قبل السيئة التي هي الدمار والعذاب .

(١) أصل التعجب : تغير النفس بما تخفي أسبابه، والمخاطب في هذا الرسول ﷺ والمؤمنون تابعون له .
 (٢) مثل هذا الاستفهام وقع في تسع سور من القرآن في أحد عشر موضعاً ومن القراءة من استفهم في الموضعين أئذا كنا تراباً أئنا لمبعوثون ومنهم من استفهم في موضع واحد، فمن استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاد في الثانية تأكيداً له ومن أتى به مرة واحدة لحصول المقصود به لأن كل جملة مرتبطة بالثانية فإذا أنكر في إحداهما حصل الإنكار في الأخرى (إفادته الجمل) .
 (٣) الأغلال : جمع غل وهو طوق من حديد تشد به اليد إلى العنق .

(١)

وقوله تعالى : ﴿وقد خلت من قبلهم المثلاث﴾ أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعاداً لها واستخفافاً بها أين ذهبت عقولهم؟ وقوله تعالى : ﴿وإن ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة، وقوله : ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة : ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه كعصا موسى وناقاة صالح ، حتى تؤمن بنبوته ونصدق برسالته ، فيرد تعالى عليهم بقوله : ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازماً أن تنزل معه الآيات ، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات ، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم هادياً وأنت هادي هذه الأمة ، وداعيتها إلى ربها فادع واصبر .

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم كل انثى﴾ أي من ذكر أو أنثى واحداً أو اثنتين أبيض أو أسمر سعيداً أو شقيماً ، وقوله : ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض وما تزداد منها إذ غيضاها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله : ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

(١) المثلاث : جمع مثلة ، وهي العقوبة نحو : صدقة وصدقات ، وتضم الميم وتسكن الراء مثلة كغرفة والجمع مثل كُفْرَب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثلاً تمثل بها العقوبات .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله ، قال سعيد بن المسيّب ، لما نزلت قال رسول الله ﷺ (لولا عفو الله ورحمته وتجاوزته لما هنا أحد أبيض ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد) .

(٣) هادي كل أمة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء .

(٤) قال القرطبي : من ذكر أو أنثى : صبيح أو قبيح صالح أو طالح . وقوله : ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان ، وهو كذلك .

(٥) العادة أنّ انحباس الحيض دال على العلوق أي : الحمل ، وفيضان الدم دال على عدم الحمل ، وتفسير الآية بهذا حسن ، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم ، لانشغال الرحم بالعلقة ثمّ بالجنين ، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها ، ويخرج ، وهو دم من لا حمل لها . وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح .

(٦) استدلل بالآية من قال : الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة . والجمهور على أنها تحيض كما استدلل بها كل من قال : الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات ، وهو الجمهور ، وخالف الظاهرية في ذلك .

ولا حال، ولا زمان ولا مكان، وقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي كل ما غاب عن الخلق، وما لم يغب عنهم مما يشاهدونه أي العليم بكل شيء، وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ أي الذي لا أكبر منه وكل كبير أمامه صغير المتعال على خلقه المنزه عن الشريك والشبيه والصاحبة والولد هذا هو الله وهذه صفاته فهل يليق بعاقل أن ينكر استحقاقه للعبادة دون سواه؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر عليه أن يوحى بما شاء على من يشاء من عباده؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر على من هذه قدرته وعلمه أن يحيي العباد بعد أن يميتهم ليسألهم عن كسبهم ويحاسبهم عليه ويجزيهم به؟ اللهم لا إذا فالمنكرون على الله ما دعاهم إلى الإيمان به لا يعتبرون عقلاء وإن طاروا في السماء وفاضوا في الماء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أصول العقيدة الثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر.
- ٢- صوارف الإيمان والتي هي كالأغلال هي التقليد الأعمى، والكبر والعناد.
- ٣- عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه.
- ٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَّ

الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُمْ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ

مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرَ أَوْ مَا بَانَفْسِهِمْ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مَن

وَالِ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

وسارب بالنهار : أي ظاهر في سربه أي طريقه .
له معقبات : أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار .
من أمر الله : أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره .
لا يغير ما يقوم : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب .
ما بأنفسهم : من طهر وصفاء بالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام .
وما لهم من دونه من وال : أي وليس لهم من دون الله من يليي أمرهم فيدفع عنهم العذاب .

من خيفته : أي من الخوف منه وهيبته وجلاله .

وهو شديد المحال : أي القوة والمماحلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر جلال الله وعظيم قدرته وسعة علمه ، قال تعالى في هذه الآية : ﴿سواء منكم^(١) من أسر القول ومن جهر به﴾ فالله يعلم السر والجهر وأخفى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ يمشي في ظلامه ومن هو ﴿سارب بالنهار﴾ أي يمشي في سربه وطريقه مكشوفاً معلوماً لله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿له معقبات^(٢) من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) هذه الآية كالتيجة لما تقدم من الدلائل على علم الله وقدرته وحكمته الموجبة لالوهيته وفيها تعريض بالمشركين المتأمرين على قتل النبي ﷺ أو أذيته ، وسواء : بمعنى مستو ، وهو اسم يكون بين شيتين كالسر هنا والجهر أي : مستوى عنده السر والجهر .

(٢) السرب : يفتح السين وسكون الراء : الطريق ، والسارب : اسم فاعل من سرب إذا ذهب .

(٣) جمع معقبة وهو مأخوذ من العقب الذي هو مؤخر الرجل فكل من اتبع آخر فقد تعقبه فهو متعقب له ، وعقبه يعقبه فهو عاقب له : إذا جاء بعده ، والمعقبات هنا : الملائكة لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) إذا صعدت ملائكة النهار أعقبها ملائكة الليل وهكذا .

أمر الله ﴿ جازئ أن يعود الضمير في «له» على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلأوزة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراد الله بسوء فلا مرد له وماله من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجازئ أن يعود على الله تعالى ويكون المراد من المعقبات الملائكة الحفظة^(١) والكتابة للحسنات والسيئات ويكون معنى من أمر الله أي بأمره تعالى وإذنه، والمعنى صحيح في التوجيهين للآية وإلى الأول ذهب ابن جرير وإلى الثاني ذهب جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات، وقوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وماله من دونه من وال﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه إذا أراد بقوم أو فردٍ أو جماعة سوءاً ما أي ما يسوءهم من بلاء وعذاب فلا مرد له بحال من الأحوال بل لا بد وأن يمسه، ولا يجدون من دون الله من وال يتولى صرف العذاب عنهم، أما من الله تعالى فإنهم إذا أنابوا إليه واستغفروه وتابوا إليه فإنه تعالى يكشف عنهم السوء ويصرف عنهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق من جهة وطمئناً في المطر من جهة أخرى ﴿وينشئ السحاب الثقيل﴾ أي وهو الذي ينشئ أي يبدئ السحاب الثقيل الذي يحمل الأمطار ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أي وهو الذي يسبح الرعد بحمده وهو ملك موكل بالسحاب يقول:

(١) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبء يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلوا عنه والكتابة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٢) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله سبحانه وتعالى جعل أوامره على وجهين. أحدهما: قضي وقوعه وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضي مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضي صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(٣) إنشاء السحاب: تكويبه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحاباً، والسحاب اسم جمع لسحابة، وسميت سحابة لأنها تسحب من مكان إلى مكان.

(٤) الباء للملابسة: أي يسبح الله تسييحاً ملابساً لحمده، والتسييح، التنزيه.

سبحان الله وبحمده، وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾^(١) أي خيفة الله وهيبته وجلاله فهي لذلك تسبحه أي تنزهه عن الشريك والشبيه والولد بألفاظ يعلمها الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾^(٢) أي في وجوده وصفاته وتوحيده وطاعته ﴿وهو شديد المحال﴾^(٣) هذه الآية نزلت فعلاً في رجل^(٤) بعث إليه رسول الله ﷺ من يدعو إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جاء من قبل رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، ومعنى شديد المحال أي القوة والأخذ والبطش.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- سعة علم الله تعالى .
- ٢- الحرس والجلالوة لمن يستخدمهم لحفظه من أمر الله تعالى لن يغفوا عنه من أمر الله شيئاً .
- ٣- تقرير عقيدة أن لكل فرد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار منهم الكرام الكاتبون، ومنهم الحفظة للإنسان من الشياطين والجان .
- ٤- بيان سنة أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي .
- ٥- استحباب قول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عند سماع الرعد لورود ذلك عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا

(١) والملائكة تسبح أيضاً من خوف الله تعالى .

(٢) ﴿من خيفته﴾ من : تعليلية أي : لأجل الخوف منه تعالى .

(٣) ﴿يجادلون﴾ : المفعول محذوف تقديره : يجادلونك وأتباعك المؤمنين في شأن توحيد الله تعالى ولقائه ونبوة رسوله ﷺ .

(٤) (المحال) إن كان من الحول والميم زائدة فهو بمعنى شديد القوى، وإن كانت الميم أصلية فالمحال : بكسر الميم : فهو فعال بمعنى الكيد، وفعله محل وتمحل إذا تحيل، إذ المجادلون كانوا يتحيلون في أسلتهم، فأعلمهم الله أنه أقوى منهم، وأشد كيداً منهم .

(٥) قيل : نزلت في يهودي، وقيل : في أريد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وقد هلك أريد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول .

كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ^{١٤} وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَظَلَمَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ** ﴿١٥﴾ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ
 نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
 الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ
 عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ** ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- له دعوة الحق : أي لله تعالى الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو.
 ليبلغ فاه : أي الماء فمه .
 إلا في ضلال : أي في ضياع لا حصول منه على طائل .
 بالغدو والأصال : أي بالبكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد بالأدلة والبراهين، قال تعالى : ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده .
 وقوله تعالى : ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي من دون الله من سائر المعبودات ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم ﴿إلا كباسط

(١) أي : الدعوة الصدق لله تعالى لأنه هو الذي يستجيب ويعطي السؤال وأما دعوة الأصنام، فإنها دعوة كذب وباطل، فإطلاق الإله على الله إطلاق حق وصدق، وإطلاق إله على صنم أو مخلوق فهو إطلاق كذب وباطل .

(١) أي إلا كاستجابة من بسط يديه أي فتحهما ومدهما إلى الماء والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان ويظل كذلك حتى يهلك عطشاً، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعالى ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي بطلان وخسران، وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات﴾ أي الملائكة ﴿والأرض﴾ أي من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي يسجد كرها، ﴿وظلالهم﴾ تسجد أيضاً ﴿بالغدو﴾ أوائل النهار، ﴿والأصال﴾ أو آخر النهار. ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون أي لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى فإنَّ لله يسجد من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس المؤمنون يسجدون طائعين والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال فهو الذي خلقهم وصورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأبي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قل من رب السماوات والأرض﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قل الله﴾ إذ لا جواب لهم إلا هو، وبعد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مقرعاً ﴿أفأنتخذتم من دونه أولياء﴾ أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن أن يملكوا لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضرراً فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هل يستوى الأعمى

(١) ضرب الله تعالى هذا المثل المائي لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها من الوء مثل القابض الماء باليد

(٢) هذا التفسير مروى عن علي رضي الله عنه.

(٣) الضلال: التلف والضبايع، والمجمل: بيان لخبية المشركين في عبادة أصنامهم ودعائها وتقرير لخسرانهم.

(٤) وكافر يسجد بخضوعه لأحكام الله تعالى الجارية عليه ولا يقدر على ردها من غنى وفقر، وصحة ومرض وسعادة وشقاوة.

(٥) الأصال: جمع أصل: وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وجمع الجمع أصائل.

(٦) الاستفهام للتوبيخ والتقرير.

والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور^(١)؟ والجواب قطعاً لا إذا فكيف يستوي المؤمن والكافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالمؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه يجيبه إذا دعاه أرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها فضلاً عن عابديها نفعاً ولا ضرراً لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلب منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك سبيل الغي في الحياة.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ﴾ أي بل جعلوا الله شركاء فخلقت تلك الشركاء مخلوقات كخلق الله فتشابه الخلق على المشركين فعبدها ظناً منهم أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق ولا تستطيع خلق ذبابة فضلاً عن غيرها إذا فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مثل، القهار لكل جبار والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه.
- ٢- حرمان المشركين من دعائهم وسائر عباداتهم.
- ٣- الخلق كلهم يسجدون لله طوعاً أو كرهاً إذ الكل خانع خاضع لحكم الله وتدبيره فيه.

(١) أم : للاضراب الإنتقالي من قضية إلى أخرى واختيار العمى والبصر والنور والظلمات لبيان أن حال المؤمنين وحال الكافرين في تضاد فالمؤمنون مبصرون يمشون في النور، والكافرون عمي يمشون في الظلمات.

(٢) هذا من تمام الاحتجاج والاستفهام للاضراب الانتقالي، وهو للتهكم بالمشركين، فالمعنى : لو جعلوا لله شركاء يخلقون فخلقوا كما يخلق الله فتشابه الخلق عليهم لكانوا معذورين ولكنهم لم يخلقوا ولن يخلقوا.

(٣) في الآية رد على الملاحدة الشيعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿والله خالق كل شيء﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى.

٤- مشروعية السجود للقارىء والمستمع إذا بلغ هذه الآية ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ ويستحب أن يكون طاهراً مستقبلاً القبلة، ويكبر عند الخفض والرفع ولا يسلم.

٥- بطلان الشرك إذ لا دليل عليه من عقل ولا نقل^(١).

٦- وجوب العبادة لله تعالى.

أَنْزَلَ مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ
لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- فسالت أودية بقدرها : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها .
زبدًا رابياً : أي غشاءً عالياً إذ الزبد هو وَضْرٌ غليان الماء أو جريانه في الأنهار .
ومما يوقدون عليه في النار : أي كالذهب والفضة والنحاس .
ابتغاء حلية أو متاع^(١) : أي طلباً لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني .
زبد مثله : أي مثل زبد السيل .
فأما الزبد : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار .

(١) إذ العقل لأجيز عبادة مخلوق مربوب لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره موتاً ولا حياة بل ولا ضراً ولا نفعاً والنقل حرم الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي والجلي قال تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ من الشرك والشركاء .
(٢) ﴿ابتغاء﴾ : مفعول لأجله ، والحلية : ما يتحلى به ، أي يتزين ، والمتاع ما يتمتع به ويتنفع .

- فيذهب جفاء^(١) : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غشاء ووضر لا خير فيه .
 فيمكث في الأرض : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس .
 للذين استجابوا لربهم الحسنی: أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة .
 لم يستحيوا : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه .
 لافتدوا به : أي من العذاب .
 سوء الحساب : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء .
 وبئس المهاد : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل ، للحق في بقائه ، والباطل في اضمحلاله وتلاشيهِ فقال : ﴿ أنزل ﴾ أي الله ﴿ من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها ﴾^(٢) أي بحسب كبرها وصغرها لأن الوادي قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً ، فاحتمل السيل أي حمل سيل الماء في الوادي زبداً رابياً أي غشاء ووضراً عالياً على سطح الماء ، هذا مثل مائي ، ومثل ناري قال فيه عز وجل : ﴿ ومما يوقدون عليه في النار ﴾^(٣) أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ ابتغاء حلية ﴾ أي طلباً للحلية ، ﴿ أو متاع ﴾ أي طلباً لمتاع يتمتع به كالأواني إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسداً غير صالح على صورة الزبد^(٤) وما كان صالحاً يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية والمتاع ، وقوله تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أي المذكور من الأمور الأربعة مثلي الحق وهما الماء والجوهر ومثلي الباطل وهما زبد الماء وزبد الجوهر ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ أي باطلاً

(١) الجفاء : ما أجفاه الوادي أي : رمى به .

(٢) ﴿ أودية ﴾ جمع واد ، والوادي اسم للماء السائل هنا إذ الوادي وهو أخدود بين مرتفعين لا يسيل وإنما يسيل الماء فيه ، ومعنى : ﴿ بقدرها ﴾ : أي : بقدر مثلها .

(٣) هذا المثل الثاني والأول هو مثل الماء السائل في الوادي وما يحمل من زبد عال .

(٤) هو معنى قوله تعالى : ﴿ زبد مثله ﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل .

مرمياً به يرميه السيل إلى ساحل الوادي فيعلق بالأشجار والأحجار ويرميه الصائغ عن بوتقته، وأما ما ينفع الناس من الماء للسقي والري فيمكث في الأرض، وكذا ما ينفع من الحلبي والمتاع يبقى في بوتقة الصائغ والحداد وقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيهِ وإن علا وطغا في بعض الأوقات، ﴿يضرب﴾ أي بين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فقد أخبر تعالى بوعد له ووعيد أما وعده فلأهل طاعته بأن لهم الحسنى^(١) الجنة وأما وعيده فلأهل معصيته وهو أسوأ وعيد وأشده،^(٢) فقال تعالى في وعده: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ وقال في وعيده: ﴿والذين لم يستجيبوا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ أي من مال ومتاع ﴿ومثله معه﴾ أيضاً لافتدوا به من العذاب الذي تضمنه هذا الوعيد الشديد، ويعلن عن الوعيد فيقول: ﴿أولئك﴾ أي الأشقياء ﴿لهم سوء الحساب﴾ وهو أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة في أعمالهم ولا يغفر لهم منها شيء ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي مقرهم ومكان إيوائهم ﴿وبئس المهاد﴾ أي الفراش جهنم لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٢- ثبات الحق، واضمحلال الباطل سنة من سنن الله تعالى.
- ٣- بيان وعد الله للمستجيبين له بالإيمان والطاعة وهي الجنة.
- ٤- بيان وعيد الله لمن لم يستجب له بالإيمان والطاعة.

(١) هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لا يثبت للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل يذهب ويتلاشى ويضمحل والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) ومن الحسنى: النصر في الدنيا والتمكين فيها لأهل التوحيد.

(٣) وهو النار وبئس المهاد.

﴿١٩﴾ أَمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ
 أَوْلِيَاءَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ
 ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٣﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- كمن هو أعمى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به .
 أولوا الأبواب : أي أصحاب العقول .
 يصلون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام .
 ويدرءون بالحسنة : أي يدفعون بالحلم الجهل ، وبالصبر الأذى .
 عقبي الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة .
 جنات عدن : أي جنات إقامة دائمة .

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات مقارنة ومفاضلة بين شخصيتين : الأولى شخصية مؤمن صالح كحمزة بن عبدالمطلب والثانية شخصية كافر فاسد كأبي جهل المخزومي وبين ما

لهما من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ فيؤمن به بعد العلم ويستقيم على منهجه في عقيدته وعبادته ومعاملاته وسلوكه كله. هذه الشخصية الأولى ﴿كمن هو أعمى﴾^(١) لم يعلم الحق ولم يؤمن به ولم يعمل بما أنزل إلى الرسول من الشرع.

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان ولا يكونان في ميزان العدل والحق متساويين وقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادات كالحق والباطل والخير والشر والنافع والضار. وقوله تعالى: ﴿الذين يوفون﴾ هذا مشروع في بيان صفاتهم المقتضية إنعامهم وإكرامهم نذكر لهم ثماني صفات هي كالتالي: (١) الوفاء بالعهود وعدم نقضها: ﴿الذين يوفون بعهود الله ولا ينقضون الميثاق﴾^(٢) إذ لا دين لمن لا عهد له. (٢) وصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والإحسان والأرحام: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾. (٣) خشية الله المقتضية لطاعته: ﴿ويخشون ربهم﴾. (٤) الخوف من سوء الحساب يوم القيامة المقتضي لمحاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾. (٥) الصبر طلباً لمرضاة الله على الطاعات وعن المعاصي، وعلى البلاء: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾. (٦) إقامة الصلاة وهي أداؤها في أوقاتها جماعة بكامل الشروط والأركان والسنن والآداب: ﴿وأقاموا الصلاة﴾. (٧) الانفاق مما رزقهم الله في الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾. (٨) دفع السيئة بالحسنة فيدرون سيئة الجهل عليهم بحسنة الحلم، وسيئة الأذى بحسنة الصبر.^(٤)

وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة وفسرها بقوله ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة لا ظعن منها يدخلونها هم ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾

(١) المراد من العمى هنا: عمى القلب لا عمى البصر، والجهل هو سبب العمى.

(٢) العهد هنا: اسم جنس إذ المراد الوفاء بكافة عهود الله تعالى وهي أوامره ونواهيه التي وصي بها عباده.

(٣) الميثاق هنا: أيضاً اسم جنس يدخل فيه كل المواثيق أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: ورد النهي عن نقض الميثاق في بضع وعشرين آية.

(٤) وسيئة المعصية بالتوبة منها. واللفظ العام الشامل هو أنهم يدفعون بالعمل الصالح كل عمل فاسد.

والصلاح هنا الإيمان والعمل الصالح . وقوله : ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ هذا عند دخولهم الجنة تدخل عليهم الملائكة تهنئهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة : ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي بسبب صبركم والإيمان والطاعة ﴿فنعم عقبى الدار﴾^(١) هذه تهنئة الملائكة لهم وأعظم بها تهنئة وأبرك بها بركة اللهم اجعلني منهم والودي وأهل بيتي والمسلمين أجمعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المؤمن حيّ يبصر ويعلم ويعمل والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل .
- ٢- الاتعاظ بالمواعظ يحصل لذي عقل راجح سليم .
- ٣- فضل هذه الصفات الثمانية المذكورة في هذه الآيات . أولها الوفاء بعهد الله وآخرها درء السيئة بالحسنة .
- ٤- تفسير عقبى الدار وأنها الجنة .^(٢)
- ٥- بيان أن الملائكة تهنيء أهل الجنة عند دخولهم وتسلم عليهم .

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
 أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
 وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

(١) جازئ أن يكون معنى عقبى الدار: الجنة وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذا كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا إذ عقبى الدار بمعنى عاقبتها .

(٢) أي : فعقبى دار الدنيا الجنة هذا كقولهم والعاقبة للمتقوى، وقوله ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي الجنة .

﴿٢٨﴾ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَظْمِنُ الْقُلُوبُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ

﴿٢٩﴾ مَثَابِ

شرح الكلمات :

والذين ينقضون عهد الله : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده .
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والأرحام .
ويفسدون في الأرض : أي بترك الصلاة ومنع الزكاة، وبارتكاب السيئات
وترك الحسنات .

لهم اللعنة : أي البعد من رحمة الله تعالى .
ولهم سوء الدار : أي جهنم وبئس المهاد .
ويقدر : أي يضيق ويقتر .
إلا متاع : قدر يسير يتمتع به زماناً ثم ينقضي .
طوبى لهم وحسن مآب : أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو
دار السلام .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿والذين ينقضون﴾ الآيات ، هذا هو الطرف المقابل أو الشخصية الثانية وهو من لم يعلم ولم يؤمن كأبي جهل المقابل لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ذكر تعالى هنا صفاته الموجبة لعذابه وحرمانه فذكر له ولمن على شاكلته الصفات التالية :
(١) نقض العهد فلم يعبدوا الله ولم يوحدوه وهو العهد الذي أخذ عليهم في عالم الأرواح : ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ .
(٢) قطع ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان وصلة الأرحام : ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ .

(١) أي بسائر الأنبياء فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كاليهود والنصارى .

(٣) الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي: ﴿ويفسدون في الأرض﴾^(١) بهذه الصفات استوجبوا هذا الجزاء، قال تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي جهنم وبئس المهاد، وقوله تعالى: ﴿الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يخبر تعالى عن سنة من سنته في خلقه وهي أنه ييسط الرزق أي يوسع على من يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر ويضيق ويفتر على من يشاء ابتلاء هل يصبر أو يجزع، وقد ييسط الرزق لبعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، وقد يضيق على بعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، فلن يكون الغنى دالاً على رضى الله، ولا الفقر دالاً على سخطه تعالى على عباده، وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ أي فرح أولئك الكافرون بالحياة الدنيا لجهلهم بمقدارها وعاقبتها وسوء آثارها وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما أعد الله لأولياته وهم أهل الإيمان به وطاعته إلا متاع قليل ككف التمر أو قرص الخبز يعطاه الراعي غذاء له طول النهار ثم ينفد، وقوله تعالى في الآية (٢٧): ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ فقد تقدم مثل هذا الطلب من المشركين وهو مطالبة المشركين النبي ﷺ أن تكون له آية كناقاة صالح أو عصا موسى ليؤمنوا به وهم في ذلك كاذبون فلم يحملهم على هذا الطلب إلا الاستخفاف والعناد وإلا آيات القرآن أعظم من آية الناقاة والعصا، فلذا قال تعالى لرسوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾^(٢) وإضلاله ولو رأى وشاهد ألوف الآيات^(٣) ويهدي إليه من أناب ﴿ولو لم ير آية واحدة إلا أنه أناب إلى الله فهده إليه وقبله وجعله من أهل ولايته، وقوله تعالى في الآية (٢٨)﴾^(٤) ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهدهم إليه صراطاً مستقيماً هؤلاء تطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحى عباده محمد وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن

(١) أي بالشرك وارتكاب المعاصي.

(٢) أي سوء المنقلب وهو جهنم: قال سعد ابن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو أنهم الحرورية: بمعنى الخوارج.

(٣) المطالبون بالآيات المقترحون لها على رسول الله ﷺ. من بينهم عبدالله بن أمية وأصحابه.

(٤) الضمير في قوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾: يعود على الحق أو الإسلام أو الله عز وجل. أي يهدي إلى جنته وطاعته من رجع إليه بقلبه والكل صالح ومراد.

(٥) الذين: في محل نصب لأنه مفعول يهدي، ويصح أن يكون بدلا من قوله: ﴿أناب﴾ وذكر الله هو ذكره بالسنتهم ويقولهم وهو يشمل ذكر الوعد والوعيد وكمال الله كما يشمل قراءة كتابه وتلاوة آياته قال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ وحقا هم ومن يأتي بعدهم ينهج نهجهم في الإيمان والتقوى.

الرعد

القلوب ﴿ أي قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ ﴾^(١) لهم وحسن مآب ﴿ إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح وهو طوبى حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الاتصاف بصفات أهل الشقاء وهي نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي .
- ٢- بيان أن الغنى والفقر يتمان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء فلا يدلان على رضا الله ولا على سخطه .
- ٣- حقارة الدنيا وضآلة ما فيها من المتاع .
- ٤- فضل ذكر الله وسكون القلب إليه .
- ٥- وعد الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بطوبى وحسن المآب .

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
لِتَتْلَوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ

(١) الذين آمنوا، هذا مبتدأ، والخير: طوبى لهم وحسن مآب يعطف عليه، وطوبى ورد أنها شجرة في الجنة، ففي البخاري: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها).
(٢) ﴿طوبى﴾ مصدر طاب يطيب طيباً إذا أحسن وهي بوزن البشرى، والزلفى قلبت يائها وأوا لمناسبة الضمة قبلها أي: الخير الكامل لأنهم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فهم في طيب حال.

بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئْسَ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا نَزَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 نَصِيبَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحْلِقُ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
 وَعَدُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ
 مِّنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابِ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- كذلك أرسلناك : أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك .
 لتتلو عليهم : أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة .
 وهم يكفرون بالرحمن : إذ قالوا وما الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة .
 سيرت به الجبال : أي نقلت من أماكنها .
 أو قطعت به الأرض : أي شققت فجعلت أنهاراً وعيونا .
 أو كلم به الموتى : أي أحيوا وتكلموا .
 أفلم يئأس : أي يعلم .
 قارعة : أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم
 وتستأصلهم .
 أو تحل قريباً من دارهم : أي القارعة أو الجيش الإسلامي .
 فأمليت : أي أمهلت وأخرت مدة طويلة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقائد : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر ففي
 الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿كذلك أرسلناك﴾ فقرر نبوة الرسول ﷺ

(١) بقوله كذلك أي الإرسال الذي أرسلنا من قبلك أرسلناك أنت إلى أمة قد دخلت من قبلها أمم، وبين فائدة الإرسال فقال: ﴿لنتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وهو الرحمة والهدى والشفاء ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الرحمن الذي أرسلك لهم بالهدى ودين الحق لإكمالهم وإسعادهم يكفرون به، إذاً فقل أنت أيها الرسول هو ربي لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي توتيتي ورجوعي فقرر بذلك مبدأ التوحيد بأصدق عبارة وقوله تعالى في الآية الثانية (٣١) ﴿ولو أن قرآناً﴾ الخ . . لا شك أن مشركي مكة كانوا طالبوه بما ذكر في هذه الآية إذ قالوا إن كنت رسولاً فادع لنا ربك فيسر عنا هذه الجبال التي تكتنف وادينا فتتسع أرضنا للزراعة والحراثة وقطع أرضنا فأخرج لنا منها العيون والأنهار وأحيي لنا فلاناً وفلاناً حتى نكلمهم ونسالهم عن صحة ما تقول وتدعي بأنك نبي فقال تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي التي تهدي بل الله الأمر جميعاً يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما صرفهم الله تعالى عن الآيات الكونية لعلمه تعالى أنهم لو أعطاهم إياها لما آمنوا عليها فيحق عليهم عذاب الإبادة كالأمم السابقة، وكان من المؤمنين من يود الآيات الكونية ظناً منه أن المشركين لو شاهدوا آمنوا وانتهت المعركة الدائرة بين الشرك والتوحيد قال تعالى: ﴿أفلم يأس الذين آمنوا﴾ أي يعلموا ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بالآيات وبدونها فليترك الأمر له سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿قارعة﴾ أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والفرع ونفوسهم بالهم والحزن وذلك كالجذب والمرض والقتل والأسر ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ أي يحل الرسول بجيشه الإسلامي ليفتح مكة حتى يأتي وعد الله بنصرك أيها الرسول عليهم والآية

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن، والآية وإن لم تنزل بخصوص دعوى المشركين إلا أنها تحمل رداً عليهم في دعواهم الباطلة.

(٣) تقدم أن من بين المطالبين أبا جهل، وعبدالله بن أمية المخزوميين إذ قال له ﷺ، إن سرك أن تتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا . . الخ.

(٤) أي: فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، وإنما يكون بأمر الله تعالى.

(٥) يشي بيأس بمعنى: علم يعلم لغة النخع، والقرآن نزل بلغات العرب، وقيل: لغة هوازن قال شاعرهم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم تياسوا أني ابن فارس زهدم

عامة فيمن بعد قريش ويكون الوعيد متناولاً أمم الكفر عامة وها هي ذي الحروب تفرعهم كل قرن مرة ومرتين والحرب الذرية على أبوابهم ولا يزال أمرهم كذلك حتى يحل الجيش الإسلامي قريباً من دارهم ليدخلوا في دين الله أو يهلكوا ، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد أنجز ما وعد قريشاً، وفي الآية الأخيرة (٣٢) يخبر تعالى رسوله مسلماً إياه عما يجد من تعب وألم من صلف المشركين وعنادهم فيقول له : ﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾ أي كما استهزىء بك فصبروا فاصبر أنت ، ﴿فأملت للذين كفروا﴾ أي أمهلتهم وأنظرتهم حتى قامت الحجة عليهم ثم أخذتهم فلم أبق منهم أحداً ﴿فكيف كان عقاب﴾ أي كان شديداً عاماً واقعاً موقعه، فكذلك أفعّل بمن استهزأ بك يا رسولنا إذا لم يتوبوا ويسلموا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد .
- ٢- لا توكل إلا على الله ، ولا توبة لأحد إلا إليه .
- ٣- عظمة القرآن الكريم وبيان فضله .
- ٤- إطلاق لفظ اليأس والمراد به العلم .
- ٥- توعّد الرب تعالى الكافرين بالقوارع في الدنيا إلى يوم القيامة .
- ٦- الله جل جلاله يملي ويمهل ولكن لا يهمل بل يؤاخذ ويعاقب .

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
بِظَهْرِ مَنِّ الْقَوْلِ بَلِّغْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ

(١) أي : سخر بهم أزرى عليهم، وذلك كما سخرت قوم نوح بنوح، وعاد يهود وثمود بصالح ومدين بشعيب .
(٢) الاستفهام للمعجب .

الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾
 * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
 الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

أفمن هو قائم^(١) على كل نفس بما كسبت : أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت و
 يجازيها بعملها .

قل سموهم : أي صِفُوهم له مَنْ هُمْ؟

أم تنبئونه بما لا يعلم : أي أتخبرونه بما لا يعلمه؟

بظاهر من القول : أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع .

أشَقُّ : أي أشد .

واق : أي مانع يمنعهم من العذاب .

مثل الجنة : أي صفتها التي نقصها عليك .

أكلها دائم وظلها : أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا

ينسخ .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد بقوله تعالى : ﴿أفمن هو قائم على كل
 نفس بما كسبت﴾^(١) أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت من خير وشر ومجازيها كمن
 لا يحفظ ولا يرزق ولا يعلم ولا يجزي وهو الأصنام ، إذا فبطل تأليها ولم يبق إلا الإله
 الحق الله الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقوله تعالى : ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي

(١) ليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولي لأمر الخلق بالحفظ والتدبير .

(٢) الجواب محذوف في الآية ، وقد ذكر في التفسير .

يعبدونهم معه ﴿قل سموهم﴾^(١) أي قل لهم يا رسولنا سمو لنا تلك الشركاء صفوهم بينوا من هم؟ ﴿أم تتبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض؟ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أي بل بظاهر من القول أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع .

وقوله تعالى : ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي قولهم الكاذب وافتراؤهم الماكر فبذلك صدوا عن السبيل سبيل الحق وصرفوا عنه فلم يهتدوا إليه ، ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ وقوله تعالى : ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر ، ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أي أشد من عذاب الدنيا مهما كان ﴿وما لهم من الله من واق﴾ أي وليس لهم من دون الله من يقيهم فيصرفه عنهم ويدفعه حتى لا يذوقوه ، وقوله تعالى : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي لما ذكر عذاب الآخرة لأهل الكفر والفجور ذكر نعيم الآخرة لأهل الإيمان والتقوى ، فقال : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة ووصفها بقوله : ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها﴾ دائم كذلك فطعامها لا ينفد ، وظلها لا يزول ولا ينسخ بشمس كظل الدنيا ، وقوله : ﴿تلك﴾ أي الجنة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي ربهم فآمنوا به وعبدوه ووحده وأطاعوه في أمره ونهيه ، ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ والعقبى بمعنى العاقبة في الخير والشر .

(١) سموهم شركاء فإنهم ليس لهم حظ من ذلك إلا التسمية فيكون الأمر للإباحة كناية عن عدم المبالاة بادعائهم أنهم شركاء ، وذكر هذا المعنى صاحب التحرير ، وهو معنى جميل .

(٢) أم هي المتقطعة ودلت على أن ما بعدها استفهام إنكاري توبيخي ، وقوله ، ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ وما لا يعلمه الله ليس بموجود إذ الله خالق كل شيء .

(٣) بل بظاهر من القول ليس بظاهر من الظهور بل هو بمعنى الزوال والبطان وشاهده قول الشاعر ، وتلك شكاة ظاهر عليك عارها . أي : باطل زائل .

(٤) إن بعض المشركين زين للمشركين عبادة الأصنام ، ورغبهم في عبادتها مكرأ بهم فانخدعوا له ، وحسبوه زيناً وذلك كعمرو بن لحي إذ هو أول من دعا إلى عبادة الأصنام في بلاد العرب .

(٥) واق ، وقاض ووال : يوقف عليها بدون ياء ، إلا إذا نودي نحو : يا قاضي ياوالي فإنه يوقف عليه بالياء ومن : صلة لتقوية الكلام .

(٦) ﴿مثل الجنة﴾ : الخ : مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم : مثل الجنة ، وقيل الخير : تجري من تحتها الأنهار . والأول أولى .

(٧) في الآية رد على الجهمية القائلين بقاء نعيم الجنة .

(٨) أي : عاقبة أمر المكذبين وأخرتهم النار يدخلونها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد إذ الأصنام لا تحفظ ولا ترزق ولا تحاسب ولا تجزي ، والله هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة لاحقيقة لها إلا مجرد أسماء .
- ٢- استمرار الكفار على كفرهم هو نتيجة تزيين الشيطان لهم ذلك فصدهم عن السبيل .
- ٣- ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد إذ بهما تمكن هداية الناس .

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ آزُوجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

- والذين آتيناهم الكتاب : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود .
يفرحون بما أنزل إليك : أي يُسرون به لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم .
ومن الأحزاب : أي من اليهود والمشركين .
من ينكر بعضه : أي بعض القرآن فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمة اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب .

وكذلك أنزلناه حكماً عربياً : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم .

لكل أجل كتاب : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة .

يمحو الله ما يشاء : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو

المنسوخ وما أبقاه هو المحكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، فقوله تعالى : ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام يفرحون بما أنزل إليك وهو القرآن وفي هذا تقرير للوحي وإثبات له ، وقوله : ﴿ومن الأحزاب﴾ ككفار أهل الكتاب والمشركين ﴿من ينكر بعضه﴾ فاليهود أنكروا أغلب ما في القرآن من الأحكام ولم يصدقوا إلا بالقصاص ، والمشركون أنكروا «الرحمن» وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب عليه لعائن الله ، وقوله تعالى : ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي أمرني ربي أن أعبده ولا أشرك به ، إليه تعالى أدعو الناس أي إلى الإيمان به وإلى توحيد وطاعته ، ﴿وإليه مآب﴾ أي رجوعي وإيابي وفي هذا تقرير للتوحيد ، وقوله تعالى : ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ أي وكهذا الإنزال للقرآن أنزلناه بلسان العرب لتحكم بينهم به ، وفي هذا تقرير للوحي الإلهي والنبوة المحمدية ، وقوله : ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بأن وافقتهم على مللهم وباطلهم في اعتقاداتهم ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل وإنما الخطاب من باب . . إياك أعني واسمعي يا جارة . . ﴿مالك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ليس لك من دون الله من ولي يتولى أمر نصرك وحفظك ، ولا واق يقيم عذاب الله إذا أراده بك لاتباعك أهل الباطل^(١) وتركك الحق وأهله ، وقوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا

(١) اللفظ عام والمراد به الخصوص ، ويدخل فيه أصحاب النبي ﷺ فهم يفرحون بنزول القرآن قاله قتادة . وهو كما قال فقد كانوا يفرحون بكل ما ينزل من وحي .

(٢) لفظ أهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى معاً ، لفظ البعض عام في القلة والكثرة ولذا فاليهود كالنصارى كالمشركين كالمجوس ينكرون من القرآن ما يتعارض مع معتقداتهم الباطلة ولا ينكرون مالا يتعارض معها .

(٣) أي : أرجع في أموري كلها إليه دون غيره ، وفي هذا معنى الاعتماد على الله والتوكل عليه في الأمر كله .

(٤) ﴿حكماً عربياً﴾ : حالان من أنزلناه ، وقيل : المراد من ﴿حكماً﴾ الحكمة كقوله : ﴿وآتيناها الحكم صبياً﴾ أي :

الحكمة ، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها .

(٥) في الآية إنذار وتحذير عظيم لمن يترك أوامر الله تعالى أو يغشى محارمه موافقة لأهل الباطل طلباً لرضاهم أو خوفاً من غضبهم .

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴿^(١)﴾ فلا معنى لما يقوله المبطلون: لم يتخذ محمد أزواجاً ولم تكون له ذرية؟ وهو يقول أنه نبي الله ورسوله، فإن الرسل قبلك من نوح وإبراهيم إلى موسى وداوود وسليمان الكل كان لهم أزواج وذرية، ولما قالوا ﴿^(٢)﴾ لولا أنزل عليه آية ﴿ رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ فالرسل كلهم مربوبون لله مقهورون لا يملكون مع الله شيئاً فهو المالك المتصرف إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل وقت محدد يعطي الله تعالى فيه أو يمنع كتاب كتب فيه ذلك الأجل وعُيِّنَ فلا فوضى ولا أنفَ ^(٣)، وقوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ردُّ على قولهم لم يثبت الشيء ثم يبطله كاستقبال بيت المقدس ثم الكعبة وكالعدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فأعلمهم أن الله تعالى ذو إرادة ومشیئة لا تخضعان لإرادة الناس ومشیئاتهم فهو تعالى يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع، ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء، وفي الحديث: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه مسلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة الوحي والنسوة.
- ٢- تقرير عقيدة التوحيد.
- ٣- تقرير أن القضاء والحكم في الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن، ثم القياس المأذون فيه فإجماع الأمة لاستحالة اجتماعها على غير ما يحب الله

(١) قيل: إن اليهود هم الذين عابوا رسول الله ﷺ على الأزواج وغيره بذلك فقالوا ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعليه فالآية مدنية.

(٢) في الآية: الترغيب في النكاح والحض عليه، وهو كذلك فقد جاء في السنة قوله ﷺ: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاتر بكم الأمم يوم القيامة) وفي الموطأ: (من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة: ما بين لحيه وما بين رجله).

(٣) أي: ولابد، والبداء: أن يبدو له الشيء بعد أن لم يكن يعلمه.

(٤) صح قوله ﷺ: (من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه) فهذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ أي: ما يشاء، وقد تكلم العلماء في هذا بشيء كثير وما أراه يوضح هذا هو أن الله تعالى لما كتب في اللوح المحفوظ كتب أن فلاناً يصل رحمه فيكون رزقه كذا سعة ويكون أجله كذا طولاً، فصلة الرحم سبب في توسعة الرزق وطول العمر.

تعالى ويرضى به .

٤- التحذير من اتباع أصحاب البدع والأهواء والميل والنحل الباطلة .

٥- تقرير عقيدة القضاء والقدر .

٦- بيان النسخ في الأحكام بالكتاب والسنة .

وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْنَا
الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهِ بِحُكْمِكُمْ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

نعدهم : أي من العذاب .

أو توفينك : أي قبل ذلك .

نقصها من أطرافها : أي بدأ بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك
منها .

لا معقب لحكمه : أي لا راد له بحيث لا يتعقب حكمه فيبطل .

ومن عنده علم الكتاب : من مؤمني اليهود والنصارى .

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ أي إن أريتك بعض الذي نعد قومك من العذاب فذاك، وإن توفيتك قبل ذلك فليس عليك إلا البلاغ فقد بلغت وعلينا الحساب فسوف نجزيهم بما كانوا يكسبون، فلا تأس أيها الرسول ولا تضق ذرعاً بما يمكرون، وقوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي المشركون الجاحدون الماكرون المطالبون بالآيات على صدق نبوة نبينا ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أي نفتحها للإسلام بلداً بعد بلد أليس ذلك آية دالة على صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته، وقوله: ﴿والله يحكم ولا معقب لحكمه﴾ أي والله جل جلاله يحكم في خلقه بما يشاء فيعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم، ولا معقب لحكمه أي ليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله فإذا حكم بظهور الإسلام وإدبار الكفر فمن يرد ذلك على الله، وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ إذا حاسب على كسب فحسابه سريع يجزي الكاسب بما يستحق دون بطاء ولا تراخ وقوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ إنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه؟ وقوله: ﴿فille المكر جميعاً﴾ أي إذا فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يهرب ولا يلتفت إليه وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فأين مكر من لا يعلم من مكر من يعلم كل شيء فسوف يصل بالممكور به إلى حافة الهلاك وهو لا يشعر، أفلا يعي هذا كفار قريش فيكفوا عن مكرهم برسول الله ودعوته؟ وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ أي سيعلم المشركون خصوم التوحيد يوم القيامة لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة لمن دخل الجنة وهو محمد ﷺ وأتباعه أو لمن دخل النار وهم دعاة الشرك والكفر وأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلًا﴾ أي يواجهونك بالإنكار عليك والجحود لنبوتك ورسالتك قل لهم يا رسولنا الله شهيد بيني

(١) ﴿ما﴾ زائدة لتقوية الكلام والأصل وإن نرينك.

(٢) ﴿البلاغ﴾: التبليغ و﴿الحساب﴾: الجزاء والعقوبة.

(٣) فسّر بعضهم الأطراف بالأشرف، وقال: المراد موت العلماء، وهو تفسير بعيد جداً، وما في التفسير أقرب وأوضح إلى معنى الآية الكريمة، ورد قول من قال هو نقصان الأرض بقول أحدهم لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك أي: مكان قضاء حاجتك.

(٤) قرأ نافع ﴿الكافر﴾: بالافراد، وهو اسم جنس بمعنى الجمع، وقرأ الجمهور ﴿الكفار﴾، وقيل المراد بالكافر هنا: أبو جهل، والله أعلم، وفي الآية وعيد وتهديد للكفار مطلقاً.

وبينكم وقد شهد لي بالرسالة وأقسم لي عليها مرات في كلامه مثل ﴿يسَ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ الأول التوراة والإنجيل وهم مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وتميم الداري وغيرهم^(١).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- انتصار الإسلام وانتشاره في ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق .
- ٢- أحكام الله تعالى لا ترد، ولا يجوز طلب الاستئناف على حكم من أحكام الله تعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ .
- ٣- شهادة الله أعظم شهادة، فلا تطلب بعدها شهادة إذا كان الخصام بين مؤمنين .
- ٤- فضل العالم على الجاهل، إذ شهادة مؤمني أهل الكتاب تقوم بها الحجة على من لا علم لهم من المشركين .

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

مكية

وآياتها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّكِیْبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَیْكَ لِخُرْجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِیْزِ الْحَمِیْدِ ﴿١﴾

(١) عبد الله بن سلام كان اسمه في الجاهلية: حصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله .
 (٢) قال بعضهم: الذي عنده علم الكتاب هو علي رضي الله عنه، وردّ على هذا القول، وقال بعضهم: هم المسلمون، كل ذلك من أجل أن السورة مكية، وهذا غير مانع أن ينزل القرآن بمكة ويظهر تأويله بالمدينة، ولا مانع أن تكون الآية مدنية والسورة مكية، فلهذا ما في التفسير أولى بالقول .

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
 لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَلِّغَ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
 قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
 اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

الر	: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ ألف لأم را والتفويض فيها أسلم وهو قول الله أعلم بمراده بذلك. ^(١)
كتاب	: أي هذا كتاب عظيم .
أنزلناه إليك	: يا محمد صلى الله عليه وسلم .
من الظلمات	: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .
العزیز الحمید	: أي المحمود بالآئه .
عن سبيل الله	: أي الإسلام .
عوجاً	: أي معوجّة .
بآياتنا	: أي المعجزات التسع : العصا، اليد، الطوفان، الجراد، القمل،

(١) هذا مذهب السلف وهو: تفويض فهم معناها إلى الله تعالى منزلها وبعدها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل . وهو أسلم من القول بالإجهاد الفكري

الضفادع، الدم، والطمس والسنين ونقص الثمرات.

وذكرهم بأيام الله : أي ببلائه ونعمائه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده وقوله : ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب عظيم القدر أنزلناه إليك يا رسولنا لتخرج الناس^(١) من الظلمات أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم الشرعي ، وذلك ﴿بإذن ربهم﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى طريق العزيز الغالب الحميد أي المحمود بآلائه وافضالاته على عباده وسائر مخلوقاته ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا وتصريفا وتدبيراً ، هذا هو الله صاحب الصراط الموصول إلى الإسعاد والإكمال البشري ، والكافرون معرضون بل ويصدون عنه فويل لهم من عذاب شديد ، الكافرون ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾^(٢) أي يفضلون الحياة الدنيا فيعملون للدنيا ويتركون العمل للآخرة لعدم إيمانهم بها ﴿ويصدون﴾ أنفسهم وغيرهم أيضا ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإسلام ﴿ويغونها عوجاً﴾ أي معوجة إنهم يريدون من الإسلام أن يوافقهم في أهوائهم وما يشتهون حتى يقبلوه ويرضوا به دينا قال تعالى : ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ إنهم بهذا السلوك المتمثل في إيثار الدنيا على الآخرة والصد عن الإسلام ، ومحاولة تسخير الإسلام لتحقيق أطماعهم وشهواتهم في ضلال بعيد لا يمكن لصاحبه أن يرجع منه إلى الهدى ، وقوله تعالى في الآية (٤) من هذا السياق ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي بلغتهم التي يتخاطبون بها ويتفاهمون لحكمة أن يبين لهم ، والله بعد ذلك يضل من يشاء إضلاله

(١) لتخرج الناس : أي : بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك .

(٢) الطريق هو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره .

(٣) قرأ نافع برفع اسم الجلالة ، وقرأ الجمهور بالجر ، واستحب بعضهم بالجر إذا وصل والرفع إذا وقف وهو حسن ومن وصل وقف على وما في الأرض .

(٤) قال ابن عباس وغيره : كل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على نعيم الآخرة وصد عن سبيل الله أي : صرف نفسه وغيره عن طاعة الله ورسوله فهو داخل في هذه الآية ، وهي ذات وعيد شديد .

(٥) لا حجة لغير العرب في هذه الآية إذ كل من ترجم له الإسلام بلغته وجب عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه ليكمل ويسعد ، وقد استعمرت بريطانيا نصف العالم فتكلم الناس بلغتها وتعاملوا بها وهي لغة دنيا لا غير . فالواجب على غير العربي أن يتعلم لغة الإسلام ما أمكنه ذلك .

حسب سنته في الإضلال ويهدي من يشاء كذلك ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يمانع في شيء أرادته ﴿الحكيم﴾ الذي يضع كل شيء في موضعه فلذا هو لا يضل إلا من رغب في الإضلال وتكلف له وأحبه وآثره، وتنكر للهدى وحارب المهتدين والداعين إلى الهدى، وليس من حكمته تعالى أن يضل من يطلب الهدى ويسعى إليه ويلتزم طريقه ويحبه ويحب أهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي موسى نبي بني إسرائيل ﴿بآياتنا﴾ أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى، وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيروا الصبر والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إقامة الحججة على المكذبين بالقرآن الكريم، إذ هو مؤلف من الحروف المقطعة مثل آل وطسم وآلم وحّم ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله بل بسورة مثله . .
- ٢- بيان أن الكفر ظلام والإيمان نور.
- ٣- بيان الحكمة في إرسال الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم .

(١) من مظاهر حكمته أنه ختم الرسالة برسالة محمد ﷺ، وواجب على البشرية كلها الإيمان به وبما جاء به ومن أبى دخل النار، فقد روى مسلم قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فوحد بذلك البشرية توحيداً روحياً واجتماعياً وسياسياً لو أنها آمنت بمحمد ﷺ وأخذت بهدايته لحصل لها من الكمال والإسعاد ما لم يخطر على بال.

(٢) أن : تفسيرية فسرت الارسال لأنه فيه معنى القول.

(٣) التذكير إزالة نسيان شيء، ويكون بتعليم مجهول كان شأنه أن يعلم، ولما ضمن التذكير معنى الإنذار والوعظ عدي بالبلاء أي : ذكرهم تذكير عظة بأيام الله.

(٤) الصبر مع البلاء، والشكر مع الرخاء، وخير الناس من إذا ابتلى صبر وإذا أعطي شكر ولا يكون كذلك إلا ذو علم وبصيرة.

٤- تقرير أن الذي يخلق الهداية هو الله وأما العبد فليس له أكثر من الكسب .

٥- فضيلة التذكير بالخير والشر ليشكر الله ويتقى .

٦- فضيلة الصبر والشكر .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 وَيَدْبِجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي
 ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
 رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
 عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
 بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
 فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
 بِهِءَ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى : أي اذكر إذ قال موسى .

يسومونكم : يذيقونكم .

ويستحيون نساءكم : أي يستبقونهن .

بلاء من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.
 وإذ تأذن ربكم : أي أعلم ربكم.
 بالبينات : بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد
 والبعث الآخر.
 فردوا أيديهم في أفواههم : أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن
 اسكتوا.

مريب : موقع في الريبة.

معنى الآيات :

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل
 ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتشكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم
 نوع النعمة وهي إنجازهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد،
 فقال: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي يذيقونكم سوء العذاب وهو أسوأه وأشدّه،
 ﴿ويذبون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أرجال السياسة قالوا لفرعون:
 لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل فأمر بقتل المواليد
 فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى
 قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر
 إلى كونه عذاباً بلاء بالشر، وفي كونه نجاةً منه، بلاء بالخير، وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن^(١)
 ربكم﴾ هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿ولئن
 شكرتم﴾ نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب
 النواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعام والإسعاد ﴿ولئن كفرتم﴾ فلم تشكروا نعمي
 فعصيتموني وعصيتم رسولي أي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

(١) أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الأذينا

(٢) سئل بعض الصالحين عن الشكر لله تعالى فقال: ألا تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال:
 أي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك علي؟ قال: يا داود: الآن تشكرني وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة
 للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته.

لشديد ﴿ فاحذروه واخشوني فيه ، وقوله تعالى : ﴿ وقال موسى ﴿ أي لبني إسرائيل ﴿ إن تكفروا أنتم ﴿ نعم الله فلم تشكروها بطاعته ﴿ ومن في الأرض جميعاً ﴿ وكفرها من في الأرض جميعاً ﴿ فإن الله لغني ﴿ عن سائر خلقه لا يفتقر إلى أحد منهم ﴿ حميد ﴿ أي محمود بنعمه على سائر خلقه ، وقوله : ﴿ ألم يأتكم ﴿ هذا قول موسى لقومه وهو يعظهم ويذكرهم : ﴿ ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم ﴿ أي لا يعلم عددهم ولا يحصيهم ﴿ إلا الله ﴿ ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴿ أي بالحجج والبراهين على صدق دعوتهم وما جاء به من الدين الحق ليعبد الله وحده ويطاع وتطاع رسله فيكمل الناس بذلك ويسعدوا ، وقوله : ﴿ فردوا أيديهم ﴿ أي ردت الأمم المرسل إليهم أيديهم إلى أفواههم تغيظاً على أنبيائهم وحنقاً ، أو أشاروا إليهم بالسكوت فأسكتوهم رداً لدعوة الحق التي جاؤوا بها ، وقالوا لهم : ﴿ إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿ أي بما جئتم به من الدين الإسلامي والدعوة إليه ، ﴿ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴿ أي موقع في الريبة التي هي قلق النفس واضطرابها لعدم سكونها للخبر الذي يلقي إليها ، هذا وما زال السياق طويلاً وينتهي بقوله تعالى : ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴿ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية التذكير بنعم الله لشكر ولا تكفر.
- ٢- وعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمن شكر نعم الله عليه .
- ٣- كفر النعم سبب زوالها .
- ٤- بيان غنى الله تعالى المطلق على سائر خلقه فالناس ان شكروا شكروا لأنفسهم وإن كفروا كفروا على أنفسهم أي شكرهم ككفرهم عائد على أنفسهم .
- ٥- التذكير بقصص السابقين وأحوال الغابرين مشروع وفيه فوائد عظيمة .

(١) أي : لا يلحقه نقص بكفر الناس ولو كفروا أجمعون .

(٢) صالح لأن يكون من قول موسى عليه السلام ، ومن قول الله تعالى تعليماً لرسوله محمد ﷺ .

(٣) ولا يعرف أنسابهم كذلك إلا الله وفي الحديث : (كذب النسابون إن الله يقول لا يعلمهم إلا الله) قاله لما زاد النسابون على معد بن عدنان ، وقال : (لا ترفعوني فوق عدنان) .

﴿ قَالَتْ ﴾

رُسُلَهُمْ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كُنَّا لِنَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿ ١١ ﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا

وَلَنْصِيرَكَ عَلَى مَاءٍ أَدْيُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿ ١٢ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُهِمْ لَنْخْرِجَنَّكُمْ مِنْ

أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿ ١٣ ﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ

ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿ ١٤ ﴾

شرح الكلمات :

أفي الله شك : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام

إنكاري .

إلى أجل مسمى : أي إلى أجل الموت .

بسلطان ميين : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم .

يمن على من يشاء : أي بالنبوة والرسالة على من يشاء لذلك .
 وقد هدانا سبلنا : أي طريقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه .
 لنخرجنكم من أرضنا : أي من ديارنا أو لتعودون في ديننا .
 لمن خاف مقامي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ما ذكر به موسى قومه بقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ ^(١) فقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَسُلَهُمْ ﴾ أي قالت الرسل إلى أولئك الأمم الكافرة ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ ؟ أي كيف يكون في توحيد الله شك وهو فاطر السموات والأرض ، فخالق السموات والأرض وحده لا يعقل أن يكون له شريك في عبادته ، انه لا إله إلا هو وقوله : ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح الخالي من الشرك ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ وهو كل ذنب بينكم وبين ربكم من كبائر الذنوب وصغائرها أما مظالم الناس فردوها إليهم تغفر لكم وقوله : ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي يؤخر العذاب عنكم لتموتوا بأجالكم المقدرة لكم ، وقوله : ﴿ قَالُوا ﴾ أي قالت الأمم الكافرة لرسولهم ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ أي ما أنتم إلا بشر مثلنا ، ﴿ تَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا ﴾ أي تصرفونا ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من آلهتنا أي أصنامهم وأوثانهم التي يدعون أنها آلهة ، وقولهم : ﴿ فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قال الكافرون للرسول اتنونا بسُلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صدقكم أنكم رسل الله إلينا فأجاب الرسل قائلة ما أخير تعالى به عنهم بقوله : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رَسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ أي ما نحن إلا بشر مثلكم فمالا تستطيعونه أنتم لا نستطيعه نحن ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي إلا أن الله يمن على من يشاء بالنبوة

(١) الاستفهام إنكاري أي : لا شك في الله ، أي في وجوده ، وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته ، وهي عبادته وحده لا شريك له .

(٢) هذا الوصف الكامل لله وهو مقتضى وجوده وألوهيته عز وجل .

(٣) على ما في التفسير (من) للتبعض ، ويصح أن تكون زائدة ، والمغفرة لكل الذنوب لأن الإسلام يجب ما قبله من سائر الذنوب .

(٤) أي : في الهيئة تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب ، وتمرضون ، وتصحون مثلنا ولستم ملائكة .

(٥) ومما من الله به عليهم ، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما يوجب رضاه ومحبته؟ وقيل : إن أعظم ما يمن به الله تعالى على عبده ذكره بأسمائه وصفاته .

فمن علينا بها فنحن ننبئكم بما أمرنا الله ربنا وربكم أن ننبئكم به كما نأمركم وندعوكم لا من تلقاء أنفسنا ولكن بما أمرنا أن نأمركم به وندعوكم إليه، ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته وقدرته فهو ذو الإرادة التي لا تحد والقدرة التي لا يعجزها شيء ولذا توكلنا عليه وحده وعليه ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم كل ما يهمهم، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ أي طرقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمتها وعزة سلطانه فأى شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ بألستكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم، ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلاً عليه وحده دون سواه، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسولها: قالوا موعدين مهديين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم: ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي ديننا الذي نحن عليه وهنا أوحى الله تعالى إلى رسوله بما أخبر تعالى به: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ قال لنهلكن الظالمين ولم يقل لنهلكنهم إشارة إلى علة الهلاك وهي الظلم الذي هو الشرك والإفساد ليكون ذلك عظة للعالمين، وقوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي الإنجاء للمؤمنين والإهلاك للظالمين جزاءً ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي الوقوف بين يدي يوم القيامة ﴿وخاف وعيد﴾ على السنة رسلي بالعذاب لمن كفر بي وأشرك في عبادتي ومات على غير توبة إلى من كفره وشركه وظلمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بطلان الشك في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة

(١) وما: اسم استفهام مبتدأ، وما بعدها في موضع الحال، والتقدير: أي شيء لنا في ترك التوكل على الله؟ والاستفهام انكاري.

(٢) وإسكان الصالحين الأرض بعد إهلاك الظالمين.

(٣) المقام: مصدر ميمي وقوله ﴿مقامي﴾: أي قيامه بين يدي للحساب، والوعيد هو عذاب النار، وقيل: مقامي: أي قيامي عليه، ومراقبتي له والمعنى إذا خافني وراقبني، وهو معنى صحيح، والخوف من الله ومراقبته موجبة للصلاح المورث للأرض والدولة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾.

الأدلة وقوة الحجج ، و سطوع البراهين .

٢- بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرسل ترد به عليهم .

٣- وجوب التوكل على الله تعالى ، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله .

٤- وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله وانتظار الفرج بأخذ الظالمين .

٥- عاقبة الظلم وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن .

وَأَسْتَفْتَحُوا

وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
 مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ
 وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن
 وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 أَعْمَلُهُمْ كَمَا دَأَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
 مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ
 يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
 ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

واستفتحوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي النصر على أقوامهم
 الظالمين .

وخاب : أي خسر وهلك .

- كل جبار عنيد : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد .
- من ماء صديد : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً من قيح ودم وعرق .
- يتجرعه ولا يكاد يسيغه : أي يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراده لقبحه ومراراته .
- ويأتيه الموت من كل مكان : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت حاصلة ولكن لا يموت .
- أعمالهم كرماد : أي الصالحة منها كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير والفاصلة كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد .
- لا يقدرון مما كسبوا على شيء : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوا على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك .
- وما ذلك على الله بعزيز : أي بصعب ممتنع عليه .

معنى الآيات :

هذا آخر حديث ما ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بني إسرائيل ، قال تعالى في الإخبار عنهم : ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ أي واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم بنصر على أعدائه وأعدائهم واستجاب الله لهم ، ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾ أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله ، وقوله ^(١) : ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أي أمامه جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء

(١) كقولهم : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ قالها شعيب والمؤمنون معه ، وكان النبي ﷺ يدعو طالباً نصره وهزيمة أعدائه .

(٢) العنيد : المعاند للحق ، والجبار : المتعاضم الشديد التكبر ، وقيل هو من يجبر الناس على مراده ، وهو وصف مذموم لغير الله تعالى .

(٣) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً ، لأن كل ما ووري أي : استتر فهو وراء . وقوله : ﴿ من ورائه جهنم ﴾ : صفة لجبار عنيد ، والوراء مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد ، قال الشاعر :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

أي بعده .

فتسقيه الزبانية ﴿من ماء صديد﴾^(١) أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قبح ودم وعرق، ﴿يتجرعه﴾ أي يتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشاً لقبحه وتنته ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي ويأتي هذا الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظماً فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ وقال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ ومن وراء ذلك العذاب الذي هو فيه ﴿عذاب﴾ أي لون آخر من العذاب ﴿غليظ﴾ أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لا يقدرّون مما كسبوا﴾ أي من أعمال في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشتدة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي ذلك الذي دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي ألم تعلم أيها الرسول أن الله خلق السموات والأرض بالحق أي من أجل الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره فإذا تنكر لربه فكفر به وأشرك غيره في عبادته عذبه بالعذاب الأليم الذي تقدم

(١) الصديد: المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدم ونحوه والتجرع: تكلف الجرع والجرع: بلع الماء.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال قوله تعالى ﴿يسقى من ماء صديد يتجرعه﴾. قال: (يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره.. الخ رواه الترمذي واستغربه.

(٣) المثل: الحال العجيبة أي حال أعمالهم كرماد.

(٤) الرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، ضرب الله في هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يحرقها كما تحرق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

(٥) الرؤية هنا: رؤية القلب وهي العلمية.

وصفه في هذا السياق لأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض عبثاً وباطلاً بل خلقهما وخلق ما فيهما من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن ترك الذكر والشكر عذبه أشد العذاب وأدومه وأبقىه، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس المتمردون على طاعته المشركون به ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غيركم يعبدونه ويوحدونه ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي بممتنع ولا متعذر لأن الله على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- إنجاز وعد الله لرسله في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبِّهِمْ لِنَهْلِكِ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية.
- ٢- خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم.
- ٣- عظم عذاب يوم القيامة وشدته.
- ٤- بطلان أعمال المشركين والكافرين وخبثتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها.
- ٥- عذاب أهل الكفر والشرك والظلم لازم لأنهم لم يذكروا ولم يشكروا والذكر والشكر علة الوجود كله فلما عبثوا بالحياة استحقوا عذاباً أبدياً.

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
 أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ
 لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ
 فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْؤَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا

(١) أي: أفضل منكم وأطوع وما في التفسير أدل على المقصود.

بِمَصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمَصْرِحِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّاتٌ
 فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

- وبرزوا لله جميعاً^(١) : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة .
 إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما تعقدون وتعملون .
 فهل أنتم مغنون عنا : أي دافعون عنا بعض العذاب .
 ما لنا من محيص : أي من ملجأ ومهرب أو منجأ .
 لما قضي الأمر : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .
 ما أنا بمصرخكم : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب .
 تجري من تحتها الأنهار : أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة : الماء واللبن
 والخمر والعسل .

معنى الآيات :

في هذه الآيات عرض سريع للموقف وما بعده من استقرار أهل النار في النار وأهل
 الجنة في الجنة يقرر مبدأ الوحي والتوحيد والبعث الآخر بأدلة لا ترد، قال تعالى :
 ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي خرجت البشرية من قبورها مؤمنوها وكافروها صالحوها وفاسدوها
 ﴿فقال الضعفاء﴾ أي الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء والموجهون للناس بما
 لديهم من قوة وسلطان ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ أي أتباعاً في عقائدكم وما تدينون به، ﴿فهل

(١) البروز: الظهور، وهو هنا الخروج من القبور والظهور خارجها للحشر حيث فصل القضاء، ومن هذا قولهم: امرأة برزة
 أي تظهر للناس.

(٢) ﴿تبعاً﴾: يصح أن يكون مصدراً أي: ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع مثل: حرس وحارس، وخدم وخدام.

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء؟ أي فهل يمكنكم أن ترفعوا عنا بعض العذاب بحكم تبعيتنا لكم فأجابوهم بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾^(١) اعترفوا الآن أن الهداية بيد الله وأقروا بذلك، ولكننا ضللنا فأصللناكم ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ اليوم ﴿أم صبرنا مالنا من محيص﴾ أي من مخرج من هذا العذاب ولا مهرب، وهنا يقوم إبليس خطيباً فيهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وقال الشيطان﴾ أي إبليس عدو بنى آدم ﴿لما قضي الأمر﴾ بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ بأن من آمن وعمل صالحاً مبتعداً عن الشرك والمعاصي أدخله جنته وأكرمه في جواره، وأن من كفر وأشرك وعصى أدخله النار وعذبه عذاب الهون في دار البوار ﴿ووعدتكم﴾ بأن وعد الله ووعيده ليس بحق ولا واقع ﴿فأخلفتكم﴾ فيما وعدتكم به، وكنت في ذلك كاذباً عليكم مغرراً بكم، ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي من قوة مادية أكرهتكم بها على اتباعي ولا معنوية ذات تأثير خارق للعادة أجبرتكم بها على قبول دعوتي ﴿إلا أن دعوتكم﴾ أي لكن دعوتكم ﴿فاستجبت لي﴾ إذاً ﴿فلا تلوْموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم﴾ أي بمزيل صراخكم بما أغيثكم به من نصر وخلص من هذا العذاب ﴿وما أنتم﴾ أيضاً ﴿بمصرخي﴾، أي بمغيثي ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ إذ كل عابد لغير الله في الواقع هو عابد للشيطان إذ هو الذي زين له ذلك ودعاه إليه، و﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أي المشركين لهم عذاب أليم موجه، وقوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾ أي وأدخل الله الذين آمنوا أي صدّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به رسوله ﴿وعمِلوا الصالحات﴾ وهي العبادات التي تعبّد الله بها عباده فشرعها

(١) أي: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه أو لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

(٢) المحيص: مصدر ميمي كالمغيث والمشيّب من غاب وشاب، وكذلك حاص يحيص حصياً عن كذا: هرب ونجا، ويجوز أن يكون المحيص هنا اسم مكان أي: ما لنا من مكان نلجأ إليه ونجرف فيه.

(٣) أي: على منبر من نار.

(٤) ﴿وعد الحق﴾: يعني البعث والجنة والنار، وثواب المطيع وعقاب العاصي. فصدقتكم وعده، ووعدتكم ألا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. فأخلفتكم.

(٥) (الصارخ): والمستصرخ هو الذي يطلب النصر والمعانة، المصرخ هو المغيث قال الشاعر:
ولا تجزعوا إني لكم غير مصرخ وليس لكم عندي غناء ولا نصر

(٦) ﴿بما أشركتمون﴾: الميم مصدرية والتقدير كفرت بإشراككم إياي مع الله تعالى.

(٧) لما أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة وهو أسلوب الترغيب والترهيب الذي امتاز به القرآن الكريم لأنه كتاب هداية وإصلاح.

في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿جَنَاتٍ﴾^(١) بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولاً، وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^(٢) أي أن ربهم هو الذي أذن لهم بدخولها والبقاء فيها أبداً، وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي السلام عليكم يحييهم ربهم وتحية الملائكة ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات وتحية بطلب الحياة الأبدية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى .
- ٢- بيان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس .
- ٣- تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد ولكنه في علم الله كائن كما هو وسوف يكون كما جاء في الآيات لا يتخلف منه حرف واحد .
- ٤- وعيد الظالمين بأليم العذاب .
- ٥- العمل لا يُدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخل الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

(١) ﴿جَنَاتٍ﴾: جمع جنة، وجَنَاتٍ: منصوب على نزع الخافض أي: في جنات لأن دخل كخرج لا يتعدى إلا بحرف الجر.

(٢) أي: بمشيئته وتيسيره.

تَوَاتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ
 كَشَجَرَةِ خَيْثَةٍ أُجْتُتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
 ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا
 وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسُ
 الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ
 تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- كلمة طيبة : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 كشجرة طيبة : هي النخلة .
 كلمة خيثة : هي كلمة الكفر .
 كشجرة خيثة : هي الحنظل .
 اجتثت : أي اقتلعت جثتها أي جسمها وذاتها .
 بالقول الثابت : هو لا إله إلا الله .
 وفي الآخرة : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن
 ربه ودينه ونبيه .
 بدلوا نعمة الله كفراً : أي بدلوا التوحيد والاسلام بالجحود والشرك .
 دار البوار : أي جهنم .
 وجعلوا لله أندادا : أي شركاء .

معنى الآيات :

الآيات في تقرير التوحيد والبعث والجزاء، قوله تعالى : ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي ألم تعلم ﴿كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾^(١) هي كلمة الإيمان يقولها المؤمن ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها﴾ عال ﴿في السماء﴾، ﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي أكلها أي ثمرها الذي يؤكل منها كل حين بلحاً وُسراً ومُنَصَّفاً ورطباً وتمراً وفي الصباح والمساء ﴿يأذن ربها﴾ أي بقدرته وتسخيره فكلمة الإيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله تثمر للعباد أعمالاً صالحة كل حين فهي في قلبه والأعمال الصالحة الناتجة عنها ترفع إلى الله عز وجل، وقوله تعالى : ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي كما ضرب هذا المثل للمؤمن والكافر في هذا السياق يضرب الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله، وقوله : ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر في قلب الكافر ﴿كشجرة خبيثة﴾ هي الحنظل مرة ولا خير فيها ولا أصل لها ثابت ولا فرع لها في السماء ﴿اجتثت﴾ أي اقتلعت واستوصلت ﴿من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أي لا ثبات لها ولا تثمر إلا ما فيها من مرارة وسوء طعم وعدم بركة وقوله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ هذا وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين بأنه يشتمهم على الإيمان مهما كانت الفتن والمحن حتى يموتوا على الإيمان ﴿وفي الآخرة﴾ أي في القبر إذ هو عتبة الدار الآخرة عندما يسألهم الملكان عن الله وعن الدين والنبى من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيشتمهم بالقول الثابت وهو الإيمان وأصله لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل الصالح الذي هو الإسلام وقوله تعالى : ﴿ويضل الله الظالمين﴾ مقابل هداية المؤمنين فلا يوقفهم للقول الثابت حتى يموتوا على الكفر فيهلكوا ويخسروا، وذلك

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خيروني ما هي؟ قال : هي النخلة) وورد : (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبه نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به).

(٢) وورد أكرموا عمتمك النخلة، ومن وجه شبهها بالمؤمن أنها برأسها تبقى وبقلبها تحيا وفي اللقاح ورائحة طلع ذكرها كرائحة المنى، وقيل : إنها خلقت من فضلة طينة آدم التي خلق منها، فهي لذا عمة بني آدم.

(٣) روى النسائي عن البراء قال : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال : من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد ﷺ.

لإصرارهم على الشرك ودعوتهم إليه وظلم المؤمنين وأذيتهم من أجل إيمانهم، وقوله تعالى: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ تقرير لإرادته الحرة فهو عز وجل يثبت من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض عليه ولا نكير مع العلم أنه يهدي ويضل بحكم عالية تجعل هدايته كأضلاله رحمة وعدلاً.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم ينته إلى علمك أيها الرسول ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ التي هي الإسلام الذي جاءهم به رسول الله بما فيه من الهدى والخير فكذبوا رسول الله وكذبوا بما جاء به ورضوا بالكفر وأنزلوا بذلك قومهم الذين يحثونهم على الكفر ويشجعونهم على التكذيب أنزلوهم^(١) ﴿دار البوار﴾ فهلك من هلك في بدر كافراً إلى جهنم، ودار البوار هي جهنم يصلونها أي يحترقون بحرماً ولهيبتها ﴿وبئس القرار﴾ أي المقر الذي أحلوا قومهم فيه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله﴾ أي جعل أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وهم كفار مكة لله أنداداً أي شركاء عبودها وهي اللات والعزى وهبل ومناة وغيرها من آلهتهم الباطلة، جعلوا هذه الأنداد ودعوا إلى عبادتها ليضلوا ويضلوا غيرهم عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى وجواره الكريم، وقوله تعالى: ﴿قل تمتعوا﴾ أي بما أنتم فيه من متاع الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم﴾ أي نهاية أمركم ﴿إلى النار﴾ حيث تصيرون إليها بعد موتكم إن أصررتم على الشرك والكفر حتى متم على ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
- ٢- المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر.

(١) هذه الآية نزلت في قريش، وقيل: في هلكى بدر، وقيل: في متنصرة العرب: جيلة بن الأيهم وأصحابه، والظاهر أنها عامة في كل من كفر بالله ورسوله وحاد عن سبيلهما، وقال الحسن: إنها عامة في جميع المشركين.

(٢) ﴿البوار﴾: الهلاك.

(٣) الأمر للتهديد والوعيد، وفي اللفظ إشارة إلى قلّة ما في الدنيا من ملاذ مع سرعة زوالها ولزوم انقطاعها.

- ٣- بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكرًا ونكيراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له .
- ٤- الأمر في قوله تعالى تمتعوا ليس للإباحة ولا للوجوب وإنما هو للتهديد والوعيد .

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾
 وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ
 لَا تُحْصَوْهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

- لا بيع فيه ولا خلال : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالفة تنفع ولا صداقة .
- الفلك : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث .
- دائبين : جاربيير في فلكهما لا يفتران أبداً حتى نهاية الحياة الدنيا .
- لظلوم كفار : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه .

معنى الآيات :

لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴿٣١﴾ قل تمتعوا فإن

مصيركم إلى النار ﴿ أمر رسوله أيضاً أن يقول للمؤمنين .. يقيموا الصلاة وينفقوا من أموالهم سرّاً وعلانية ليتقوا بذلك عذاب يوم القيامة الذي توعد به الكافرين فقال: ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾^(١) أي يؤديها على الوجه الذي شرعت عليه فيتموا ركوعها وسجودها ويؤديها في أوقاتها المعينة لها وفي جماعة وعلى طهارة كاملة مستقبلين بها القبلة حتى تثمر لهم زكاة أنفسهم وطهارة أرواحهم ﴿ وينفقوا ﴾^(٢) ويوالوا الإنفاق في كل الأحيان ﴿ سرّاً وعلانية ﴾ ، ﴿ من قبل أن يأتي يوم ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لا يبع فيه ولا خلال ﴾ لا شراء فيحصل المرء على ما يفدي به نفسه من طريق البيع ، ولا خلة أي صداقة تنفعه ولا شفاعة إلا بإذن الله تعالى .

وقوله تعالى: ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ أي انشأهما وابتدأ خلقهما ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ هو ماء الأمطار ﴿ فأخرج به من الثمرات ﴾ والحبوب ﴿ رزقاً لكم ﴾^(٣) تعيشون به وتم حياتكم عليه ﴿ وسخر لكم الفلك ﴾ أي السفن ﴿ لتجري في البحر بأمره ﴾ أي بإذنه وتسخيره تحملون عليها البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وتركبونها كذلك ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾ الجارية بالمياه العذبة لتشربوا وتسقوا مزارعكم وحقولكم ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾^(٤) لا يفتران أبداً في جريهما وتنقلهما في بروجهما لمنافعكم التي لا تتم إلا على ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر وتنقله في منازلهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا والنهار لتعملوا فيه وتكسبوا أرزاقكم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾^(٥) مما أنتم في حاجة إليه لقوام حياتكم ، هذا هو الله المستحق لعبادتكم

(١) هي الصلوات الخمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

(٢) هي الزكاة ويدخل معها صدقة التطوع، إذ الكل إنفاق، والسرية غالباً هي صدقة التطوع والعلانية هي الزكاة المفروضة

(٣) ﴿ الخلال ﴾ جمع خلة كقوله وقلال، وهي المودة والصداقة والمنفي هنا هو آثارها بالنفع بالإفراءد والاسعاف بالثواب.

(٤) هذا استئناف واقع موقع الاستدلال على بطلان الشرك ووجوب التوحيد وما يترتب على ذلك من سعادة الموحدين وشقاء المشركين..

(٥) الرزق: القوت، وهو كل ما يقتات به من أنواع الحبوب والخضر والفواكه واللحوم.

(٦) التسخير هو التذليل والتطوع، وهو كناية عن كون الشيء قابلاً للتصرف فيه.

(٧) الدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية لا تختلف وفعله: دأب يدأب دؤوبا على الشر: إذا استمر عليه ولم يقطعه.

(٨) ﴿ من كل ما سألتموه ﴾ أي: من كل مسؤول سألتموه شيئاً فحذف مسؤول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإن هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إياها، وهذا الحذف كقوله: ﴿ سراويل تقيكم الحر.. ﴾ وسراويل تقيكم البرد: فحذف.

رغبة فيه ورهبة منه، هذا هو المعبود الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له وليس تلك الأصنام والأوثان التي تعبدونها وتدعون إلى عبادتها حتى حملكم ذلك على الكفر والعناد بل والظلم والشر والفساد.

وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١) أي بعد أن عدد الكثير من نعمه أخبر أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه ولا أن يحصيها عدداً بحال من الأحوال، وقرر حقيقة في آخر هذه الموعظة والذكرى وهي أن الإنسان إذا حرم الإيمان والهداية الربانية ﴿ظلوم﴾ أي كثير الظلم كفور كثير الكفر عظيمه، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإكثار من الصدقات لاتقاء عذاب النار.
- ٢- جواز صدقة العلقن كصدقة السر وإن كانت الأخيرة أفضل.
- ٣- التعريف بالله عز وجل إذ معرفة الله تعالى هي التي تثمر الخشية منه تعالى.
- ٤- وجوب عبادة الله تعالى وبطلان عبادة غيره.
- ٥- وصف الإنسان بالظلم والكفر وشدتهما ما لم يؤمن ويستقيم على منهج الإسلام.

وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
 أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
 فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
 الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ

(١) الإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصى إسمًا للعدد، وهو منقول من الحصى وهي صغار الحجارة إذ كانوا يعدون الأعداد الكبيرة بها.

تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقَهُمْ مِّنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ شَاكِرُونَ ﴿٣٧﴾
 رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
 عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾
 رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
 دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
 الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

- هذا البلد آمنا : أي اجعل مكة بلداً آمناً يأمن كل من دخله .
 واجنبي : بَعَّدَنِي .
 أن نعبد الأصنام : عن أن نعبد الأصنام .
 أضللن كثيراً من الناس : أي بعبادتهم لها . .
 من تبعني فإنه مني : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني .
 من ذريتي : أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .
 بواد غير ذي زرع : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ .
 تهوي إليهم : تَحَنَّنْ إِلَيْهِمْ وتميل رغبة في الحج والعمرة .
 على الكبر إسماعيل واسحق : أي مع الكبر إذ كانت سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة وولد له
 إسحق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة .
 ولوالدي : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .
 يوم يقوم الحساب : أي يوم يقوم الناس للحساب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وقد تضمنت هذه الآيات ذلك ،

فقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي اذكر إذ قال إبراهيم فكيف يذكر ما لم يوح الله تعالى إليه بذلك ففسر هذا نبوة رسول الله ونزول الوحي إليه ، وقوله : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ أي ذا أمن فإمن من دخله على نفسه وماله والمراد من البلد مكة .
 وقوله : ﴿وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فيه تقرير للتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ومعنى اجنبنني ابعديني أنا وأولادي وأحفادي وقد استجاب الله تعالى له فلم يكن في أولاده وأولاد أولاده مشرك ، وقوله : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ تعليل لسؤاله ربه أن يجنبه وبينه عبادتها ، واضلال الناس كان بعبادتهم لها فضلوا في أودية الشرك ، وقوله : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ أي من أولادي ﴿فإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي على ملتي وديني ، ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فلم يتبعني على ملة الإسلام إن تعذبه فذاك وإن تغفر له ولم تعذبه ﴿فإنك غفورٌ رحيمٌ﴾ ، وقوله : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة إذ ليس فيها ولا حولها زراعة يومئذ وإلى آمام بعيدة وأزمنة عديدة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ قال هذا بإعلام من الله تعالى له أنه سيكون له بيت في هذا الوادي ومعنى المحرم أي الحرام وقد حرمه تعالى فمكة حرام إلى يوم القيامة لا يُصَاد صيدها ولا يُخْتَلَى خَلاها ولا تُسْفَك فيها دماء ولا يحل فيها قتال ، وقوله : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ هذا دعاء بأن ييسر الله تعالى عيش سكان مكة ليعبدوا الله تعالى فيها بإقام الصلاة ، فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا إلى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سبباً في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة ، وقوله : ﴿وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنبيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر ، إذ النعم تقتضي

(١) أي : اجعلني جانباً عن عبادتها ، وبينه من صلبه وكانوا ثمانية : فما عبد منهم أحد صنماً قط . كان إبراهيم التيمي يقول : من يأمن البلاء بعد الخليل حتى يقول : واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام .

(٢) نسب الإضلال إليهن وهن جمادات لا يفعلن شيئاً : لأنهن السبب في الإضلال .

(٣) فَوُضَّ الْأَمْرُ لِرَبِّهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لِمَنْ عَصَاهُ رَحْمَةً ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ . وقيل : قال إبراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه .

(٤) ذكر البخاري قصة إسكان إبراهيم عليه السلام هاجر مكة ، بالتفصيل فليرجع إليها ومن في قوله : ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ للتبعيض إذ لم يسكن مكة إلا إسماعيل وباقى أولاده كانوا بالشام .

(٥) خصَّ الصلاة بالذكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذكر والشكر ، وهي علّة الحياة وسرّ هذا الوجود والكلام في قوله ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لام كي : التعليلية والفعل متعلق بأسكنت أي : أسكنتهم بمكة ليقوموا الصلاة فيها .

شكراً، وقوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أراد به أن ما سأل ربه فيه من كل ما سأل انما هو من باب إظهار العبودية لله والتخضع لعظمته والتذلل لعزته والافتقار الى ما عنده، وإلا فالله أعلم بحاله وما يصلحه هو وبنيه، وما هم في حاجة إليه لأنه تعالى يعلم كل شيء ولا يخفى^(١) عنه شيء في الأرض ولا في السماء. . . وقوله: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ أراد به حمد الله وشكره على ما أنعم به عليه حيث رزقه اسماعيل واسحق على كبر سنه، والاعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً من يقيم الصلاة، لأن الصلاة هي علة الحياة كلها إذ هي الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيراً ألحَّ على ربه في قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه^(٢) وللمؤمنين يوم يقوم الناس^(٤) للحساب وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن أي ذو آمن.
- ٢- الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.
- ٣- علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.
- ٤- أهمية إقام الصلاة وأن من لم يرد أن يصلي لا حق له في الغذاء ولذا يُعدم إن أصر على ترك الصلاة.

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنك تعلم ما أخفي وما أعلن﴾ أي: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكننا بواد غير ذي زرع، والوجد: الحزن.

(٢) قيل: ولده اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) استغفر عليه السلام لوالديه قبل أن يتبين له عداوة أبيه آزر لله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، كما تقدم في سورة التوبة، كما جاء فيها: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فلذا لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً، كما لا يجوز الصلاة عليه إذا مات إجماعاً.

(٤) نسبة القيام إلى الحساب كقولهم: قامت الحرب على ساق: يعنون اشتداد الأمر، وصعوبة الحال.

- ٥- بيان استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه .
- ٦- وجوب حمد الله وشكركه على ما ينعم به على عبده .
- ٧- مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات .
- ٨- تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء .

وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ

الظالمون^{٤٣} إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مَّحِبِّ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ

الرُّسُلَ أُولَئِكَ تُكُونُوا أَلْقَسَمَةً مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم

مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا

لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ

مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------------|---|
| عما يعمل الظالمون | : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم . |
| ليوم تشخص فيه الأبصار | : أي تفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال . |
| مهطعين مقنعي رؤوسهم | : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر، رافعي رؤوسهم . |

وأفندتهم هواء : أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفرع .
 نجب دعوتك : أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك ونتبع
 الرسل .

ما لكم من زوال : أي عن الدنيا إلى الآخرة .
 وقد مكروا مكروهم : أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث
 أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه .

وإن كان مكروهم لتزول منه : أي لم يكن مكروهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه
 الجبال لا قيمة له فلا تعبا به ولا تلتفت إليه .

معنى الآيات :

في هذا السياق الكريم تقوية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر ليوصل دعوته إلى ربه
 إلى أن ينصرها الله تعالى وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله
 وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم ، وازدياد ظلمهم لهم فقال تعالى لرسوله ﷺ :
 ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم
 يحل بهم عذابه إنما يريد أن يؤخرهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي تفتح فلا تغمض
 ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال ، ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين ﴿مقنعي رؤوسهم﴾
 أي حال كونهم مهطعين مقنعي رؤوسهم أي رافعين رؤوسهم مسرعين للداعي الذي
 دعاهم إلى المحشر ، قال تعالى : ﴿واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب﴾ لا يرتد
 إليهم طرفهم ﴿أي لا تغمض أعينهم من الخوف﴾ وأفندتهم ﴿أي قلوبهم﴾ هواء ﴿أي

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون، وفعل الشخصوس: شخص يشخص البصر: إذا سما وطمح من الخوف.

(٢) ﴿مهطعين﴾ اسم فاعل من أهطع يهطع إهطاعاً فهو مهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي: مسرعين، قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماء

والمهطع أيضاً من ينظر في ذل وخشوع.

(٣) ﴿مقنعي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكروه وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٤) الطرف: العين، قال الشاعر:

وأغمض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارني جارتني ماواها

يقال: طرف يطرف طرفاً إذا أطبق جفنه على الآخر، ولم يطرف: إذا فتح عينه ولم يغمضها.

(٥) هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول، والهواء: الخلاء.

فارغة من الوعي والادراك لما أصابها من الفزع والخوف ثم أمر تعالى رسوله في الآية (٤٤) بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشرعه، ﴿يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا﴾ أي أشركوا بربهم، وأذوا عبادة المؤمنين ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ أي يطلبون الإنظار والإمهال ﴿نحب دعوتك﴾ أي نوحك ونطيعك ونطيع رسولك، فيقال لهم: تويخاً وتقريراً وتكذيباً لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ أي حلفتهم ﴿من قبل ما لكم من زوال﴾ أي أطلبتم الآن التأخير ولم تطلبوه عندما قلتم ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا إلى الآخرة، ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وتبين لكم﴾ أي عرفتم ﴿كيف فعلنا بهم﴾ أي بإهلاكنا لهم وضربنا لكم الأمثال في كتبنا وعلى ألسنة رسلنا فيؤخون هذا التوبيخ ولا يجابون لطلبهم ويقذفون في الجحيم، وقوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكروهم﴾ أي وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه مغلاً في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وعند الله مكروهم﴾ أي علمه وما أرادوا به، وجزأؤهم عليه، وقوله: ﴿وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال﴾ أي ولم يكن مكروهم لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت، فإنه لا يحدث منه شيء، وفعلاً قد خابوا فيه أشد الخيبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم.
- ٢- بيان أهوال يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه حتى يتمنى الظالمون الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ويوحدا ربهم في عبادته.
- ٣- التنديد بالظلم وبيان عقاب الظالمين بذكر أحوالهم.

(١) قرئ: ﴿لتزول﴾ بفتح اللام الأولى وضم الآخرة لتزول، وإن مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء، ومعنى الآية: استعظام مكروهم حتى لتكاد الجبال تزول منه، وما في التفسير من قراءة وتوجيه هو الذي رجحه ابن جرير الطبري. هنا ذكر القرطبي بإسهاب قصة النمرود الجبار الذي حاج إبراهيم عليه السلام، ولا طائل تحتها.

٤- تقرير جريمة قريش في ائتمارها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَى
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا
بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

إن الله عزيز	: أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال .
ذو انتقام	: أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله .
يوم تبدل الأرض	: أي اذكروا يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض .
وبرزوا لله	: أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم .
مقرنين	: أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم .
في الأصفاد	: الأصفاد جمع صنف وهو الوثاق من حبل وغيره .
سراويلهم	: أي قمصهم التي يلبسونها من قطران .
هذا بلاغ	: أي هذا القرآن بلاغ للناس .
أولوا الألباب	: أصحاب العقول .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين وهم يعانون من صلف المشركين

(١) وظلمهم وطفينانهم فيقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ إنه كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، إنه لا بد منجز لك ما وعدك من النصر على أعدائك فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم . ﴿إن الله عزيز﴾ أي غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريد لا بد واقع ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أوليائه، واذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ كذلك ﴿وبرزوا﴾ أي ظهروا بعد خروجهم من قبورهم في طريقهم إلى المحشر إجابة منهم لدعوة الداعي وقد برزوا ﴿لله الواحد القهار﴾ ، ﴿وترى المجرمين يومئذ﴾ يا رسولنا تراهم ﴿مقرنين في الأصفاد﴾ مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى أعناقهم، هؤلاء هم المجرمون اليوم بالشرك والظلم والشر والفساد أجزموا على أنفسهم أولاً ثم على غيرهم ثانياً سواء ممن ظلموهم وآذوهم أو ممن دعوهم إلى الشرك وحملوهم عليه، الجميع قد أجزموا في حقهم، ﴿سرايلهم﴾ قمصانهم التي على أجسامهم ﴿من قطران﴾ وهو ما تدهن به الإبل : مادة سوداء محرقة للجسم أو من نحاس إذقري من قطران أي من نحاس أحمي عليه حتى بلغ المنتهى في الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتغطي وجوههم النار بلهبها، هؤلاء هم المجرمون في الدنيا بالشرك والمعاصي، وهذا هو جزاؤهم يوم القيامة، فعل تعالى هذا بهم ﴿ليجزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ فما بين أن وجدوا في الدنيا وبين أن انتهوا إلى نار جهنم واستقروا في أتون جحيمها الا كمن دخل

(١) ﴿مخلف﴾ مفعول ثانٍ لحسب، وعده: مجرور بالإضافة، ورسله: معمول لمخلف مؤخر، والأصل: مخلف رسله وعده، وقدم الوعد للاهتمام به.

(٢) جملة تعليلية للنهي عن حسابان خلف وعده تعالى .

(٣) الآية نص صريح في كون الأرض والسماوات تتبدل في ذاتها وسائر صفاتها وتزول تماماً ويخلق الله تعالى أرضاً غير ذي وسماء غير هذه، وفي الحديثين الاتيين ما يقرر ذلك:

أ - حديث مسلم، وفيه: (إن يهوديا سأل رسول الله ﷺ قائلاً: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: في الظلمة دون الجس).

ب - حديث ابن ماجه بإسناد مسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط).

(٤) الأصفاد: جمع صفد يفتح كل من الصاد والفاء، وهو الغل والقيد يشد به ويربط الجاني قال الشاعر:

فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدين

(٥) واحد السرايل: سربال، وهو القميص، يقال: تسربل، إذا لبس السربال وكونها من قطران لشدة حرارتها، واشتعال النار فيها.

مع باب وخرج مع آخر، وأخيراً يقول تعالى : ﴿هذا بلاغ للناس^(١) ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿ولينذروا به﴾ أي بما فيه من العظمت والعبير والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجرام والشر والفساد، ﴿وليعلموا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أنما هو إله واحد﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله، فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق، وما عداه فباطل، ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أي وليتعض بهذا القرآن أصحاب العقول المدركة الواعية فيعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب الله وعذابه، وليفوزوا برحمته ورضوانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان صدق وعد الله من وعدهم من رسله وأوليائه.
- ٢- بيان أحوال المجرمين في العرض وفي جهنم.
- ٣- بيان العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا.
- ٤- قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ هذه الآية صالحة لأن تكون عنواناً للقرآن الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع وجازة اللفظ وجمال العبارة، والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) ﴿بلاغ﴾ أي : تبليغ للناس يقوم به الرسول ﷺ .

(٢) قال هذا : العلامة الشيخ ، البشير الإبراهيمي الجزائري ، وظننا أنه إلهام من الله تعالى له ، وإذا بنا نعثرفي كلام الأولين على من قاله ، وسبق به وجائز أن يكون الشيخ ألهمه والآخر كذلك ، وتوارد الخواطر معروف ولا مانع من النقل والسكوت على من نقل عنه ، إذ العلم مشاع كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما ، ولذا فلا بأس أن ينقل العلم ولا ينسب إلى قائله لكن لا ينسب إلى غير قائله ، فتلك سرقة ممنوعة .

الجزء الرابع عشر

سُورَةُ الْحَجَرِ

مكية

وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَسْخِرُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

الر : الله أعلم بمراده بذلك ، تُكتب آلر . ويقرأ : ألف ، لأم ، را .

تلك آيات الكتاب : الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن .

يود : يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين .

ويتمتعوا : أي بالملذات والشهوات .

ويلهمهم الأمل : أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية .

إلا ولها كتاب معلوم : أي أجل محدود لإهلاكها .

ما تسبق من أمة أجلها : أي لا يتقدم أجلها المحدد لها ومن زائدة للتأكيد .

معنى الآيات :

بما أن السورة مكية فإنها تعالج قضايا العقيدة وأعظمها التوحيد والنبوة والبعث . قوله

تعالى : ﴿الر﴾ : الله أعلم بمراده به ، ومن فوائد هذه الحروف المقطعة تنبيه السامع وشده

بما يسمع من التلاوة ، إذ كانوا يمنعون سماعه خشية التأثير به ، فكانت هذه الفواتح التي

لم يألفوا مثلها في كلامهم تشدهم إلى سماع ما بعدها من القرآن . وقوله : ﴿تلك آيات

الكتاب ﴿^(١)﴾ من الجائز القول: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف الر، ألم، طس، حم عسق. ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبین﴾ المبین: المبین للحق والباطل والهدى والضلال وقوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾: يخبر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذ متمنياً أن لو كان من المسلمين. وقد يحدث الله تعالى ظرفاً في الدنيا وأموراً يتمنى الكافر فيها لو كان من المسلمين. وقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ أي اتركهم يا رسولنا، أي اترك الكافرين يأكلوا ما شاءوا من الأطعمة، ويتمتعوا بما حصل لهم من الشهوات والملذات، ويلههم الأمل عن التفكير في عاقبة أمرهم. إذ همهم طول أعمارهم، وتحقيق أوطارهم، فسوف يعلمون إذا رُدوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون أنهم كانوا في الدنيا مخطئين بإعراضهم عن الحق ودعوة الحق والدين الحق وقوله: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية بعذاب الإبادة والاستئصال ﴿إلا ولها كتاب﴾، أي لها أجل مكتوب في كتاب محدد اليوم والساعة. وقوله: ﴿... ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي بناءً على كتاب المقادير فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد، ولا أن يستأخر عنه ولو ساعة. وفي هذا تهديد وتخويف لأهل مكة وهم يحاربون دعوة الحق ورسول الحق لعل قريتهم قد كتب لها كتابٌ وحدد لها أجلٌ وهم لا يشعرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- القرآن الكريم مبین لكل ما يُحتاج إليه في إسعاد الإنسان وإكماله.

(١) لفظ الكتاب الذي هو القرآن أصبح علماً بالغلبة على القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ وسمي بالكتاب لأنه مأمور بكتابه وحفظه فسمي بالكتاب قبل أن يكتب للأمر بذلك، والقرآن: اسم ثان للكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والكتاب مشتق من الكتب الذي هو الجمع، والقرآن من القرء الذي هو الجمع أيضاً فهو تجمع حروفه وكلماته.

(٢) رب: حرف جر يدخل على الأسماء، وإن أريد إدخالها على الأفعال لحقت بها (ما) كما في الآية. وقرأ نافع ﴿ربما﴾ بالتخفيف، وشددها غيره في هذه الآية ﴿ربما يود الذين كفروا﴾. الخ وأصل استعمالها في التقليل، وقد تستعمل في التكثير.

(٣) وقد ورد أنه لما يرى الكافرون وهم في النار أهل التوحيد يخرجون منها يودون لو كانوا موحدين، والكل وارد ولا مانع منه.

(٤) ﴿من﴾: صلة لتقوية النفي وتأکید الخبر.

٢- إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحرابهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين .

٣- تقرير عقيدة القضاء والقدر فما من شيء إلا وسبق به علم الله وكتبه عنده في كتاب المقادير الحياة كالموت، والربح كالخسارة، والسعادة كالشقاء، جميع ما كان وما هو كائن وما سيكون سبق به علم الله وكتب في اللوح المحفوظ .

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

نزل عليه الذكر : أي القرآن الكريم .

لو ما تأتينا بالملائكة : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله .

وما كانوا إذا منظرين : أي مهملين ، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة .

إننا نحن نزلنا الذكر : أي القرآن .

في شيع الأولين : أي في فرق وطوائف الأولين .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي قال الكافرون المنكرون للوحي والنبوة ﴿إنك لمجنون﴾ أي غير عاقل وإلا لما ادعت النبوة . وفي قولهم هذا استهزاء

(١) ظاهر بالرسول ﷺ وهو ثمرة ظلمة الكفر التي في قلوبهم وقوله: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾
 لو ما هنا بمعنى هلا التحضيضيه أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك
 رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك النبوة والرسالة فأت بالملائكة تشهد لك .
 قال تعالى ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي نزولاً ملتبساً بالحق . أي لا تنزل الملائكة
 إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد تشهي الناس ورغبتهم ولو نزلت الملائكة ولم
 يؤمنوا لنزل بهم العذاب فوراً ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أي مهلين بل يهلكون في الحال .
 وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي من
 الضياع ومن الزيادة والنقصان لأنه حجتنا على^(٤) خلقنا إلى يوم القيامة . أنزلنا الذكر هدى
 ورحمة وشفاء ونوراً . هم يريدون العذاب والله يريد الرحمة . مع أن القرآن نزلت به
 الملائكة ، والملائكة إن نزلت ستمعود الى السماء ولم يبق ما يدل على الرسالة إلا القرآن
 ولكن القوم لا يريدون أن يؤمنوا وليسوا في ذلك الكفر والعناد وحدهم بل سبقتهم طوائف
 وأمم أرسل فيهم فكذبوا وجاحدوا وهو قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع^(٥)
 الأولين﴾ أي في فرقهم وأممهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ لأن علة
 المرض واحدة إذاً فلا تياس يا رسول الله ولا تحزن بل اصبر وانتظر وعد الله لك بالنصر
 فإن وعده حق : ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ! إن الله قوي عزيز﴾ .

(١) ﴿لو ما﴾ كلولاً ، وهلاً : حرف تحضيض على الفعل نحو : لو ما أكرمت عمراً ولولا أكرمت زيداً وهلا كذلك ، وتأتي مع
 الخير فلا يراد بها التحضيض نحو : لو ما خوف الله لقلت فيك كذا وكذا ، قال الشاعر :

لو ما أحياء ولو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

(٢) قرأ حفص : ﴿ما ننزل الملائكة﴾ وقرأ بعضهم ﴿ما تنزل﴾ وقرأ ورش عن نافع ﴿ما تنزل﴾ بحذف إحدى التائين تخفيفاً ،
 إذ الأصل : تنزل .

(٣) أصل : إذاً ، إذ أن ، ومعناها حيثئذ أي : تنزلت الملائكة بإهلاكهم لما كانوا حينئذ منظرين أي : مهلين ساعة من الزمن .

(٤) قالت العلماء : لما وكل الله تعالى حفظ التوراة والانجيل إلى أهل الكتاب في قوله ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾
 أضاعوه فزادوا فيه ونقصوا منه ، ولما تولى الله تعالى حفظ القرآن ، حفظه فلم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف .

(٥) ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ .. هذه الجملة إبطال لاستهزاء المشركين بالرسول ﷺ على طريقة التمثيل بأشياعهم من الأمم
 السابقة .

(٦) الشيع : جمع شيعة ، وهي الفرقة المتألفة المتفقة الكلمة ، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ أي : فرقاً كل فرقة تتألف
 مع أفرادها ، وتحارب عن مبادئها وأفكارها وما هي عليه من دين وعادة .

(٧) تقديم الجار والمجرور (به) على فعل يستهزئون : لإفادة القصر للمبالغة أي : كأنهم لفساد قلوبهم لا شغل لهم إلا
 الاستهزاء برسول الله عز وجل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من استهزاء وسخرية من المشركين .
- ٢- مظهر من مظاهر رحمة الله بالإنسان، يطلب نزول العذاب والله ينزل الرحمة .
- ٣- بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان ومن الضياع .
- ٤- بيان سنة الله تعالى في الأمم والشعوب وهي أنهم ما يأتيهم من رسول ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى جديد من الخير والهدى إلا وينكرون ويستهزئون .

كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي

قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

﴿١٣﴾ وَلَوْ فَدَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ

فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- كذلك نسله : أي التكذيب بالقرآن أو النبي ﷺ .
- وقد خلت سنة الأولين : أي مضت سنة الأمم السابقة .
- فظلوا فيه يعرجون : أي يصعدون .
- إنما سُكَّرَتْ : أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب .
- في السماء بروجاً : أي كواكب ينزلها الشمس والقمر .
- شيطان رجيم : أي مرجوم بالشهب .
- شهاب مبین : كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يُخْبِلُهُ أي يفسده .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المكذبين للنبي المطالبين بنزول الملائكة لتشهد للرسول بنبوته حتى يؤمنوا بها . قال تعالى : ﴿ كذلك نسلكه ﴾^(١) أي التكذيب في قلوب المجرمين من قومك ، كما سلكناه حسب سنتنا في قلوب من كذبوا الرسل من قبلك فسلكه ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ من قومك فلا يؤمنون بك ولا بالذكر الذي أنزل عليك . وقوله تعالى : ﴿ وقد خلت سنة الأولين ﴾^(٢) أي مضت وهي تعذيب المكذبين للرسول المستهزئين بهم لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا ﴾ أي الملائكة أو المكذبون ﴿ فيه ﴾ أي في ذلك الباب ﴿ يعرجون ﴾ أي يصعدون طوال النهار طالعين هابطين ولقالوا في السماء ﴿ إنما سكرت أبصارنا ﴾ أي منعت من النظر الحقيقي فلم نر الملائكة ولم نرى السماء ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾^(٣) فأصبحنا نرى أشياء لا حقيقية لها ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا ﴾ أي كواكب هي منازل للشمس والقمر ينزلان بها وعلى مقتضاها يعرف عدد السنين والحساب . وقوله : ﴿ زيناهما ﴾ أي السماء بالنجوم ﴿ للناظرين ﴾ فيها من الناس . وقوله : ﴿ وحفظناها ﴾ أي السماء الدنيا ﴿ من كل شيطان رجيم ﴾ أي مرجوم ملعون . وقوله : ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ إلا مارد من الشياطين طلع إلى السماء لاستراق السمع من الملائكة لينزل بالخبر إلى وليه من الكهان من الناس ﴿ فاتبعه شهاب ﴾ من نار ﴿ مبين ﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه . هذه الآيات وهي قوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا

(١) عود الضمير في ﴿ نسلكه ﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ولأننا له لحافظون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ أي : أرسل فيهم رسلاً وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فعيها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك ، وهي الكبر والحسد والعناد وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر ، وتلك سنة الله تعالى في أمثالهم ، وأصل السلك : إدخال الشيء في آخر .

(٢) في الآية تعريف للمجرمين بالهلاك .

(٣) هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ .
(٤) أي : أضربوا عن القول الأول . وهو قولهم : إنما سكرت أبصارنا إلى قولهم بل نحن قوم مسحورون . أي ما رأينا شيئاً ثم أقرؤا بأنهم رأوا ولكن ما رأوه إنما هو تخيلات المسحور لاغير .

(٥) هذا شروع في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للتوحيد والمقررة للبعث والجزاء .

(٦) هذا كقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ﴾ أي : كواكب .

في السماء بروجاً ﴿ إلى آخر ما جاء في هذا السياق الطويل ، القصد منه إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وكلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده عبادة يكملون عليها ويسعدون في الدنيا والآخرة ، ولكن المكذبين لا يعلمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان سنة الله تعالى في المكذبين المعاندين وهي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .

٢- مطالبة المكذبين المجرمين بالآيات كروية الملائكة لا معنى لها إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا به فلذا لو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لما آمنوا .

٣- بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته فيما حَمَلَت الآيات من مظاهر لذلك ، بدءاً من قوله : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً ﴾^(١) إلى الآية السابعة والعشرين من هذا السياق الكريم .

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا

خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ

لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

(١) البروج : جمع بروج وهو في الأصل البناء الكبير المحكم البناء الذي يظهر من بعيد قال تعالى : ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ أي : قصور ظاهرة ، ومنه : المرأة تبتجج بزيتها : أي تظهرها ، والمراد من البروج في الآية : كواكب ثابتة غير سيارة هي منازل الشمس والقمر ، وسمى هذه البروج العرب بأسماء تخيلوا أشكالها في السماء وهي : برج الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ، ابتداء من فصل الربيع وانتهاء بفصل الشتاء .

بِخَزَائِنٍ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- والأرض مددناها : أي بسطانها .
 وألقينا فيها رواسي : أي جبلاً ثوابت لثلا تتحرك الأرض .
 —وزون : أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى .
 معاش : جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية .
 ومن لستم له برازقين : كالعبيد والإماء والبهائم .
 وما ننزله إلا بقدر معلوم : أي المطر .
 وأرسلنا الرياح لواقح : أي تلقح السحاب فيمتملىء ماءً ، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه .
 وما أنتم له بخازنين : أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه أو تعطونه من تشاءون .
 المستقدمين منكم والمستأخرين : أي من هلكوا من بني آدم إلى يومكم هذا والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا بعد إلى يوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات الإيمان به وعبادته وتوحيده والتقرب إليه بفعل محابه وترك مساخطه^(١) . قوله تعالى : ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطانها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبلاً ثوابت تثبت الأرض حتى لا

(١) وموجبة أيضاً للبعث الآخر والوحي الإلهي .
 (٢) هنا انتقال من عرض آيات الله في السماء إلى آياته في الأرض .

تتحرك أو تميد بأهلها فيهلكوا، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١) أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى . وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ (٢) عليها تعيشون وهي أنواع الحبوب والشمار وغيرها، وقوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (٣) بل الله تعالى هو الذي يرزقه وإياكم من العبيد والإماء والبهائم . وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي ما من شيء عافع للبشرية هي في حاجة إليه لقوام حياتها عليه إلا عند الله خزائنه، ومن ذلك الأمطار، لكن ينزله بقدر معلوم حسب حاجة المخلوقات وما تتوقف عليه مصالحها، وهو كقوله: ﴿بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لِقَوَاحٍ﴾ أي تلقح السحاب فتمتلئ ماء، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ بقدرتنا وتدبيرنا ﴿فَأَسْقِينَاكُمْوَهُوَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه من تشاءون وتعطونه من تشاءون بل الله تعالى هو المالك لذلك، فينزله على أرض قوم ويمنعه آخرين . وقوله: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ (١) مِنْكُمْ﴾ أي الذين ماتوا من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ممن هم أحياء ومن لم يوجدوا وسيوجدون ويموتون إلى يوم القيامة، الجميع عَلَّمَهُمُ اللَّهُ، وغيره لا يعلم فلذا استحق العبادة وغيره لا يستحقها . وقوله ﴿وَإِنْ رَبِّكَ﴾ أيها الرسول ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم، وهذا متوقف على القدرة والحكمة والعلم، والذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ على إحيائهم مرةً أخرى والذي عَلَّمَهُمْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَعَلَّمَهُمْ بَعْدَ خَلْقِهِمْ

(١) قال: ﴿مَوْزُونٍ﴾: لأنَّ الوزن يعرف به مقدار الشيء، والموزون من الكلام وغيره الخالي من النقص والزيادة، والمراد أنَّ ما أنبته الله تعالى في الأرض من سائر النباتات والمعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يكال ويوزن.

(٢) واحد المعاييش: معيشة، وهي المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أيضاً، إذ كل هذا يدخل تحت العيش حتى قيل: المعاييش: إنها التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة.

(٣) الرزق: بفتح الراء مصدر رزقه يرزقه رزقاً، والرَّزْقُ بكسر الراء فهو الاسم وهو القوت.

(٤) أي: نافع للناس لا مطلق الأشياء التي لا نفع للناس فيها.

(٥) في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لِقَوَاحٍ﴾ استدلال بظاهرة كرة الهواء بين السماء والأرض بعد الاستدلال بالسماء والأرض، ولقواح حال من الرياح ولقواح صالح لأن يكون جمع لاقح، وهي الناقة الجبلى أو ملقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً.

(٦) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك، والآية دليل على فضل سبق في الخير وعلى فضل الصف الأول في القتال والصلاة، وفي الحديث الصحيح: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا).

قادرٌ على حشرهم والحكيم الذى يضع كل شيء في موضعه لا يخلقهم عبثاً بل خلقهم ليبلوهم ثم ليحاسبهم ويجزيهم إنه هو الحكيم العليم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته المتجلية فيما يلي :
 - أ- خلق الأرض ومدّها وإلقاء الجبال فيها . إرسال الرياح لواقع للسحب .
 - ب - إنبات النباتات بموازين دقيقة . إحياء المخلوقات ثم إمامتها .
 - ج - إنزال المطر بمقادير معينة . علمه تعالى بمن مات ومن سيموت .
- ٢- تقرير التوحيد أن من هذه آثار قدرته هو الواجب أن يعبد وحده دون سواه .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٤- تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ هذا الكلام كلام الله أوحاه إليه ﷺ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

: أي آدم عليه السلام .

ولقد خلقنا الإنسان

من صلصالٍ من حمإٍ مسنون : أي طين يابس له صلصلة من حمإٍ أي طين أسود متغير .
من نار السموم : نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري .

فإذا سويته : أي أتممت خلقه .
فقموا له ساجدين : أي خرّوا له ساجدين .
معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته . قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ أي آدم ﴿ من صلصال ﴾ أي طين يابس يسمع له صوت صلصلة . ﴿ من حمإٍ مسنون ﴾ أي طين أسود متغير الريح ، هذا مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله : ﴿ والجان خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق آدم والجان هو أبو الجن خلقناه ﴿ من نار السموم ﴾ ونار السموم نار لا دخان لها تنفذ في مسام الجسم . . وقوله : ﴿ وإذ قال ربك ﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم أي سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة لآدم ، إذ المعبود هو الأمر المطاع وهو الله تعالى . فسجدوا ﴿ إلا إبليس أبى ﴾ أي امتنع أن يكون مع الساجدين . وقوله : ﴿ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ أي أي شيء حصل لك حتى امتنعت أن تكون من جملة الساجدين من الملائكة؟ فأظهر اللعين سبب امتناعه وهو حسده لآدم واستكباره ، فقال ﴿ لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ﴾ . وفي الآيات التالية جواب الله تعالى وردة عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين ، والجان وهو لهب النار .
- ٢- فضل السجود ، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس .

(١) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا : تراب بلّ بالماء فصار طينا ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً أي : متغيراً ثم يبس فصار صلصالاً والمسنون : المتغير ، بسبب مكثه مدة كسنة مثلاً .

(٢) وفي صحيح مسلم قوله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، و خلقت الجان من نار ، و خلق آدم مما وصف لكم) .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجان : أبو الجن وليسوا شياطين ، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس ، والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فآدم أبو الإنس ، والجان أبو الجن ، وإبليس أبو الشياطين .

- ٣- ذم الحسد وأنه شر الذنوب وأكثرها ضرراً.
 ٤- ذم الكبر وأنه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.
 ٥- فضل الطين على النار لأن من الطين خلق آدم ومن النار خلق إبليس.

قَالَ

فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِئْتَكُمْ رَجِيمًا ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فِئْتَكُمْ
 مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
 لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- قال فاخرج منها : أي من الجنة .
 فئتك رجم : أي مرجوم مطرود ملعون .
 إلى يوم الوقت المعلوم : أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها .
 بما أغويتني : أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي .
 المخلصين : أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم .
 هذا صراط علي مستقيم : أي هذا طريق مستقيم موصل إليّ وعليّ مراعاته وحفظه .
 لها سبعة أبواب : أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم ، ثم لظى ، ثم
 الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فأخرج منها﴾ هذا جوابٌ عن قول إبليس ، ﴿لم أكن لأسجد لبشر﴾ .
 الآية إذاً فأخرج منها أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود مُبعد ، ﴿وإن عليك﴾
 لعنتي أي غضبي وإبعادي لك من السموات ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى يوم القيامة وهو
 يوم الجزاء . فقال اللعين ما أخبر تعالى به عنه : ﴿قال رب فانظرنى﴾ أي أمهلني لا تُمتني
 ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فأجاب الرب تعالى بقوله : ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين
 ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو فناء بني آدم حيث لم يبق منهم أحد وذلك عند النفخة
 الأولى . فلما سمع اللعين ما حكم به الرب تعالى عليه قال ما أخبر الله عنه بقوله : ﴿قال
 رب بما أغويتني﴾ أي بسبب إغوائك ﴿لأزين لهم في الأرض﴾ أي الكفر والشرك وكبائر
 الذنوب ، و ﴿لأغوينهم﴾ أي لأضلّهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿فاستثنى
 اللعين من استخلصهم الله تعالى لطاعته وأكرمهم بولايته وهم الذين لا يستجديهم غضبٌ
 ولا تتحكم فيهم شهوة ولا هوى . وقوله تعالى : ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ أي هذا
 طريق مستقيم إليّ أراعاه وأحفظه وهو ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
 من الغاوين﴾ ﴿وإن جهنم﴾ لموعدك وموعد أتباعك الغاوين أجمعين ﴿لها سبعة أبواب﴾
 إذ هي سبع طبقات لكل طبقة باب فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة ، وهو معنى قوله
 تعالى : ﴿لكل بابٍ منهم جزء مقسوم﴾ أي نصيبٌ معين وطبقاتها هي : جهنم ، لظى ،
 الحطمة ، السعير ، سقر ، الجحيم ، الهاوية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمان إبليس من التوبة لاستمرار غضب الله عليه إلى يوم القيامة .
- ٢- استجاب الله لشر خلقه وهو إبليس فمن الجائز ان يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريدّها الله تعالى .

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألا يموت ، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضاً .

(٢) قال ابن عباس : أراد به النفخة الأولى أي : حين تموت الخلائق .

(٣) التزيين : يشمل أمرين . الأول : تزيين المعاصي والثاني : شغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعات .

(٤) أي : ليس له سلطان على قلوبهم ، وقال ابن عيينة ، أي : في أن يلقبهم في ذنب .

(٥) الغاوين : الفاسدين بالشرك والمعاصي .

- ٣- أمضى سلاح يغوي به إبليس بني آدم هو التزين للأشياء حتى ولو كانت دميمة قبيحة يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى يأتيها الأدمي .
- ٤- عصمة الرسل وحفظ الله للأولياء حتى لا يتلوثوا بأوضار الذنوب .
- ٥- طريق الله مستقيم إلى الله تعالى يسلكه الناس حتى ينتهوا إلى الله سبحانه فيحاسبهم ويجزيهم بكسبهم الخير بالخير والشر بالشر .
- ٦- بيان أن لجهنم طبقات واحدة فوق أخرى ولكل طبقة بابها فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة لا غير .

إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾
 وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
 ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
 ﴿٤٩﴾ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
 هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾
 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
 لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِعُلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ
 مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا ابْشُرْنَاكَ بِالْحَقِّ
 فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ
 رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين : أي الذين خافوا ربهم فعبده وحده بما شرع لهم من العبادات .

ونزعنا ما في صدورهم من غل : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء .
على سرر متقابلين : أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا
انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا
بعض .

لا يمسه فيها نصب : أي تعب .
العذاب الأليم : أي المجمع شديد الإيذاء .
ضيف إبراهيم : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط
لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب
من الناس .

إنا منكم وجلون : أي خائفون وذلك لما رفضوا أن يأكلوا .
بغلام عليم : أي بولد ذي علم كثير هو إسحق عليه السلام .
فيم تبشرون : أي تعجب من بشارتهم مع كبره بولد .
من القانتين : أي الأيسين .
معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء اتباع إبليس الغاوين ، ناسب ذكر جزاء عباد الرحمن أهل التقوى
والإيمان فقال تعالى مخبراً عما أعد لهم من نعيم مقيم : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) أي الله بترك
الشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونَ﴾^(٢) يقال لهم ﴿ادخلوها بسلامٍ آمنين﴾ أي حال
كونكم مصحوبين بالسلام آمنين من الخوف والفرع . وقوله : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من
غل﴾^(٣) أي لم يبق الله تعالى في صدور أهل الجنة ما ينغص نعيمها ، أو يكدر صفوها كحقد
أو حسد أو عداوة أو شحناء . وقوله : ﴿إخواناً على سررٍ متقابلين﴾ لما طهر صدورهم مما

(١) روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فرثلاثة أيام من الخوف
فجىء به إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ . . .﴾ الخ فوالذي بعثك بالحق لقد
قطعت قلبي فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونَ﴾ .

(٢) هي الأنهار الأربعة : ماء ، وخمر ، ولبن ، وعسل المذكورة في سورة محمد ﷺ .

(٣) بسلامة من كل داء وأفة ، وقيل : بتحية من الله تعالى آمنين من الموت والعذاب .

(٤) قال ابن عباس : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم
من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصف وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم .

من شأنه أن يغص أو يكدر، أصبحوا في المحبة لبعضهم بعضاً إخوانا يضمهم مجلسٌ واحد يجلسون فيه على سررٍ متقابلين وجهاً لوجه، وإذا أرادوا الإنصراف إلى قصورهم تدور بهم الأسرة فلا ينظر أحدهم إلى قفا أخيه. وقوله تعالى: ﴿لا يمسه فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين﴾ فيه الإخبار بنعيمين: نعيم الراحة الأبدية إذ لا نصب ولا تعب في الجنة ونيعم البقاء والخلد فيها إذ هم لا يخرجون منها أبداً. وفي هذا تقرير لمُعْتَقِدِ البعث والجزاء بأبلغ عبارة وأوضحها. وقوله تعالى: ﴿نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم﴾ أي خبر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أن ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا من معصيتهم. رحيم بهم فلا يعذبهم. ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ ونبئهم أيضاً أن عذابي هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي، أو مخالفة أوامري وغشيان محارمي. وقوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴿أي سلموا عليه فرد عليهم السلام وقدم لهم قَرَى الضيف وكان عجلاً حنيذاً، كما تقدم في هود وعرض عليهم الأكل فامتنعوا وهنا قال: ﴿إنا منكم وجلون﴾ أي خائفون، وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورةٍ لشباب حسان. فلما أخبرهم بخوفه منهم، لأن العادة أن النازل على الإنسان إذا لم يأكل طعامه دل ذلك على أنه يريد به سوءاً. ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف، ﴿إنا نبشرك بغلامٍ عليم﴾ أي بولد ذي علم كثير. فرد إبراهيم قائلاً بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال أبشرتوني على أن مسني الكبر فبم تبشرون﴾ أي هذه البشارة بالولد على كبر سني أمر عجيب، فلما تعجب من البشارة وظهرت عليه علامات الشك والتردد في صحة الخبر قالوا له: ﴿بشركنا بالحق فلا تكن من القانطين﴾ أي

(١) شاهد هذه الآية قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قط من رحمته أحد).

(٢) هم الملائكة الذين بشروهم بالولد وبهلاك قوم لوط: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. والضيف: لفظ يطلق على الواحد والاثنين والجماعة.

(٣) قال هذا بعد أن قرّب إليهم العجل المشوي ليأكلوا فلم يأكلوا.

(٤) أن: مصدرية، والتقدير: على مسّ الكبر إياي وزوجتي.

(٥) الاستفهام للتعجب أو هو على حقيقته.

(٦) أي: بما لا خلف فيه، وأن الولد لا بدّ منه.

(٧) قراءة العامة: ﴿القانطين﴾، وقرىء القنطين بدون ألف، ويكون الفعل حينئذ من قنط يقنط كفرح يفرح فهو فرح، وعلى قراءة الجمهور فهو من باب فعل يفعل كضرب يضرب فهو ضارب.

الأيسين . وهنا رد عليهم قائلاً نافيةً القنوط عنه لأن القنوط حرام . ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي الكافرون بقدره الله ورحمته لجهلهم بربهم وصفاته المتجلية في رحمته لهم وإنعامه عليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نعيم الجنة ، وأن نعيمها جسماني روحاني معاً دائم أبداً .
- ٢- صفاء نعيم الجنة من كل ما ينغصه أو يكدره .
- ٣- وعد الله بالمغفرة لمن تاب من أهل الإيمان والتقوى من موحدية .
- ٤- وعيده لأهل معاصيه إذا لم يتوبوا إليه قبل موتهم .
- ٥- مشروعية الضيافة وأنها من خلال البر والكرم .
- ٦- حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ

إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ

الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ

إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ

يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْتَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ

بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ

وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ

دَابِرَهُمْ ذُلًّا مَّقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

- قال فما خطبكم : أي ما شأنكم؟
 إلى قوم مجرمين : هم قوم لوط عليه السلام .
 إنا لمنجورهم أجمعين : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم .
 الغابرين : أي الباقين في العذاب .
 قوم منكرون : أي لا أعرفكم .
 بما كانوا فيه يمترون : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم
 حيث تؤمرون : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه .
 وقضينا إليه ذلك الأمر : أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف إبراهيم ، وما هو ذا قد سألهم بما أخبر به تعالى عنه بقوله : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾^(١) أي ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى إذ هم ملائكته؟ ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾^(٢) أي على أنفسهم ، وعلى غيرهم وهم اللوطيون لعنهم الله . وقوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط ﴾ أي آل بيته والمؤمنين معه ، ﴿ إنا لمنجورهم أجمعين إلا امرأته قدرنا ﴾ أي قضينا ﴿ إنها لمن الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ، أي قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم . إلى هنا انتهى الحديث مع إبراهيم وانتقلوا إلى مدينة لوط عليه السلام قال تعالى ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ أي انتهوا إليهم ودخلوا عليهم الدار قال لوط عليه السلام لهم ﴿ إنكم قوم منكرون ﴾ أي لا أعرفكم وأجابوه قائلين : نحن رسل ربك جئناك بما كان قومك فيه يمترون أي يشكون وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم ، ﴿ وأتيناك بالحق ﴾ الثابت الذي لا شك فيه ﴿ وإنا لصادقون ﴾ فيما أخبرناك به وهو عذاب قومهم المجرمين .

(١) الخطب : الأمر الخطير والشأن العظيم .

(٢) في الكلام إضمار جملة ﴿ لنهلكهم ﴾ فلذا كان الاستثناء إلا آل لوط ، وهم أتباعه وأهل بيته .

(٣) وكتبنا في كتاب المقادير .

وعليه ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي أسر بهم في جزء من الليل، و﴿اتبع أديبارهم﴾ أي امشى وراءهم وهم أمامك ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ بأن ينظر وراءه، أي حتى لا يرى ما يسوءه عند نزول العذاب بالمجرمين، وقوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام. وقوله تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ أي وفرغنا إلى لوط من ذلك، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، أي أنهم مهلكون عن آخرهم في الصباح الباكر ما أن يطلع الصباح حتى تُقلب بهم الأرض ويهلكوا عن آخرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالإجرام وبيان عقوبة المجرمين.
- ٢- لا قيمة للنسب ولا للمصاهرة ولا عبرة بالقرابة إذا فصل الكفر والإجرام بين الأنساب والأقرباء فامرأة لوط هلكت مع الهالكين ولم يشفع لها أنها زوجة نبي ورسول عليه السلام.
- ٣- مشروعية المشي بالليل لقطع المسافات البعيدة.
- ٤- مشروعية مشي المستول وكبير القوم وراء الجيش والقفالة لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلف منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.
- ٥- كراهية الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ولا يلتفت منكم أحد أي: بقلبه.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْتَقُوا

(١) لتلا يتخلف منهم أحد فيهلك مع الهالكين.

(٢) أو نهوا عن الالتفات ليجدوا في السير ويتبعوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح موعد هلاك القوم.

(٣) قضينا: قدرنا، وضمن معنى أوحينا فعدي بآلى، والتقدير: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه بما قضينا، وجملة: ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾. مفسرة لذلك الأمر والإشارة للتحويل.

(٤) ﴿مصبحين﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله، مشرقين أي: داخلين في وقت الإشراق.

اللَّهُ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾
 قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا
 سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
 فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات :

وجاء أهل المدينة يستبشرون : أي مدينة سدوم، أي فرحين بإتيانهم الفاحشة .
 واتقوا الله ولا تخزون : أي لا تذلونني في انتهاك حرمة ضيفي .
 أولم نهك عن العالمين : أي عن إيجارتك لهم واستضافتك .
 لفي سكرتهم يعمهون : أي غوايتهم وشدة غلظتهم^(١) التي أزال عقولهم،
 يترددون .

مشرقين : أي وقت شروق الشمس .
 من سجيل : أي طين طينج بالنار .
 آيات للمتوسمين : أي الناظرين المعبرين .
 لسبيل مقيم : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت .
 أصحاب الأيكة : أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين .
 وإنهما لبيامام مبين : أي قوم لوط، وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع لوط عليه السلام وضيفه من الملائكة من جهة، وقوم لوط من جهة .

قال تعالى : ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي مدينة سدُوم وأهلها سكانها من اللوطيين ، وقوله ﴿يستبشرون﴾ أي فرحين مسرورين لطمعهم في اتیان الفاحشة . فقال لهم لوط ما أخبر الله تعالى به : ﴿قال إن هؤلاء﴾ يشير إلى الملائكة ﴿ضيفي فلا تفضحون﴾ أي فيه أي بطلبكم الفاحشة ، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه ﴿ولا تخزون﴾ أي تهينوني وتذلوني . فأجابوا بما أخبر تعالى به عنهم : ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي أتقول ما تقول ولم تذكر أنا نهيناك عن استضافة أحد من الناس أو تجيره ، فأجابهم لوط عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه : ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم فاعلين ما أمركم به أو أرشدكم إليه . وقوله تعالى : ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا رسولنا ، إنهم أي قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم التي أذهبت عقولهم فهبطوا إلى درك أسفل من درك الحيوان ، ﴿يعمهون﴾ أي حيارى يترددون . ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام مشرقين مع إشراق الشمس . وقوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي جعلنا عالي المدن سافلها وهو قلبها ظهراً على بطن ، ﴿وأمطرنا عليهم﴾ فوق ذلك ﴿حجارة من سجيل﴾ أي من طين مطبوخ بالنار . وقوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي إن في ذلك المذكور من تدمير مدن كاملة بما فيها آيات وعبر وعظات للمتوسمين أي الناظرين نظر تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها . وقوله تعالى : ﴿وإنها لسيبل مقيم﴾ أي وإن تلك القرى الهالكة لبطريق ثابت باق يمر به أهل مكة في أسفارهم إلى الشام . وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمؤمنين فلا يقدمون على محارم الله ، ولا يرتكبون معاصيه . وقوله تعالى : ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ . هذه إشارة خاطفة إلى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أصحاب الأيكة ، والأيكة الفيضة من الشجر الملتف . . وكانت منازلهم

(١) هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريراً له ، وأصل عمرك بضم العين وفتح لكثرة الاستعمال ، وجائز أن يكون القسم بحياة لوط أيضاً ، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجاً بهذا القسم الإلهي فإن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ، فقد أقسم بالشمس وضحاها ، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال : (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي .

(٢) روي أن النبي ﷺ فسر المتوسمين بالمفسرين إذ قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ : إن في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي واستغربه ، وقيل : للناظرين كما قال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبلية بعثوا إلي عريفهم يتوسم

وأصل التوسم : النظر بثبوت وتفكر وعليه فما ورد في التوسم من النظر والتفرس كله متقارب المعنى .

بها وكانوا مشركين وهو الظلم في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿فَانتقمنا منهم﴾ أي أهلكناهم بحر شديد يوم الظلة وسيأتي الحديث عنهم في سورة الشعراء قال تعالى هناك فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم . وقوله : ﴿وَإِنهَما لِبِإِمامٍ مَبِينٍ﴾ الإمام الطريق لأن الناس يمشون فيه وهو أمامهم ، ومبين واضح . والضمير في قوله وإنهما عائد على قوم لوط ، وقوم شعيب وهم أصحاب الأيكة لا أصحاب مدين لأنه أرسل إلى أصحاب الأيكة والى أهل مدين ، والطريق طريق قريش إلى الشام ، والقصد من ذكر هذا وعظ قريش وتذكرهم ، فهل يتعظون ويتذكرون؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إهلاك قوم لوط .
- ٢- إنكار الفاحشة وأنها أقبح فاحشة تعرفها الإنسانية هي إتيان الذكور .
- ٣- بيان دفاع لوط عليه السلام عن ضيفه حتى فداهم ببناته .
- ٤- شرف النبي صلى الله عليه وسلم حيث أقسم الله تعالى بحياته في قوله ﴿لعمرك﴾ .
- ٥- الحث على نظر التفكير والإعتبار والتفكر فإنه أنفع للعقل البشري .
- ٦- بيان نعمة الله تعالى من الظالمين للاعتبار والإتعاظ .
- ٧- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لن تكون إلا عن وحي إلهي .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ

الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَاتِنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ

﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ

الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(١) جمع الأيكة وهي جماعة الشجر الأيك ، أو سميت القرية بالأيكة باعتبار الأصل .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَأَيُّهُ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

- أصحاب الحجر : هم قوم صالح ومنزلهم بين المدينة النبوية والشام .
وآتيناهم آياتنا : أي في الناقة وهي أعظم آية .
ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون : من بناء الحصون وجمع الأموال .
الصفح الجميل : أي أعرض عنهم إغراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر
بقتالهم
سبعاً من المثاني : هي آيات سورة الفاتحة السبع .
أزواجاً منهم : أي أصنافاً من الكفار .
واخفض جناحك : أي ألن جانبك للمؤمنين .

معنى الآيات :

هذا شروع في موجز قصة أخرى هي قصة أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ، قال
تعالى : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ ^(١) وفي هذا موعظة لرسول الله ﷺ إذ كذبه
قومه من أهل مكة فليصبر على تكذيبهم فقد كذبت قبلهم أقوام . وقال تعالى
﴿المرسلين﴾ ولم يكذبوا إلا صالحاً باعتبار أن من كذب رسولا فقد كذب عامة الرسل ،
لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده في

(١) لفظ الحجر يطلق على أمور عدة منها العقل ﴿لذي حجر﴾ والحرام : ﴿حجراً محجوراً﴾ والفرس الانثى وحجر
القميص ، والفتح فيه أولى ، وحجر اسماعيل إزاء الكعبة وديار ثمود : وهو المراد هنا .

الحالتين . وقوله ﴿وَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا معرضين﴾ إن المراد من الآيات القائمة بالناقة منها أنها خرجت من صخرة ، وأنها تشرب ماء البلد يوماً ، وأنها تقف أمام كل بيت ليحلب أهله منها ما شاءوا ، وإعراضهم عنها ، عدم إيمانهم وتوبتهم إلى الله تعالى بعد أن آتاهم ما طلبوا من الآيات . وقوله ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ أي كانوا يتخذون بالنحت بيوتاً داخل الجبال يسكنونها شتاء آمينين من أن تسقط عليهم لقوتها ومن أن ينالهم برد أو حر لوقايتها لهم ، وقوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ وذلك صيحة اليوم الرابع وهو يوم السبت فهلكوا أجمعين ، ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من المال والعتاد وبناء الحصون بل هلكوا ولم ينج منهم أحد إلا من آمن وعمل صالحاً فقد نجاه الله تعالى مع نبيه صالح عليه السلام . وقوله تعالى : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا من أجل أن أذكروا وشكروا ، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فلم يشكرني أهلكته . لأنني لم أخلق هنا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً . وقوله : ﴿وإن الساعة لآتية﴾ أي حتماً لا محالة وثمَّ يُجزى كلُّ بما كسب فلا تحزن على قومك ولا تجزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لا بد ، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ أي الذي لا جزع معه . وقوله ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ خلق كل شيء وعلم بما خلق فعلى كثرة المخلوقات يعلم نياتها ، وأعمالها ، وأحوالها ، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وسيعيدها كما بدأها ويحاسبها ويجزيها بما كسبت . وهذا من شأنه أن يساعد الرسول ﷺ على الصبر والثبات على دعوته حتى ينصرها الله تعالى

- (١) المراد بالآيات : الناقة لأنها تشتمل على عدة آيات ، وجائز أن يكون هناك آيات أخرى أعطيها صالح غير الناقة .
 (٢) النحت : البري والنجر ، يقال نحته ينحته نحتاً إذا براه ، والنحاته : البراية كالنجارة والحشارة ، والمنحت : آلة النحت ، وقوله : ﴿أمين﴾ أي : من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها .
 (٣) ﴿مصبحين﴾ : حال من أخذتهم الصيحة أي : حال كونهم داخلين في الصباح وهو أول النهار ، فالأيام الثلاثة التي قيل لهم : ﴿تمتعوا فيها﴾ هي الأربعاء والخميس والجمعة ، وصيحة السبت كان هلاكهم والعياذ بالله من حال الهالكين .
 (٤) صحَّ أن النبي ﷺ قال : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، وأمر بهرق ما استقوا من بئر ثمود وإلقاء ما عجن وخبز منه لأجل أنه ماء سخط فلا يجوز الانتفاع به فراراً من سخط الله تعالى وقال : اعلفوه الإبل ففعلوا) .
 (٥) لآتية : جائية إذ الأيام تنصرم يوماً فيوماً إلى آخر يوم فالساعة الأخيرة لهذه الحياة آتية ، وهي في طريقها .
 (٦) هذا كان قبل الأمر بالجهاد إذ السورة مكية والجهاد فرض في المدينة فالآية منسوخة بمثل قوله تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية من التوبة المدنية .

في الوقت الذي حدده لها. وقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أي أعطيناك سورة الفاتحة^(١) أم القرآن وأعطيناك القرآن العظيم وهو خير عظيم لا يقادر قدره. إذا ﴿لا تمدن عينيك﴾ متطلعاً ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من رجالات قريش، فما آتيناك خير مما هم عليه من المال والحال التي يتمتعون فيها بلذيذ الطعام والشراب. وقوله: ﴿ولا تخزن عليهم﴾ إن هم لم يؤمنوا بك ولم يتابعوك على ما جئت به، فإن أمرهم إلى الله تعالى، وأمره تعالى أن يلين جانبه لأصحابه المؤمنين فقال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فحسبك ولاية الله لك فذر المكذبين أولي النعمة، وتعايش مع المؤمنين، ولين جانبك لهم، واعطف عليهم فإن الخير فيهم وليس في أولئك الأغنياء الأثرياء الكفرة الفجرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إذا أراد الله هلاك أمة فإن قوتها المادية لا تغني عنها شيئاً.
- ٢- لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجاة، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.
- ٣- بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.
- ٤- بيان أن من أوتي القرآن لم يؤت أحد مثله من الخير قط.
- ٥- فضل الفاتحة إذ هي السبع المثاني.
- ٦- على الدعاة إلى الله أن لا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مالٍ ومتاع، فإن ما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما أتى أولئك من المال والمتاع.
- ٧- استحباب لين الجانب للمؤمنين والعطف عليهم والرحمة لهم.

(١) كون الفاتحة هي السبع المثاني هو قول عليّ وأبي هريرة والحسن وغيرهم ويشهد له الحديث الصحيح: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني). روي عن ابن عباس أنه قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً.

(٢) هذه الآية تدعو إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وعدم الإقبال عليها، والاكتماء فيها بما أحل الله عمّا حرّم وبما تيسر عما تمسّر، وفيها: أن من أعطاه الله القرآن وجب عليه أن يشعر بالغنى وعدم الفقر لحديث: (ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن) أي: لم يستغن به عن طلب غيره.

وَقُلْ إِنِّي

أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
 الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّاهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُونَ وَأَعْرِضُ
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

النذير المبين : السمين النذارة.

على المقتسمين : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه شعر، وقالوا سحر، وقالوا كهانة.

جعلوا القرآن عضيّن : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضيّن جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء.

فاصدع بما تؤمر : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك.

يضيق صدرك بما يقولون : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك.

حتى يأتيك اليقين : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد الرسول ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يكون عليه فأمره تعالى

بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾^(١) أي أعلن لقومك بأنك النذير البين النذارة لكم يا قوم أن ينزل بكم عذاب الله إن أصررتم على الشرك والعناد والكفر، وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾^(٢) انذركم عذاباً كالذي أنزله الله وينزله على المقتسمين الذين قسموا التوراة والإنجيل فأمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود والنصارى، والمقتسمين الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحاً فأنزل الله بهم عقوبته والمقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء فقالوا فيه شعر وسحر وكهانة، المقتسمين الذين قسموا طرق مكة وجعلوها نقاط تفتيش يصدون عن سبيل الله كل من جاء يريد الإسلام وهؤلاء كلهم مقتسمون وحل بهم عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾^(٣) يقسم الجبار تبارك وتعالى لرسوله أنه ليسألنهم يوم القيامة عما كانوا يعملون ويجزيهم به فلذا لا يهولنك أمرهم واصبر على أذاهم. وقوله ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي أجهر بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما تؤمر ببيان والدعوة إليه أو التنفير منه، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بهم، وقوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ والمراد بهؤلاء المستهزئين الذين واعد تعالى بكفاية رسوله شرهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث كلهم ماتوا بأفات مختلفة في أمم يسير، عليهم لعائن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ أي من الاستهزاء بك والسخرية، ومن المبالغة في الكفر والعناد فترشدك إلى ما يخفف عنك الألم النفسي ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله ويحمده أي أكثر من هذا الذكر ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين إذ لا سجود إلا في الصلاة أو تلاوة القرآن،^(٤) إذا فافزع عند الضيق إلى الصلاة

(١) في الكلام حذف، وهو لفظ عذابا. فحذف المفعول لدلالة لفظ النذير عليه أو لكون الكاف في قوله ﴿كما أنزلنا﴾ زائدة ويصح التقدير هكذا:

أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين أي: من العذاب.

(٢) واحد: (عضين) عضة من عضيت الشيء تعضيه أي: فرقته وكل فرقة عضة، وقيل: أصلها عضة، فسقطت الواو، ولذا جمعت على عضين كعزين، إذ واحدها عزة، وذلك أنهم فرقوا كلام الله فجعلوا بعضه سحراً وبعضه شعراً. و . . .

(٣) وورد أن النبي ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم . . .﴾ إلى قوله ﴿يعملون﴾ قال: (عن قول لا إله إلا الله، إذ أبوا أن يقولوها فتمادوا في الكفر والشراً والفساد ولو قالوا لما كان لهم سوى الخير والصلاح.

(٤) قضى رسول الله ﷺ فترة من الزمن مستخفياً هو وأصحابه في دار الأرقم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج ﷺ وأعلن الإسلام ودعا إليه جهرة.

(٥) قيل: إن هذه سجدة من سجديات القرآن، والجمهور على أنها ليست سجدة وإنما أرشد الله تعالى رسوله لتفريح همته وتوسعة صدره مما يسمع ويُقال له أمره بالتسبيح والصلاة وفعلا كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فلذا كان ﷺ إذا أجزنه أمر فزع إلى الصلاة . وقوله : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي واصل العبادة وهي الطاعة في غاية الذل والخضوع لله تعالى حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة وبموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح إيمانه يقيناً محضاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة الاختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب .
- ٢- مشروعية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد .
- ٣- فضل التسبيح بجملة : سبحان الله وبحمده ومن قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر في الصحيح .
- ٤- مشروعية صلاة الحاجة فمن حزبه أمر أو ضاق به فليصل صلاة يفرج الله تعالى بها ما به أو يقضي حاجته إن شاء وهو العليم الحكيم .^(١)

سُورَةُ النَّجْمِ مكية

وآياتها مائة وثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿١﴾ يُنزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 أَن أَنْزِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّعْنَةُ

(١) وتسمى أيضاً سورة النعم ، لما عدد تعالى فيها من نعمه على عباده .

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بَشِقَ
 الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

أتى أمر الله

: أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون فلا تستعجلون .

ينزل الملائكة بالروح : أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل .

خلق الإنسان من نطفة : أي قطرة من المنى .

دفع ومنافع : أي ما تستدفئون به، ومنافع من العسل واللبن واللحم

والركوب .

حين تريحون

: أي حين تردونها من مراحتها .

وحين تسرحون

: أي وحين إخراجها من مراحتها إلى مسارحها أي الأماكن التي

تسرح فيها .

إلا بشق الأنفس

: أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة .

معنى الآيات :

لقد استعجل المشركون بمكة العذاب وطالبوا به غير مرة فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ أتى ^(١) أمر الله ﴾ أي بعذابكم أيها المستعجلون له . لقد دنا منكم وقرب فالنضر بن الحارث القائل : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو أتتنا بعذاب أليم ﴾ ، جاءه بعد سنّيات قلائل فهلك بيد صبراً ، إلى جهنم ، وعذاب يوم القيامة لمن استعجله قد قرب وقته ولذا عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقرب مجيئه فلا معنى لاستعجاله فلذا قال الله تعالى : ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ وقوله ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

(١) من الجائز أن يراد بـ ﴿ أتى أمر الله ﴾ القيامة لقول الله تعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ وقوله : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ وقول الرسول ﷺ (بعثت والسعة كهاتين وأشار بأصبعيه) .

أي تنزهه وتقدس عما يشركون به من الآلهة الباطلة إذ لا إله حق إلا هو. وقوله ﴿ينزل الملائكة بالروح^(١) من أمره﴾ أي بإرادته وإذنه ﴿على من يشاء من عباده﴾. أي ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على من يشاء من عباده وهو محمد ﷺ وقوله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أي بأن أنذروا أي خوفوا المشركين عاقبة شركهم فإن شركهم باطل سيجر عليهم عذاباً لا طاقة لهم به، لأنه لا إله إلا الله، وكل الآلهة دونه باطلة. إذاً فاتقوا الله بترك الشرك والمعاصي وإلا تعرضتم للعذاب الأليم. في هاتين الآيتين تقرير للوحي والنبوة للنبي ﷺ وتقرير التوحيد أيضاً وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ استدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك فالذى خلق السموات والأرض بقدرته وعلمه وحده دون ما مُعِين له ولا مساعد حق أن يعبد، لا تلك الآلهة الميتة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزهه وتقدس تعالى عما يشركون به من أصنام وأوثان. وقوله: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ أي من أضعف شيء وأحقره قطرة المني خلقه في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً حتى إذا رباه وأصبح رجلاً إذا هو خصم لله يجادل ويعاند،^(٤) ويقول من يحيى العظام وهي رميم. وقوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون﴾ فهذه مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرحمة وهي الموجبة لعبادته تعالى وترك عبادة ما سواه. فالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم خلقها الله تعالى لبني آدم ولم يخلقها لغيرهم، لهم فيها دفاء إذ يصنعون الملابس والفرش والأغطية من صوف الغنم ووبر الإبل ولهم فيها منافع كاللبن والزبدة والسمن والجبن والنسل حيث تلد كل سنة فيتنفعون بأولادها. ومنها يأكلون اللحوم المختلفة فالمنعم بهذه النعم هو الواجب العبادة دون غيره من سائر

(١) بالروح، أي بالوحي بالنبوة نظيره قوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

(٢) أي: من الأنبياء ومحمد ﷺ إمامهم وخاتمهم وقوله: ﴿أن أنذروا﴾: تفسير لقوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾.

(٣) أمر الله الأنبياء الذين أوحى إليهم بشره أن ينذروا المشركين عاقبة الشرك ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بعد نبذ الشرك والعمل الفاسد.

(٤) هذا الإنسان الخصيم هو أي بن خلف الجمحي، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: أتري يحيى الله هذا بعد ما قد رم؟ وفيه نزل: ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...﴾ الخ من سورة يس،

(٥) الدفاء: الشيء الذي يدفء الإنسان، والجمع: ادفاء، ويقال: دفء دفء ككراهة.

مخلوقاته وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾^(١) أي منظر حسن جميل حين تريحونها عشية من المرعى إلى المراح ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها صباحاً من مرايحها إلى مراعيها، فهذه لذة روحية ببهجة المنظر. وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ أي إلا بجهد النفس والمشقة العظيمة. فالإبل في الصحراء كالسفن في البحر تحمل الأثقال من بلدٍ إلى بلد وقد تكون المسافة بعيدة لا يصلها الإنسان إلا بشق النفس وبذل الجهد والطاقة، لولا الإبل سفن الصحراء ومثل الإبل الخيل والبغال والحمير في حمل الأثقال^(٢). فالخالق لهذه الأنعام هو ربكم لا إله إلا هو فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً^(٣) وقوله تعالى: ﴿إن ربكم﴾ أي خالقكم ورازقكم ومربيكم وإلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره لرؤوف رحيم، ومظاهر رحمته ورأفته ظاهره في كل حياة الإنسان فلولا لطف الله بالإنسان ورحمته له لما عاش ساعة في الحياة الدنيا فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قرب يوم القيامة فلا معنى لاستعجاله فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب.
- ٢- تسمية الوحي بالروح من أجل أنه يحيى القلوب، كما يحيى الأجسام بالأرواح.
- ٣- تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر بذكر مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرأفة والرحمة.

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ

وَالْحَمِيرَ لَتَرْكُبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ

(١) الجمال يكون في الصورة، وهو تناسب أجزائها، ويكون في الأخلاق بأن يكون المرء على صفات محمودة كالعدل والعلم والحكمة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل احد وجمال الأفعال يكون بملاءمتها لمصالح الخلق نافلة لهم غير ضارة بهم.

(٢) شق النفس: مشقتها، وغاية جهدها وعليه فالشق المشقة، والشق: الجانب من كل شيء.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب الإبل، والحمل عليها لكن لا تحمل أكثر مما تطيق فقد ضرب عمر حملاً وقال: تحمل على بعيرك مالا يطيق. وكان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون يقول له: يادمون لا تخاصمني عند ربك.

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿١١﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

- ويخلق ما لا تعلمون : من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.
 وعلى الله قصد السبيل : أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصده وهي الإسلام.
 ومنها جائر : أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية.
 ومنه شجر : أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.
 فيه تسيمون : ترعون مواشيكم .
 مسخراتٍ بأمره : أي بإذنه وقدرته .
 وما ذرأ لكم في الأرض : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته
 إذ قال تعالى : ﴿والخيل^(١) والبغال والحمير﴾ أي خلقها وهو خالق كل شيء لعله ركبهم

(١) قيل : واحد الخيل : خائل ، وقيل : هو اسم جنس لا واحد له ، وهذه الثلاثة : الخيل والبغال والحمير لم تدخل في لفظ الأنعام ، ونصب : (والخيل) على تقدير : (وخلق الخيل).

(١) إياها إذ قال: ﴿لتركبوها وزينة﴾ أي ولأجل أن تكون زينة لكم في حياتكم وقوله ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ أي مما هو مركوب وغير مركوب من مخلوقات عجيبة ومن المركوب هذه السيارات على اختلافها والطائرات والقطر السريعة والبطيئة هذا كله إفضاله وإنعامه على عباده فهل يليق بهم أن يكفروه ولا يشكروه؟ وهل يليق بهم أن يشركوا في عبادته سواء. وقوله ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ ومن إفضاله وإنعامه الموجب لشكره ولعبادته دون غيره أن بين السبيل القاصد الموصل إلى رضاه وهو الإسلام، في حين ان ما عدا الإسلام من سائر الملل كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها سبل جائره عن العدل والقصد سالكوها ضالون غير مهتدين إلى كمال ولا إلى إسعاد هذا معنى قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وقوله ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي لو تعلقت بإرادته هداية الناس أجمعين لهداهم أجمعين وذلك لكمال قدرته وعلمه، إلا أن حكمته لم تقتض هداية لكل الناس فهدى من رغب في الهداية وأضل من رغب في الضلال. ومن مظاهر ربوبيته الموجبة لألوهيته أي عبادته ما جاء في الآيات التالية (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) إذ قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربون منه وتطهرون، ﴿ومنه﴾ أي من الماء الذي أنزل من السماء شجر^(١) لأن الشجرة والمراد به هنا سائر النباتات يتوقف وجوده على الماء وقوله ﴿فيه تسيمون﴾ أي في ذلك النبات ترعون مواشيكم. يقال سام الماشية أي ساقها إلى المرعى ترعى وسامت الماشية أي رعت بنفسها. وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به﴾ أي بما أنزل من السماء من ماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ كالفواكه والخضر على اختلافها إذ كلها متوقفة على الماء. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من نزول الماء وحصول المنافع الكثيرة به

(١) أخذ مالك من قوله تعالى: ﴿لتركبوها وزينة﴾: حرمة أكل لحوم الخيل وواقفه أبو حنيفة، وأجاز الجمهور أكلها لأن الآية لم تحرم شيئاً وإنما ذكرت فائدة من فوائدها وهي الركوب، ومن أدلة الجمهور: الحديث الصحيح من ذلك قول الصحابي نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن لنا في لحوم الخيل. وقال جابر رضي الله عنه: (كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ). وحديث مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: (فجزرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وأكلناه).

(٢) أي: على الله بيان قصد السبيل، والسبيل هو الإسلام، أي: بيان شرائعه وأحكامه وحكمه ومواعظه بواسطة كتبه ورسوله. وقصد السبيل: استقامته كما أن جائر السبيل: هو الحائد عن الاستقامة.

(٣) الشراب: اسم لما يشرب وذكر للماء النازل من السماء فائدتين. الأولى: الشراب والثانية: إنبات النبات وهما نعمتان.

(٤) لفظ الشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليياً.

(٥) الإسامة: إطلاق الإبل للسموم وهو الرعي يقال: سامت الماشية إذا رعت وأسامها: إذا رعاها.

﴿لآية﴾ أي علامة واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضية لعبادته وترك عبادة غيره . ولكن ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيتعطون . أما أشباه البهائم الذين لا يفكرون في شيء فلا يجدون آية ولا شبه آية في الكون كله وهم يعيشون فيه . وقوله تعالى : ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل للسكون والراحة ، والنهار للعمل ابتغاء الرزق وتسخيرهما كونهما موجودين باستمرار لا يفترقان أبداً إلى أن يأذن الله بانتهائهما وقوله : ﴿والشمس والقمر﴾ أي سخرهما كذلك للارتفاع بضوء الشمس وحرارتها ، وضوء القمر لمعرفة عدد السنين والحساب ، وقوله ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ ^(١) كذلك ومن فوائد النجوم الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة وجمالاً للسماء التي هي سقف دارنا هذه . . . وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿لآيات﴾ عدة يستدل بها على الخالق وعلى وجوب عبادته وعلى توحيده فيها ، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أي الذين يستخدمون طاقة عقولهم في فهم الأشياء وإدراك أسرارها وحقائقها أما أشباه البهائم والمجانين الذين لا يفكرون ولا يتفكرون ولا يعقلون ، فليس لهم في الكون كله آية واحدة يستدلون بها على ربهم ورحمته بهم وواجب شكره عليهم وقوله تعالى : ﴿وما ذراً لكم في الأرض﴾ أي وما خلق لكم في الأرض من إنسان وحيوان ونبات ﴿مختلفاً ألوانه﴾ وخصائصه وشيانه ومنافعه وآثاره ﴿إن في ذلك﴾ الخلق العجيب ﴿لآية﴾ أي دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل ووجوب عبادته وترك عبادة غيره ولكن ﴿لقوم يذكرون﴾ فيتعطون فينتبهون إلى ربهم فيعبدونه وحده بامتثال أمره واجتناب نهيه فيكملون على ذلك ويسعدون في الحياتين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- كون الخيل والبغال والحمير خلقت للركوب والزينة لا ينفي منفعة أخرى فيها وهي أكل

(١) ﴿مسخرات﴾ : أي : مذلات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار ، والاهتداء بالنجوم في الظلمات .

(٢) الذرة : الخلق بالتناسل والتولّد بالحمل والتفريخ فليس الإنبات فقط .

(٣) المخلوقات قسمان : قسم منها مسخر مذلل كالذباب والأنعام والأشجار ، وقسم غير مذلل ولا مسخر ، وشاهد هذا : قول كعب الأحبار : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له وما هن ؟ قال : أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شرّ ما خلق وذراً ويراً .

(٤) ما في الآية : ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ ما يدل على وجوب الزكاة فيها ، وفي الحديث الصحيح : (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) رواه مالك .

لحوم الخيل لثبوت السنة بإباحة لحوم الخيل ، ومنع لحوم البغال والحمير كما في الصحيحين .

٢- الإسلام هو السبيل التي بينها الله تعالى فضلاً منه ورحمة وما عداه فهي سبل جائرة عن العدل والحق

٣- فضيلة التفكير والتذكر والتعقل ودم أضدادها لأن الآيات الكونية كآيات القرآنية إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود وهو معرفة الله تعالى ليعبده بالذكر والشكر وحده دون سواه .

وَهُوَ الَّذِي

سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَاكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

حلية تلبسونها : هي اللؤلؤ والمرجان .

مواخر فيه : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبحار اليوم .

(١) تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره وهي نعمة إذ لو شاء الله لسأط البحر على العباد لأغرقهم .

من فضله : أي من فضل الله تعالى بالتجارة .
 أن تميد بكم : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط .
 لا تحصوها : أي عدّاً فتضبطوها فضلاً عن شكرها للمنعّم بها عز وجل .
 ما تسرون وما تعلنون : من المكر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سرٍ وعلانية في أي أحد .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى : ﴿ وهو الذي سخر لكم البحر ﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذباً كان أو ملحاً وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه . وقوله ﴿ لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ بيان لعله تسخير البحر وهي ليعصيد الناس منه السمك يأكلونه ، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم . وقوله : ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ أي وترى أيها الناظر الى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية . وقوله : ﴿ ولتبتغوا ﴾ أي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقل البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلك كله من فضل الله وحوله ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ أي كي تشكروا الله تعالى . أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرّفها في مرضاته وقوله : ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ أي ألقى في الأرض جبلاً ثوابت ﴿ أن تميد بكم ﴾ كي لا تميد بكم ، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها . وقوله : ﴿ وأنهاراً ﴾ أي وأجرى لكم أنهاراً في الأرض كالنيل والفرات

(١) قَسَمَ مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي : لحم ذوات الأربع ، ولحم ذوات الريش ، ولحم ذوات الماء ، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلاً أو نسيئة .

(٢) الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله) ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم .

(٣) في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادراً على سكونها دون الجبال ، ومع هذا أرساها ، وسكنها بالجبال تعليماً لعباده للأخذ بالأسباب ، و﴿رواسي﴾ جمع راس ، على غير قياس ، كفوارس ، وعوادل جمع فارس وعادل .

وغيرهما ﴿وسبلاً﴾ أي وشق لكم طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى منازلكم في بلادكم وقوله ﴿وعلامات﴾ أي وجعل لكم علامات للطرق وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار وكل ما يستدل به على الطريق والناحية، وقوله ﴿وبالنجم﴾ أي وبالنجوم^(١) ﴿هم يهتدون﴾ فركاب البحر لا يعرفون وجهة سيرهم في الليل إلا بالنجوم وكذا المسافرون في الصحارى والوهاد لا يعرفون وجهة سفرهم إلا بالنجوم وذلك قبل وجود آلة البوصلة البحرية ولم توجد إلا على ضوء النجم وهدايته وقوله في الآية (١٧) ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ هذا تأنيب عظيم لأولئك الذين يصرون على عبادة الأصنام ويجادلون عليها ويجالدون فهل عبادة من يخلق ويرزق ويدبر حياة الإنسان وهو الله رب العالمين كعبادة من لا يخلق ولا يرزق ولا يدير؟ فمن يسوي من العقلاء بين الحي المحيي الفعال لما يريد واهب الحياة كلها وبين الأحجار والأوثان؟ فلذا وبخهم بقوله ﴿أفلا تذكرون﴾ فتذكرون فتعرفون أن عبادة الأصنام باطلة وأن عبادة الله حق فتتوبوا إلى ربكم وتسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ بعدما عدد في هذه الآيات من النعم الكثيرة أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدوا نعم الله ما استطاعوا عدّها فضلاً عن شكرها، ولذا قال ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ولولا أنه كذلك ليؤاخذهم على تقصيرهم في شكر نعمه عليهم ولسلبها منهم عند كفرها وعدم الاعتراف بالمنعم بها عز وجل وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ هذه آخر مظاهر القدرة والعلم والحكمة والنعمة في هذا السياق الكريم فالله وحده يعلم سر الناس وجهرهم فهو يعلم إذا حاجاتهم وما تتطلبه حياتهم، فإذا عادوه وكفروا به فكيف يأمنون على حياتهم ولما كان الخطاب في سياق دعوة مشركي مكة إلى الإيمان والتوحيد فالاية إخطار لهم بأن الله عليهم بمكرهم برسوله وتبّيت الشر له وأذاهم له بالنهار. فهي تحمل التهديد والوعيد لكفار مكة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان العلة في الرزق وأنها الشكر فالله سبحانه وتعالى يرزق ليشكر.

(١) وقد يُراد بالنجم: الجدي خاصة لقول الرسول ﷺ لابن عباس وقد سأله عن النجم فقال له: (هو الجدي عليه قبلكم وبه تهتدون في بركم وبحركم) وكون المراد بالنجم النجوم لقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾.

٢- إباحة أكل الحوت وكل دواب البحر.

٣- لا زكاة في اللؤلؤ والمرجان لأنه من حلية النساء .

٤- المقارنة بين الحي الخلاق العليم ، وبين الأصنام الميتة المخلوقة لتقرير بطلان عبادة غير الله تعالى لأن من يَخْلُق ليس كمن لا يَخْلُق .

٥- عجز الإنسان عن شكر نعم الله تعالى يتطلب منه أن يشكر ما يمكنه منها وكلمة (الحمد لله) تعد رأس الشكر والاعتراف بالعجز عن الشكر من الشكر، والشكر صرف النعم فيما من أجله أنعم الله تعالى بها .

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتَ غَيْرُ

أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ

﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلِنُونَ إِنَّهُمْ

لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ

قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارُ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا

سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

وهم يخلقون : أي يصورون من الحجارة وغيرها .

وما يشعرون إيان يبعثون : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة . ولا يبعث فيه عابدها من دون الله .

- قلوبهم منكرة : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء .
 وهم مستكبرون : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون .
 لا جرم : أي حقاً .
 أساطير الأولين : أي أكاذيب الأولين .
 ليحملوا أوزارهم : أي ذنوبهم يوم القيامة .
 ألساء ما يزررون : أي بشس ما يحملون من الأوزار .
 معنى الآيات :

في هذا السياق مواجهة صريحة للمشركين بعد تقدم الأدلة على اشراكهم وضلالهم فقله تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله﴾ أي تعبدونهم أيها المشركون ﴿أموات غير أحياء﴾ أي هم أموات إذ لا حياة لهم ودليل ذلك أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ، وقوله ﴿وما يشعرون أيا ن يعثون﴾ أي لا يعلمون متى يبعثون كما أنكم أنتم أيها العابدون لهم لا تشعرون متى تبعثون . فكيف تصح عبادتهم وهم أموات ولا يعلمون متى يبعثون للاستنطاق والاستجواب والجزاء على الكسب في هذه الحياة ، وقوله ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذه النتيجة العقلية التي لا ينكرها العقلاء وهي أن المعبود واحد لا شريك له ، وهو الله جل جلاله ، إذ هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت ذو الصفات العلاء والأسماء الحسنى ، وما عداه فلا يخلق ولا يرزق ولا يُدبّر ولا يحيي ولا يميت فتأليه سفه وضلال ، وبعد تقرير ألوهية الله تعالى وإثباتها بالمنطق السليم قال تعالى : ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ذكر علة الكفر لدى الكافرين والفساد عند المفسدين وهي تكذيبهم بالبعث الآخر إذ لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا ، فأخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لكل ما يسمعون من الحق الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ وتبينه آيات القرآن الكريم ، وهم مع إنكار قلوبهم لما يسمعون من الحق مستكبرون عن

(١) قرأ عامة القراء ﴿يدعون﴾ بالتاء لأن ما قبله خطاب ، وقرئ عن عاصم وحفص بالياء ، وهي قراءة يعقوب أيضاً .

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : تبعت الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيترؤون من عبادتها ، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار .

(٣) عبر عنهم بصيغة من يعقل لأن المشركين يزعمون أنها تعقل عنهم وتشفع لهم عند الله تعالى ، وتقربهم إلى الله زلفى .

قبول الحق والإذعان له . وقوله تعالى : ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾^(١) أي حقاً ان الله يعلم ما يسر أولئك المكذبون بالأخرة وما يعلنون وسيحصى ذلك عليهم ويجزيهم به لا محالة في يوم كانوا به يكذبون . . . ويا للحسرة ويا للندامة !! وهذا الجزاء كان بعذاب النار متسبب عن بغض الله للمستكبرين وعدم حبه لهم ، وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾^(٢) يخبر تعالى عن أولئك المنكرة قلوبهم للوحي الإلهي وما جاء به رسول الله هؤلاء المستكبرون كانوا إذا سئلوا عن القرآن من قبل من يريد أن يعرف ممن سمع بالدعوة المحمدية فجاء من بلاد يتعرف عليها قالوا : ﴿ أساطير الأولين ﴾^(٣) أخبار كاذبة عن الأولين مسطره عند الناس فهو يَحْكِيها ويقول بها ، وبذلك يصرفون عن الإسلام ويصدون عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ أي تبعة آثامهم وتبعة آثام من صدوهم عن سبيل الله كاملة غير منقوصة يوم القيامة ، وهم لا يعلمون ذلك ولكن الحقيقة هي : انّ من دعا إلى ضلالة كان عليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزار من عملها شيء ، وكذا من دعا إلى هدى^(٤) فله أجر من عمل به من غير أن ينقص من أجر العامل به شيء . وقوله تعالى : ﴿ ألساء ما يزرعون ﴾ أي قُبْح الوزر الذي يزرونه فإنه قائدهم إلى النار موبقهم في نار جهنم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بطلان الشرك وتقرير التوحيد .
- ٢- التكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شر وفساد يأتيه العبد .

(١) ﴿ لا جرم ﴾ : كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً ، يقال : فعلوا كذا وكذا فيجاب بكلمة لا جرم أنهم سيندمون .
 (٢) أي : فهو لا يشبههم ولا يشي عليهم خيراً ، وفي الحديث الصحيح : (إنّ المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطوهم الناس بأقدامهم لتكبرهم) . قالت العلماء : كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبير ، وهو أصل العصيان كله .
 (٣) قيل : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القاتل : أساطير الأولين . والآية تشملته وغيره ممن قال ويقول هذه الكلمات الكاذبة الباطلة .
 (٤) الأساطير : الأباطيل ، والترهات ، و﴿ أساطير الأولين ﴾ : خير والمبتدأ الذي أنزله أي : الذي أنزله أساطير الأولين .
 (٥) وفي الصحيح شاهد هذا فقد روى مسلم أنه ﷺ قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) .

- ٣- التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق والإذعان له .
 ٤- بيان اثم وتبعة من يصد عن سبيل الله بصرف الناس عن الإسلام .
 ٥- بيان تبعة من يدعو إلى ضلالة فإنه يتحمل وزر كل من عمل بها .

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَأَنَّ اللَّهَ بَنَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾
 ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
 الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٩﴾ * وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
 ﴿٧٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
 مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمْ
 اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
 سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

من قبلهم : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره .
 فأتى الله بنيانهم : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من أسسه .
 وخر عليهم السقف : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها .
 كنتم تشاقون فيهم : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه ،
 وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها .

وقال الذين أوتوا العلم : أي الأنبياء والمؤمنون .

ظالمي أنفسهم : بالشرك والمعاصي .

فألقوا السلم : أي استسلموا وانقادوا .

فلبس مشوى المتكبرين : مشوى المتكبرين : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً .

وقيل للذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي .

للذين أحسنوا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالى .

حسنة : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة .

ولنعم دار المتقين : أي الجنة دار السلام .

طيبين : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح . وبما أبعدها

عنه من الشرك والمعاصي .

يقولون سلام عليكم : أي يقول لهم ملك الموت «عزرائيل» وأعوانه .

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون .

أو يأتي أمر ربك : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله عز وجل .

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به

يستهزئون .

ما زال السياق الكريم مع كفار قريش في تذكيرهم وتبصرهم بما هم فيه من الجهالة والضلالة. فيقول تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أي من قبل مكر كفار قريش وذلك كالنمرود وفرعون وغيرهم من الجبابرة الذين تناولوا على الله عز وجل ومكروا برسلمهم، فالنمرود ألقى بإبراهيم في النار، وفرعون قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه. . . وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي أتاه أمر الله بهدمه وإسقاطه على الظلمة الطغاة ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾^(١). وذهب باطلهم وزال مكرهم. ألم يتعظ بهذا كفر قريش وهم يمكرون بنبيهم ويبتون له السوء بالقتل أو النفي أو الحبس؟ وقوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ أي يهينهم ويذلهم ويوبخهم بقوله: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾^(٢) أي أصنامكم وأوثانكم الذين كنتم تخالفوني بعبادتكم إياهم دوني كما تشاقون أوليائي المؤمنين أي تخالفونهم بذلك وتحاربونهم فيه. وهنا يقول الأشهاد والذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء الربانيين: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ أي إن الذل والهون والدون على الكافرين. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ومن جملة المعاصي ترك الهجرة والبقاء بين ظهрани الكافرين والفساق المجرمين حيث لا يتمكن المؤمن من عبادة الله تعالى بترك المعاصي والقيام بالعبادات. وقوله ﴿فألقوا السلم﴾ أي عند معاينتهم ملك الموت وأعوانه أي استسلموا وانقادوا وحاولوا الاعتذار بالكذب وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فترد عليهم الملائكة قائلين: ﴿بلى﴾ أي كنتم تعملون السوء ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب طبقاتها ﴿خالدين فيها فلبس﴾ جهنم ﴿مئوى﴾ أي مقاماً ومنزلاً ﴿للمتكبرين﴾ عن عبادة الله وحده. وقوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه في أمره ولا نهيه وأطاعوا رسوله كذلك: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ أي إذا سألهم من أتى مكة يتعرف على ما بلغه من

(١) أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان، وقال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك الله تعالى بها النمرود الكنعاني.
(٢) قرىء ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وبكسرهما على الأضافة، كما قرأ شركائي ابن كثير: شركاي بفتح الياء وبدون همزة.
(٣) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة ويقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لمّا رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

دعوة الإسلام فيقولون له: ﴿خيراً﴾ أي أنزل خيراً لأن القرآن خير وبالخير نزل بخلاف تلاميذ المشركين يقولون أساطير الأولين كما تقدم في هذا السياق.

كما ذكر تعالى جزاء الكافرين وما يلقونه من العذاب في نار جهنم وهم الذين أساءوا في هذه الحياة الدنيا إلى أنفسهم بشركهم بالله ومكرهم وظلمهم للمؤمنين، ذكر جزاء المحسنين. فقال: ﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات متبعين شرع الله في ذلك فأخلصوا عبادتهم لله تعالى ودعوا الناس إلى عبادة الله وحثوهم على ذلك فكانوا بذلك محسنين لأنفسهم ولغيرهم لهؤلاء الذين أحسنوا في الدنيا ﴿حسنة﴾ وهي الحياة الطيبة حياة الطهر والعزة والكرامة^(١) ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا مع ما فيها من حسنة وقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح لتلك الدار الآخرة لما فيها من النعيم المقيم وإضافتها إلى المتقين باعتبار أنهم أهلها الجديرون بها إذ هي خاصة بهم ورثوها بإيمانهم وصالح أعمالهم بتركهم الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون﴾ هو وصف وبيان لدار المتقين فأخبر أنها جنات جمع جنة وهي البستان المشتمل على الأشجار والأنهار والقصور وما لذ وطاب من المطاعم والمشارب والملابس والمناجح والمراكب وقوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ هذا نهاية الإكرام والإنعام إذ كون العبد يجد كل ما يشتهي ويطلب هو نعيم لا مزيد عليه وقوله تعالى: ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ أي كهذا الجزاء الحسن العظيم يجزي الله المتقين في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ أي طاهري الأرواح لأرواحهم ریح طيبة ثمرة إيمانهم وصالح أعمالهم ونتيجة بعدهم عما يندس أنفسهم من أضرار الشرك وعفن المعاصي^(٢) وقوله: ﴿يقولون﴾ أي تقول لهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿سلام عليكم﴾ تحييمهم وفي ذلك بشارة لهم برضا ربهم وجواره الكريم. ﴿ادخلوا الجنة﴾ بأرواحهم اليوم

(١) مع الفتح والنصر والغنائم أيضاً إذ الكل حسنة عظيمة.

(٢) ﴿جنات عدن﴾: بدل من قوله: (دار المتقين).

(٣) طيبين بإيمانهم وعملهم الصالح وبعدهم عن الشرك والمعاصي ووفاتهم أيضاً طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به أرواح أهل الكفر والشرك والفساد.

(٤) قال ابن المبارك: إذا استقنعت نفس العبد المؤمن «أي: اجتمعت في فيه تريد الخروج» جاءه ملك الموت فقال له: السلام عليك ولي الله الله يقرأ عليك السلام، ثم قرأ هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ الخ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

وبأجسامهم غداً يوم القيامة . وقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه من الطاعات والمسابقة في الخيرات بعد عمل قلوبكم بالإيمان واليقين والحب في الله والبغض فيه عز وجل والرغبة والتوكل عليه . هذا ما تضمنته الآيات (٣١، ٣٢) وأما الآيات بعد ذلك فيقول الله مستبطناً إيمان قريش وتوبتهم بعد تلك الحجج والبراهين والدلائل والبيئات على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعلى الإيمان باليوم الآخر . ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي ما ينظرون بعد هذا إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بإبادتهم واستئصالهم، إذ لم يبق ما ينتظرونه إلا أحد هذين الأمرين وكلاهما مر وشر لهم . وقوله تعالى : ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم السابقة فحلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فأهلكهم . ﴿وما ظلمهم الله﴾ تعالى في ذلك أبداً ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإصرارهم على الشرك والعناد والمجاهدة والمكابرة ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي جزاء سيئات ﴿ما عملوا﴾ من الكفر والظلم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم وأحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ إذ كانت رسالهم إذا خوفتهم من عذاب الله سخروا منهم واستهزأوا بالعذاب واستخفوا به حتى نزل بهم والعياذ بالله تعالى .

من هداية الآيات :

- ١- سوء عاقبة المكر وأنه يحيق بأهله لا محالة والمراد به المكر السيء .
- ٢- بيان خزي الله تعالى يوم القيامة لأهل الشرك به والمعاصي له ولرسوله .
- ٣- فضل أهل العلم إذ يتخذ منهم شهداء يوم القيامة ويشمتون بأهل النار .
- ٤- بيان استسلام الظلمة عند الموت وانهمامهم وكذبهم .
- ٥- تقرير معتقد البعث والحياة الآخرة بأبرع أسلوب وأحكمه وأمتنه .
- ٦- إطلاق لفظ خير على القرآن وهو حق خير فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله، فلا ينبغي أن يرى أحداً من أهل الدنيا خيراً منه وإلا سخط نعمة الله تعالى عليه .
- ٧- سعادة الدارين لأهل الإحسان وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان في إيمانهم بالإخلاص وفي إسلامهم بموافقة الشرع ومراقبة الله تعالى في ذلك .

- ٨- بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.
- ٩- إعمال القلوب والجوارح سبب في دخول الجنة وليست ثمناً لها لغلائها، وإنما الأعمال تزكي النفس وتطهر الروح وبذلك يتأهل العبد لدخول الجنة.
- ١٠- ما ينتظر المجرمون بإصرارهم على الظلم والشر والفساد إلا العذاب، عاجلاً أو آجلاً فهو نازل بهم حتماً مفضياً إن لم يبادروا إلى التوبة الصادقة.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ مَحْنُ وَلَا ءِآبَاءُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُسَبِّحَنَّهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات

- وقال الذين أشركوا : هم كفار قريش ومشركوها .
 ولا حرماناً من دونه من شيء : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات .
 فهل على الرُّسل إلا البلاغ : أي ما على الرُّسل إلا البلاغ فالإستفهام للنفي .
 واجتنبوا الطاغوت : أي عبادة الأصنام والأوثان .
 حقت عليه الضلالة : أي وجبت في علم الله أولاً .
 جهد أيمانهم : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم .
 بلى وعداً عليه حقاً : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعداً وأحقه حقاً .
 فهو كائنٌ لا محالة .
 يختلفون فيه : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك .
 انهم كانوا كاذبين : أي في قولهم «لا نُبعث بعد الموت» .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الحجاج مع مشركي قريش فيقول تعالى مُخبراً عنهم ﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي مع الله آلهةً أخرى وهي أصنامهم كهبل واللات والعزى وقالوا لو شاء الله عدم إشراكنا به ما أشركنا نحن ولا آباؤنا، ولا حرماناً من دون تحريمه شيئاً فهل قالوا هذا إيماناً بمشيئة الله تعالى، أو قالوه استهزاء وسخرية دفاعاً عن شركهم وشرعهم الباطل في التحريم والتحليل بالهوى، والأمران محتملان. والرد عليهم بأمرين أولهما ما دام الله قد نهاهم عن الشرك والتشريع فإن ذلك أكبر دليل على تحريمه تعالى لشركهم ومحرماتهم من السوائب والبحائر وغيرها وثانيهما كونه لم يعذبهم عليها بعد ليس دليلاً على رضاه بها بدليل أن من سبقهم من الأمم والشعوب الكافرة قالوا قولتهم هذه محتجين به على باطلهم فلم يلبثوا حتى أخذهم الله، فدل ذلك قطعاً على عدم رضاه بشركهم وشرعهم إذ قال تعالى في سورة الأنعام رداً على هذه الشبهة كذلك قال الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا أي عذاب انتقامنا منهم لما كذبوا رسلنا وافتروا علينا. وقوله تعالى: ﴿كذلك فعل الذين﴾^(١)

(١) الإشارة بذلك إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسولهم وأهلكهم الله جل جلاله.

التحلل

من قبلهم ﴿ من الأمم السابقة قالوا قول هؤلاء لرسلمهم وفعلوا فعلهم حتى أخذهم الله بالعذاب. وقوله ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول إكراه المشركين على ترك الشرك ولا إلزامهم بالشرع وإنما عليه أن يبلغهم أمر الله تعالى ونهيه لا غير. . فلذا كان في الجملة تسلية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر حتى يبلغ دعوة ربه وينصره على أعدائه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (٣٥) وقوله في الآية الثانية (٣٦) ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فأخبر تعالى بأنه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها. كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسره بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان الى عبادته بالتزيين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق اوليائه من الناس من جهة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي من الأمم المرسل إليهم ﴿من هدى الله﴾ فعرف الحق واعتقده وعمل به فنجا وسعد، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ أزالاً في كتاب المقادير لأنه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحرته فحرمه الله لذلك التوفيق فضلٌ ضلالاً لا أمل في هدايته. وقوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أمرٌ لكفار قريش المجادلين بالباطل المحتجين على شركهم وشرعهم الباطل أمرٌ لهم أن يسيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين أمثالهم من أمة عاد في الجنوب وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب. وقوله تعالى في تسلية رسوله والتخفيف من الهمم عنه: ﴿إن تحرص﴾ يا رسولنا

(١) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا جاء الاستثناء بعده أي: ما على الرسل إلا البلاغ، أي: ليس عليهم هداية الخلق إذ لا يملكون ذلك ولم يكلفوا به وإنما كلفوا بالبلاغ والبيان.

(٢) في الآية: ﴿فهل على الرسل...﴾ تسلية للرسول ﷺ وتعليم وفيها أيضاً التعريض بإبلاغ المشركين.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ متضمن بياناً لسنة الله تعالى في إرسال الرسل لاحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر المؤمنين، وهلاك الكافرين المكذبين.

(٤) أولياء الشيطان: هم الكهان ودعاة الضلال الذين يصدون عن سبيل الله بتزيين الباطل وتحسين الشرك والخرافة.

(٥) في هذا ردٌ على القدرية نفاة القدر إذ معنى: ﴿حقت﴾: وجبت له أزالاً في كتاب المقادير.

(١) ﴿على هداهم﴾ أي هدايتهم إلى الحق ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ فخفف على نفسك وهون عليها فلا تأسف ولا تحزن وادع إلى ربك في غير حرص يضر بك وقوله ﴿لا يهدي من يضل﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي من أضله الله ، لأن اضلال الله تعالى يكون على سنن خاصة لا تقبل التبديل ولا التغيير لقوة سلطانه وسعة عمله . وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي وليس لأولئك الضلال الذين أضلهم الله حسب سنته من ناصرين ينصرونهم على ما سينزل بهم من العذاب وما سيحل بهم من خسرانٍ وحرمان . وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ اخبار عن قول المشركين والمعذبين باليوم الآخر أصحاب القلوب المنكرة، ومعنى ﴿أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي حلفوا أشد الأيمان إذ كانوا في الأمور التافهة يحلفون بألتهتهم وآبائهم . وإذا كان الأمر ذا خطر وشأن أقسموا بالله وبالغوا في الإقسام حتى يبلغوا جهد أيمانهم والمحلوف عليه هو أنهم إذا ماتوا لا يبعثون أحياء فيحاسبون ويجزون فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿بلى﴾ أي تبعثون وعد الله حقاً فلا بد ناجز ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فلذا ينفون البعث وينكرونه لجهلهم بأسرار الكون والحياة وعِلَل الوجود والعمل فيه فلذا أشار الله تعالى إلى بعض تلك العلل في قوله : ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فلولا البعث الآخر ما عرف المحق من المبطل في هذه الحياة والخلاف سائد ودائم بين الناس . هذا أولاً . وثانياً : ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في اعتقاداتهم وأعمالهم وفيهم الحياة الثانية للجزاء على العمل في دار العمل هذه أما استبعادهم البعث بعد الموت نظراً إلى وسائلهم ووسائطهم الخاصة بهم فقد أخبرهم تعالى بأن الأمر ليس كما تقدرتون أنتم وتفكرون : إنه مجرد ما تتعلق إرادتنا بشيء نريد أن يكون ، نقول له كن

(١) قرىء في السبع ﴿يهدي﴾ بضم الياء مبنياً للمجهول وقرىء : ﴿يهدي﴾ بفتح الياء مبنياً للمعلوم وقراءة لا يهدي هي التي فسر بها في التفسير . وقراءة يهدي ، أي : أن الله إذا كتب على عبد شقاء لا يهديه للخلاص منه .

(٢) روي أن رجلاً من المسلمين كان له دين على مشرك فقاضاه منه وقال في بعض كلامه : والذي أرجوه بعد الموت ، أنه لكذا وكذا فأقسم المشرك بالله : لا يبعث الله من يموت ، فنزلت الآية .

(٣) ذكر القرطبي عن قتادة أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً يزعمون أن علياً مبعوث بعد الموت قبل الساعة يتأولون هذه الآية فقال ابن عباس : كذب أولئك إنما هذه الآية عامة للناس فلو كان علي مبعوثاً قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه .

(٤) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك) .

(٥) أي : في نفيهم البعث وإقسامهم على عدم وقوعه ، وفي إنكارهم التوحيد والنبوة أيضاً .

فيكون فوراً، والبعث الآخر من ذلك . هذا ما دل عليه قوله في الآية (٤٠) ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١) ولا يقولن قائل كيف يخاطب غير الموجود فيأمره ليجد فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً علمه أولاً ثم قال له كن فهو يكون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الرد على شبهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية .
- ٢- تفسير لا إله إلا الله .
- ٣- التحذير من تعمد الضلال وطلبه والحرص عليه فإن من طلب ذلك وأضله الله لا ترجى هدايته .
- ٤- بيان بعض الحكم في البعث الآخر .
- ٥- لا يستعظم على الله خلق شيء وإيجاده، لأنه يوجد بكلمة التكوين فقط .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

والذين هاجروا في الله : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرته لدينه وإقامته بين الناس .

(١) قال أهل العلم في الآية دليل على عدم خلق القرآن إذ لو كان مخلوقاً لكان قوله : ﴿ كن ﴾ مخلوقاً، واحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني يحتاج إلى ثالث وتسلسل وهذا محال وفيها دليل على أن الله مرید لجميع الحوادث خيرا وشرا نافعها وضارها، والدليل أن من رأى في سلطانه ما يكرهه ولا يريد فلاحد شيئين إما لكونه جاهلا لا يدري وإما لكونه مغلوبا لا يطيق وهذا محال في حقه سبحانه وتعالى وبذلك تأكد أن الله مرید لكل ما يجري من أحداث في الملكوت وحكمته لا يخلو منها شيء .

لنبؤثهم في الدنيا حسنة : أي لننزلهم داراً حسنة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية .

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون : أي على أذى المشركين وهاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم .

فاسألوا أهل الذكر : أي أيها الشاكرون فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل قبله كلهم كانوا بشراً مثله .

بالبينات والزبر : أي أرسلناهم بشراً بالبينات والزبر لهداية الناس .
وأنزلنا إليك الذكر : أي القرآن .

لتبين للناس ما نزل إليهم : علة لإنزال الذكر إذ وظيفة الرسل ، البيان .

معنى الآيات :

إنه بعد اشتداد الأذى على المؤمنين لعناد المشركين وطغيانهم ، أذن الله تعالى على لسان رسوله للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر رجال ونساء فذكر تعالى ثناء عليهم وتشجيعاً على الهجرة من دار الكفر فقال عز وجل ﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي في ذات الله ومن أجل عبادة الله ونصرة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي من قبل المشركين ﴿لنبؤثهم﴾ أي لننزلهم ولنسكنهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ وهي المدينة النبوية ولنرزقهم فيها رزقاً حسناً هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية ، وإلا فكل من هاجر في الله ينجزه الرب هذا الوعد كما قال تعالى : ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ أي في العيش والرزق ﴿ولأجر الآخرة﴾ المعد لمن هاجر في سبيل

(١) ﴿الزبر﴾ : الكتب .

(٢) أي : تركوا الوطن ، والأهل ، والقرابة كما تركوا السيئات . ومعنى : في الله أي : لأجل الله إذ بدار الكفر لا يتمكنون من عبادة الله تعالى فإذا هاجروا تمكنوا فكانت هجرتهم إذاً لله أي لعبادته التي خلقهم من أجلها .

(٣) قيل : نزلت الآية في صهيب وبلال وعمار ، وخباب إذ عذبهم المشركون أشد العذاب حتى هاجروا ، ويدخل في هذا أيضاً أبو جندل وغيره .

النحل

الله ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١). هذا ترغيب في الهجرة وتشجيع للمتباطئين على الهجرة وقوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢) بيان لحالهم وثناء عليهم بخير لأنهم صبروا أولاً على الأذى في مكة ثم لما أذن لهم بالهجرة هاجروا متوكلين على الله تعالى مفوضين أمورهم إليه، واثقين في وعده. هذا ما دلت عليه الآيتان (٤١)، (٤٢). وأما الآية الثالثة (٤٣) والرابعة من هذا السياق فهما تقرير حقيقة علمية بعد إبطال شبهة المشركين القائلين كيف يرسل الله محمداً رسولاً وهو بشر مثلنا لم لا يرسل ملكاً. وهو ما أخبر الله تعالى في قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي من الرسل ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ بأمرنا وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا﴾ أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول بشراً، اسألوا أهل الذكر وهو الكتاب^(٣) الأول أي أسألوا علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى يرسل الرسل من غير البشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ فإنهم يخبرونكم. وما موسى ولا عيسى إلا بشر، وقوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ﴾ أي أرسلنا أولئك الرسل من البشر بالبينات أي الحجج والدلائل الدالة على وجوب عبادتنا وترك عبادة من سوانا. والزبر أي الكتب. ثم يقول تعالى لرسوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وفي هذا تقرير لنبوته ﴿وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعرفون صدق ما جئتهم به فيؤمنوا. ويتوبوا إلى ربهم فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الهجرة ووجوبها عند اضطرار المؤمن وعدم تمكنه من عبادة الله تعالى .
- ٢- وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم .
- ٣- السنة لا غنى عنها لأنها المبينة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه .

(١) هذا صالح لكل من المؤمنين ومعذبيهم، غير أنه في المؤمنين أظهر إذ كان عمر رضي الله عنه إذا أعطى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) قال العلماء: خيار المؤمنين من إذا نابه أمر صبر وإذا عجز عن أمر توكل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

(٣) يدخل في أهل الذكر أهل القرآن، وهم علماء هذه الأمة، وبهذا أمر الله تعالى غير العالمين أن يسألوا أهل العلم، وأمر العالمين أن يعلموا ويبينوا ومن كتم منهم عُدب .

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَنْفِيوْا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- مكروا السيئات : أي مكروا المكرات السيئات فالسيئات وصف للمكرات التي مكروها .
 في تقلبهم : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها .
 على تخوف : أي تنقص .
 يتفيسوا ظلاله : أي تتميل من جهة إلى جهة .
 سجداً لله : أي خضعاً لله كما أراد منهم .
 داخرون : أي صاغرون ذليلون .
 من فوقهم : من أعلى منهم إذ هو تعالى فوق كل شيء ذاتاً وسلطاناً وقهراً .
 ما يؤمرون : أي ما يأمرهم ربهم تعالى به .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تخويف المشركين وتذكيرهم لعلمهم يرجعون بالتوبة من الشرك
 والجحود للنبوة والبعث والجزاء . قال تعالى : ﴿أفأمن الذين مكروا﴾^(١) المكرات

(١) هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام .

﴿السيئات﴾ من محاولة قتل النبي ﷺ والشرك والتكذيب بالنبوة والبعث وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، أفأمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم فيقرون في أعماقها، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ ولا يتوقعون من ربح عاصف تعصف بهم أو وباء يشملهم أو قحط يذهب بمالهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيين من بلدٍ إلى بلد. ﴿فما هم بمعجزين﴾^(١) له تعالى لو أراد أخذهم وإهلاكهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي^(٢) تنقص بأن يهلكهم واحداً بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يبقى منهم أحداً، وقد أخذ منهم بدرٍ من أخذ وفي أحد. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ تذكير لهم برأفته ورحمته إذ لولاهما لأنزل بهم نعمته وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبة أو إمهال لرجوع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ من شجرٍ وجبل وإنسانٍ وحيوانٍ ﴿يتفيؤوا ظلاله﴾ بالصباح والمساء ﴿عن اليمين والشمال﴾ «جمع شمال» ﴿سجداً لله﴾ خضعاً بظلالهم ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون ذليلون. أما يكفيهم ذلك دلالةً على خضوعهم لله وذلتهم بين يديه، فيؤمنوا به ويعبدونه ويوحده فينجوا من عذابه ويفوزوا برحمته. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريد الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحة أو مرض أو خير أو غيره من دابةٍ أي من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض ﴿والملائكة﴾^(٣)

(١) وقد تمّ لهم وذاقوا مرّاً يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرههم.

(٢) أي: بسابقين الله ولا فاتتبه.

(٣) التخوّف: مصدر لفعل تخوّف إذا خاف، ومصدر لتخوّف المتعدي الذي بمعنى تنقص، وهو لغة هذيل، فللآية معنيان. الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلاً. والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى وهو واضح المعنى في التفسير.

(٤) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوّف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

(٥) أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل ومعنى تفيء الظلال: ميلانه من جانب إلى جانب ومنه سمي الظل بالعشي فيء: لأنه فاء من المشرق إلى المغرب أي: رجع، والفيء: الغنائم التي ترجع إلى المسلمين من الكافرين لأنهم أحقّ بها فرجعت إليهم.

(٦) أي: خاضعون، والدخور: الصغار والذل يقال: دخر الرجل فهو داخر وأدخره الله. قال ذو الرمة:

فلم يبق إلا داخر في مخيس ومنجحر في غير أرضك في حجر

والشاهد في قوله داخر أي خاضع ذليل والمخيس بناء من مدر يسجن فيه

(٧) قيل: المراد بالملائكة: ملائكة الأرض، وخصّهم بالذكر وهم داخلون في عموم ما في السموات وما في الأرض لشرف منزلتهم عند ربهم جلّ جلاله، والملائكة يطرون ولا يدبون، فلذا أخرجوا أيضاً بالذكر.

على شرفهم يسجدون ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ربهم ﴿ويخافون ربهم من فوقهم﴾ إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته . ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلا يعصون ربهم ما أمرهم . إذا كان هذا حال الملائكة فما بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار والجحود والمكابرة وهم أحقر سائر المخلوقات، وشر البريات إن بقوا على كفرهم وشركهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة الأمن من مكر الله .

٢- كل شيء ساجد لله، أي خاضع لما يريد منكم، إلا أن السجود الطوعي الاختياري هو الذي يثاب عليه العبد، أما الطاعة اللا إرادية فلا ثواب فيها ولا عقاب .

٣- فضل السجود الطوعي الاختياري .

٤- مشروعية السجود عند هذه الآية : إذا قرأ القارئ أو المستمع : ﴿ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، عليه أن يسجد إن كان متطهراً إلى القبلة إن أمكن ويسبح في السجود ويكبر في الخفض والرفع ولا يسلم، ولا يسجد عند طلوع الشمس ولا عند غروبها .

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ

أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاءً أَعْيُنُ اللَّهِ يُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ

إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ

(١) جائز أن يكون سكان شرق الجزيرة من العرب قد انتقلت إليهم عقيدة المجوس المبنية على إله الخير وهو يزدان وإله الشر الذي هو امرئمن وذلك لمجاورتهم لحكومة المجوس الممتدة إلى العراق، ويكون النهي في الآية موجها إليهم .

لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ

تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لا تتخذوا إلهين : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد .
وله ما في السموات والأرض : أي خلقاً وملكاً ، إذأً فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته .

وله الدين واصباً : أي خالصاً دائماً واجباً .
فإليه تجأرون : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه .
فتمتعوا فسوف تعلمون : تهديدٌ على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى .
ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً : أي يجعلون لألهتهم نصيباً من الحرث والأنعام .
عما كنتم تفترون : أي تخلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل .

معنى الآيات :

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطلان الشرك أخبرهم أن الله ربهم رب كل شيء قد قال لهم : أيها الناس ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ فلفظ اثنين تأكيد للفظ إلهين أي لا تعبدوا إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين والحال انه ﴿ إله واحد ﴾ لا غير وهو الله الخالق الرازق المالك ، ومن عداه من مخلوقاته كيف تُسَوَّى به وتُعَبَّد معه ؟ وقوله تعالى : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ أي ارهبوني وحدي ولا ترهبوا سواي إن بيدي كل شيء ، وليس لغيري شيء فأنا المحيي المميت ، الضار النافع ، يوبخهم على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن يُرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفذ أو يضر . وقوله تعالى : ﴿ وله ما في السموات والأرض ﴾ برهان على بطلان رهبة غيره أو

(١) الرهبة : الخوف ، بمعنى ﴿ فارهبون ﴾ : خافوني ولا تخافوا سواي ، وتقديم المفعول : ﴿ فإياي ﴾ مؤذن بحصر الرهبة في الله تعالى ونفيها عن سواه .

(٢) في الآية تقرير وحدانية الله تعالى إذ ما في السموات له ، وما في الأرض له فهو إذاً إله واحد وبطل التعدد الذي يراه المجوس .

الرغبة في سواه ما دام له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً. وقوله ﴿وله الدين واصباً﴾^(١) أي العبادة والطاعة دائماً ثابتاً واجباً، ألا لله الدين الخالص. وقوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ يوبخهم على خوف سواه وهو الذي يجب أن يرهب ويخاف لأنه الملك الحق القادر على إعطاء النعم وسلبها، فكيف يتقى من لا يملك ضراً ولا نفعاً ويُعصى من يده كل شيء وإليه مرد كل شيء، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن. وقوله: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٢) يخبرهم تعالى بالوقوع الذي يتكبرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلت أو صغرت من صحة أو مالٍ أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقرٍ أو مرضٍ أو تغير حال كخوف غرقٍ في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه﴾ دون غيره ﴿تجارون﴾ برفع أصواتكم بالدعاء والإستغاثة به سبحانه وتعالى وقوله: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ كبيرٌ منكم يربهم يشركون﴾ فيعبدون غيره بأنواع العبادات متناسين الله الذي كشف ضرهم وأنجاهم من هلكتهم.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾^(٣) أي ليؤول أمرهم إلى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن. أفهكذا يكون الجزاء؟ أينعم بكل أنواع النعم وينجي من كل كرب ثم ينسى له ذلك كله، ويعبد غيره؟ بل ويحارب دينه ورسوله؟ إذاً ﴿فتمتعوا﴾^(٤) أيها الكافرون ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم وإعراضكم عن طاعة الله وذكره وشكره. وقوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ وهذا ذكرٌ لعبٍ آخر من عيوبهم وباطلٍ من باطلهم أنهم يجعلون لأوثانهم التي لا يعلمون عنها شيئاً من نفعٍ أو ضرٍ أو إعطاءٍ أو منعٍ أو إماتةٍ أو إحياءٍ يجعلونها لها طاعةً للشيطان نصيباً وحقاً من أموالهم

(١) لفظ الدين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وصالح لأن يكون الديانة والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) فيه إشارة إلى بطلان إله الخير الذي يدين له المجوس الذين يقولون الخير من إله الخير، والشر من إله الشر.

(٣) وجائز أن تكون اللام: لام كي التعليلية.

(٤) الأمر للتهديد.

يتقربون به إليها فسيبوا لها السوائب، وبحروا لها البحائر من الأنعام، وجعلوا لها من الحرث والغرس كذلك كما جاء ذلك في سورة الأنعام والمائدة قبلها: وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَنَسْتَلُنَّ^(١) عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ أقسم الجبار لهم تهديداً لهم وتوعداً أنهم سيسألون يوم القيامة عما كانوا يفترون أي من هذا التشريع الباطل حيث يحرمون ويحللون ويعطون آلهتهم ما شاءوا وسوف يوبخهم عليه ويجزيهم به جهنم وبئس المهاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده .
- ٢- وجوب الرهبة من الله دون سواه .
- ٣- وجوب الدين لله إذ هو الإله الحق دون غيره .
- ٤- كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى .
- ٥- تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم .
- ٦- التنديد بالمشركين وتشريعهم الباطل بالتحليل والتحریم والإعطاء والمنع .

وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
 وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٧﴾
 يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَرُ عَلَىٰ هُونٍ ﴿٥٨﴾
 أَمْرِيْدُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاِذْ جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ
 سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ

(١) هذا سؤال توبيخ ويتم في عرصات القيامة أو في النار.

وَتَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لِأَجْرِمَ أَنَّ
لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ويجعلون لله البنات : إذ قالوا الملائكة بنات الله

ولهم ما يشتهون : أي الذكور من الأولاد .

ظل وجهه مسوداً : أي متغيراً بالسواد لما عليه من كرب .

وهو كظيم : أي ممتلىء بالغم .

أم يدسه في التراب : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الواد

مثل السوء : أي الصفة القبيحة .

ولله المثل الأعلى : أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله .

ان لهم الحسنى : أي الجنة إذ قال بعضهم ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده
للحسنى .

وأنهم مفراطون : أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أخطاء المشركين في اعتقاداتهم وسلوكهم فقال تعالى :
﴿ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون﴾^(١) وهذا من سوء أقوالهم وأقبح
اعتقادهم حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات، إذ قالوا الملائكة بنات الله في الوقت الذي
يكرهون نسبة البنات إليهم، حتى إذا بشر أحدهم بأنثى بأن أخبر بأنه ولدت له بنت ظل
نهاره كاملاً في غم وكرب ﴿وجهه مسوداً وهو كظيم﴾^(٢) ممتلىء بالغم والهم . ﴿يتوارى﴾
أي يستتر ويختفي عن أعين الناس خوفاً من المعرفة، وذلك ﴿من سوء ما بشر به﴾ وهو
البنات وهو في ذلك بين أمرين إزاء هذه المبشريات : إما أن يمسكه . أن يبقيه في بيته بين

(١) هذه الآية نزلت في خزاعة وكنانة إذ زعموا أن الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون : ألحقوا البنات بالبنات .

(٢) (ما) موصولة، وهو وصلته مبتدأ في محل رفع، والخبر متعلق الجار والمجرور أي : ثابت لهم .

(٣) الكظيم : مشتق من الكظامة وهو شد فم القرية، إذا الكظيم هو المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم .

(١) أولاده ﴿على هون﴾ أي مذلة وهوان، وإما أن ﴿يدسه في التراب﴾ أي يدفنه حياً وهو الواد المعروف عندهم. قال تعالى مندداً بهذا الإجماع: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات لله وتبرئتهم منها، ومن جهة وأد البنات أو إذلالهن، قبح حكمهم الجاهلي هذا من حكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) وهي قوله: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي نزه تعالى نفسه عن الولد والصاحبة فلا ينبغي أن يكون له ولد ذكراً كان أو أنثى لأنه رب كل شيء ومليكه فما الحاجة إلى الولد إذا؟ والآية الثانية (٥٨) وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ ظل وجهه مسوداً ﴿أي أقام النهار كله مسود الوجه من الغم﴾ وهو كظيم ﴿أي ممتلىء بالغم والهم﴾ ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي من البنت ﴿أيمسكه على هون﴾ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴿وقوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم منكروا البعث الآخر لهم المثل السوء أي الصفة السوء وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم لأنهم لا يعملون خيراً ولا يتركون شراً، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء فهؤلاء لهم الصفة السوأى في كل شيء، ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي الصفة الحسنى وهو أنه لا إله إلا الله منزه عن النقائص رب كل شيء ومالكة، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا شريك له ولا ند له ولا ولد وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف العزة والقهر والغلبة لكل شيء والحكمة العليا في تدبيره وتصريفه شؤون عباده، وحكمه وقضائه لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى في الآية (٦١) ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها﴾ أي على الأرض (١) دسها: إخفاؤها في التراب عن الناس حتى لا تعرف، وفي الحديث: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار يوم القيامة).

(٢) كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن وكان صعصع بن ناجية عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه إلى والد البنت إبلا يستحبيها بذلك، قال الفرزدق يفتخر:

وعمي الذي منع الوائدات فأحى الوئيد فلم يواد

(٣) تكرر شرح هذه الآية في التفسير سهواً وهو غير ضار.

(٤) أي: صفة السوء من الجهل والكفر.

(٥) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عز وجل وقد قال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فالجواب: إن قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا يشبه له ولا نظير.

(٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ هذه الآية: لو أخذ الله الخلاق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجمعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فماتت الدواب ولكن الله يأخذ بالعمو والفضل كما قال ﴿ويعفو عن كثير﴾.

﴿من دابة﴾ أي نسمة تدب على الأرض من إنسانٍ أو حيوان فهذه علة عدم مؤاخذه الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يفسدون ويجرمون وهذا الإهمال تابع لحكم عالية أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي وقت معين محدد قد يكون نهاية عمر كل أحد، وقد يكون نهاية الحياة كلها فإذا جاء ذلك الأجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه أخرى ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة بمثلها وما هو عز وجل بظلام للعبيد.

وآخر آية في هذا السياق (٦٢) تضمنت التنديد بسوء حال الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك أنهم لجهلهم بالله وقبح تصورهم لظلمه نفسوهم أنهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء وسب الرسول وازدراؤه، ومع هذا يتبجحون بالكذب بأن لهم الحسنى أي الجنة يوم القيامة. فرد تعالى على هذا الافتراء والهراء السخيف بقوله: ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وصدقاً ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ بدل الجنة ﴿وأنهم مفرطون﴾ إليها مقدمون متروكون فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية في قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾^(١) وإن قرئ مفرطون باسم الفاعل فهم حقاً مفرطون في الشر والفساد والكفر والضلال والانحطاط إلى أبعد حد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان الحال الإجتماعية التي كان عليها المشركون وهي كراهيتهم للبنات خوف العار.
- ٢- بيان جهلهم بالرب تعالى فهم يؤمنون به ويجهلون صفاته حتى نسبوا إليه الولد والشريك.
- ٣- بيان العلة في ترك الظلمة يتمادون زمنياً في الظلم والشر والفساد.
- ٤- بيان سوء اعتقاد الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو أنهم ينسبون إلى نفوسهم الحسنى ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركاء وسب الرسل وامتهانهم.

(١) أفرط يفرط: إذا تقدّم لطلب الماء فهو مفرط وهم مفرطون، وعليه فقوله تعالى: ﴿مفرطون﴾ معناه يتقدمون غيرهم إلى النار وهي قراءة ورش عن نافع وقرأ حفص مفرطون باسم المفعول ومعناه متروكون في النار منسيون فيها.
(٢) مفرطون: اسم فاعل من فرط المضاعف إذا ضيع الحقوق الواجبة عليه.

تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ
 قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
 الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
 وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لِكُلِّمًا فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً لِّئَسْقِيكُمْ مِمَّا
 فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَوَدْمٍ لِّبَنَّا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

تألله : أي والله .

أرسلنا إلى أمم من قبلك : أي رسلاً .

فزين لهم الشيطان أعمالهم : فكذبوا لذلك الرسل .

فهو وليهم اليوم : أي الشيطان هو وليهم اليوم أي في الدنيا .

إن في ذلك لآية : أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر .

لاية لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وتفهم .

لعبرة : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور .

من بين فرثٍ : أي ثقل الكرش، أي الروث الموجود في الكرش .

لبناً خالصاً : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم، لا لونه ولا

رائحته ولا طعمه .

معنى الآيات :

يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله فيقول بالله يا رسولنا ﴿لقد أرسلنا﴾ رسلاً ﴿إلى أمم من

قبلك﴾ كانوا مشركين كافرين كأمك ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فقاوموا رسلنا

وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان، لذلك ﴿فهو وليهم اليوم﴾^(١) أي في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾، والسياق الكريم في تسلية رسول الله ﷺ ولذا قال تعالى في الآية الثانية: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي لإرهاقك وتعذيبك ولكن لأجل أن تبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال. كما أنزلنا الكتاب هدىً يهتدى به المؤمنون إلى سبل سعادتهم ونجاحهم، ورحمةً تحصل لهم بالعمل به عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وحكماً، فيعيشون متراحمين تسودهم الأخوة والمحبة وتغشاهم الرحمة والسلام.

بعد هذه التسلية لرسول الله ﷺ عاد السياق إلى الدعوة إلى التوحيد وعقيدة البعث والجزاء بعد تقرير النبوة المحمدية بقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ الآية فقال تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها﴾ الماء هو ماء المطر وحياة الأرض بالنبات والزرع بعدما كانت ميتة لا نبات فيها وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها ﴿آية﴾ واضحة الدلالة قاطعة على وجوده تعالى وقدرته، وعلمه ورحمته كما هو آية على البعث بعد الموت من باب أولى. وقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام﴾^(٢) لعلبةً^(٣) أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم. من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره وشكره إلى العلم بذلك والمعرفة به فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا. وبين وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ أي بطون المذكور من الأنعام ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها. اللبن يقع بين الفرث والدم،

(١) الشيطان الذي زين للذين كفروا أعمالهم حتى ضلوا وهلكوا هو ولي الذين كفروا اليوم يزين لهم أعمالهم ليضلهم فيهلكوا كما هلك من قبلهم، وفي الآية تسلية للرسول ﷺ.

(٢) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماء أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء والمراد من السماء: السحاب.

(٣) هناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي: كما أن الأرض تحيي بماء السماء كذلك الإنسان يحيى بالألبان.

(٤) اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز والوبر: ما يتعظ به ويعتبر.

(٥) البطون: جمع بطن وهو اسم للجوف الحاوية للجهاز الهضمي كله من معدة وكبد وأمعاء.

(٦) ﴿من﴾ زائدة لتوكيد التوسط أي: يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم وموقع: ﴿من بين فرث ودم﴾ موقع الصفة والموصوف: لبناً وقدمت للاهتمام بها.

فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن ولا يشم في رائحته ولا يوجد في طعمه بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقاً! انها عبرة من أجل العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ان الله يقسم بنفسه وبما شاء من خلقه .^(١)
- ٢- بيان أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سبقت وأن الشيطان زين لها أعمالها فخذلها .
- ٣- تقرير النبوة وتسليية رسول الله ﷺ من جراء ما يلقاه من المشركين .
- ٤- بيان مهمة رسول الله وأنها بيان ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه .
- ٥- بيان كون القرآن الكريم هدى ورحمة للمؤمنين الذين يعملون به .
- ٦- دليل البعث والحياة الثانية احياء الأرض بعد موتها فالقادر على احياء الأرض بعد موتها قادر على احياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم .

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
أَنِ اخْذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّفُكُمْ ثُمَّ يُغْفِقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ
الْعُمُرِ لٰكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

(١) نحو: ﴿والفجر﴾ ، ﴿والتين﴾ وما إلى ذلك إلا أن بعض أهل العلم كمالك يرون أن المقسم به محذوف تقديره: ورب الفجر، ورب التين وهكذا.

شرح الكلمات :

ومن ثمرات النخيل والأعناب : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون^(١) منه سكرًا أي خمرا ورزقاً حسناً أي والتمر

والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن

وأوحى ربك الى النحل : أي ألهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالى .

ومما يعرشون : أي يبنون لها .

سبل ربك ذللاً : أي طرق ربك مذلةً فلا يعسر عليك السير فيها ولا

تضلين عنها .

شراب : أي عسل .

فيه شفاء للناس : أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته الى عقار آخر .

إلى أرذل العمر : أي أخسّه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل .

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده والمقررة لعقيدة النبوة والبعث الآخر. قال تعالى في معرض بيان ذلك بأسلوب الامتنان المقتضي للشكر ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا﴾ ورزقاً حسناً أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكرًا أي شراباً مسكرًا . وهذا كان قبل تحريم الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الزبيب والخل من العنب والتمر والدبس العسل من النخل وقوله ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ أي أن فيما ذكرنا لكم لآية أي دلالة واضحة على قدرتنا وعلمنا ورحمتنا لقوم يعقلون الأمور ويدركون نتائج المقدمات، فذو القدرة والعلم والرحمة هو الذي يستحق التأليه والعبادة . . وقوله : ﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ هذا مظهر آخر عظيم من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته يتجلى بإعلامه حشرة

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن، ما أحل من ثمرتيهما، وليست الخمر مقصورة على العنب والتمر فقد خطب عمر وقال: أيها الناس إن الله قد حرم الخمر وهي من خمسة، من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير. والإجماع على أن كل مسكر حرام.

(٢) إن قيل: هذا خبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؟ فالجواب: إن تضمن الخبر حكماً شرعياً جاز نسخه، ومن أدلة ذلك هذا الخبر ونسخه.

النحل كيف تلد العسل وتقدمه للإنسان فيه دواء من كل داء. فقوله ﴿وأوحى ربك﴾ أيها الرسول ﴿إلى النحل﴾ بأن ألهمها ﴿أن اتخذني من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ أيضاً بيوتاً، ﴿ومما يعرشون﴾ أي ومما يعرش الناس لك أي يبنون لك، اتخذني من ذلك بيوتاً لك إذ النحلة تتخذ لها بيتاً داخل العريش الذي يعرش لها تبنيه بما تفرزه من الشمع وقوله تعالى: ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي ألهمها أن تأكل من كل ما تحصل عليه من الثمرات من الأشجار والنباتات أي من أزهارها ونوارها وقوله لها ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾^(٣) بإلهام منه تسلك ما سخر لها وذلك من الطرق فتنتقل من مكان إلى آخر تطلب غذاءها ثم تعود الى بيوتها لا تعجز ولا تضل وذلك بتدليل الله تعالى وتسخيره لها تلك الطرق فلا تجد فيها وعورة ولا تنساها فتخطئها. وقوله تعالى ﴿يخرج من بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ أي عسل يشرب ﴿مختلف ألوانه﴾ ما بين أبيض وأحمر وأسود، أو أبيض مشرب بحمرة أو يضرب إلى صفرة. وقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ أي من الأدوية هذا التذكير في قوله شفاء دال على بعض دون بعض جائز هذا حتى يضم إليه بعض الأدوية أو العقاقير الأخرى، أما مع النية أي أن يشرب بنية الشفاء من المؤمن فإنه شفاء لكل داء وبدون ضميمه أي شيء آخر له. وفي حديث الصحيح وخلاصته أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ استطلاق بطن أخيه أي مشي بطنه عليه فقال له اسقه العسل، فسقاه فعاد فقال ما أراه زاده الا استطلاقاً فعاد فقال مثل ما قال أولاً ثلاث مرات وفي الرابعة أو الثالثة قال له رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه العسل فسقاه فقام كأنما نشط من عقال. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من إلهام الله تعالى للنحل وتعليمها كيف تصنع العسل ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس للدلالة واضحة على

(١) قيل: سمي النحل نحلاً: لأن الله تعالى نحلته العسل الذي خرج منه.

(٢) بيوت النحل في ثلاثة، في الجبال وكواها، ومتجوف الأشجار، وما يعرش لها من الأجباح والخلايا والحيطان، وعرش يعرش: إذا بنى عريشاً من الأغصان والخشب، ومن عجيب ما ألهم الله النحل أنه يجعل بيوته مسدسة الشكل.

(٣) اللفظ صالح لأن يكون لفظ ذلاً المراد به النحلة نفسها وذلك جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة، وصالح أن يكون المراد به الطرق التي تسلكها النحلة كما في التفسير.

(٤) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة.

(٥) بحسب تنوع الغذاء كما أن الطعم يختلف باختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها جرست نحلة العرط حين شبهت رائحته برائحة المغافير والعرط شجر الطلع له صمغ كربه الرائحة.

علم الله وقدرته ورحمته وحكمته المقتضية عبادته وحده وتأليه دون سواه ولكن لقوم يتفكرون في الأشياء وتكوينها وأسبابها ونتائجها فيهدون إلى المطلوب منهم وهو أن يذكروا فيتعظوا فيتوبوا إلى خالقهم ويسلموا له بعبادته وحده دون سواه وقوله تعالى في الآية الأخرى (٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ هذه آية أخرى أجل وأعظم في الدلالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة لعبادته وحده وملزمة بالإيمان بالبعث الآخر فخلق الله تعالى لنا وحده وهو واحد ونحن لا نحصى لنا عد، ثم إماتته لنا موتاً حقيقياً بقبض أرواحنا ولا يستطيع أحد أن لا يموت ولا يتوفى أبداً ثم من مظاهر الحكمة أن يتوفانا من أجالٍ مختلفة اقتضتها الحكمة لبقاء النوع واستمرار الحياة إلى نهايتها. فمن الناس من يموت طفلاً ومنهم من يموت شاباً، وكلها حسب حكمة الابتلاء والتربية الإلهية، وآية أخرى ان منا من يرد إلى أرذل عمره، أي أردأه وأخسّه فيهم ويخرف فيفقد ما كان له من قوة بدنٍ وعقل ولا يستطيع أحد أن يخلصه من ذلك إلا الله، مظهر قدرة ورحمة رأيتم لو شاء الله أن يرد الناس كلهم إلى أرذل العمر ولو في قرنٍ أو قرنين من السنين فكيف تصبح حياة الناس يومئذٍ؟ وقوله: ﴿إن الله عليمٌ قديرٌ﴾ تقرير لعلمه وقدرته، إذ ما نتج وما كان ما ذكره من خلقنا ووفاتنا ورد بعضنا إلى أرذل العمر إلا بقدرة قادر وعلم عالم وهو الله العليم القدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان منة الله تعالى على العباد بذكر بعض أرزاقهم لهم ليشكروا الله على نعمه.
- ٢- بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.
- ٣- فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكير.
- ٤- تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر الدال عليه القدرة والعلم الإلهيين، إذ من خلق وأمات لا يُستنكر منه أن يخلق مرة أخرى ولا يميت.

وَاللَّهُ

فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي

رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَهَمَّ فِيهِ سَوَاءٌ أَفِينِعْمَةٌ
 اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ
 الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّهُ أَمْثَالُ
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

فضل بعضكم على بعض في الرزق : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك
 ومنكم المملوك.

برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين
 ممالئكم من العبيد.

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف
 الرجال.

وحفدة : أي خدماً من زوجه وولد وولد ولد وخادم وختن .

أفبالباطل يؤمنون : أي بعبادة الأصنام يؤمنون .

رزقاً من السموات والأرض : أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض .

معنى الآيات :

ما زال السياق العظيم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد . فقله تعالى : ﴿والله فضل

(١) بعضكم على بعض في الرزق ﴿ فمنكم من أغناه ومنكم من أفقره أيها الناس، وقد يكون لأحدكم أيها الأغنياء عبيد مملوكين له، لم لا يرضى أن يشرك عبيده في أمواله حتى يكونوا فيها سواء لا فضل لأحدهما على الآخر؟ والجواب أنكم تقولون في استنكار عجيب كيف أسوي مملوكي في رزقي فأصبح وإياه سواء؟ هذا لا يعقل أبداً! إذا كيف جوزتم إشراك آلهتكم في عبادة ربكم وهي مملوكة له تعالى إذ هو خالقها وخالقكم ومالك جميعكم؟ فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون؟ وقوله تعالى ﴿ أفبئعنا الله بجهنم ﴾؟ حقاً إنهم جحدوا نعمة العقل أولاً فلم يعترفوا بها فلذا لم يفكروا بعقولهم، ثم جحدوا نعمة الله عليهم في خلقهم ورزقهم فلم يعبدوه بذكره وشكره وعبدوا غيره من أصنام وأوثان لا تملك ولا تضر ولا تنفع. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧١) أما الآية الثانية فيقول تعالى فيها مقررًا إنعامه تعالى على المشركين بعد توبيخهم على إهمال عقولهم في الآية الأولى وكفرهم بنعم ربهم فيقول: ﴿ والله ﴾ أي وحده ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ أي جعل لكم من أنفسكم أزواجاً أي بشريّات من جنسكم تسكنون إليهنّ وتتفاهمون معهن وتتعاونون بحكم الجنسية الأدمية وهي نعمة عظيمة، وجعل لكم من أولئك الأزواج بنين بطريق التناسل والولادة وحفدة أيضاً والمراد من الحفدة كل من يحفد أي يسرع في خدمتك وقضاء حاجتك من زوجتك وولدك وولد ولدك وختك أي صهرك، وخادمك إذ الكل يحفدون لك أي يسارعون في خدمتك بتسخير الله تعالى لك، وثالثاً ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أي حلال الطعام والشراب على اختلافه وتنوع مذاقه وطعمه ولذته. هذا هو الله الذي تدعون إلى عبادته وحده فتكفرون فأصبحتم بذلك تؤمنون بالباطل وهي الأصنام

(١) هذا استدلال على قدرة الله وتديبه وقهره لعباده إذ فضل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلاً عجيماً هذا غني، وهذا فقير، هذا موسر، وهذا معسر فقد يفتقر الذكي القوي ويستغني البليد الضعيف كما قيل:

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

والآية متضمنة مثلاً ضربه لعبادة الأصنام، ونظير هذه المثل في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم... ﴾ الخ.

(٢) يريد أن أغنياءهم لا يشاطرون عبيدهم رزقهم فيستووا فيه فكيف يرضون لله مالا يرضونه لأنفسهم كما في قوله: ﴿ ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون ﴾ أي: البنون.

(٣) أي: من نوعكم، ومنّ للابتداء ومنّ في قوله تعالى: ﴿ جعل لكم من أزواجكم ﴾ للتبويض.

(٤) الأزواج: جمع زوج وهو ما يؤكّن مع آخر اثنين.

وعبادتها، وتكفرون بالمنعم ونعمه ولذا استحقوا التوبيخ والتقريع فقال تعالى : ﴿أفبالباطل^(١) يؤمنون وينعمة الله هم يكفرون﴾؟ إذ عدم عبادتهم للمنعم عز وجل هو عين كفرانهم بنعمة الله تعالى . وقوله ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي أصناماً لا تملك لهم ﴿رزقاً من السماء﴾ بإنزال المطر، ﴿والأرض﴾ بإنبات الزروع والثمار شيئاً ولو قلَّ ولا يستطيعون شيئاً من ذلك لعجزهم القائم بهم لأنهم تماثيل منحوتة من حجر أو خشب وفي هذا من التنبيه لهم على خطأهم مالا يقادر قدره . وقوله تعالى : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتخاذ الأصنام آلهة بإطلاق لفظ إله عليها، والله لا مثل له ، وباعتقاد أنها شافعة لهم عند الله وأنها تقربهم إليه تعالى ، وأنها واسطة بمثابة الوزير للأمير إلى غير ذلك، فنهاهم عن ضرب هذه الأمثال لله تعالى لأنه عز وجل يعلم أنه لا مثل له ولا مثال، بل هو الله الذي لا إله إلا هو تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، وهم لا يعلمون فلذا هم متحIRON متخبطون في ظلمات الشرك وأودية الضلال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قطع دابر الشرك في المثل الذي حوته الآية الأولى : ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ .
- ٢- وجوب شكر الله تعالى على نعمه وذلك بذكره وشكره وإخلاص ذلك له .
- ٣- قبح كفر النعم وتجاهل المنعم بترك شكره عليها .
- ٤- التنديد بمن يضربون لله الأمثال وهم لا يعلمون باتخاذ وسائط له تشبيهاً لله تعالى بعباده فهم يتوسطون بالأولياء والأنبياء بدعائهم والاستغاثة بهم بوصفهم مقرين إلى الله تعالى يستجيب لهم ، ولا يستجيب لغيرهم .

(١) الباطل : ضد الحق لأن ما لا يخلق لا يعبد، فإن عبد فقد عبد بالباطل ، والجملة تحمل توبيخاً كبيراً للمشركين .
 (٢) الأمثال : جمع مثل يفتحتين بمعنى المماثل كشيء بمعنى مشابه ، ومعنى ضربهم الأمثال لله تعالى : هو أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبهوها بالخالق عز وجل حيث عبدوها بالنذر لها وبالذبح والدعاء والإقسام بها والعكوف حولها .
 (٣) جملة : ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تعليلية لنهاهم عن ضرب الأمثال لله تعالى . فنهيه تعالى لهم عن ضرب الأمثال لعلمه عز وجل أنه لا مثل له ، وأن ما يضربونه له باطل ، وهو تعالى منزّه عنه .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
 مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا حَسَنًا
 فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
 أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
 مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
 يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
 أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ
 أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
 لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

- ضرب الله مثلاً : أي هو عبداً مملوكاً الخ ..
 عبداً مملوكاً : أي ليس بحُرِّ بل هو عبد مملوك لغيره .
 هل يستوون : أي العبيد العجزة والحُر المتصرف ، والجواب : لا يستوون قطعاً .
 وضرب الله مثلاً : أي هو رجلين الخ ..
 أبكم : أي ولد أخرس وأصم لا يسمع .
 لا يقدر على شيء : أي لا يفهم ولا يفهم غيره .
 ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب فيهما .
 وما أمر الساعة : أي أمر قيامها ، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من
 مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها .

الأفئدة : أي القلوب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك والتنفير منه وقد تقدم أن الله تعالى جهل المشركين في ضرب الأمثال له وهو لا مثل له ولا نظير، وفي هذا السياق ضرب تعالى مثلين وهو العليم الخبير . فالأول قال فيه : ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ أي غير حر من أحرار الناس، ﴿لا يقدر على شيء﴾ إذ هو مملوك لاحق له في التصرف في مال سيده إلا بإذنه، فلذا فهو لا يقدر على إعطاء أو منع شيء، هذا طرف المثل، والثاني ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ صالحاً واسعاً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ليلاً ونهاراً لأنه حر التصرف بوصفه مالكاً ﴿هل يستوون﴾؟^(١) الجواب لا يستويان . . إذا ﴿الحمد لله بل أكثرهم﴾ لا يعلمون ﴿والمثل مضروب للمؤمن والكافر، فالكافر أسير للأصنام عبدٌ لها لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، لا يعمل في سبيل الله ولا ينفق لأنه لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء فيها، وأما المؤمن فهو حرٌ يعمل بطاعة الله فينفق في سبيل الله سراً وجهراً يتبغى الآخرة والثبوة من الله، ذا علم وإرادة، لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا هو سبحانه وتعالى . وقوله : ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ هو المثل الثاني في هذا السياق وقد حوته الآية الثانية (٧٦) فقال تعالى فيه ﴿وضرب الله مثلاً﴾ هو ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولفظ الأبكم قد يدل على الصمم فالغالب أن الأبكم لا يسمع ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا يفهم غيره لأنه أصم ولا يفهم غيره لأنه أبكم، ﴿وهو كلُّ على مولاه﴾ أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء . وقوله : ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ أي أينما يوجهه مولاه وابن عمه ليأتي بشيء

(١) هذه الآية منزع الفقهاء في ملكية العبد وعدمها ، فذهب مالك إلى أن العبد يملك بإذن سيده، وهو ناقص الملك، وقال أبو حنيفة والشافعي في الجديد: العبد لا يملك شيئاً، وقالوا: الرّق ينافي الملك، وقول الرسول ﷺ: (من أعتق عبداً وله مال) شاهد لمن قال يملك ملكاً ناقصاً .

(٢) لم يقل يستويان لأن من صالحته للواحد والجماعة .

(٣) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم لأن الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق فلذا الحمد له وحده .

(٤) هذا مثل آخر ضربه تعالى لنفسه وللمؤمن . قاله قتادة وغيره .

(٥) أي : ثقل على وليه وقربائه ووبال على صاحبه وابن عمه .

لا يأتي بخير، وقد يأتي بشر، أم النفع والخير فلا يحصل منه شيء.

وهذا مثل الأصنام التي تعبد من دون الله إذ هي لا تسمع ولا تبصر فلا تفهم ما يقال لها، ولا تفهم عابديها شيئاً وهي محتاجة إليهم في صنْعها ووضعها وحملها وحمايتها. وقوله تعالى ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الله تعالى يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، وهو قائم على كل شيء، وهو على صراطٍ مستقيم يدعو الناس إلى سلوكه لينجوا ويسعدوا في الدارين، فالجواب، لا يستويان بحال، فكيف يرضى المشركون بعبادة وولاية الأَبكم الذي لا يقدر على شيء ويتركون عبادة السميع البصير، القوي، القدير، الذي يدعوهم إلى كمالهم وسعادتهم في كلتا حياتهم، أمر يحمل على العجب، ولكن لا عجب مع أقدار الله وتدبير الحكيم العليم.

وقوله تعالى في الآية (٧٧) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾^(١) وحده يعلم ما غاب عنا فيهما فهو يعلم من كتبت له السعادة ومن حُكم عليه بالشقاوة، ومن يهتدي ومن لا يهتدي، والجزاء آتٍ بإتيان الساعة ﴿وما أمر الساعة﴾^(٢) أي إتيانها ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾^(٣) إذ لا يتوقف أمرها الا على كلمة ﴿كن﴾ فقط فتنتهي هذه الحياة بكل ما فيها، وتأتي الحياة الأخرى وقد تبدلت صور الأشياء كلها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك قيام القيامة، ومجيء الساعة. وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ حقيقة لا تُنكر، الله الذي أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، فأخرجنا، وخرجنا لا نعلم شيئاً قط، هذه آية القدرة الإلهية والعلم الإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك، والجواب لا، لا، وثانياً جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لو لا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يوماً، إذ العدم خيرٌ منها. وقوله:

١ ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾: اللام لام الملك، والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: الأشياء الغائبة، والغيب ما غاب عن أعين الناس.

٢ الساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة.

٣ اللّمْح: النظر بسرعة يقال لمحّه لمحاً ولمحاناً.

٤ ليس (أو) للشك وإنما هي بمعنى بل الانتقالية من شيء إلى آخر كقوله ﴿فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

٥ البطون: جمع بطن وهو ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء والمعدة والكبد والرحم.

٦ الشكر: الاعتراف بالنعمة لله وحمده عليها وصرفها فيما يرضيه تعالى.

﴿لعلكم تشكرون﴾ كشف كامل عن سر هذه النعمة وهي أنه جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير. . إنه إعداد للسعادة في الدارين. فهل من متذكرا عباد الله؟!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.
- ٢- بيان مثل المؤمن في كماله والكافر في نقصانه.
- ٣- بيان مثل الأصنام في جمودها وتعب عبدتها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله، ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم وسمعه لدعائهم ونصرتهم في حياتهم وإكرامهم والإنعام عليهم في كلتا حياتهم. ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

الْمَيْرَ وَالْإِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
 مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ
 الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
 وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمْتَعًا إِلَىٰ حِينٍ
 ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
 مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
 الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
 عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فإِنَّمَا عَلَيْكَ

الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَمْرِينَ كِرُونَهَا وَأَكْثَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

مسخراتٍ في جو السماء : أي مذلات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء .

ما يمسكهن : أي عند قبض أجنحتها وبسطها إلا الله تعالى بقدرته وسنته في خلقه .

من بيوتكم سكناً : أي مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة .

من جلود الأنعام بيوتاً : أي خياماً وقباباً .

يوم ظعنكم : أي ارتحالكم في أسفاركم .

أثاثاً ومتاعاً إلي حين : كبسط وأكسية تبلى وتمزق وتُرمى .

ظلالاً ومن الجبال أكتافاً : أي ما تستظلون به من حر الشمس ، وما تسكنون به في غيران الجبال .

وسراييل : أي قمصاناً تقيكم الحر والبرد .

وسراييل تقيكم بأسكم : أي دروعاً تقيكم الضرب والطعان في الحرب .

لعلكم تسلمون : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبده وحده .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك وتركه فيقول تعالى : ﴿الْم يَرَوِ إِلَى الطير مسخراتٍ في جو السماء ما يمسكهن^(١) إلا الله﴾ فإن في خلق الطير على اختلاف أنواعه وكثرة أفراده، وفي طيرانه في جو السماء^(٢)، أي في الهواء وكيف يقبض جناحيه وكيف يبسطها ولا يقع على الأرض فمن يمسكه غير الله بما شاء من تديره في خلقه وأكوانه إن في ذلك المذكور آياتٍ عدة تدل على الخالق وقدرته وعلمه وتوجب معرفته

(١) قرىء بالياء : ﴿الْم تروا﴾ وقرىء بالياء وهي قراءة الأكثر .

(٢) مسخراتٍ : أي : مذلات لأمر الله تعالى ، ومذلات لمنافعكم أيضاً .

(٣) ما يمسكهن : أي : في حال القبض والبسط والاصطفاف إلا الله عز وجل .

(٤) جو السماء : هو الفضاء الذي بين السماء والأرض ، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متصلاً بالقبعة الزرقاء فيما يخال الناظر .

والتقرب إليه وطاعته بعبادته وحده، كما تدل على بطلان تأليه غيره وعبادة سواه، وكون الآيات لقوم يؤمنون هو باعتبار أنهم أحياء القلوب يدركون ويفهمون بخلاف الكافرين فإنهم أموات القلوب فلا إدراك ولا فهم لهم، فلم يكن لهم في ذلك آية. . . وقوله: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ أي موضع سكون وراحة، ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿بيوتاً﴾ أي خياماً وقباباً ﴿تستخفونها﴾ أي تجدونها خفيفة المحمل ﴿يوم ظعنكم﴾ أي ارتحالكم في أسفاركم وتنقلاتكم ﴿ويوم إقامتكم﴾ في مكان واحد كذلك. وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ أي جعل لكم منه ﴿أثناً﴾ كالبسط والفرش والأكسية (متاعاً) أي تتمتعون به إلى حين بلاها وتمزقها وقوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من أشياء كثيرة ﴿ظلالاً﴾ تستظلون بها من حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾^(١) تكونون فيها أنفسكم من المطر والبرد أو الحروهي غيران وشروب في الجبال ﴿وجعل لكم سراويل﴾ قمصان ﴿تقيكم الحر﴾ والبرد ﴿وسراويل﴾ هي الدروع ﴿تقيكم بأسكم﴾ في الحرب تتقون بها ضرب السيوف وطعن الرماح. أليس الذي جعل لكم هذه كلها أحق بعبادتكم وطاعتكم، وهكذا ﴿يتم نعمته عليكم﴾ فبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه لِيُعِدَّكُمْ لِلْإِسْلَامِ فَتَسْلَمُوا. وهنا وبعد هذا البيان الواضح والتذكير البليغ يقول لرسوله ﴿فإن تولوا﴾ أي عرضوا عما ذكرتهم به فلا تحزن ولا تأسف إذ ليس عليك هداهم ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وقد بلغت وبينت. فلا عليك بعد شيء من التبعة والمسؤولية. وقوله: ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أي نعمة الله عليهم كما ذكرناهم بها ﴿ثم ينكرونها﴾ فيعبدون غير المُنعم بها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي الجاحدون المكذبون بنبيوتك ورسالتك والإسلام الذي جئت به.

(١) ﴿جعل﴾: بمعنى أوجد وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق عز وجل على العباد، والسكن: مصدر والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن ويتحرك ولو شاء لجعله متحركاً دائماً كالأفلاك في السماء أو جعله كالأرض ساكناً أبداً.
 (٢) بعد أن ذكر تعالى السكن في الدور ذكر السكن في البيوت المتنقلة وهي الخيام والقباب.
 (٣) في الآية دليل على حلية جلود الميتة ولكن بعد دبعها لحديث: (أيما إهاب دبغ فقد طهر).
 (٤) الأكنان: جمع كن وهو: ما يكن عن الحر والريح والبرد وهو الغار في الجبل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- لا يتتفع بالآيات إلا المؤمنون لحياة قلوبهم ، أما الكافرون فهم في ظلمة الكفر لا يرون شيئاً من الآيات ولا يبصرون .
- ٢- مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه تتجلى في هذه الآيات الأربع ومن العجب أن المشركين كالكافرين عمي لا يبصرون شيئاً منها وأكثرهم الكافرون .
- ٣- مهمة الرسول ﷺ ليست هداية القلوب وانما هي بيان الطريق بالبلاغ المبين .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ

يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَ هُمْ

قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ

إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ

أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيْنَا

هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

ويوم نبعث : أي اذكر يوم نبعث .
 شهيداً : هو نبيها .
 لا يؤذن للذين كفروا : أي بالاعتذار فيتعذرون .
 ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى اعتقاد
 وقول وعمل ما يرضي الله عنهم .
 وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام
 والشياطين .

فألقوا إليهم القول : أي ردوا عليهم قائلين لهم إنكم لكاذبون .
 وألقوا إلى الله يومئذ السلم : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا .
 وضل عنهم ما كانوا يفترون : من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من
 عذابه ، ومعنى ضل غاب .
 عذاباً فوق العذاب : أنه عقارب وحيات كالنخل الطوال والبغال الموكفة .
 ونزلنا عليك الكتاب : أي القرآن .
 تبياناً لكل شيء : أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال
 والحرام والحق والباطل والثواب والعقاب .

معنى الآيات :

انحصر السياق الكريم في هذه الآيات الست في تقرير البعث والجزاء مع النبوة فقوله
 تعالى : ﴿يوم نبعث﴾^(١) أي اذكر يا رسولنا محمد يوم نبعث ﴿من كل أمة﴾ من الأمم
 ﴿شهيداً﴾ هو نبيها الذي نبيء فيها وأرسل إليها ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ أي بالاعتذار
 فيتعذرون ﴿ولا هم يستعتبون﴾^(٢) أي لا يطلب منهم العتبي^(٣) أي الرجوع إلى اعتقاد وقول
 وعمل يرضي الله عنهم أي اذكر هذا القومك ، علمهم يذكرون فيتعظون ، فيتوبون ، فينجون

(١) نظير هذه الآية آية النساء : ﴿كيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد . . . الآية .

(٢) أي : لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يمكنون من الرجوع إلى الدنيا فيتوبون .

(٣) العتبي : الرضا ، والفعل : عتب يعتب عليه إذا وجد عليه في نفسه وأعبه : إذا أزال المؤجدة ورجع إلى مسرته وفي
 الحديث : (لك العتبي حتى ترضى) والعتبي : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب وهو المراد في الحديث .

ويسعدون . وقوله في الآية الثانية (٨٥) ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ أي يوم القيامة ^(١) ﴿فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي يمهلون . اذكر هذا أيضاً تذكيراً وتعليماً، واذكر لهم ﴿إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ في عرصات القيامة أو في جهنم صاحوا قائلين ﴿رَبَّنَا﴾ أي يا ربنا ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾ أي نعبدهم بدعائهم والإستغاثة بهم، ﴿فَالْقُوا إِلَهُمَ الْقَوْلَ﴾ فوراً ﴿إِنكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ . ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ﴾ أي الإستسلام فذلوا لحكمه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من ألوان الكذب والترهات كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنهم ينجون من النار بشفاعتهم، وأنهم وسيلتهم إلى الله كل ذلك ضل أي غاب عنهم ولم يعثروا منه على شيء . وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ غيرهم بالدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه أحياناً بالترهيب والترغيب ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استوجبوه بكفرهم . ورد أن هذه الزيادة من العذاب أنها عقارب كالبغال الدهم، وأنها حيات كالنخل الطوال والعياذ بالله تعالى من النار وما فيها من أنواع العذاب، وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبِئْتُ أَيُّكُمْ﴾ اذكر يا رسولنا يوم نبئت ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ أي يوم القيامة ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي على من أرسلت إليهم من أمتك . فكيف يكون الموقف إذ تشهد على أهل الإيمان بالإيمان وعلى أهل الكفر بالكفر . وعلى أهل التوحيد بالتوحيد، وعلى أهل الشرك بالشرك إنه لموقف صعب تعظم فيه الحسرة وتشتد الندامة . . وقوله تعالى في خطاب رسوله مقررأ نبوته والوحي إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الأمة في حاجة إلى معرفته من الحلال والحرام والأحكام والأدلة ﴿وَهُدًى﴾ من كل ضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ خاصة بالذين يعملون به ويطبقونه على أنفسهم وحياتهم فيكون

(١) أي : عذاب جهنم بالدخول فيها .

(٢) أي : أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، وذلك لأن الله تعالى يبعث مبعوديهم فيتعينونهم حتى يوردوهم النار، روى مسلم : (من كان يعبد شيئاً فليتعبه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت . .) الحديث، وفي الترمذي : (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التماثيل تماثيله ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون) .

(٣) الشهداء : هم الأنبياء والعلماء، فالنبي يشهد على أمته والعالم يشهد على من أمره ونهاه ودل هذا على أنه لم تخل فترة من وجود داع إلى الله تقوم به الحجة لله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل (يبعث أمة وحده) . ومثل زيد قس وورقة وسطيح .

(٤) التبيان : مصدر دال على المبالغة في المصدرية وأريد به هنا اسم الفاعل أي : المبين لكل شيء .

(١) رحمة عامة بينهم ﴿وبشرى للمسلمين﴾ أي المنقادين لله في أمره ونهيه بشرى لهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل يوم القيامة، وبالنصر والفوز والكرامة في هذه الدار. وبعد إنزالنا عليك هذا الكتاب فلم يبق من عذر لمن يريد أن يعتذر يوم القيامة ولذا ستكون شهادتك على امتك أعظم شهادة وأكثرها أثراً على نجاة الناجين وهلاك الهالكين ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث الآخر بما لا مزيد عليه لكثرة ألوان العرض لما يجري في ذلك اليوم.
- ٢- براءة الشياطين والأصنام الذين أشركهم الناس في عبادة الله من المشركين بهم والتبرؤ منهم وتكذيبهم.
- ٣- زيادة العذاب لمن دعا الى الشرك والكفر وحمل الناس على ذلك.
- ٤- لا عذر لأحد بعد أن أنزل الله تعالى القرآن تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

(١) حُصَّ المسلمون دون غيرهم لأنَّ غيرهم أعرضوا عنه فحرموا الهدى والرحمة والبشرى في الدارين.

بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
 اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

العدل :	الإنصاف ومنه التوحيد .
الإحسان :	أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى .
وايتاء ذي القربى :	أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر .
عن الفحشاء :	الزنا .
يعظكم :	أي يأمركم وينهاكم
تذكرون :	أي تتعظون
توكيدها :	أي تغليظها
نقضت غزلها :	أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته .
من بعد قوة :	أي أحكام له وبرم .
أنكاثاً :	جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام .
كالتى نقضت غزلها :	هي حمقاء مكة وتدعى ربطة بنت سعد بن تيم قرشية .
دخلاً بينكم :	الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة .
أربى من أمة :	أي أكثر منها عدداً وقوة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إِن اللّٰهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبياناً لكل شيء ، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم

(١) ورد في فضل هذه الآية أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال : ما أسلمت ابتداءً إلا حياةً من رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال : يا ابن أخي أعد فأعدت فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر .

وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء. ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله، ﴿والإحسان﴾^(١) وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة والإجتنب خوفاً من الله حياء منه، وقوله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي ذوي القرباب حقوقهم من البر والصلة. هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه، ومما ينهى عنه الفحشاء وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ﴿والمنكر﴾ وهو كل ما أنكر الشرع وانكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة، وينهى عن البغي وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها، وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا فتمثلوا الأمر وتجتنبوا النهي. وبذلك تكملون وتسعدون. ولذا ورد أن هذه الآية: ﴿أن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾^(٢) إلى ﴿تذكرون﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر. وهي كذلك فما من خيرٍ إلا وأمرت به ولا من شرٍ إلا ونهت عنه. وقوله تعالى ﴿وأفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالوفاء بالعهود فعلى كل مؤمن بايع إماماً أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه. «إذ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» كما في الحديث الشريف. . . وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان جمع يمين وهو الحلف بالله وتوكيدها تغليظها بالألفاظ الزائدة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ أي وكيلاً، أي أثناء حلفكم به تعالى، فقد جعلتموه وكيلاً، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الإلتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية. وقوله

(١) الإحسان مصدر أحسن إحساناً وهو متعد بنفسه نحو: أحسنت كذا إذا اتقنته وحسنته وجودته، ومتعد بحرف الجر نحو: أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضره، وكلا المعنيين مراد في الآية وما في حديث جبريل يتناول الأول لأن من راقب الله تعالى اتقن عمله وحسنه.

(٢) ورد في البغي: لا ذنب أسرع عقوبة من البغي، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، والباغي مصروع وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر في قوله: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب ثم بغي عليه ليصرنه الله﴾.

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه الآية: أجمع آية في القرآن لخير يمثل ولشر يجتنب.

(٤) روي أن جماعة رفعت شكوى بعاملها إلى أبي جعفر المنصور فحاجها العامل فغلبها حيث لم يشتوا عليه كبير ظلم ولا جور في شيء، فقام فتى منهم وقال يا أمير المؤمنين: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإنه عدل ولم يحسن فعجب أبو جعفر المنصور من إصابته، وعزل العامل.

(٥) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم (لا حلف في الإسلام وأيما حلفاً كان في الجاهلية فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبين في شريعته.

(٦) أما إذا حلف العبد يميناً فرأى غيرها خيراً منها فإنه ينقض يمينه ويكفر كفارة يمين لقوله ﷺ: (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني).

تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها . وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضُوا غَزْلَهُمَا﴾ ، وهي امرأة بمكة حمقاء تغزل ثم تنكث غزلها^(٣) وتفسده بعد إبرامه وإحكامه فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء . وقوله تعالى : ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها ، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتنتفعون بها أكثر . هذا معنى قوله تعالى ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالاً ومنافع . وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها ، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتركوا ذلك طاعة لربكم أولاً تفعلوا إثارةً للدنيا عن الآخرة ، ﴿وَلِيَسِّنْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . . وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على التوحيد والهداية لفعل . . ولكن اقتضت حكمته العالية أن يهدي من يشاء هدايته لأنه رغب فيها وطلبها ، ويضل من يشاء إضلاله لأنه رغب في الضلال وطلبه وأصر عليه بعد النهي عنه . وقوله تعالى : ﴿لَتَسْأَلُنَّ﴾ أي سؤال توبيخ وتأنيب ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من سوء وباطل ، ولازم ذلك الجزاء العادل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها وهم لا يظلمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أجمع آية للخير والشر في القرآن وهي آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . .﴾ الآية (٩٠) .

٢- وجوب العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة .

(١) هذه الجملة ذكرت علةً لتحريم نقض العهد فهي تحمل وعيداً شديداً وتهديداً كبيراً لمن ينقض العهد .
 (٢) يقال لها ربطة بنت عمر وكانت تغزل طول النهار ، وفي المساء إذا غضبت لحمقها تحل ما أبرمته من غزلها ، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا كهذه الحمقاء فيحلون ما يبرمون من عقود وعهود .
 (٣) النكث والجمع أنكاث : وهو النقض والحل بعد الإبرام .
 (٤) اللام دالة على قسم محذوف نحو : ﴿والله لتسألن﴾ .

- ٣- تحريم الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة .
- ٤- تحريم البغي وهو الظلم بجميع صورته وأشكاله .
- ٥- وجوب الوفاء بالعهود وحرمة نقضها .
- ٦- حرمة نقض الأيمان بعد توكيدها وتوطين النفس عليها لتخرج لغو اليمين .
- ٧- من بايع أميراً أو عاهداً أحداً يجب عليه الوفاء ولا يجوز النقض والنكث لمنافع دنيوية أبداً .

وَلَا تَنْخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
 وَتَذُوقُوا السُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
 هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
 وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ
 أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

دخلاً بينكم : أي لأجل الإفساد والخديعة .

وتذوقوا السوء : أي العذاب .

ما عندكم ينفد : يفتنى ويستهوى .

وهو مؤمن : أي والحال أنه عندما عمل صالحاً كان مؤمناً، إذ بدون إيمان

لا عمل يقبل .

حياة طيبة : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال وفي الآخرة هي حياة الجنة .

بأحسن ما كانوا يعملون : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسناتها وأحسنها بحسب الأحسن فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تربية المؤمنين أهل القرآن الذي هو تبيان كل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . وقال تعالى لهم ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾ أي خديعة ﴿بينكم﴾ لتوصلوا بالإيمان إلى غرضٍ دنيوي سافل ، ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ بأن يقع أحدكم في كبيرة من هذا النوع ، يحلف بالله بقصد الخداع والتضليل فتذوقوا السوء في الدنيا بسبب صدكم عن سبيل الله من تعاهدونهم أو تبايعونهم وتعطونهم أيمانكم وعهودكم ثم تنقضوها فهؤلاء ينصرفون عن الإسلام ويعرضون عنه بسبب ما رأوا منكم من النقض والنكث ، وتحملون وزر ذلك ، ويكون لكم العذاب العظيم يوم القيامة . فإياكم والوقوع في مثل هذه الورطة ، فاحذروا أن تزل قدم أحدكم عن الإسلام بعد أن رسخت فيه . وقوله : ﴿ولا تشتتوا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ وكل ما في الدنيا قليل وقوله تعالى إنماعد الله هو خير لكم قطعاً ، لأن ما عندكم من مالٍ أو متاعٍ ينفد أي يفتنى ، ﴿وما عند الله باق﴾ لانفاذ له ، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني ، وقوله تعالى : ﴿ولنجزيَن الذين صبروا﴾ على عهودهم ﴿أجرهم﴾ على صبرهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي يضاعف لهم الأجر فيعطيه سائر أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب أفضلها وأكملها حتى يكون أجر النافلة ، كأجر الفريضة وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه وإسلامه ولا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل ، ووعدٌ ثانٍ في قوله : ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ إلا أن أصحاب هذا الوعد هم أهل الإيمان والعمل الصالح ، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح ، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي ، هؤلاء وعدهم ربهم بأنه يحييهم في الدنيا حياة طيبة لا خبث فيها قناعة وطيب طعام وشراب ورضاً ، هذا في

(١) هذه الجملة دلت على المبالغة في النهي اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ، إذ مَنْ وقع في ورطة يقال : زلت قدمه لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر .

(٢) نهى تعالى المؤمنين عن الرُّشَا وأخذ الأموال على نقض العهد أي : لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا . روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي اختصم مع ابن أسوع في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فلما سمع هذه الآية نكل وأقر لخصمه بالأرض .

(٣) اختلف في معنى الحياة الطيبة فقال بعضهم : هي الرزق الحلال ، وقيل : هي القناعة وقيل : التوفيق إلى الطاعة الموجبة لرضوان الله تعالى ، وقيل : هي حلاوة الطاعة ، وقيل هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله .

(٤) روى مسلم قول رسول الله ﷺ : (قد أفلح من أسلم وورث كفافاً وقنعه الله بما آتاه) .

الدنيا وفي الآخرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع، من الصلاة كأفضل صلاة وفي الصدقات بأفضل صدقة وهكذا. ﴿ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زميرهم وآتنا ما وعدتهم إنك برّرحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغش والخديعة والإفساد.
- ٢- ما عند الله خير مما يحصل عليه الإنسان بمعصيته الرحمن من حطام الدنيا.
- ٣- عظم أجر الصبر على طاعة الله تعالى فعلاً وتركاً.
- ٤- وعد الصدق لمن آمن وعمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ

عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا

سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ

﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

فإذا قرأت القرآن : أي أردت أن تقرأ القرآن .

فاستعد بالله من الشيطان : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لحمايتك من وسواسه .

إنه ليس له سلطان : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم، ما داموا

متوكلين على الله .

وإذا بدلنا آية مكان آية : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد .

قل نزله روح القدس : أي جبريل عليه السلام .

ليثبت الذين آمنوا : أي على إيمانهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في هداية المسلمين وتكميلهم ، فقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت

القرآن ﴾ يا محمد أنت أو أحد من المؤمنين أتباعك ﴿ فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ﴾

أي إذا كنت قارئاً عازماً على القراءة فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإن ذلك يقيك

من وسواسه الذي قد يفسد عليك تلاوتك ، وقوله انه ليس للشيطان سلطان يعني تسلط

وغلبة وقهر ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ وهذه بشرى خير للمؤمنين ﴿ إنما

سلطانه على الذين يتولونه ﴾ بطاعته والعمل بتزيينه للشر والباطل ، ﴿ والذين هم به

مشركون ﴾ . هؤلاء هم الذين يتسلط الشيطان عليهم فيغويهم ويضلهم حتى يهلكهم .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ أي نسخنا حكماً بحكم آخر بآية أخرى قال

المشركون المكذبون بالوحي الإلهي ﴿ إنما أنت ﴾ يا محمد ﴿ مفتر ﴾ تقول بالكذب والخرص ، أي

يقول اليوم شيئاً ويقول غداً خلافه . وقوله تعالى : ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ فإنه ينزل

لمصلحة عباده فينسخ ويثبت لأجل مصالح المؤمنين . وعلم الله تعالى رسوله كيف يرد

على هذه الشبهة وقال له ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ فلست أنت الذي تقول ما تشاء

وإنما هو وحي الله وكلامه ينزل به جبريل عليه السلام من عند ربك بالحق الثابت عند

الله الذي لا يتبدل ولا يتغير ، وذلك لفائدة تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وإسلامهم .

(١) هذه كآية الرضوء : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا . ﴾ أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير وضوء فاغسلوا

وجوهكم أي : توضؤوا .

(٢) لقد صحت الأحاديث الكثيرة في أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة روي أن بعض السلف كان يتعوذ بعد

القراءة أخذاً بهذه الآية .

(٣) فائدة الاستعاذة قبل القراءة أن يحفظ المرء من أن يلبس عليه إبليس قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر .

(٤) قيل في قوله تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطان ﴾ : أي أنه لا يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه .

(٥) الضمير في ﴿ به ﴾ عائد إلى الشيطان ويصح عوده على الله تعالى .

(٦) روح القدس : جبريل عليه السلام : ﴿ فقد نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه ما عدا الفاتحة فقد نزل بها ملك لم ينزل

إلى الأرض قط ﴾ رواه مسلم .

فكلما نزل قرآن ازداد المؤمنون إيماناً فهو كالغيث ينزل على الأرض كلما نزل ازدادت حياتها نضرة وبهجة فكذلك نزول القرآن تحيا به قلوب المؤمنين، وهو أي القرآن هدى من كل ضلالة. وبشرى لكل المسلمين بفلاح الدنيا وفوز الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- ٢- بيان أنه لا تسلط للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم.
- ٣- بيان أن سلطان الشيطان على أوليائه العاملين بطاعته المشركين بربهم.
- ٤- بيان أن القرآن فيه الناسخ والمنسوخ.
- ٥- بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
 الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
 مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَيَّأْتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ
 اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بَيَّأْتِ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ
 ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
 وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
 فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أَوْلَاتِكَ
 الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
 وَأَوْلَاتِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جْرَمَ أَنَّهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

- بشر : يعنون قيناً (حداداً) نصرانياً في مكة .
 لسان الذي يلحدون إليه : أي يميلون إليه .
 وهذا لسان عربي : أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي .
 إلا من أكره : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به .
 ولكن من شرح بالكفر صدرا : أي فتح صدره الكفر وشرحه له فطابت نفسه له .
 وأولئك هم الغافلون : أي عما يراد بهم .
 لا جرم : أي حقاً .
 هم الخاسرون : أي لمصيرهم إلى النار خالدین فيها أبداً .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء فقال تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ أي يعلم محمداً بشر أي انسان من الناس، لأنه وحي يتلقاه من الله . قال تعالى في الرد على هذه الفرية وإبطالها ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه بأنه هو الذي يعلم محمد لسانه ﴿أعجمي﴾^(١) لأنه عبد رومي ، ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو فصاحة وبلاغة وبيان فكيف

(١) أي : لكون مصيرهم إلى النار وأبي خسران أعظم من خسران من دخل النار فخرس نفسه وأهله قال تعالى فيه : ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ .

(٢) اختلف في تعيين هذا الرجل فقيل : اسمه جبر ويكنى بأبي فكيهة، وقيل : اسمه عايش، وقيل : اسمه يعيش وكان رومياً وكان صيقلياً يشحذ السيوف ويحلها وكان يجلس إليه النبي ﷺ أحياناً فقالوا قولتهم هذه .

(٣) العجمة : الإخفاء وضد البيان ورجل أعجم وامرأة عجماء أي لا يفصح ولا يبين ومنه عجب الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة والأعجمي من لا يتكلم العربية .

يتفق هذا مع ما يقولون انهم يكذبون لا غير، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهي نورٌ وهدى وحججٌ قواطع، وبرهان ساطع ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ إلى معرفة الحق وسبيل الرشيد لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية وصدوا عن سبيل العرفان وقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي جزاء كفرهم بآيات الله. وقوله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي إنما يخلق الكذب ويكذب فعلاً الكافر بآيات الله لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنع شيء عن الكذب، أما المؤمن فإنه يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب فلذا هو لا يكذب أبداً، وبذا تعين أن النبي لم يفتر الكذب وإنما يفترى الكذب أولئك المكذبون بآيات الله وهم حقاً الكاذبون. وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلغظ بالكفر ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لا يخامرته شك ولا يجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة الكفر لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن له الرسول ﷺ بقولها بلسانه ولكن المستحق للوعيد الآتي ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي رضي بالكفر وطابت نفسه وهذا وأمثاله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي باءوا بغضب الله وسخطه ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعلل تعالى لهذا الجزاء العظيم بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ بكفرهم بالله وعدم إيمانهم به لما في ذلك من التحرر من العبادات، فلا طاعة ولا حلال ولا حرام. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يحرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفهمون. ﴿وَسَمِعَهُمْ﴾ فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاة إلى

(١) هذا جواب وصفهم النبي ﷺ بالكذب فأعلم تعالى أن الذي يفترى الكذب هو الكافر بآيات الله الكاذب الذي لا يعرف الصدق ابداً.

(٢) قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾: عائد إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾: نزلت في عمار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب أن يقول بعض ما طلبوه منه فرفع تعالى عنه الحرج وقال له الرسول ﷺ (أعظم يا عمار) وهو تحت العذاب وقال ﷺ: (رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) واستثنى أهل العلم من أكرهه على قتل مؤمن أنه لا يقتله، وليكن المقتول ولا يقتل فلا يفد نفسه بأخيه حتى مجرد الضرب لا يضربه.

(٣) أهل العلم على أن المكروه على الطلاق وعلى الحلف وعلى الحنث أنه لا شيء فيه.

الله تعالى ﴿وأبصارهم﴾ فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإيثار الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي ما خلقوا له، وعماد يراد لهم من نكال في الآخرة وعذاب أليم. وقوله تعالى ﴿لا جرم﴾ أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمة توجه إلى رسول الله ﷺ.
- ٢- المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.
- ٣- المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً.
- ٤- الرخصة في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.
- ٥- إيثار الدنيا على الآخرة طريق الكفر وسبيل الضلال والهلاك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ

لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ

(١) وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرهاً فلا يلزمه شيء لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره إبراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذب ثم أطلق الأسرى، وقبل عمر رضي الله عنه رأسه إكراماً له واعتزازاً بفضلته لأن ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تعقيباً رأسه فقبله.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
 مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

هاجروا : أي إلى المدينة.

من بعدما فتنوا : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين .

إن ربك من بعدها : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد .

لغفورٌ رحيم : أي غفورٌ لهم رحيم بهم .

يوم تأتي : أي اذكريا محمد يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها .

مثلاً قرية : هي مكة .

رزقها رغداً : أي واسعاً .

فكفرت بأنعم الله : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش .

فأذاقها الله لباس الجوع : أي بسبب قحطٍ أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين .

والخوف : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم .

معنى الآيات :

بعدما ذكر الله تعالى رخصة كلمة الكفر عند الإكراه وبشرط عدم انشراح الصدر بالكفر

ذكر مخبراً عن بعض المؤمنين، تخلفوا عن الهجرة بعد رسول الله ﷺ فلما أرادوا الهجرة

منعتهم قريش وعذبتهم حتى قالوا كلمة الكفر، ثم تمكنوا من الهجرة فهاجروا وجاهدوا

وصبروا فأخبر الله تعالى عنهم بأنه لهم مغفرته ورحمته، فلا يخافون ولا يحزنون فقال تعالى ﴿ثم إن ربك﴾ أيها الرسول ﴿للذين هاجروا من بعدما فتنوا﴾ أي عذبوا ﴿ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم﴾ أي غفورٌ لهم رحيمٌ بهم.

وقوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ أي اذكر ذلك واعظاً به المؤمنين أي تخاصم طالبة النجاة لنفسها ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي من خيرٍ أو شرٍ ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأن الله عدلٌ لا يجور في الحكم ولا يظلم. وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ أي هو قرية ﴿كانت آمنة﴾ من غارات الأعداء ﴿مطمئنة﴾ لا ينتابها فزعٌ ولا خوف، لما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ أي واسعاً ﴿من كل مكان﴾ حيث يأتيها من الشام واليمن في رحلتيهما في الصيف والشتاء ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ وهي تكذيبها برسول الله ﷺ وإنكارها للتوحيد، وإصرارها على الشرك وحراب الإسلام ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ فدعا عليهم الرسول اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف السبع الشداد، فأصابهم القحط سبع سنوات فجاجعوا حتى أكلوا الجيف والعهن، وأذاقها لباس الخوف إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها بل تغزوها في عقر دارها، وقوله تعالى ﴿بما كانوا يصنعون﴾ أي جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ هو محمد ﷺ ﴿فكذبوه﴾ أي جحدوا رسالته وانكروا نبوته وحاربوا دعوته ﴿فأخذهم العذاب﴾ عذاب الجوع والخوف والحال أنهم ﴿ظالمون﴾ أي مشركون وظالمون لأنفسهم حيث عرضوها

(١) لما كانت الهجرة لله ولرسوله ﷺ قرن الله تعالى اسمه مع اسم نبيه ﷺ فقال: ﴿ثم إن ربك﴾ أي بمغفرته ورحمته للذين هاجروا.

(٢) هاجروا أولاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية.

(٣) أي: من بعد الحال التي كانت أيام تعذيبهم وفتنتهم على يد المشركين.

(٤) جائز أن يكون الظرف متعلقاً بقوله: ﴿لغفور رحيم﴾ وجائز أن يكون معمولاً لفعل محذوف تقديره: اذكر ومعنى تجادل: تخاصم وتحتاج عن نفسها وفي الحديث: (أن كل نفس يوم القيامة تقول: نفسي نفسي) لشدة الهول.

(٥) هي مكة وكان النبي ﷺ قد دعا على أهلها فقال: (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.

(٦) من البرِّ والبحر، هذا كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾.

(٧) وقيل: إن القرية هذه هي المدينة قالت هذا حفصة وعائشة زوجتا الرسول ﷺ وذلك لما قتل عثمان واشتد البلاء بأهل المدينة وعموم الآية ظاهر، وكونها مكة أظهر.

بكفرهم إلى عذاب الجوع والخوف .
هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الهجرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا .
- ٢- وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثوابٍ وعقابٍ للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة .
- ٣- استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم .
- ٤- كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها .
- ٥- تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب .

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا
أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

فكلوا : أي أيها الناس .

حلالاً طيباً : أي غير حرام ولا مستقذر .

واشكروا نعمة الله عليكم : أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم
عما حرمه عليكم .

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا
مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم .

الميتة : أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية .

والدم : أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم .

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى .

غير باغٍ ولا عادٍ : أي غير باغٍ على أحد، ولا عادٍ أي متجاوز حد الضرورة .

ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب : أي لا تحللوا ولا تحرموا بألسنتكم كذباً على

الله فتقولوا هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالى .

وعلى الذين هادوا : أي اليهود .

حرمانا ما قصصنا عليك من قبل : أي في سورة الأنعام .

معنى الآيات :

امتن الله عز وجل على عباده، فأذن لهم أن يأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب
ويشكروه على ذلك بعبادته وحده وهذا شأن من يعبد الله تعالى وحده، فإنه يشكره على
ما أنعم به عليه، وقوله تعالى : ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير
الله به﴾ فلا تحرموا ما لم يحرم عليكم كالسائبة والبحيرة والوصيلة التي حرمها المشركون
افتراء على الله وكذباً. وقوله ﴿فمن اضطر﴾ منكم أي خاف على نفسه ضرر الهلاك
بالموت لشدة الجوع وكان ﴿غير باغٍ﴾ على أحد ولا معتدٍ ما أحل له إلى ما حرم عليه

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة : ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ لتمييز الطيب من الخبيث وذكر تعالى هنا أربع
محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلا أن هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخقة، والموقوفة،
والمرتدية، والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فالخمسة الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله .

فليأكل ما يدفع به غائلة الجوع ولا إثم عليه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فيغفر للمضطر كما يغفر للتائب ويرحم المضطر فيأذن له في الأكل دفعاً للضرر رحمة به كما يرحم من أناب إليه .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ﴾ أي ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلالٌ أو حرامٌ لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام كما يفعل المشركون فحللوا وحرموا بدون وحي إلهي ولا شرع سماوي . ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك إلى الافتراء على الله والكذب عليه . مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبداً لقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾^(١) وإن تمتعوا قليلاً في الدنيا بمالٍ أو ولدٍ أو عزةٍ وسلطانٍ فإن ذلك متاع قليل جداً ولا يعتبر صاحبه مفلحاً ولا فائزاً . فإن وراء ذلك العذاب الآخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع . وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا كَصَحَّفْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ يخاطب الله تعالى رسوله فيقول : كما حرمنا على هذه الأمة المسلمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، حرمنا على اليهود ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام . إذ قال تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورَهَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ . وحرم هذا الذي حرم عليهم بسبب ظلمٍ منهم فعاقبهم الله فحرم عليهم هذه الطيبات التي أحلها لعباده المؤمنين . ولذا قال تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- يجب مقابلة النعم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه .

(١) ﴿ الْكُذْبُ ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أي : مطلق الكذب .

(٢) جملة : ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ جملة بيانية في جواب قول من قال : كيف لا يفلحون وهم يمتعون بالطعام والشراب والنساء والأموال؟ فأجيب بأن هذا متاع قليل جداً بالنظر إلى ما في الآخرة .

(٣) تقديم الجار والمجرور : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا ﴾ للاهتمام وللإشارة إلى أن ذلك التحريم كان انتقاماً منهم ولم يكن شرعاً لإكمالهم وإسعادهم .

- ٢- بيان المحرمات من المطاعم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .
 ٣- بيان الرخصة في الأكل من المحرمات المذكورة لدفع غائلة الموت .
 ٤- حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه .
 ٥- حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزئي قليل لا قيمة له . . هذا إن أفلح .
 ٦- قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِلنَّعْمِ أَجْتَنِبُهَا وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿١٢١﴾ وَعَايَنَنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة : أي ثم إن ربك غفورٌ رحيمٌ للذين عملوا
 السوء بجهالة ثم تابوا .

من بعدها : أي من بعد الجهالة والتوبة .

إن إبراهيم كان أمة : أي إماماً جامعاً لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك .
 قانتاً لله حنيفاً : أي مطيعاً لله حنيفاً : مائلاً إلى الدين القيم الذي هو الإسلام .
 اجتباها : أي ربه اصطفاها للخلة بعد الرسالة والنبوة .
 وآتيناه في الدنيا حسنة : هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان السماوية .
 إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا
 إلا السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم
 فيه عقوبة لهم .

معنى الآيات :

بعدما نددت الآيات في سياق طويل بالشرك وإنكار البعث والنبوة من قبل المشركين
 الجاحدين المعاندين ، وقد أوشك سياق السورة على الانتهاء فتح الله تعالى باب التوبة
 لهم وقال : ﴿ ثم إن ربك ﴾ أي بالمغفرة والرحمة ﴿ للذين عملوا السوء بجهالة ﴾^(١) فأشركوا
 بالله غيره وأنكروا وحيه وكذبوا بقلائه ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك ﴾ فوحده تعالى بعبادته وأقروا
 بنبوة رسوله وآمنوا بقلائه واستعدوا له بالصالحات ﴿ وأصلحوا ﴾^(٢) ما كانوا قد أفسدوه من
 قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ من بعد هذه التوبة والأوبة الصحيحة ﴿ لغفور
 رحيم ﴾ بهم . فكانت بشرى لهم على لسان كتاب ربهم . وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان
 أمة قانتاً لله حنيفاً ، ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباها وهداه إلى صراط
 مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع
 ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾^(٣) إنه لما كان من شبه المشركين انهم على دين
 أبيهم إبراهيم باني البيت وشارع المناسك ومحرم الحرم ، واليهود والنصارى كذلك
 يدعون أنهم على ملة إبراهيم فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم وأنه على دينه
 ورفضوا الإسلام بدعوى ما هم عليه هو دين الله الذي جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه

(١) الجهالة : انتفاء العلم بما يجب أن يعلم ، والمراد بجهالتهم : جهالتهم بأدلة الشرع المحرمة للشرك والكفر والفساد ،
 والموجبة للتوحيد وطاعة الله ورسوله . والباء : في ﴿ بجهالة ﴾ : للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير عملوا .

(٢) وجائز أن يعود الضمير على الجهالة أيضاً كما جائز أن يعود على التوبة .

(٣) ﴿ إن إبراهيم ﴾ ؛ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً لغرض التنويه بدين الإسلام الذي هو دين إبراهيم من قبل .

(٤) الأمة : الجامع للخير ، والقانت : المطيع لله تعالى ، والحنيف : المائل إلى الحق المجانب للباطل .

(٥) في الآية الدليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ولا تبعة على الفاضل أي : لا غضاضة عليه ولا ساس بمقامه .

السلام، ومن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق لدعوة الحق والدين الحق ذكر تعالى جملةً من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك. فقال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي إماماً صالحاً جامعاً لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير. هذا أولاً وثانياً أنه كان قانتاً أي مطيعاً لربه فلا يعصي له أمراً ولا نهياً ثالثاً لم يك من المشركين بحالٍ من الأحوال بل هو برىء من الشرك وأهله، ورابعاً كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه أي صارفاً نعم الله عليه فيما يرضي الله، خامساً اجتباه ربه أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبق لغيره في قلبه مكان. فخاله الله أي بادله خلة بخلة فكان خليل الرحمن. سادساً وهداه إلى صراط مستقيم الذي هو الإسلام، سابعاً وآتاه في الدنيا حسنة وهي الثناء الحسن والذكر الجميل من جميع أهل الأديان الإلهية الأصل. ثامناً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين قال الله تعالى فيهم: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي منزلة من أشرف المنازل وأسمائها. تاسعاً مع جلالة قدر النبي محمد ﷺ ورفعة مكانته أمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

هذا هو إبراهيم فمن أحق بالنسبة إليه، المشركون؟ لا! اليهود؟ لا، النصراني؟ لا! المسلمون الموحدون؟ نعم نعم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زميرتهم وأكرمنا يوم تكريمهم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَا جَعَلُ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فيه دليل على بطلان دعوى اليهود أنهم على ملة إبراهيم ودينه العظيم، إذ تعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم،

(١) قال مالك: بلغني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يرحم الله معاذاً كان أمةً قانتاً فقيل له: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله عز وجل بهذا إبراهيم عليه السلام فقال عبد الله: (إن الأمة الذي يعلم الناس الخير وإن القانت: هو المطيع).
(٢) أي: لم يكن في شرع إبراهيم ولا من دينه، إذ كان دين إبراهيم سمحاً لا تغليظ فيه والسبت تغليظ على اليهود في ترك الأعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه أي: اختلفوا في يوم الجمعة بعدما أمروا بتعظيمه فأبى اليهود إلا السبت بدعوى أن الله فرغ من الخلق فيه. واختار النصراني الأحد: لأن الله ابتداء الخلق فيه، وهدى الله أمة الإسلام ليوم الجمعة الذي اختلفوا فيه ففي البخاري يقول ﷺ: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيتنا من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له «يوم الجمعة».

وإنما سببه أن الله تعالى أوحى إلى أحد أنبيائهم أن يأمر بني إسرائيل بتعظيم الجمعة فاختلفوا في ذلك وآثروا السبت عناداً ومكابرة فكتب الله تعظيمهم السبت . وقوله ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيه وعيد لهم وأنه سيجزيهم سوءاً على تمردهم على أنبيائهم واختلافهم عليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنبٍ عَظْمٍ أو صَغُرَ على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح الفاسد .
- ٢- تقرير التوحيد والإعلان عن شأن إبراهيم عليه السلام وبيان كمالاته وانعام الله عليه .
- ٣- بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وفضاله عليهم .

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

شرح الكلمات :

- إلى سبيل ربك : أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله .
- بالحكمة : أي بالقرآن والمقالة المحكمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق .
- والموعظة الحسنة : هي مواظب القرآن، والقول الرقيق الحسن .

وجادلهم بالتي هي أحسن : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها .
 لهو خيرٌ للصابرين : أي خيرٌ من الانتقام عاقبةً .
 ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون : أي لا تهتم بمكرهم ، ولا يضيق صدرك به .
 مع الذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي .
 والذين هم محسنون : أي في طاعة الله ، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا .

معنى الآيات :

يخاطب الرب تعالى رسوله تشریفاً وتكليفاً : ﴿ ادع الى سبيل ربك ﴾ (١) أي إلى دينه وهو الإسلام سائر الناس ، وليكن دعاؤك ﴿ بالحكمة ﴾ التي هي القرآن الكريم الحكيم ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ وهي مواظب القرآن وقصصه وأمثاله ، وترغيبه وترهيبه ، ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ أي خاصمهم بالمخاصمة التي هي أحسن وهي الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء ، فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعي إليه ، وقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ من الناس ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وسيجزئهم المهتدي بهداه ، والضال بضلاله ، كما هو أعلم بمن ضل واهتدى أزلاً . فهون على نفسك ولا تشطط في دعوتك فتضر بنفسك ، والأمر ليس إليك . بل لربك يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما عليك إلا الدعوة بالوصف الذي وصف لك ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وقوله تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ لا أكثر ، ﴿ ولئن صبرتم ﴾ وتركتم المعاقبة ﴿ لهو ﴾ أي صبركم ﴿ خير ﴾ لكم من المعاقبة على الذنب والجناية ، وقوله تعالى : ﴿ واصبر ﴾ على ترك ما عزمت عليه أيها الرسول من التمثيل بالمشركين جزاء تمثيلهم بعمك حمزه ، فأمره بالصبر ولازمه ترك المعاقبة والتمثيل معاً ، وقوله : ﴿ وما صبرك إلا بالله ﴾ أي إلا بتوفيقه وعونه ، فكن مع ربك

(١) قال القرطبي : هذه الآية نزلت بمكة في وقت مهادنة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وغضب ، وهكذا ينبغي أن يدعو المسلمون إلى يوم القيامة .

(٢) جمهور المفسرين على أن هذه الآية : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا . . . ﴾ الخ نزلت بالمدينة في شأن قتل حمزة والتمثيل به رضي الله عنه وأرضاه يوم أحد ذكر ذلك البخاري وغيره وفي الآية دليل على وجوب المماثلة في القصاص ويحرم عدمها . وفي الآية دليل لمن قال بجواز أخذ مال من أحد مال غيره إذا لم يتمكن منه بعلمه ورضاه على شرط أن لا يأخذ أكثر مما أخذ منه .

تستمد منه الصبر كما تستمد منه العون والنصر. وقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على عدم اهتدائهم إلى الحق والأخذ به والسير في طريقه الذي هو الإسلام ﴿ولا تك في ضيق﴾^(١) نفسي يؤلمك ﴿مما يمكرون﴾ بك فإن الله تعالى كافيك مكرهم وشهرهم إنه معك فلا تخف ولا تحزن لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت منهم. وقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين أنه عز وجل بنصره وتأييده ومعونته وتوفيقه مع الذين اتقوا الشرك والمعاصي فلم يتركوا فرائض دينه، ولم يغشوا محارمه والذين هم محسنون في طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحو ما شرع الله وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.
- ٢- بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خالياً من العنف والغلظة والشدّة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.
- ٣- جواز المعاقبة بالأخذ بقدر ما أخذ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.
- ٤- معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصرٍ وتأييدٍ وتسديدٍ.

(١) الضيق والضيق: بالكسر والفتح، والضيق في الآية: هو جمع ضيقة فهما سواء يقال: في صدره ضيق وضيق بالكسر والفتح، وقيل: الضيق بالفتح في الصدر، والضيق بالكسر في الدار والثوب ونحوهما.
(٢) قيل: لهم بن حبان عند موته: أوصنا فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك...﴾ إلى ﴿محسنون﴾.

الجزء الخامس عشر

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

مكية

وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سُبْحٰنَ الَّذِیْ اَسْرٰی بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِی بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِیْهُ مِنْ اٰیٰتِنَا اِنَّهُ
هُوَ السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ ﴿١﴾

شرح الكلمات :

سبحان : أي تنزهه وتقدس عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله .

بعبدته : أي بعبدته ورسوله محمد ﷺ .

من المسجد الحرام : أي الذي بمكة .

إلى المسجد الأقصى : أي الذي ببيت المقدس .

من آياتنا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهرها في الملكوت الأعلى .

معنى الآية الكريمة :

نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المحدثين، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني «ليلاً من المسجد الحرام» أي بالليل من المسجد الحرام بمكة إذ أخرج من بيت أم هانئ

(١) روي أنّ طلحة بن عبيد الله الفيّاض أحد العشر المبشرين بالجنة سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال: (تنزيه الله عن كل سوء) وأسرى: فيها لفتان: أسرى وسرى فصيحتان، وجمع اللغتين في بيت واحد هو:

حيّ النضيرة ربّه الخدر أسرت إليّ ولم تكن تسري

وقيل: أسرى من أول الليل، وسرى من آخره، والاسراء، والسرى: سير الليل.

(٢) قالت العلماء: لو كان هناك اسم للنبي ﷺ أشرف من اسم عبد لسمّاه به في هذه الحال العلية، وفي معناه قال الشاعر:

ياقوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا يباعدها فإنه أشرف أسمائي

وغسل قلبه بهاء زمزم وحشي إيماناً وحكمة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، وأخبر ﷺ أنه جمع الله تعالى له الأنبياء في المسجد الأقصى وصل بهم إماماً فكان بذلك إمام الأنبياء وخاتمهم ثم عرج به إلى السماء سماء بعد سماء يجد في كل سماء مقربها إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ثم عرج به إلى أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وقوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي حول المسجد الأقصى^(١) معنى حوله خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار أما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجراها إذ الصلاة فيه بخمسائة صلاة أجراً ومثوبة وقوله تعالى ﴿لنزيه من آياتنا﴾ تعليل للإسراء والمعراج وهو أنه تعالى أسرى بعبدته وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة. وقوله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يعني تعالى نفسه بأنه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فاقتضت حكمته هذا الإسراء العجب ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتاب المرتابون ويزدادون كفراً وعناداً

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ - تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ بالروح والجسد معاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وأوحى إليه تعالى ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ - شرف المساجد الثلاثة: الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى أما المسجدان الحرام والأقصى فقد ذكرا بالنص وأما مسجد الرسول ﷺ فقد ذكر بالإشارة والإيحاء إذ قول الأقصى يقتضي قصياً، فالقصي هو المسجد النبوي والأقصى هو مسجد بيت المقدس.

٣ - بيان الحكمة في الإسراء والمعراج وهي أن يرى الرسول ﷺ بعيني رأسه ما كان آمن به وعلمه من طريق الوحي فاصبح الغيب لدى رسول الله شهادة.

(١) المسجد الحرام: أول مسجد بني في الأرض، ويليه المسجد الأقصى والزمن بينهما أربعون سنة، والمسجد النبوي بني بعدهما بقرون طويلة، فهذه الثلاثة أشرف المساجد على الإطلاق وعليه فمن نذر صلاة فيها وجب عليه الوفاء بالصلاة فيها، ومن نذر الصلاة في مسجد غيرها جاز أن يصلي في أي مسجد آخر.

(٢) لا قيمة للقول بأن الإسراء كان بالروح فقط إذ لو كان بالروح لكان من المنام، ولما قال تعالى: ﴿أسرى بعده ليلاً﴾ ولما قالت أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك، ولا فضل أبو بكر بقلب الصديق ولا ما أمكن قريشا التشيع والتكذيب، ولما ارتد أفراد عن الإسلام بتشيع قريش، وأما إطلاق لفظ الرؤيا على المنام خاصة فليس بذلك إذ قد يطلق لفظ الرؤيا على الرؤية في اليقظة، وأعظم دليل في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ أي: رأي الرسول جبريل مرة أخرى في الجنة في السماء ليلة الإسراء والمعراج كما رآه أول مرة في جيباء بمكة.

(٣) حدثنا شيخنا الطيب العمري خريج المسجد النبوي الشريف: أنه ألقى كلمة في الروضة بالمسجد النبوي ففتح الله تعالى عليه فذكر أن المسجد النبوي أشير إليه في آية الإسراء فهو إذاً مذكور في القرآن بالإيماء كما ذكرت في التفسير.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفُفِدْنَ فِي الْأَرْضِ

مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلَوًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا

عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ

وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ

وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

- وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة .
 وجعلناه هدى : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً لبني إسرائيل .
 وكيلاً : أي حفيظاً أو شريكاً .
 من حملنا : أي في السفينة .
 وقضينا : أي أعلمناهم قضاء نافيهم .
 في الكتاب : أي التوراة .
 علواً كبيراً : أي بغياً عظيماً .
 أولاهما : أي أولى المرتين .
 فجاسوا خلال : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون .
 وعداً مفعولاً : أي منجزاً لم يتخلف .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه هو الذي أتى موسى الكتاب أي التوراة فهو تعالى المتفضل على محمد ﷺ وعلى أمته بالإسراء به والمعراج

وعلى موسى بإعطائه الكتاب ليكون هدى وبيانا لبني إسرائيل فهو متفضل أيضاً على بني إسرائيل فله الحمد وله المنة .

وقوله : ﴿ جعلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ هدى ﴾ أي بياناً لبني إسرائيل يهتدون إلى سُبُل الكمال والإسعاد وقوله : ﴿ ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ أي آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل من أجل ألا يتخذوا من غيري حفيظاً لهم يشركونه بي بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه ناسين لي وأنا ربهم وولي نعمتهم . وقوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أي يا ذرية من حملنا مع نوح اشكروني كما شكروني نوح على انجائي إياه في السفينة مع أصحابه فيها، إنه أي نوحاً ﴿ كان عبداً شكوراً ﴾^(١) فكونوا أنتم مثله فاشكروني بعبادتي و وحدوني ولا تتركوا طاعتي ولا تشركوا بي سِوَايَ

وقوله تعالى ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً ﴾ يخبر تعالى بأنه أعلم بني إسرائيل بقضائه فيهم وذلك في كتابهم التوراة أنهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب، ويعلمون في الأرض بالجرأة على الله وظلم الناس ﴿ علواً كبيراً ﴾ أي عظيماً . ولا بد أن ما قضاه واقع وقوله تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد أولهما ﴾ أي وقت المرة الأولى ﴿ بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأساً شديداً ﴾^(٢) أي قوة وبطش في الحرب شديد، وتم هذا لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم «أرميا» عليه السلام وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم مع جيوشه ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ ذاهبين جاثين قتلاً وفتكاً وإفساداً نعمة الله على بني إسرائيل لإفسادهم وبغيهم البغي العظيم .

وقوله تعالى : ﴿ وكان وعداً مفعولاً ﴾ أي ما حصل لهم في المرة الأولى من الخراب والدمار ومن

(١) قرىء ذرية بفتح الذا، وقرىء ذرية بكسر الذا، أيضاً فهي إذاً مثلثة واللفظ مشتق من الذرة، الذي هو الخلق، فيقال: ذراً يذراً ذراً: إذا خلق وفي الآية تذكير بني إسرائيل بواجب الشكر أي أشكروا كما شكر نوح، وفيها تعريض لهم بأنهم إذا لم يشكروا يؤخذوا كما أخذ قوم نوح.

(٢) أثنى تعالى على عبده نوح بكثرة الشكر لأن شكور: من صيغ المبالغة معناه كثير الشكر روي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أرواني ولو شاء لأظماني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني.

(٣) قال: ﴿ عبداً لنا ﴾ ولم يقل: عبادي لأنهم أهل كفر وشرك فسق فلم يشرفهم بالإضافة إليه ووصفهم بأنهم من ملكه فسخرهم لتأديب عباده الذين فسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته.

(٤) الجوس: وهو مصدر جاس يجوس جوساً معناه: التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها، والمراد به تتبع المقاتلة لقتالهم.

(٥) في هذه الآيات ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس، وطرده العمالقة منها، وإقامة دولة فيها لأول مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان وذلك سنة مائة وخمسة وثلاثين بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وقسمت الآيات هذا التاريخ قسمين معبرة عنه بالمرتين: الأولى بدءاً من دولة يوشع بن نون واستمرت إلى أن عاثوا في الأرض وفسدوا =

أسبابه كان بوعد من الله تعالى منجزاً فوفاه لهم ، لأنه قضاه وأعلمهم به في كتابهم . وقوله : ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أي بعد سنين طويلة وبنو اسرائيل مضطهدون مشردون نبتت منهم نابتة وطالبت بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد وكان ذلك كما تقدم في سورة البقرة جاهدوا وقتل داود جالوت وهذا معنى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ وقوله : ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي رجالاً في الحروب وكثرت أموالهم وأولادهم وتكونت لهم دولة سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام .

هداية الآيات :

- ١ - بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية .
- ٢ - بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها .
- ٣ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ كان نوح عليه السلام إذا أكل الأكلة قال الحمد لله ، وإذا شرب الشربة قال الحمد لله ، وإذا لبس حذاءه قال الحمد لله وإذا قضى حاجة قال الحمد لله فسمى عبداً شكوراً وكذا كان رسول الله والصالحون من أمته إلى اليوم .
- ٤ - ما قضاه الله تعالى كائن ، وما وعد به ناجز ، والإيمان بذلك واجب .
- ٥ - التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض ، وبيان سوء عاقبتها .

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ

حَصِيرًا ﴿٨﴾

فيها بالفسق والفجور فسلط عليه البابليين فأسقطوا دولتهم ، ومزقوا ملكهم واستمروا مشتتين إلى أن ملكوا طالوت وقتلوا معه على عهد نبي الله حزقييل فهزموا جالوت البابلي ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ إذ تكونت لهم دولة عظيمة على عهد كل من طالوت وداود وسليمان واستمرت حتى فسقوا وفجروا فاستحقوا العذاب فسلط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً فأحرق هيكل سليمان ، ودمر أورشليم فتركها خراباً ودماراً ، وهذه هي المرة الآخرة ثم أنجز لهم الله تعالى ما وعدهم بقوله : ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فاجتمعوا وصلحوا وعاد لهم ملكهم فترة من الزمن ، وعادوا إلى الفسق والعصيان فعاد الله تعالى عليهم فسلط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد فاحتلوا بلادهم وشردوهم في الأرض .

شرح الكلمات :

- إن أحستم : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها .
- أحستم لأنفسكم : أي أن الأجر والثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم .
- وإن أسأتم : أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة .
- وعد الآخرة : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى وقد تقدمت .
- ليسوءوا وجوهكم : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل .
- وليدخلوا المسجد : أي بيت المقدس .
- وليتبروا ما علو تنبيرا : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً
- وإن عدتم عدنا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم .
- حصيراً : أي محبساً وسجنأً وفراشاً يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن بني إسرائيل فبعد أن أخبرهم تعالى بما حكم به عليهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلمون علواً كبيراً . وأنه إذا جاء ميقات أولى المرتين بعث عليهم عباداً أشداء أقرباء وهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوهم ، أنه تعالى رد لهم الكرة عليهم فانتصروا عليهم وقتل داود جالوت وتكونت لهم دولة عظيمة كانت أكثر الدول رجالاً وأوسعها سلطاناً وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى بتطبيق كتابه والتزام شرائعه وهناك قال تعالى لهم : ﴿إن أحستم أنفسكم﴾ أي إن أحستم باتباع الحق والتزام الطاعة لله ورسوله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والأخذ بسنن الله تعالى في الإصلاح البشري وإن أسأتم بتعطيل الشريعة والانغماس في الملاذ والشهوات فإن نتائج ذلك عائدة على أنفسكم حسب سنة الله تعالى : ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي وقتها المعين لها ، وهي المرة الآخرة بعد الأولى بعث أيضاً عليهم عباداً له وهم يختصروا جنوده بعثهم عليهم ليسودوا وجوههم بما يصيبونهم به من الهم والحزن والمهانة والذل ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة ﴿وليتبروا﴾ أي يدمروا ما علواً أي ما غلبوا عليه من ديارهم ﴿تنبيراً﴾ أي تدميراً كاملاً وتحطياً تاماً وحصل لهم هذا لما قتلوا زكريا وبخى عليهما السلام وكثيراً من العلماء وبعد أن ظهر فيهم الفسق وفي نسايتهم التبرج والفجور واتخاذ الكعب العالي . كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾^(١) فهذا خيرٌ عظيم لهم لو طلبوه بصدق لفاضوا به ولكنهم أعرضوا عنه وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسوله. وقوله وإن عدتم عدنا أي وإن عدتم إلى الفسق والفجور عدنا بتسليط من نشاء من عبادنا فأنجزهم الله تعالى ما وعدهم فسلب عليهم رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين فاجلى بني قينقاع وبني النضير من المدينة وقتل بني قريضة كما سلب عليهم ملوك أروبا فطاردوهم وساموهم الخسف وأذاقوهم سوء العذاب في قرون طويلة وقوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾^(٢) أي إن كان عذاب الدنيا بالتسلط على الظالمين وسلبهم حريتهم وإذاقتهم عذاب القتل والأسر والتشريد فإن عذاب الآخرة هو الحبس والسجن في جهنم تكون حصيراً للكافرين لا يخرجون منها للكافرين أي الذين يكفرون شرائع الله ونعمه عليهم بتعطيل الأحكام وتضييع الفرائض وإهمال السنن والانغماس في الملاذ والشهوات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - صدق وعد الله تعالى .
- ٢ - تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه .
- ٣ - تقرير قاعدة ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ .
- ٤ - وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن .
- ٥ - قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرَ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دَعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(١) تقدم أن الله تعالى أنجز لهم وعده في قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وأنه رحمهم فصلحوا واستقاموا، وأعادوا بناء دولتهم وسعدوا فيها زمنًا ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد تعالى عليهم فسلب الرومان قتلهم وشرودهم وذلك سنة ١٣٥ بعد الميلاد، ومن يومئذ انتهى ملك اليهود، واستمرت أورشليم تحت يد الرومان إلى الفتح الإسلامي حيث فتحت على يد عمر رضي الله عنه سنة ١٦ صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذ (إلباء).

(٢) الحصار المكان الذي يحصر فيه فلا يستطيع الخروج منه ففعال (حصير) إما أن يكون بمعنى فاعل أي: حاصر أو بمعنى مفعول أي: محصور فيه، وفُسر في التفسير بالسجن وهو كذلك إذ السجن يحصر مَنْ فيه فلا يقدر على الخروج منه.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَمَلَهُ ظَهْرُ النَّهَارِ فَحَمَلْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

التي هي أقوم : أي للطريقة التي هي أعدل وأصوب .
أن لهم أجراً كبيراً : إنه الجنة دار السلام .
اعتدنا لهم عذاباً أليماً : انه عذاب النار يوم القيامة .
ويدع الانسان بالشر : أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب .
وكان الانسان عجولاً : أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل .
آيتين : أي علامتين دالتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته .

فمحونا آية الليل : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس .
مبصرة : أي يبصر الانسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها .
عدد السنين والحساب : أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور .

معنى الآيات :

ينجز تعالى أن هذا القرآن الكريم الذي أنزله على عبده ورسوله محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يهدي بما فيه من الدلائل والحجج والشرائع والمواعظ للطريقة والسبيل التي هي أقوم^(١) أي أعدل واقصد من سائر الطرق والسبيل إنها الدين القيم الإسلام سبيل السعادة والكمال في الدارين، ﴿ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ويبشر القرآن الذين آمنوا بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيدته وعملوا الصالحات وهي الفرائض والنوافل بعد تركهم الكبائر والمعاصي بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة، كما ينجز الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى

(١) قوله: ﴿هذا القرآن﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن الحاضر بين أيدي الناس المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور، وفي الإشارة إليه تنويه بشأنه وعلو مقامه بين الكتب الإلهية .

(٢) ﴿أقوم﴾ اسم تفضيل من القويم، وأقوم: صفة لمحذوف وهو الطريق أي: الطريق التي هي أقوم من هدي كتاب بني اسرائيل إذ قال فيه: ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ فالقرآن أكثر هداية إلى السبيل الأقوم من التوراة .

أعد أي هيا لهم عذاباً أليماً في جهنم .

وقوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير﴾^(١) يخبر تعالى عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له . يدعو بالشر دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير، وقوله : ﴿وكان الانسان عجولاً﴾^(٢) أي كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا توأدة وحلم وصبر وأناة . وقوله تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا، وقوله ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي بطمس نورها، وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة وبين علة ذلك بقوله : ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي لتطلبوا رزقكم بالسعي والكسب في النهار . هذا من جهة ومن جهة أخرى ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور . لتوقف مصالحكم الدينية والدنيوية على ذلك . وقوله تعالى : ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ أي وكل شيء يحتاج إليه في كمال الإنسان وسعادته يبيانه تبييناً أي في هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان فضل القرآن الكريم ، بهديته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان .
- ٢ - الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات ، ونذارة الكافرين باليوم الآخر .
- ٣ - بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية .
- ٤ - كون الليل والنهار آيتين تدلان على الله تعالى وتقران علمه وقدرته وتديره .
- ٥ - مشروعية علم الحساب وتعلمه .

(١) قال ابن عباس وغيره : هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما يجب ألا يستجاب له : اللهم أهلكهم ونحوه . وحذفت الواو من «يدع» كما حذفت من «سندع الزبانية» و«يمح الله الباطل» : لأنه لا ينطق بها لاصلها الساكن .
(٢) روي أن آدم عليه السلام لما نفخ الله تعالى فيه الروح فانتهدت الروح إلى سرته نظر إلى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله تعالى : ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن مظاهر عجلة الإنسان أنه يؤثر العاجل وإن قل على الأجل وإن كثر .

(٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة رحمه الله : المراد بالمحو : اللطخة السوداء في القمر ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز الليل من النهار وما في التفسير أولى أي : جعل الله الليل مظلماً ، والنهار مضيئاً لما يترتب على ذلك من مصالح العباد .

(٤) كمعرفة أوقات الصلاة ، وشهر الصيام ، والحج ، وما إلى ذلك من آجال الديون ونحوها كالعهد للنساء .

وَكُلُّ

إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَن أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۗ وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَلَا نُزِرُ وَاخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هُنَّ أَمْثَلًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- طائره : أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء .
في عنقه : أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه .
عليك حسيبا : أي كفى نفسك حاسباً عليك .
ولا نزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى .
مترفيها : منعميها من أغنياء ورؤساء .
فحق عليها القول : أي بالعذاب .
وكم أهلكتنا : أي أهلكتنا كثيراً .
من القرون : أي من أهل القرون السابقة .
خبيراً بصيراً : أي عليمًا بصيراً بذنوب العباد .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه عز وجل لعظيم قدرته، وسعة علمه، وحكمته في تدبيره ألزم كل انسان ما قضى به له من عمل وما يترتب على العمل من سعادة أو شقاء في الدارين، ألزمه ذلك بحيث لا يخالفه ولا

(١) يتأخر عنه بحال حتى كأنه مربوط بعنقه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾. وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ أي وفي يوم القيامة يخرج الله تعالى لكل إنسان كتاب عمله فيلقاه منشوراً أي مفتوحاً أمامه. ويقال له: إقرأ كتابك الذي أحصى لك عملك كله فلم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة. وقوله ﴿كفى بنفسك عليك حسياً﴾ أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الإنسان. وقوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾، أي بعد هذا الإعلام والبيان ينبغي أن يعلم أن من اهتدى اليوم فآمن بالله ورسوله ولقاء الله، ووعده ووعيدته وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والمعاصي فإنما عائد ذلك له هو الذي ينجو من العذاب، ويسعد في دار السعادة، وإن من ضل طريق الهدى فكذب ولم يؤمن، وأشرك ولم يوحد، وعصى ولم يطع فإن ذلك الضلال عائد عليه، هو الذي يشقى به ويعذب في جهنم دار العذاب والشقاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الوزر الإثم والذنب والوازية الحاملة له لتؤخذ به ومعنى الكلام ولا تحمل يوم القيامة نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل مسئوليتها بنفسها، والكلام تقرير لقوله: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى وهو العدل الرحيم أن يهلك أمة بعذاب إبادة واستئصال قبل أن يبعث فيها رسولاً يعرفها بربها وبمحابه ومسارحته، ويأمرها بفعل المحاب وترك المسارحة التي هي الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أي أمرنا منعهم من أغنياء ورؤساء وأشراف من أهل الحل والعقد أمرناهم بطاعتنا بإقامة الشرع وأداء الفرائض والسنن واجتناب كبائر الإثم والفواحش فلم يستجيبوا للأمر وللنهي وهو معنى ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾ أي وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي أهلكنها إهلاكاً كاملاً، وهذا الكلام بيان لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث

(١) قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس طائره: عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمه أينما كان.

(٢) قالوا في علة: نشره أنه تعجيل للبشرى بالحسنات والتوبيخ بالسيئات.

(٣) قيل في هذه الآية ﴿ولا تزر وازرة...﴾ نزلت في الويد بن المغيرة إذ قال لأهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعليّ أوزاركم. وإن لم تنزل فيه فهي شاملة لكل من يقول بقوله تضليلاً وباطلاً.

(٤) استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على بطلان حديث ابن عمر إذ قال: إن الميت يعذب ببكاء أهله، ورد اعتراضها بأن الميت إذا أوصى بالبكاء كان ذلك من وزره لا من وزر غيره، وقد كانوا يوصون بذلك، قال طرفة بن العبد:

إذا مت فأتبعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يابنت معبد

ومن الجائز أن يعذب وإن لم يوص، إذا هو أهمل تأديب أهله.

(٥) أول المعتزلة الرسول (رسولاً) بالعقل، وقالوا: العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر، وهو تأويل باطل لا يتفق مع اللغة ولا مع الشرع.

(٦) شاهده حديث زينب في الصحيح: (أنهلك وفيها الصالحون؟ قال نعم إذا كثرت الخبث).

رسولاً ﴿ إذ الرسول يأمر وينهى بإذن الله تعالى فإن لم يُطع استوجب الناس العذاب فعذبوا . وقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾ هو تقرير لهذا الحكم أيضاً إذ علمنا تعالى أن ما أخبر به كان واقعاً بالفعل فكثيراً من الأمم أهلكها من بعد هلاك قوم نوح كعاد وشمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وآل فرعون . . وقوله : ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ : فإن القول وإن تضمن علم الله تعالى بذنوب عباده فإن معناه الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، فإنه تعالى لا يرضى باستمرار الجرائم والآثام إنه يمهل لعل القوم يستفيقون، لعل الفساق يكفون، ثم إذا استمروا بعد الإعلام إليهم والتنديد بذنوبهم والتخويف بظلمهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا فليحذر ذلك المصرور على الشرك والمعاصي !!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٣ - تقرير العدالة الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.^(١)
- ٤ - بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.
- ٥ - التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدي الفسق إلى الهلاك والدمار.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

(١) تجلّت عدالة الله تبارك وتعالى في أنه عز وجل لا يعذب أمة من الأمم عذاب إبادة واستئصال إلا بعد أن يبعث إليها رسوله ينذرهم ويشرها، فإذا أصرت على الكفر والتكذيب عذبها. وهنا يرد موضوع أهل الفترة بين الرسل فهل يعذبون ولم تبلغهم دعوة الله أولاً يعذبون فيكون حالهم أحسن ممن جاءتهم الرسل؟ والجواب على هذا الإشكال هو: فيما ورد عن النبي ﷺ وصح: (أن أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الصبيان بقذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فيأخذ موثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن: ادخلوا النار فالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.

ومن لم يدخلها يسحب إليها) فظاهر الحديث أنّ من كان من أهل الجنة يطيع يوم القيامة ويدخل النار ثم لا يعذب بها ويدخل الجنة، ومن كان من أهل النار يعصى يوم القيامة ويدخل النار يخلد فيها، والطاعة والعصيان في هذا الامتحان دالان على حال أهلها في الدنيا لو توفرت لهم شروط التكليف التي هي: البلوغ، والعقل، والسمع، والبصر، وبلوغ الدعوة. فأولاد المشركين يدخلون ضمن هؤلاء الأربعة أيضاً.

الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ
 رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
 بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
 ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات

- العاجلة : أي الدنيا لسرعة انقضائها .
 يصلها مذموما مدحور : أي يدخلها ملوما مبعداً من الجنة .
 وسعى لها سعيها : أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيثار والعمل
 الصالح .
 كان سعيهم مشكوراً : أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى .
 كلا نمد هؤلاء وهؤلاء : أي كل فريق من الفريقين نعطي .
 وما كان عطاء ربك محظورا : أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعاً عن أحد .
 كيف فضلنا بعضهم على بعض : أي في الرزق والجاه .
 لا تجعل مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة .
 فتقعد ملوماً مخذولاً : أي فتصير مذموماً من الملائكة والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أخبار الله تعالى الصداقة والمتضمنة لأنواع من الهدايا الإلهية التي لا
 يجرمها إلا هالك، فقال تعالى في الآية الأولى (١٨) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي الدنيا ﴿عجلنا
 له فيها ما نشاء﴾، لا ما يشاؤه العبد، وقوله ﴿لمن نريد﴾ لا من يريد غيرنا فالأمر كله لنا، ﴿ثم﴾
 بعد ذلك ﴿جعلنا له جهنم يصلها مذموماً﴾ أي ملوماً ﴿مدحوراً﴾ أي مطروداً من رحمتنا التي هي
 الجنة دار الأبرار أي المطيعين الصادقين. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يخبر

(١) قال القرطبي: ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله، وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين
 والمداحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون
 في الدنيا إلا ما قسم لهم.

تعالى أن من أراد الآخرة أي سعادة الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها اللائق بها وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الموافق لما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله، واجتنب الشرك والمعاصي وقوله ﴿وهو مؤمن﴾ قيد في صحة العمل الصالح أي لا يقبل من العبد صلاة ولا جهاد إلا بعد إيمانه بالله وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله وأخبر به من الغيب.

وقوله ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون بالإيمان والعمل الصالح ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾^(١) أي كان عملهم متقبلاً يثابون عليه بالجنة ورضوان الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ أي ان كلا من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه أي فضله الواسع فالكل يأكل ويشرب ويكتسي بحسب ما قدر له من الضيق والوسع ثم يموت وتَمُّ يقع التفاضل بحسب السعي الفاسد أو الصالح وقوله ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾^(٢) يعني أن من أراد الله إعطائه شيئاً لا يمكن لأحد أن يصرفه منه ويحرمه منه بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي انظر يا رسولنا ومن يفهم خطابنا كيف فضلنا بعض الناس على بعض في الرزق الذي شمل الصحة والعافية والمال والذرية والجاه، فإذا عرفت هذا فاعرف أن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وذلك عائد إلى فضل الله أولاً ثم إلى الكسب صلاحاً وفساداً وكثرة وقلة كما هي الحال أيضاً في الدنيا فبقدر كسب الإنسان الصالح للدنيا يحصل عليها ولو كان كافراً لقوله تعالى من سورة هود^(٣) ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون ثمرات عملهم لكونهم كفاراً مشركين.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تجعل يا رسولنا مع الله إلهاً آخر تؤمن به وتعبده وتقرر إلهيته دوننا فإنك إن فعلت - وحاشاه أن يفعل لأن الله لا يريد له ذلك ﴿فتنقعد في جهنم مذموماً﴾ أي ملوماً يلومك المؤمنون والملائكة مخذولاً من قبل ربك لا ناصر لك والسياق وإن كان في خطاب الرسول ﷺ فإن المراد به كل إنسان فالله تعالى ينهي عبده أن يعبد معه غيره فيرتب على ذلك شقاؤه والعياذ بالله تعالى.

(١) وجائز أن يكون مضاعفاً أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، فقد قيل لأبي هريرة، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: (إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف حسنة).

(٢) لفظ الحظر لغة: المنع، محظوراً أي ممنوعاً يقال: حظره كذا يحظره حظراً وحظاراً: إذا حبسه عنه ومنعه منه.

(٣) ورد أن أهل الجنة يتفاوتون في درجاتهم إذ الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، وفي الصحيح: أن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء).

(٤) آية ١٥

(٥) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - كلا الدارين السعادة فيها أو الشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد .
- ٢ - سعى الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة .
- ٣ - سعى الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلى عن الشرك والمعاصي .
- ٤ - يعطي الله تعالى الدنيا من يجب ومن لا يجب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة .
- ٥ - ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه .
- ٦ - تحريم الشرك والوعيد عليه بالخلود في نار جهنم .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبْرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- وقضى ربك : اي أمر وأوصى .
 وبالوالدين إحسانا : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرورهما .
 فلا تقل لها أف : أي تبا أو قبحاً أو خسراناً .

ولا تنهرهما	: أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية .
قولاً كريماً	: جيلاً ليناً .
جناح الذل	: أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما .
كان للأوابين	: أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية .
وأت ذا القربى	: أي أعط أصحاب القرباب حقوقهم من البر والصلة .
ولا تبذر تبذيراً	: أي ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله .
لربه كفوراً	: أي كثير الكفر كبيره لنعم ربه تعالى ، فكذلك المبذر أخوه .

معنى الآيات :

لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ أمر بالتوحيد فقال: ﴿وقضى ربك﴾ أي حكم وأمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي بأن لا تعبدوا إلا الله عز وجل ، وقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحساناً وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما، وطاعتها في غير معصية الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما﴾ أي إن يبلغ سن الكبر عندك واحد منهما الأب أو الأم أو يكبران معاً وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمها خدمتها لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولا تتضجر أو تتأفف من خدمتها كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخراً وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان، وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما بالكلمة العالية النابية ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي جيلاً سهلاً لنا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما وقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم . وادع لهما طوال

(١) فعل قضي يكون لمعان عده منها قضي بمعنى: أمر كما هنا، وقضى بمعنى: فرغ كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم منها، ويكون بمعنى حكم نحو: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وبمعنى العهد نحو: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ويكون بمعنى الخلق نحو: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي: خلقهن.

(٢) هذه الآية نص في بر الوالدين وحرمة عقوبتهما، وشاهد ذلك من السنة قوله ﷺ وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال: ﴿بر الوالدين﴾ وقال: ﴿إن من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .

(٣) من شواهد الطاعة أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرها فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا عبدالله بن عمر طلق امرأتك وللام ثلاثة أرباع الطاعة وللأب الربع لحديث الصحيح: رواه الترمذي وصححه: (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك قال: ثم من قال أمك . قال: ثم من قال: أمك . قال: ثم قال: أبوك).

(٤) أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم وعدم رضا، وأف: اسم فعل كصه ومه متون وفيه لغات .

(٥) الكريم من كل شيء أرفعه في نوعه .

(٦) ال: في الرحمة نابت عن المضاف، إذ التقدير: من رحمتك إياهما

حياتك بالمغفرة والرحمة إن كانا موحدين ﴿وماتا على ذلك لقوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وهو معنى قوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً﴾

يخبر تعالى بأنه أعلم بنامن أنفسنا فمن كان يضمّر عدم الرضا عن والديه والسخط عليهما فالله يعلمه منه، ومن كان يضمّر جهما واحترامهما والرضا بهما وعنهما فالله تعالى يعلمه ويجزيه به فالمحسن يجزيه بالإحسان والمسيء يجزيه بالإساءة، وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً﴾^(١) بحكم ضعف الإنسان فإنه قد يضمّر مرة السوء لوالديه أو تبدر منه البادرة السيئة من قول أو عمل وهو صالح مؤد لحقوق الله تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس فهذا العبد الصالح يخبر تعالى أنه غفور له متى آب إلى الله تعالى مستغفراً مما صدر منه نادماً عليه .

وقوله تعالى: ﴿وأت ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل﴾ هذا أمر الله للعبد المؤمن بإيتاء قرابته حقوقهم من البر والصلة وكذا المساكين وهم الفقراء الذي مسكتهم الفاقة وأذلهم الفقر فهؤلاء أمر تعالى المؤمن باعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقّه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه . وقوله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ أي ولا تنفق مالك ولا تفرقه في غير طاعة الله تعالى . وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم بتبذيرهم المال في المعاصي كانوا عصاة لله فاسقين عن أمره وهذه حال الشياطين فتشابهوا فكانوا إخواناً، وقوله إن الشيطان كان لربه كفوراً لأنه عصى الله تعالى وكفر نعمه عليه ولم يشكره بطاعته فالمبذر للمال في المعاصي فسق عن أمر ربه ولم يشكر نعمه عليه فهو إذا شيطان فهل يرضى عبد الله المسلم أن يكون شيطانا؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتها في المعروف .

(١) ﴿صالحين﴾: أي: مؤدبين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك .

(٢) الأواب: الذي كلما أذنب تاب . والأواب، الحفيظ: الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربه . وصلاة الأوابين: صلاة الضحى حين ترمض الفصلاں أي تحترق أخفافها من الرضاء فتبرك من شدة الحر .

(٣) هم قرابة المرء من قبل أبيه وأمه معاً . قاله ابن عباس والحسن .

(٤) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرا، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً .

- ٢ - وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة^(١).
- ٣ - وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.
- ٤ - من كان صالحاً وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.
- ٥ - وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.
- ٦ - حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
 مِّيسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
 كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ بَسِطَ الرِّزْقَ
 لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَاتَلْتُمُوهُمْ كَانَ
 خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
 سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
 قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
 الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات:

وإما تعرضن عنهم : أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً.

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها : أي طلباً للرزق ترجوه من الله تعالى.

(١) روى أبو داود وغيره أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: (هل بقي من بر والدي من بعد موتها شيء أبرهما به؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك) وفي الصحيح عن ابن عمر قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودة أبيه بعد أن يولي).

قولا ميسوراً	: أي لينا سهلاً بأن تعدهم بالعتاء عند وجود الرزق.
مغلولة إلى عنقك	: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.
ولا تبسطها كل البسط	: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.
فتتعد ملوما	: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.
محسوراً	: أي منقطعاً عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.
يسط الرزق ويقدر	: أي يوسع، ويقدر أي يضيقه امتحاناً وابتلاء.
خشية املاق	: أي خوف الفقر وشدته.
خطئاً كبيراً	: أي إثماً عظيماً.
فاحشة وساء سبيلاً	: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلاً بس السبيل.
لوليه سلطان	: أي لوارثه تسلطاً على القاتل.
فلا يسرف في القتل.	: أي لا يقتل غير القاتل.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في وصايا الرب تبارك وتعالى والتي هي حكم أوحاها الله تعالى إلى رسوله للاهتداء بها، والكمال والإسعاد عليها. فقله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي إن أعرضت عن قرابتك أو عن مسكين سألك أو ابن سبيل احتاج إليك ولم تجد ماتعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك أيها الرسول ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾^(١) أي سهلاً لينا وهو العدة الحسنة كقولك إن رزقني الله سأعطيك أو عما قريب سيحصل لي كذا وأعطيك وما أشبه ذلك من الوعد الحسن، فيكون ذلك عطاء منك عاجلاً لهم يسرون به، ولا يجزون. وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تبخل بما آتاك الله فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم كأن يدك مشدودة إلى عنقك فلا تستطيع أن تنفق، وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي تفتح يديك بالعتاء فتخرج كل ما بجيبك أو خزانتك فلا تبق شيئاً لك ولاهلك. وقوله: ﴿فتتعد ملوماً محسوراً﴾ أي إن أنت أمسكت ولم تنفق لامك سائلوك إذ لم تعطهم، وإن أنت أنفقت كل

(١) روي أنّ النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرّزق يأتي من الله تعالى كراهة الردّ فنزلت هذه الآية. فكان ﷺ: إذا سئل وليس عنده ما يعطى قال: (يرزقنا الله وإياكم من فضله) فالرحمة في الآية: الرزق المنتظر ولقد أحسن من قال:

إلا تكن ورق يوماً أجود بها للسائلين فإني لئن العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي إمّا نوالي وإمّا حسن مردودي

شيء عندك انقطعت بك الحياة ولم تجد ماتواصل به سيرك في بقية عمرك فتكون كالبعير الذي أعياه السير فانقطع عنه وترك محسوراً في الطريق لا يستطيع صاحبه رده إلى أهله، ولا مواصلة السير عليه إلى وجهته. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي يوسع على من يشاء امتحاناً له أي شكر أم يكفر ويقدر لمن يشاء أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أي صبر أم يضجر ويسخط، ﴿إِنَّهُ كَانَ بَعْبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ فلذا هو يوسع ويضيق بحسب علمه وحكمته، إذ من عباده من لا يصلحه إلا السعة، ومنهم من لا يصلحه إلا الضيق، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِياً إِمْلَاقٍ﴾ أي وما حكم به وقضى ووصى ﴿أَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي أطفالكم^(١) ﴿خَشِياً إِمْلَاقٍ﴾ أي مخافة الفاقة والفقير، إذ كان العرب يثدون البنات خشية العار ويقتلون الأولاد الذكور كالإناث مخافة الفقر فأوصى تعالى بمنع ذلك وقال متعهداً متكفلاً برزق الأولاد وآبائهم فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وأخبر تعالى أن قتل الأولاد ﴿كَانَ حَطْئاً كَبِيراً﴾ أي إثماً عظيماً فكيف يقدم عليه المؤمن؟.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ أي ومن جملة ما حكم به ووصى أن لا تقربوا أيها المؤمنون الزنا مجرد قرب منه قبل فعله، لأن الزنا كان في حكم الله فاحشة أي خصلة قبيحة شديدة القبح مموجة طبعاً وعقلاً وشرعاً، وساء طريق هذه الفاحشة سبيلاً أي بشس الطريق الموصل إلى الزنا طريقاً للآثار السيئة والنتائج المدمرة التي تترتب عليه أولها أذية المؤمنين في أعراضهم وآخرها جهنم والاصطلاء بحرهما والبقاء فيها أحقاباً طويلة. وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي ومما حكم تعالى به وأوصى أن لا تقتلوا أيها المؤمنون النفس التي حرم الله أي قتلها إلا بالحق، وقد بين رسول الله ﷺ الحق الذي تقتل به نفس المؤمن وهو واحدة من ثلاث: القتل العمد العدوان، الزنا بعد الاحصان، الكفر بعد الإيمان. وقوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً﴾ أي من قتل له قتيل ظلماً وعدواناً أي غير خطأ فقد أعطاه تعالى سلطة كاملة على قاتل وليه إن شاء قتله وإن شاء أخذ دية منه، وإن شاء عفا عنه لوجه الله تعالى: وقوله: ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ أي لا يحل لولي الدم أي لمن قتل له

(١) الإملاق: الفقر، وعدم الملك، يقال: أملق الرجل: إذا لم يبق له إلا المملقات، وهي الحجارة العظام الملس.

(٢) يقال: خطيء يخطئ خطأً، وخطأ: إذا أذنب. وأخطأ يخطئ: خطأ إذا سلك سبيلاً خطئاً عمداً.

(٣) قالت العلماء: قول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ﴾: أبلغ من قول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنى والزنى يمد ويقصر لغتان.

(٤) قبح سبيلاً أي: طريقاً لأنه يؤدي إلى النار.

(٥) الولي: هو المستحق الدم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

(٦) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.

(٧) جملة: إنه كان منصوراً: تعليلية أي: علة للنهي عن الإسراف في القتل.

قتيل أن يسرف في القتل فيقتل بدل الواحد أكثر من واحد أو بدل المرأة رجلاً. أو يقتل غير القتال، وذلك أن الله تعالى أعطاه سلطة تمكنه من قتل قاتله فلا يجوز أن يقتل غير قاتله كما كانوا في الجاهلية يفعلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سألته.
- ٢ - حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.
- ٣ - تجلّى حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس، والتضييق على آخرين.
- ٤ - حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفاً من الفقر أو العار.
- ٥ - حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسها وحرمة الزنا وهو أشد.
- ٦ - حرمة قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدواناً، وزناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان^(١).

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنْتُمْ بِالْقِسْطِ السِّبْطِ الْمُسْتَقِيمِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ

الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

(١) لحديث الصحيحين: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفي السنن: (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم).

شرح الكلمات :

الابالتي هي أحسن : أي ألا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف .

حتى يبلغ أشده : أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد .

وأوفوا بالعهد : أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه .

إن العهد كان مستولاً : أي عنه وذلك بأن يُسأل العبد يوم القيامة لم نكثت عهدك ؟

أوفوا الكيل : أي اتموه ولا تنقصوه .

بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل .

وأحسن تأويلاً : أي مآلاً وعاقبة .

ولا تقف : أي ولا تتبع .

والفؤاد : أي القلب .

كان عنه مستولاً : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة .

مرحاً : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء .

لن تحرق الأرض : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك .

من الحكمة : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليها ومعرفة المساخط

للتجنبها تقرباً إليه تعالى بذلك .

ملوما مدحوراً : أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً من رحمة الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان ما قضى به الله تعالى على عباده المؤمنين ووصاهم به فقال تعالى : ﴿ ولا تقربوا ﴾ أي أيها المؤمنون ﴿ مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ أي بالفعل التي هي أجمل وذلك بأن تصرفوا فيه بالثمير له والاصلاح فيه ، والإنفاق منه على اليتيم بالمعروف أما أن تقرّبوه لتأكلوه إسرافاً وبيدراً فلألا . وقوله : حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ سن الرشد فتحاسبوه وتعطوه ماله يتصرف فيه حسب المشروع من التصرفات المالية . وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهدكم التي بينكم وبين ربكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال . وقوله ﴿ إن العهد كان مستولاً ﴾ تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد

(١) التعريف في «العهد» للجنس ليشمل سائر العهود .

(٢) الجملة تعليلية علل بها الأمر بالوفاء بالعهد ، وحذف متعلق مستولاً لظهوره : وهو عنه أي مستولاً عنه .

سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي العهود، وقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ هذا مما أمر الله تعالى وهو إيفاء الكيل والوزن أي توفيتهما وعدم بخسهما ونقصهما شيئاً ولو يسيراً ما دام في الإمكان عدم نقصه، أما ما يعسر التحرز منه فهو من العفو لقوله تعالى: ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾. وقوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ أي ذلك الوفاء والتوفية في الكيل والوزن خير لبراءة الذمة وطيب النفس به وأحسن تأويلاً أي عاقبة إذ يبارك الله تعالى في ذلك المال بأنواع من البركات لا يعلمها إلا وهو عز وجل. ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ أي لا تتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم ولا تقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ أي القلب ﴿كل أولئك كان عنه مستولاً﴾ أي لا تقف ما ليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل. ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله ﴿إنك لن تحرق الأرض﴾ أي برجلك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولاً مهما تعاليت وتناولت فإنك كغيرك من الناس لا تحرق الأرض أي تثقبها أو تقطعها برجلك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أي كل ذلك المأمور به

(١) القسطاس بضم القاف قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل أيضاً وقيل هو معرب من الرومية مركب من قسط أي عدل وطاس وهو كفة الميزان والأصل ضم القاف وكسره العرب لأنه أعجمي وهم يقولون أعجمي العب به ما شئت.

(٢) القفو: الاتباع يقال قفاه يقفوه إذا اتبعه وهو مشتق من القفا وهو وراء العنق.

(٣) بهذه الحكمة وهي ولا تقف ما ليس لك به علم: وضع حد لكثير من المفاسد التي كانت تقع لسبب القول بدون علم منها: الطعن في الأنساب لمجرد ظن. ومنها القذف بالفاحشة. ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور إلى غير ذلك من الأضرار التي تتم بسبب القول بالظن وبدون علم.

(٤) كل أولئك: المفروض أن يقال: كلها ولكن عدل إلى أولئك لأهمية تلك الحواس ونظير هذا في كلام العرب قول الشاعر:

دم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

(١) والمنهي عنه من قوله تعالى: ﴿وقضى ربك﴾ إلى قوله ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ سيئة كالتبذير والبخل وقتل الأولاد والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، والقول بلا علم كالقذف وشهادة الزور، والتكبر كل هذا الشيء مكروه عند الله تعالى إذا فلا تفعله يا عبد الله وما كان من حسن فيه كعبادة الله تعالى وحده وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل والعدة الحسنة فكل هذا الحسن هو عند الله حسن فآته يا عبد الله ولا تتركه ومن قرأ كنافع كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فإنه يريد ما اشتملت عليه الآيات من التبذير والبخل وقتل النفس إلى آخر المنهيات.

وقوله تعالى: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي ذلك الذي بيننا لك يارسولنا من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة التي أمرناك بالأخذ بها والدعوة إلى التمسك بها، ومن الخلال القبيحة والخصال الذميمة التي نهيناك عن فعلها وحرمانا عليك إتيانها مما أوحينا إليك في كتابنا هذا من أنواع الحكم وضروب العلم والمعرفة، فله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ هذه أم الحكم بدأ بها السياق وختمه بها تقريراً وتأكيذاً إذ تقدم قوله تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً﴾. والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن كل أحد معني به فأني إنسان يشرك بربه أحداً من خلقه في عبادته فقد جعله إلهاً مع الله، ولا بد أن يلقي في جهنم ملوماً من نفسه مدحوراً مبعداً من رحمة ربه التي هي الجنة. وهذا إذا مات قبل أن يتوب فيوحد ربه في عباداته. إذ التوبة إذا صحت جبت ما قبلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - حرمة مال اليتيم أكلأ أو إفساداً أو تضييعاً وإهمالاً.
- ٢ - وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.
- ٣ - وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.

(١) قرأ الجمهور: سيئة، وقرأ حفص: سيئه، والسيئة ضد الحسنه.
(٢) الإشارة إلى ما تقدم، والجملة مذبذب بها الكلام تنبيهاً على ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة من الحكمة تحريضاً على اتباع ما فيها وأنه خير عظيم كما فيها الامتنان على النبي ﷺ وعلى أمته بهذه الحكم والمعارف النافعة في الدنيا والآخرة.

(٣) هذه الجملة معطوفة على مثلاتها المتضمنة للنهي عن كبائر الذنوب وهي مؤكدة لمضمون جملة: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

(٤) المدحور: هو المطرود من رحمة الله المغضوب عليه من الله تعالى.

- ٤ - حصول البركة لمن يمثل أمر الله في كيله ووزنه .
 ٥ - حرمة القول أو العمل بدون علم لما يُفْضِي إليه ذلك من المفسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدا على صاحبها يوم القيامة .
 ٦ - حرمة الكبر ومقت المتكبرين .
 ٧ - إنتظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة .

أَفَاصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ

بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنشَاءً لِّتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

قُل لَّوْكَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتِغَاؤُا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا

﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عَلَوًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتُ

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن

لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

أفا صفاكم : الاستفهام للتوبيخ والتقريع ومعنى أصفاكم خصمكم بالبين واختارهم لكم .

ولقد صرفنا في هذا القرآن : أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر .

ليذكروا : أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا .
 لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا : أي لطلبوا طريقا إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده .

ومن فيهن : أي في السموات من الملائكة والأرض من انسان وجان وحيوان .

وإن من شيء إلا يسبح : أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات .
 حليماً غفوراً : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له .

معنى الآيات :

يقول تعالى مقرعاً موبخاً المشركين الذين يثدون البنات ويكرهون نهنّ ثم هم يجعلون الملائكة إناثاً ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ أي أحصاكم بالبنين، واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيماً أيها المشركون إذ تجعلون لله ما تكرهون افتراءً وكذباً على الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي من الحجج والبيّنات والأمثال والمواعظ الشيء الكثير من أجل أن يُذكروا فيذكروا ويتعظوا فينبوا إلى ربهم فيوحدونه وينزهونه عن الشريك والولد، ولكن ما يزيدهم القرآن وما فيه من البيّنات والهدى إلا نفوراً وبعداً عن الحق. وذلك لغلبة التقليد عليهم، والعناد والمكابرة والمجاهدة. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ أي قل يانبينا لهؤلاء المشركين المتخذين لله أنداداً يزعمون أنها آلهة مع الله قل لهم لو كان مع الله آلهة كما تقولون وإن كان الواقع يكذبكم إذ ليس هناك آلهة مع الله ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي لطلبوا طريقاً إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله، وغناه وحاجتهم وافتقارهم إليه. ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه أن يكون معه آلهة فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾. وقوله: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ فأخبر تعالى منزلها نفسه مقدساً ذاته عن الشبيه والشريك والولد والعجز، فأخبر أنه لعظمته وكماله تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن بكلمة : سبحان الله وبحمده ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ كما أخبر أنه ما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمده

(١) الجملة متفرعة عن جملة: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ وهي متضمنة للإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة إناثاً ونسبتهم إلى الله تعالى إذ قالوا: الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، كما هي متضمنة توبيخ المشركين على سوء فهمهم وقبيح قولهم بدليل قوله: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيماً﴾.

(٢) من الجائز أن تكون (في) مزيدة، والقرآن: معمول أصرّفنا، إذ التصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد به هنا: البيان والتكرير والانتقال من حكمة إلى حكمة ومن عبرة إلى موعظة.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن جبير المعنى: إذا لطلبوا طريقاً إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه، وما قاله ابن عباس كالذي قاله سعيد جائز لكن ما ذهبنا إليه في التفسير أولى وألصق بمعنى الآيات والسياق.

(٤) من الملائكة والجن والإنس.

(١) بلسان قَالِهِ وَحَالِهِ مَعَاً فيقول سبحانه الله وبحمده وقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لا اختلاف الألسنة واللغات. وقوله إنه كان أي ﴿الله حليماً﴾: أي لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفوراً يغفر ذنوب وزلات من تاب إليه وأتاب طالباً مغفرته ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذها ولداً أو شريكاً.
- ٢ - مشروعية الاستدلال بالعقليات ، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.
- ٣ - فضيلة التسبيح وهو قول: سبحانه الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.
- ٤ - كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه عن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.
- ٥ - حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ أَنْ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

(١) المراد من لسان الحال: هو تسبيح الدلالة، إذ كل محدث شاهد على أن الله خالق قادر، ولا مانع من أن يسبح كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد والجن والملائكة إلا ذرية إبليس فإنهم لا يسبحون بلسان القال ولكن بلسان الحال. (٢) قوله: ﴿لا تفقهون تسبيحهم﴾ دليل على أن تسبيح كل شيء بلسان قاله ويؤيد هذا تسبيح الطعام، وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وأدل من هذا قوله ﷺ: (لا يسمع صوت مؤذن من جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة).

شرح الكلمات:

- حجاباً مستورا : أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى .
 وجعلنا على قلوبهم أكنة : أي أعطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم .
 وفي آذانهم قرأ : أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه .
 ولو على أديبارهم نفوراً : أي فراراً من السماع حتى لا يسمعوا .
 بما يستمعون به : أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ .
 وإذا هم نجوى : أي يتناجون بينهم يتحدثون سراً .
 رجلاً مسحوراً : أي مغلوباً على عقله مخدوعاً .
 ضربوا لك الأمثال : أي قالوا ساحر، وقالوا كاهن وقالوا شاعر .
 فضلوا : أي عن الهدى فلا يستطيعون سبيلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ ﴾^(١) يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجاباً^(٢) ساتراً، أو مستوراً لا يرى وهو حقاً حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يقرأ عليهم فلا ينتفعون به . وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ جمع كنان وهو الغطاء حتى لا يصل المعنى المقروء من الآيات إلى قلوبهم فيفقهوه، وقوله : ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ أي وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين الخصوم ثقلاً في آذانهم فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم، وهذا كله من الحجاب الساتر والأكنة، والوقر في الآذان عقوبة من الله تعالى لهم حرمتهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ببغضهم للرسول وما جاء به وحرمتهم له ولما جاء به من التوحيد والدين الحق، وقوله

(١) روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت : لما نزلت (سورة تبت يدا أبي لهب) أقبلت العرواء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها (حجر ملء الكف) وهي تقول مذمماً عصينا وأمره أينا، ودينه قلينا، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر قال : يارسول الله : لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فقراً ﷺ قرأنا، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجأك فولت .
 (٢) ساتراً أي : للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراد به سوء، ومستوراً أي : الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً، ولكن لا يرى .
 (٣) أن يفقهوه أي : لثلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه .

تعالى: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ^(١) بآن قلت لا إله إلا الله، أو ما أفهم ^(٢) معنى لا إله إلا الله ولى المشركون على أديبارهم ^(٣) نفوراً من سماع التوحيد لحبهم الوثنية وتعلق قلوبهم بالشرك. وقوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ يقول تعالى لرسوله نحن أعلم بما يستمع به المشركون أي بسبب أنهم يستمعون من أجل الاستهزاء بك والسخرية منك ومما تتلوه لا أنهم يستمعون للعلم والمعرفة ولطلب الحق والاهتداء إليه. وقوله: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿إذ يقول الظالمون﴾ أي المشركون ﴿إن تتبعون﴾ أي لا تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي مخدوعاً مغلوباً على أمره، فكيف تتبعونه إذا؟.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي انظر يارسولنا كيف ضرب لك هؤلاء المشركون المعاندون الأمثال فقالوا عنك: ساحر، وشاعر، وكاهن ومجنون فضلوا في طريقهم ﴿فلا يهتدون سبيلاً﴾ إنهم عاجزون عن الخروج من حيرتهم هذه التي أوقعهم فيها كفرهم وعنادهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير قاعدة حبك الشيء يعمى ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول ﷺ وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

٢ - بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

٣ - بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.

٤ - بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾.

(١) أي: وأنت تقرأ القرآن.

(٢) أي: دل على معنى لا إله إلا الله.

(٣) يجوز أن يكون تقور جمع نافر كشهود جمع شاهد، ويجوز أن يكون مصدرأ من نفر نفوراً أي: تقروا نفوراً.

(٤) قولهم هذا وهم يتناجون يقولون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي: مطبوعاً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره. يقولون هذا حتى ينفروا الناس عنه ولا يتبعوه.

(٥) عجبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وأخرى شاعر فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً يرجعون معه من حيرتهم أو يتمكنون به من صد الناس عنك وصرفهم عن دعوتك.

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾
 ﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
 يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
 وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

- وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا : الاستفهام للإنكسار والاستبعاد والرفات الأجزاء المتفرقة .
 مما يكبر في صدوركم : أي يعظم عن قبول الحياة في اعتقادكم .
 فطركم : خلقكم .
 فسيفضون : أي يحركون رؤوسهم تعجباً .
 متى هو ؟ : الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا .
 يوم يدعوكم : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل .
 فتستجيبون : أي تجيبون دعوته قائلين سبحانك اللهم وبحمدك .
 وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير العقيدة ففي الآيات قَبْلَ هذه كان تقرير التوحيد والوحي وفي هذه الآيات تقرير البعث والجزاء الآخر ففي الآية (٤٧) يخبر تعالى عن إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له بقوله : ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ أي أجزاء متفرقة كالحطام ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ وفي الآية الثانية (٤٨) يأمر تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم

(١) هذا من قولهم الذي قالوا وهم يسمعون القرآن، ويتناجون بينهم فيقولون كذا وكذا .
 (٢) الرفات : ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات، والحطام والرضاض يقال : رُفَت الشيء رفناً أي : حطم والاستفهام إنكاري .
 (٣) الاستفهام للاستهزاء مع الجحد والإنكار، و﴿خلقاً﴾ : منصوب على الحال من ضمير ﴿لمبعوثون﴾ .

كونوا ماشئتم فإن الله تعالى قادر على إحيائكم وبعثكم للحساب والجزاء وهو قوله تعالى؟ قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم أي مما يعظم في نفوسكم أن يقبل الحياة كالموت مثلاً فإن الله تعالى سيحييكم وبعثكم . وقوله تعالى : فسيقولون من يعيدنا؟ يخبر تعالى رسوله أن منكري البعث سيقولون له مستبعدين البعث: من يعيدنا وعلمه الجواب فقال له قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة وهو جواب مسكت فالذي خلقكم ثم أماتكم هو الذي يعيدكم كما بدأكم وهو أهون عليه . وقوله تعالى ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟﴾ يخبر تعالى رسوله بما سيقوله منكرو البعث له فيقول تعالى ﴿فسينغضون﴾ أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ويقولون: ﴿متى هو؟﴾ أي متى البعث أي في أي يوم هو كائن . وقوله تعالى : ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ علمه تعالى كيف يجيب المكذبين . وقوله ﴿يوم يدعوكم فستتجيئون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي يكون بعثكم الذي تنكرونه يوم يدعوكم بأمر الله تعالى إسرافيل من قبوركم فستتجيئون أي فتجيئون بحمد الله ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً أي ما لبثتم في قبوركم إلا قليلاً﴾ من اللبث وذلك لما تعينون من الأهوال وتشاهدون من الأحوال المفزعة المرعبة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها .
- ٢ - بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر .
- ٣ - تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن .
- ٤ - بيان الأسلوب الحوارى الهادى الخالى من الغلظة والشدة .

(١) الحديد: تراب معدني لا يوجد إلا في مغاور الأرض، وهو تراب غليظ وأصنافه ثمانية وأشهر أنواعه الأحمر وهو صنفان، ذكر وأنى .

(٢) قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس .

(٣) لأن الموت لا شيء أكبر منه في نفوس بني آدم، قال أمية بن الصلت: وللموت خلق في النفوس فظيع

وخلقاً بمعنى مخلوق، ومن يكبر في صدوركم صفة له .

(٤) روي أنه ﷺ قال: (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم) .

(٥) قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون: سبحانك وبحمدك .

(٦) وقيل: هذا ما بين الفختين، وذلك أن العذاب يكف عن المعدبين بين الفختين وذلك أربعين عاماً فينامون فإذا نفخ النفخة الثانية قالوا: من بعثنا من مرقدنا وظنوا أنهم ما لبثوا إلا قليلاً .

٥ - استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
 عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ
 يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
 بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات:

- التي هي أحسن : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.
 ينزع : أي يفسد بينهم^(١).
 عدواً مبيناً : أي بين العداوة ظاهرها.
 ربكم أعلم بكم : هذه هي الكلمة التي هي أحسن.
 وما أرسلناك عليهم وكيلاً : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان.
 فضلنا بعض النبيين : أي بتخصيص كل منهم بفضائل أو فضيلة خاصة به.
 وآتيناه داود زبوراً : أي كتاباً هو الزبور هذا نوع من التفضيل.
 معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية أهل مكة، من طريق الحوار والمجادلة وحدث أن بعض المؤمنين واجه بعض الكافرين أثناء الجدال بغلظة لفظ كأن توعدده بعداب النار فآثار ذلك حفاظ المشركين فأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين إذا خاطبوا المشركين أن لا يغلظوا لهم القول فقال تعالى : ﴿وقل لعبادي﴾ أي المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ من الكلمات لتجد طريقاً إلى قلوب الكافرين، وعلل لذلك تعالى فقال ﴿إن الشيطان ينزع بينهم﴾ بالوسواس فيفسد العلائق التي

(١) روي أن الآية نزلت في عمرو بن الدغنة وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه عمر وهم يقتله فكادت تشير فتنة، والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذا الآية دعوة عامة لإحسان القول في أثناء دعوة الناس وهدايتهم.
 (٢) أي بالكلمات التي هي أحسن.

كان في الامكان التوصل بها إلى هداية الضالين، وذلك أن الشيطان كان وما زال للإنسان عدواً ميبناً أي بين العداوة ظاهرها فهو لا يريد للكافر أن يسلم، ولا يريد للمسلم أن يؤجر ويثاب في دعوته. وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ فيتوب عليكم فتسلموا. ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بأن يترككم تموتون على شرككم فتدخلوا النار. مثل هذا الكلام ينبغي أن يقول المؤمنون للكافرين لا أن يصدروا الحكم عليهم بأنهم أهل النار والمخلدون فيها فيزعج ذلك المشركين فيتمادوا في العناد والمكابرة. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾. يقول تعالى لرسوله إننا لم نرسلك رقيباً عليهم فتجبرهم على الإسلام وإنما أرسلناك مبلغاً دعوتنا إليهم بالأسلوب الحسن وهدايتهم إلينا، وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يدعون الكافرين إلى الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين ضمناً أنه تعالى أعلم بمن في السموات والأرض فضلاً عن هؤلاء المشركين فهو أعلم بما يصلحهم وأعلم بما كتب لهم أو عليهم من سعادة أو شقاء، وأسباب ذلك من الإيمان أو الكفر، وعليه فلا تحزنوا على تكذيبهم ولا تياسوا من إيمانهم، ولا تتكلفوا ما لا تطيقون في هدايتهم فقولوا التي هي أحسن واتركوا أمر هدايتهم لله تعالى هو ربهم وأعلم بهم وقوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾، يخبر تعالى عن انعامه بين عباده فالذي فاضل بين النبيين وهم أكمل الخلق وأصفاهم فهذا فضله بالنحلة كإبراهيم وهذا بالتكليم كموسى، وهذا بالكتاب الحافل بالسابيح والمحامد والعبير والمواعظ كداود، وأنت يا محمد بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، وإرسالك إلى الناس كافة إلى غير ذلك من الإفضالات وإذا تجلت هذه الحقيقة لكم وعرفتم أن الله أعلم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الضلالة، وكذا الرحمة والعذاب ففوضوا الأمر إليه، وادعوا عباده برفق ولين وبالتي هي أحسن من غيرها من الكلمات.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام.

(١) الرقيب والحفيظ والوكيل والكفيل كلها بمعنى واحد في هذا السياق ومن اطلاق الوكيل وإرادة الرقيب قول الشاعر:

ذكرت أبا أروى فبت كآني برد الأمور الماضية وكيل

(٢) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ.

٢ - بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائما فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

٣ - بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾.

٤ - بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
 وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾
 وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
 وَءَايِنَّا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
 إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
 جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
 فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

- فلا يملكون : أي لا يستطيعون .
 كشف الضر : أي إزالته بشفاء المريض .
 ولا تحويلا : أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به .

- يدعون : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم .
- يبتغون إلى ربهم الوسيلة : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات .
- كان محذورا : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى .
- في الكتاب مسطورا : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبا .
- أن نرسل بالآيات : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب . أو إزالة جبال مكة لتكون أرضاً زراعية واجراء العيون فيها .
- إلا ان كذب بها الأولون : إذ طالب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالى .
- الناقة مبصرة : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بينة .
- فظلموا بها : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى .
- إلا تخويفا : إلا من أجل تخويف العباد بأننا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم .
- أحاط بالناس : أي قدرة وعلمنا فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم .
- وما جعلنا الرؤيا ^(١) : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب خلق الله تعالى .
- والشجرة الملعونة ^(٢) : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في الصافات والدخان .
- ونخوفهم : بعدابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم .
- فما يزيدهم : أي التخويف إلا طغينانا وكفراً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد فيقول تعالى لرسوله قل يا محمد ﷺ لأولئك المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله سبحانه وتعالى فإنهم لا يملكون أن يكشفوا الضر عن مريض ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدوله يريد أن يمسه الضر لأنهم أصنام وتمثيل لا يسمعون

(١) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ الخ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس .

(٢) قيل فيها ملعونة جرياً على عادة العرب في كل طعام مكروه يقولون فيه ملعون، وجائز أن يكون المراد باللعن لعن آكلها أي : الشجرة الملعون آكلها .

ولا يبصرون فضلاً عن أن يستجيبوا دعاء من دعاهم لكشف ضر أو تحويله إلى غيره، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٤) ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ ويخافون عذابه. يخبرهم تعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الجن أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم أنفسهم يدعون ربهم ويتوسلون للحصول على رضاه. بشتى أنواع الطاعات والقربات فالذي يُعْبَدُ لَا يُعْبَدُ، والذي يتقرب إلى الله بالطاعات لا يتقرب إليه وإنما يتقرب إلى من هو يتقرب إليه ليحظى بالمنزلة عنده، وقوله ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، أي أن أولئك الذين يدعوهم الجهال من الناس ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم هم أنفسهم يطلبون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. لأن عذابه تعالى كان وما زال يحذره العقلاء، لأنه شديد لا يطاق. فكيف يُدعى وَيُرْجَى وَيُخَافُ من هو يَدْعُو وَيَرْجُو وَيَخَافُ لو كان المشركون يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي مدينة من المدن ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ أي بعذاب إبادة قبل يوم القيامة، ﴿أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بمرض أو قحط أو خوف من عدو ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ، فلذا لا يستعجل أهل مكة العذاب فإنه إن كان قد كتب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة وإن لم يكن قد كتب عليهم فلا معنى لاستعجاله فإنه غير واقع بهم وهم مرجون للتوبة أو لعذاب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ أي بالمعجزات وخوارق العادات ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا﴾ أي بالمعجزات الأولون من الأمم فأهلكناهم بتكذيبهم بها، فلو أرسلنا نبينا محمداً بمثل تلك الآيات وكذبت بها قريش

(١) قيل: إنه لما ابتليت قريش بالقطط، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة لكم.

(٢) روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قال: نفر من الجن أسلموا، وكانوا يُعْبَدُونَ فبقي الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم وقد أسلم نفر من الجن، وفي رواية قال: أنزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم الجنيون، والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون أي: بإسلامهم فبقوا يعبدونهم.

(٤) في الآية الجمع بين الخوف والرجاء وهما كجناحي الطائر إن انكسر أحدهما لم يطر بالأخر، ولذا فلا بد للمؤمن منهما فالخوف يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحرمات، والرجاء يحمل على المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمن عاقبة أمره.

(٣) ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٥) أي: وما صرفنا عن إرسالك يا رسولنا بالمعجزات التي يطلب بها المشركون إلا تكذيب الأولين بها وهؤلاء مثلهم لو أرسلناك بها فكذبوا بها واستحقوا الهلاك ونحن لا نريد لهم ذلك.

لأهلكهم، وهو تعالى لا يريد أهلكهم بل يريد هدايتهم ليهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب والعجم والأبيض والأصفر فسبحان الله العليم الحكيم وقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي آية مبصرة أي مضيئة بينة فظلموا بها أي كذبوا بها فعقروها فظلموا بذلك أنفسهم وعرضوها لعذاب الإبادة فأبادهم الله فأخذتهم الصيحة وهم ظالمون هذا دليل على أن المانع من الإرسال بالآيات هو ما ذكر تعالى في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾^(١) يخبر تعالى أنه ما يرسل الرسل مؤيدين بالآيات التي هي المعجزات والعبر والعظات إلا لتخويف الناس عاقبة الكفر والعصيان لعلهم يخافون فيؤمنون ويطيعون قوله تعالى ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي اذكر يا محمد إذ قلنا لك بواسطة وحينا هذا إن ربك أحاط بالناس. فهم في قبضته وتحت قهره وسلطانه فلا ترهبهم ولا تخش منهم أحداً فإن الله ناصرك عليهم، ومنزل نعمته بمن تمادى في الظلم والعناد، وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يريد رؤيا الإسراء والمعراج حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقته، ما أراه ﴿إلا فتنة للناس﴾ أي لأهل مكة اختباراً لهم هل يصدقون أو يكذبون، إذ ليس لازماً لتقرير نبوتك وإثبات رسالتك وفضلك أن نريك الملكوت الأعلى وما فيه من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وهي شجرة الزقوم وأنها ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ إلا فتنة كذلك لأهل مكة حيث قالوا كيف يصح وجود نخلة ذات طلع في وسط النار، كيف لا تحرقها النار قياساً للغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، وقوله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الملعونة وأنها ﴿طعام الأثيم تغلي في البطون كغلي الحميم﴾ وبغيرها من أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً أي ارتفاعاً وتكبراً عن قبول الحق والاستجابة له لما سبق في علم الله من خزيهم وعذابهم فاصبر أيها الرسول وامض في دعوتك فإن العاقبة لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعابديها.
- ٢ - بيان حقيقة عقلية وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر

(١) في السياق ما يدل على أنّ هناك رغبة في المعجزات من الكافرين والمؤمنين ولذا ذكر تعالى علل عدم إعطائها لرسوله ﷺ، فالعلة الأولى تكذيب الأولين بها ودليل بتكذيب ثمود بها والثانية أنه ما يرسل بالمعجزات من أرسلهم بها إلا لعله التخويف فقط والثالثة إعلامه تعالى رسوله بأن ربك محيط بعباده قادر عليهم فلا تخفهم ولا تطلب الآية لهم، والرابعة: أن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن للهداية وإنما هي للفتنة لا غير.

باطل ومضحك في نفس الوقت، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يُعْبُدُ لا يُعْبَدُ. ومن كان يُتَقَرَّبُ لا يُتَقَرَّبُ إليه، ومن كان يُتَوَسَّلُ لا يُتَوَسَّلُ إليه بل يعبد الذي كان يُعْبَدُ ويُتَوَسَّلُ إلى الذي كان يُتَوَسَّلُ إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ - تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٤ - بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قريش.

٥ - بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
 جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْتَفْتَعَتْ
 مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
 غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

لمن خلقت طيناً : أي من الطين .

أرايتك : أي أخبرني

كرمت علي : أي فضلته علي بالأمر بالسجود له .

لاحتنكن : لاستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في

حَنَكهَا، تُقَاد حَيْث شَاءَ رَاكِبَهَا! .	
أَي مَنظَرًا إِلَى وَقْتِ النَّفْخَةِ الْأُولَى .	أَذْهَبَ
أَي وَافِرًا كَامِلًا .	جَزَاءً مَوْفُورًا
أَي وَاسْتَحْفَظَ	وَاسْتَفْرَزَ
أَي بَدْعَائِكَ إِيَاهُمْ إِلَى طَاعَتِكَ وَمَعْصِيَتِي بِأَصْوَاتِ الْمَزَامِيرِ وَالْأَغَانِي وَاللَّهُو .	بِصَوْتِكَ
أَي صِيْحَ فِيهِمْ بِرُكْبَانِكَ وَمُشَاتِكَ .	وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ
بِحَمْلِهِمْ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا وَتَعَاطِيهِ .	وَشَارَكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ
بِتَزْيِينِ الزَّنَا وَدَفْعِهِمْ إِلَيْهِ .	وَالْأَوْلَادِ
أَي بَانَ لَا بَعَثَ وَلَا حَسَابَ وَلَا جَزَاءَ .	وَعَدَمِهِ
أَي بَاطِلًا .	إِلَّا غُرُورًا
أَي إِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ لَكَ قُوَّةٌ تَسْلُطُ عَلَيْهِمْ بِهَا .	لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
أَي حَافِظًا لَهُمْ مِنْكَ أَيُّهَا الْعَدُوُّ .	وَكُفَى بِرَبِّكَ وَكَيْلًا

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين الجهلة الذين أطاعوا عدوهم وعدو أبيهم من قبل، وعصوا ربهم، اذكر لهم كيف صدّقوا ظنّ إبليس فيهم، واذكر لهم ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فامتثلوا أمرنا ﴿وَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ قال منكرًا أمرنا، مستكبرًا عن آدم عبدنا ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؟ أي لمن خلقته من الطين لأن آدم خلقه الله تعالى من أديم الأرض عذبها وملحها ولذا سُمي آدم آدم ثم قال في صلفه وكبريائه ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ أي أخبرني أهذا ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾؟! قال هذا استصغار لآدم واستخفافا بشأنه، ﴿لَنْ أَخْرَتْنِي﴾ أي وعزتك لئن أخرت موتي ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ لِأَحْتَنِكَنْ ذَرِيَّتَهُ﴾ أي لأستولين عليهم وأسوقهم إلى أودية الغواية والضلال حتى يهلكوا مثلي ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن

(١) الاستفهام انكاري .

(٢) أي : فضّلت، والإكرام : اسم جامع لكل ما يحمد، وفي الكلام حذف تقديره أخبرني عن هذا الذي فضّلته عليّ لم فضّلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين، ووضح بدون تقدير المحذوف أي : أترى هذا الذي كرّمته عليّ لأفعلن به كذا وكذا .

(٣) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ : يعني المعصومين وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ واستثناء إبليس القليل كان ظنا منه فقط كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وقال الحسن : ظن ذلك لأنه وسوس لآدم في الجنة ولم يجد له عزماً فحصل له بذلك هذا العلم المعبر عنه بالظنّ إذ يطلق لفظ الظنّ، ويراد به العلم .

تستخلصهم لعبادتك فأجابهم الرب تبارك وتعالى : ﴿ قال اذهب ﴾^(١) أي مُنظراً وممهلاً إلى وقت النفخة الأولى وقوله تعالى : ﴿ فمن تبعك منهم ﴾ أي عصاني وأطاعك ﴿ فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ﴾ أي وافراً كاملاً .

وقوله تعالى : ﴿ واستفز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال هذا إبليس بعد أن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم أذن له في أن يعمل ما استطاع في إضلال أتباعه ، ﴿ واستفز من استطعت منهم بصوتك ﴾ أي واستخفف منهم بدعائك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها ، ﴿ وأجلب عليهم ﴾ أي صح على خيلك ورجلك الركبان والمشاة وسقهم جميعاً على بني آدم لإغوائهم وإضلالهم ﴿ وشاركهم في الأموال ﴾ بحملهم على الربا وجمع الأموال من الحرام وفي ﴿ الأولاد ﴾ بتزيين الزنا وتحسين الفجور . وعدهم بالأماني الكاذبة وبأن لا بعث يوم القيامة ولا حساب ولا جزاء قال تعالى : ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ أي باطلاً وكذباً وزوراً . وقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ﴾ أي المؤمنين بي ، المصدقين بلقائي ووعدي ووعيدي ليس لك عليهم قوة تتسلط عليهم بها ، ﴿ وكفى بربك وكيلاً ﴾ أي حافظاً لهم : منك فلا تقدر على إضلالهم ولا إغوائهم ياعدوي وعدوهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية التذكير بالأحداث الماضية للتحذير من الوقوع في الهلاك .
- ٢ - ذم الكبر وأنه من شر الصفات .
- ٣ - تقرير عداوة إبليس والتحذير منها .
- ٤ - بيان مشاركة إبليس أتباعه في أموالهم وأولادهم ونساءهم .
- ٥ - بيان أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأندية الملاهي وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الأدمي المسكين الضعيف .
- ٦ - بيان حفظ الله تعالى لأوليائه ، وهم المؤمنون المتقون ، جعلنا الله تعالى منهم وحفظنا بما يحفظهم به إنه بر كريم .

(١) الأمر هنا : للإهانة والطرده والاحتقار والصغار .

(٢) الاستفزاز: طلب الفرز، وهو الخفة والانزعاج، وترك الثاقل، والسين والناء فيه لشدة طلب الاستخفاف والإزعاج .

(٣) الإجلاب: جمع الجيوش وسوقها مشتق من الجلبة التي هي الصياح إذ الجيوش تجمع بالجلبة فيهم والصياح بهم .

(٤) قرأ حفص : ﴿ ورجلك ﴾ بكسر الجيم لفة في رجل وقرأ غيره ﴿ ورجلك ﴾ بسكون الجيم ، والمعنى بخيلك : أي فرسانك ورجالك .

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ

فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
 وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ
 إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ
 بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
 وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
 عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
 فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- يزجي لكم الفلك : أي يسوقها فتسير فيه .
 لتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر .
 وإذا مسكم الضر : أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق .
 ضل من تدعون إلا إياه : أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم .
 أعرضتم : أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك .
 أو يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً ترمي بالحصباء لشدتها .
 ثم لا تجدوا لكم وكيلاً : أي حافظاً منه أي من الخسف أو الريح الحاصب .
 قاصفاً من الريح : أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتكسرهما لقوتها .
 علينا به تبعاً : أي نصيراً ومعيناً يتبعنا ليثأر لكم منا .
 ولقد كرمنا بني آدم : أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق .
 حملناهم في البر والبحر : أي البر على البهائم والبحر على السفن .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه . فقوله تعالى : ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ يخبرهم تعالى بأن ربهم الحق الذي يجب أن يعبدوه ويطيعوه بعد أن يؤمنوا به هو الذي ﴿ يزجي لهم الفلك ﴾ أي السفينة ﴿ في البحر ﴾ أي يسوقها فتسير بهم في البحر إلى حيث يريدون من أجل أن يطلبوا رزق الله لهم بالتجارة من إقليم لآخر . هذا هو الهكم الحق ، أما الأصنام والأوثان فهي مخلوقة لله مربوبة له ، لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ، نفعاً ولا ضرراً .

وقوله تعالى : ﴿ إنه كان بكم رحيماً ﴾ ومن رحمته تعالى تسخيره البحر لهم وإزجاء السفن وسوقها فيه ليحصلوا على أقاتهم عن طريق السفر والتجارة . وقوله تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ يذكرهم بحقيقة واقعة لهم وهي أنهم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم شدة من مرض أو ضلال طريق أو عواصف بحرية اضطربت لها السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده ولم يبق من يدعو سواه تعالى لكنهم إذا نجاهم من الهلكة التي خافوها ونزلوا بشاطئ السلامة اعرضوا عن ذكر الله وذكروا آلهتهم ونسوا ما كانوا يدعونوه وهو الله من قبل ﴿ وكان الانسان كفوراً ﴾ هذا طبعه وهذه حاله سرعة النسيان ، وشدة الكفران وقوله تعالى : وهو يخاطبهم لهدايتهم ﴿ أفأمتهم أن يخسف بكم جانب البر ﴾ يقرعهم على إعراضهم فيقول ﴿ أفأمتتم ﴾ الله تعالى ﴿ أن يخسف بكم ﴾ جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر ﴿ أو يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء فيهلككم كما أهلك عاداً ﴿ ثم لا تجدوا لكم ﴾ من غير الله ﴿ وكيلاً ﴾ يتولى دفع العذاب عنكم ويقول : ﴿ أم أمتتم ﴾ الله تعالى ﴿ أن يعيدكم فيه ﴾ أي في البحر ﴿ تارة أخرى ﴾ أي مرة أخرى ﴿ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ﴾ أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتحطمها ﴿ فيفرقكم بما كفرتم ﴾ أي بسبب كفركم كما أغرق آل فرعون ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ أي تابعاً يثار لكم منا ويتبعنا مطالباً بما لنا منكم من العذاب .

(١) الإزجاء : السوق قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ﴾ وقال الشاعر :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

(٢) أي : الذي يجب أن يشكروه بعبادته وحده دون من سواه .

(٣) لفظ الضر يعم المرض وخوف الغرق والإمساك عن الجري وأحوال حالة اضطراباته .

(٤) الخسف : انهيار الأرض بالشيء فوقها ، وجانب البر : ناحية الأرض إذ البحر جانب والأرض جانب .

(٥) يقال لكل ريح تحمل التراب والحصباء : حاصب ، قال الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضر بنا بحاصب كنديف القطن مشور

فما لكم إذا لا تؤمنون وتوحدون وبالباطل تكفرون . وقوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق ﴿ وحملناهم في البر والبحر ﴾ على ما سخّرنا لهم من المراكب ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ (١) أي المستلذات من اللحوم والحبوب والفواكه والخضّر والمياه العذبة الفرات . وقوله تعالى : ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ فالآدميون أفضل من الجن وسائر الحيوانات ، وخواصهم أفضل من الملائكة ، وعمامة الملائكة أفضل من عمامة الآدميين ومع هذا فإن الآدمي إذا كفر ربه وأشرك في عبادته غيره ، وترك عبادته ، وتخلّى عن محبته ومراقبته أصبح شر الخليفة كلها . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تعريف الله تعالى بذكر صفاته الفعلية والذاتية .
- ٢ - تذكير المشركين بحالهم في الشدة والرخاء حيث يعرفون الله في الشدة ويخلصون له الدعاء ، وينكرونه في الرخاء ويشركون به سواه .
- ٣ - تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله ، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة .
- ٤ - بيان منن الله تعالى على الانسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله .
- ٥ - حال الرخاء أصعب على الناس من حال الشدة بالقحط والمرض ، أو غيرهما من المصائب .
- ٦ - الاعلان عن كرامة الآدمي وشرفه على سائر المخلوقات الأرضية .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ

بِأِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ

(١) في الآية دليل على إبطال الزهد في لذيق الطعام كالعسل والسمن واللحم والفواكه والاكتفاء بالخبز بالملح ونحوه مع توفر طيب الطعام والشراب لأنه مخالف لمنهج السلف وفيه كفر ما أنعم الله تعالى به على عباده من طيب الرزق .

(٢) ﴿ فمن أوتي ﴾ معطوف على مقدر اقتضاه قوله : ﴿ ندعو كل اناس بإمامهم ﴾ أي فيؤتون كتبهم ﴿ فمن أوتي كتابه ... ﴾ الخ .

أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ
تَرَكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا الْأَذْذَنُكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

- بإمامهم : أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر .
فتيلاً : أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة .
ومن كان في هذه أعمى : من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته ، فلم يؤمن به ولم يعبهده فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً .
وإن كادوا : أي قاربوا .
ليفتنونك : أي يستنزلونك عن الحق ، أي يطلبون نزولك عنه .
لتفتري علينا غيره : أي لتقول علينا افتراءً غير الذي أوحينا إليك .
إذا لا تأخذوك خليلاً : أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لا تأخذوك خليلاً لهم .
ضعف الحياة وضعف الممات : أي لعذبتك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة كذلك .
ليستفزونك من الأرض : أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة .
لا يلبثون خلفك : أي لا يبقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً ويهلكهم الله .
سنة من قد أرسلنا من قبلك : أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل ، سنتنا في الأمم .
ولا تجد لسنتنا تحويلاً : أي عما جرت به في الأمم السابقة .

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يا رسولنا «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحداً واحداً فمن أعطى كتابه يمينه تشريفاً له وتكريماً، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بأيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه «ولا يظلمون» أي لا ينقصون مقدار فتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم^(١). واذكر هذا لهم تعظهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلاً﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحينا إليك، وإذا لو فعلت بأن وافقتهم على ما طلبوا منك، من الإغضاء على شركهم و التسامح معهم إقراراً لباطلهم، ولو مؤقتاً، ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جهدهم أن يستنزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكرراً منهم وخديعة سياسية إذ لو وافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذاً يتقول، وليس بالذي يوحي إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمتناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن﴾ أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾ بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذا﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئاً يسيراً ﴿لأدقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيراً ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبنك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة ففروا إخراجهم من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

(١) لم يذكر من أوتي كتبهم بشمائلهم إذ هم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.

(٢) عدي فعل يفتنونك بعن لأنه مضمن معنى فعل يتعدى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.

(٣) الآية مسوقة مساق الامتنان على النبي ﷺ حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.

(٤) الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

(٥) هذه الجملة جزء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأدقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(٦) اجازت أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأزراء في مدة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكموداً مستذلاً بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياح ما كان يأمله ويدعو إليه.

رسوله بذلك إعلاماً وإنذاراً، فقال: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذا﴾ أي لو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً ونهلكهم كما هي سنتنا في الأمم السابقة التي أخرجت أنبياءها أو قتلتهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ أي يستخفونك ﴿من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثوا خلافاً﴾ (٧٦) إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلاً ﴿أي عما جرت به في الأمم السابقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - الترغيب في الاقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الاقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.
- ٢ - عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحججة على العبد وعدم ظلمه شيئاً.
- ٣ - عمى الدنيا عن الحق وشواهد سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.
- ٤ - حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاء لهم.
- ٥ - الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقاً لهم طمعاً في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.
- ٦ - إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.

أَقْرَبُ

الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
 قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
 نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ
 أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ
 لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
 إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استعمال من فَرَّ يَفْرُ بِمَعْنَى: بارح المكان، والمعنى: كادوا: أن يخرجوك من بلدك كرهاً ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضائك واختيارك فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.
 (٢) قرأ نافع: (خلفك) أي بعذك، وقرأ حفص (خلافك) وهي لغة في خلف بمعنى: بعد.

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
 أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يَتُوسَّأُ
 ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى
 سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

لدلوك الشمس	: أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب .
إلى غسق الليل	: أي إلى ظلمة الليل ، إذ الغسق الظلمة .
وقرآن الفجر	: صلاة الصبح .
كان مشهوداً	: تشهده الملائكة ، ملائكة الليل وملائكة النهار .
فتهجد به ^(١)	: أي بالقرآن .
نافلة	: أي زائدة عن الغرض وهي التهجد بالليل .
مقاماً محموداً	: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون .
أدخلني مدخل صدق	: أي المدينة ، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً .
وأخرجني مخرج صدق	: أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها .
وقل جاء الحق وزهق الباطل	: أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى .
زهق الباطل	: أي ذهب واضمحل .
أعرض وأنا بجانبه	: أعرض عن الشكر فلم يشكر، وأنا بجانبه : أي ثنى عطفه متبخرراً في كبرياء .
على شاكلته	: أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لتلك الأحداث الجسم أمر تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمّن
 الخائفين، ومنار السالكين، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فقال: ﴿أقم الصلاة لدلوك

(١) تهجد: إذا ألقى الهجود عنه، وهو النوم، وقام يصلي، والتهجد من الهجود وهو من الأضداد هجد: نام، وهجد: سهر.

الشمس ﴿ أي لأول دلوها وهو ميلها من كبد السماء إلى الغرب وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر، وقوله ﴿ إلى غسق الليل ﴾ أي إلى ظلمته، ودخلت صلاة العصر فيما بين دلوك الشمس وغسق الليل، ودخلت صلاة المغرب وصلاة العشاء في غسق الليل الذي هو ظلمته، وقوله: ﴿ وقرآن الفجر ﴾ أي صلاة الصبح وهذه هي الصلوات الخمس المفروضة على أمة الإسلام، النبي وأتباعه سواء وقوله ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ يعني محضوراً، تحضره ملائكة النهار لتنصرف ملائكة الليل، لحديث الصحيح «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقوله ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغّب فيه.

وقوله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وإن عسى من الله تعالى، تفيد الوجوب، ولذا فقد أخير تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿ مقاماً محموداً ﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه . . . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: أنالها، أنالها، ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فضل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته.

وقوله تعالى: ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾. هذه بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه لا بإخراج قومه وهو كاره. فقال له: قل في دعائك ربي أدخلني المدينة دار هجرتي «مدخل صدق» بحيث لأرى فيها مكرهاً، وأخرجني من مكة يوم تخرجني «مخرج صدق» غير ملتفت إليها بقلبي شوقاً وحينئذ إليها.

﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدني سلطاناً نصيراً لك على من بغاك بسوء، وكادك بمكر وخديعة، وحاول منعك من إقامة دينك، ودعوتك إلى ربك،

(١) ما في التفسير أشهر وأولى بالأخذ به وهو ما ذهب إليه عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس ومالك، ويرى غير هؤلاء من بعض الصحابة والتابعين: أن دلوك الشمس هو غروبها وعليه فلم تشمل الآية أوقات الصلوات الخمس بخلاف القول بدلوك الشمس: زوالها عن كبد السماء.

(٢) غسق الليل: سواده وظلمته قال ابن قيس الرقيبات:

إن هذا الليل قد غسقاً واشتكتك الهمم والأرقا

(٣) وقت العصر إذا زاد ظل كل شيء مثله، ووقت المغرب: غروب الشمس، ووقت العشاء: ذهاب الشفق الأحمر، ووقت الصبح طلوع الفجر ووقت الظهر: زوال الشمس عن كبد السماء.

(٤) ﴿ قرآن ﴾: منصوب على الإغراء أي: والزم قرآن الفجر لأهميته ويصح أن ينصب على العطف أي: أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر أي: صلاته.

(٥) ﴿ نافلة لك ﴾: أي نافلة لأجلك خاصة بك دون سائر أمتك.

(٦) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت: ﴿ وقل رب أدخلني ﴾ الخ وهو تعليم من الله لرسوله هذا الدعاء بقوله في صلاته وخارجها.

وقوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة، ويدخلها ظافراً منتصراً وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً! ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل. ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾. لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق، ووقف في وجهه، وجائز أن يكون المراد بالحق، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك، أن الحق هو كل ما هو طاعة لله عز وجل، والباطل كل طاعة للشيطان من الشرك والظلم وسائر المعاصي. وقوله تعالى: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ أي ونزل عليك يا رسولنا محمد من القرآن ما هو شفاء^(١) أي ما يستشفى به من مرض الجهل والضلال والشك والوساوس ورحمة للمؤمنين دون الكافرين، لأن المؤمنين يعملون به فيرحمهم الله تعالى بعملهم بكتابه، وأما الكافرون، فلا رحمة لهم فيه، لأنهم مكذبون به تاركون للعمل بما فيه. وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي ولا يزيد القرآن الظالمين وهم المشركون المعاندون الذين أصروا على الباطل عناداً ومكابرة، هؤلاء لا يزيدهم ما ينزل من القرآن ويسمعونه إلا خساراً لازدياد كفرهم وظلمهم وعنادهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض^(٢) ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ يخبر الله تعالى عن الإنسان الكافر المحروم من نور الإيمان وهداية الإسلام أنه إذا أنعم عليه بنعمة النجاة من الهلاك وقد أشرف عليه بفرق أو مرض أو جوع أو نحوه، أعرض عن ذكر الله ودعائه كما كان يدعوه في حال الشدة، ونأى بجانبه أي بعد عنا فلا يلتفت إلينا بقلبه، وذهب في خيالاته وكبريائه وقوله تعالى: ﴿وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ أي قنوطاً. هذا هو الكافر، ذو ظلمة النفس لكفره وعصيانه. إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير اليأس والقنوط تامهما، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه.

وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي قل يا رسولنا للمشركين، كل منا ومنكم يعمل على طريقته ومذهبه بحسب حاله هداية وضلالاً. والله تعالى ربكم أعلم بمن هو أهدى منا ومنكم سبيلاً. ويجزي الكل بحسب عمله وسلوكه. وهذه كلمة

(١) ﴿من﴾: بيانية أي: مبيّنة للموصول، ما هو شفاء وليست للابتداء ولا هي زائدة أي: ونزل القرآن الذي هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

(٢) وقد يستشفى بالقرآن من الأمراض الجسمية ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثهم وكانوا ثلاثين راكباً فنزلوا على قوم من العرب فسألوهم أن يضيفوهم فأبوا فلدغ سيّد الحي فاتاهم أت وقال لهم: هل فيكم من يرقى من العقرب؟ قلنا: نعم لكن حتى تعطونا فقالوا: إنا نعطيكم ثلاثين شاة فرقاه بفاتحة الكتاب قرأها عليه سبع مرات فشفي فأخذوا الثلاثين شاة فاتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم كلوا وأطعمونا من الغنم.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن وال فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

(٤) كونه يؤوساً: لا يتعارض مع كثرة دعائه كما في قوله تعالى: ﴿فدو دعاء عريض﴾ إذ يدعو وهو قانط.

مفاصلة قاطعة، للنزاع الناجم عن كون كل يدعى أنه على الحق وأن دينه أصوب، وطريقته أمثل وسيله أجدى وأنفع.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها .
- ٢ - الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد أي «نافلة الليل» .
- ٣ - تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ .
- ٤ - ضعف الباطل وسرعة تلاشيهِ إذا صاوله الحق ووقف في وجهه .
- ٥ - القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة .
- ٦ - بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له .
- ٧ - تعليم الرسول والمؤمنين كيف يتخلصون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
 وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْذِهَبَنَّ
 بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾
 إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلِ
 لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَآيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
 صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ
 إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

يسألونك عن الروح : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن .

من أمر ربي	: أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره .
لنذهبن بالذي أوحينا إليك	: أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفلعلنا .
لك به علينا وكيلا	: يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك .
إلا رحمة من ربك	: أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به .
بمثل هذا القرآن	: من الفصاحة والبلاغة والمحتوى من الغيوب والشرائع والأحكام .
ظهيراً	: أي معيناً ونصيراً .
صرفنا	: بينا للناس مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا .
فأبى أكثر الناس	: أي أهل مكة إلا كفوراً أي جحوداً للحق وعناداً فيه .

معنى الآيات :

يقول تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ ^(١) إذ قد سأله المشركون عن الروح وعن أصحاب الكهف، وذوي القرنين بإيعاز من يهود المدينة فأخبره تعالى : بذلك وعلمه الرد عليهم فقال : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن سؤالهم هذا ونظائره دال على إدعائهم العلم فأعلمهم أن ما أوتوه من العلم إلا قليل بجانب علم الله تعالى وقوله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن ^(٢) بالذي أوحينا إليك ﴾ هذا امتنان من الله على رسوله الذي أنزل عليه القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بأنه تعالى قادر على محوه من صدره . وسطره، فلا تبقى منه آية ثم لا يجد الرسول وكيلاً له يمنعه من فعل الله به ذلك ولكن رحمة منه تعالى لم يشأ ذلك بل يبقيه إلى قرب قيام الساعة حجة الله على عباده وآية على نبوة محمد ﷺ، وصدق رسالته، وليس هذا بأول إفضال من الله تعالى على رسوله، بل فضل الله عليه كبير، ولنذكر من ذلك طرفاً وهو

(١) روى ابن إسحاق أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ويثرب يسألانهم عن أمر النبي ﷺ فقال اليهود لهما: سلوه عن ثلاثة وذكروا لهما أهل الكهف وذو القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي وإلا فمروا بكم فيه فأنزل الله تعالى سورة الكهف وفيها الجواب عن أصحاب الكهف، وذو القرنين، وأنزل هذه الآية : ﴿ يسألونك عن الروح ﴾ .

(٢) يطلق الروح على ملك من الملائكة عظيم ويطلق على جبريل ويطلق على هذا الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير وهو المسؤول عنه في هذه الآية، وسؤالهم كان عن بيان حقيقته وماهيته .
(٣) لفظ الآية عام وإن كان سبب نزولها خاصاً إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه ما أوتي أحد علماً إلا وهو إلى جانب علم الله تعالى قليل .

(٤) روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله : إن هذا القرآن الذي أظهركم يوشك أن ينزع منكم . قالوا: كيف ينزع منا وقد أثبتته الله في قلوبنا وكتبناه في المصاحف قال: يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثم قرأ : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن ﴾ الآية .

عموم رسالته، كونه خاتم الأنبياء، العروج به إلى الملكوت الأعلى، إمامته للأنبياء الشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ لاشك أن هذا الذي علم الله رسوله أن يقوله له سبب وهو ادعاء بعضهم أنه في إمكانه أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي هو آية صدق نبوة محمد ﷺ، وبذلك تبطل الدعوى، ويتصر باطلهم على الحق. فأمر تعالى رسوله أن يرد على هذا الزعم الباطل بقوله: قل يارسولنا لهؤلاء الزاعمين الإتيان بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متظاهرين على الاتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ذلك لأنه وحى الله وكتابه، وحجته على خلقه. وكفى. فكيف إذا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثله!؟

وقوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي بينا مثلاً من جنس كل مثل من أجل هداية الناس وإصلاحهم عليهم يتذكرون فيتعظون، فيؤمنون ويوحدون فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً بالحق، وإنكاراً للقرآن وتكذيباً به وبما جاء فيه من الحق والهدى والنور، لما سبق القضاء الإلهي من امتلاء جهنم بالغاوين وجنود إبليس أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - علم الروح مما استأثر الله تعالى به .
- ٢ - ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط .
- ٣ - حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة .
- ٤ - عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم .
- ٥ - لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون .

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ

الْأَرْضِ يَلْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَنْبٍ

فَنَفِجِرَ الْأَنْهَارَ خَلَلَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(١) نزلت هذه الآية ردًا على كفار قريش عندما قال النضر بن الحارث وغيره لو نشاء لقلنا مثل هذا. ومعنى ظهيراً: أي: عوناً ونصيراً كما يتعاون الشعراء على قصيد الشعراء.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْتَاتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِيلاً ﴿٩٢﴾
 أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
 الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ
 مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

ينبوعاً	: عينا لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان .
جنة	: بستان كثير الأشجار .
كسفاً	: قطعاً جمع كسفة كقطعة .
قيلاً	: مقابلة لتراهم عياناً
من زخرف	: من ذهب .
ترقى	: تصعد في السماء
مطمئنين	: ساكنين في الأرض لا يبرحون منها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والبعث وتقرير ذلك . فقال تعالى مخبراً
 عن قيلهم لرسول الله وهم يجادلون في نبوته : فقالوا : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نتابعك على
 ماتدعو إليه من التوحيد والنبوة لك والبعث والجزاء لنا ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي

(١) نزلت هذه الآية في رؤساء قریش مثل : عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم حيث اجتمعوا حول الكعبة ليلاً وبعثوا إلى الرسول ﷺ وكان حريصاً على هدايتهم فاتاهم فقالوا له كلاماً طويلاً ثم خلصوا إلى ما ذكر تعالى في هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ .

عيناً يجري ماؤها على وجه الأرض لا ينقطع ﴿أو تكون لك جنة﴾ أي بستان من نخيل وعنب، ﴿فتفجر الأنهار خلالها﴾ أي خلال الأشجار تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ أي قطعاً، ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ أي مقابلة نراهم معاينة، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي من ذهب تسكنه بيننا ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد بسلم ذي درج في السماء، ﴿ولن نؤمن لريقك﴾ إن أنت رقيت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً﴾ من عند الله ﴿نقرأه﴾ يأمرنا فيه بالإيمان بك واتباعك ! هذه ست طلبات كل واحدة اعتبروها آية متى شاهدوها زعموا أنهم يؤمنون، والله يعلم أنهم لا يؤمنون، فلذا لم يستجب لهم وقال لرسوله: قل يا محمد لهم: ﴿سبحان الله﴾ متعجباً من طلباتهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! أي هل كنت غير بشر رسول؟ وإلا كيف يطلب مني هذا الذي طلبوا، إن ماتطلبونه لا يقدر عليه عبد مأمور مثلي، وإنما يقدر عليه رب عظيم قادر، يقول للشيء كن فيكون! وأنا ما ادعيت ربوبية، وإنما أصرح دائماً بأني عبد الله ورسوله إليكم لأبلغكم رسالته بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سواه وتؤمنوا بالبعث الآخر وتعملوا له بالطاعات وترك المعاصي . وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي وممنع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى^(١) على يد رسولهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾؟ منكرين على الله أن يبعث رسولاً من البشر!

وقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء المنكرين أن يكون الرسول بشراً، المتعجبين من ذلك، قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ساكنين في الأرض لا يغادرونها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم بأمرنا ويعلمهم ما يطلب منهم فعله بإذننا لأنهم يفهمون عنه لرابطة الجنس بينهم والتفاهم الذي يتم لهم . ولذا بعثنا إليكم رسولاً من جنسكم تفهمون ما يقول لكم يقدر على إفهامكم والبيان لكم فكيف إذا تنكرون الرسالة للبشر وهي أمر لا بد منه؟!

(١) الكسف: بفتح السين جمع كسفة بإسكانها، قرأ نافع كسفاً بفتح السين وكذا عاصم وقرأ غيرهما كسفاً بإسكان السين أي: قطعة .

(٢) فسر قبيلاً بعمدة تفسيرات قال ابن عباس: كفيلاً، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمناً يضمون لنا إتيانك به وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية .

(٣) الرقى: مصدر رقى يرقى رقىاً ورقياً أي: صعد المنبر ونحوه .

(٤) الهدى: أي ما يحقق الهداية من الكتب والرسول من عند الله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة الرسول ﷺ .

٢ - بيان شدة عناد مشركي قريش ، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد .

٣ - بيان سخف عقول المشركين برضاهم للالوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر !

٤ - تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لا يتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم انسان مع حيوان أو جان .

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا

وَصُمًّا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِنَّ ذَا كُنَّا عِظْمًا

وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّارْيَبَ فِيهِ فَبِئْسَ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

شهِيدًا : على أي رسول الله إليكم وقد بلغتكم وعلى أنكم كفرتم وعاندتم .

فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ : أي يهدونهم .

عُمِيَائًا وَبُكْمًا : أي يمشون على وجوههم .

صُمًّا : لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون .

كلما خبت	: أي سكن لهابها زدانهم سعيراً أي تلهباً واستعاراً.
وقالوا	: أي منكرين للبعث.
مثلهم	: أي أناساً مثلهم.
أجلاً	: وقتاً محدداً.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة المحمدية إذ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: قل لأولئك المنكرين أن يكون الرسول بشراً، ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على أني رسوله وأنتم منكرون عليّ ذلك.

إنه تعالى كان ومازال ﴿بعباده خبيراً﴾ أي ذا خبرة تامة بهم ﴿بصيراً﴾ بأحوالهم يعلم المحق منهم من المبطل، والصادق من الكاذب وسيجزي كلاً بعدله ورحمته. وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده تعالى فمن يهده الله فهو المهتدي بحق، ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم بحال من الأحوال، وفي هذا الكلام تسلية للرسول وعزاء له في قومه المصيرين على الجحود والانكار لرسالته.

وقوله: ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ أي أولئك المكذبين الضالين الذين ماتوا على ضلالهم وتكذيبهم فلم يتوبوا نحشرهم يوم القيامة، يمشون على وجوههم حال كونهم عمياً لا يبصرون، بكماً لا ينطقون، صماً لا يسمعون وقوله تعالى: ﴿مأواهم جهنم﴾ أي محل استقرارهم في ذلك اليوم جهنم الموصوفة بأنها ﴿كلما خبت﴾ أي سكن لهابها عنهم زادهم الله سعيراً أي تلهباً

(١) روي أن نفرأ من قریش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هل كنت إلا بشراً رسولا﴾ فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾.

(٢) حذف الياء ليقوف على الدال بالسكون وهي لغة فصيحة وفي حال الوصل يؤتى بالياء نطقاً بها.

(٣) جمع الضمير (لهم) مراعاة إلى أن (من) تكون للواحد والمتعدد.

(٤) أي: يسحبون على وجوههم إهانة لهم كما يفعل في الدنيا بمن ينتقم منه حيث يسحبونه على وجهه في الأرض إهانة، ومن سورة القمر قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ وجائز أن يمشوا على وجوههم عند حشرهم إلى جهنم فإذا دخلوها سحبوا على وجوههم لحديث أنس: (أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه؟) في جواب سائل قال أفيحشر الكفار على وجوههم؟

(٥) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصرفة بذلك منها: ﴿ورأى المجرمون...﴾ ومنها: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ ومنها: ﴿قالوا يا مالك ليقتض علينا ربك...﴾

واستعاراً. وقوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ أي ذلك العذاب المذكور جزاؤهم بأنهم كفروا بآيات الله أي بسبب كفرهم بآيات الله. وقولهم إنكاراً للبعث الآخر واستبعاداً له: ﴿إذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ أي تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ ورد الله تعالى على هذا الاستبعاد منهم للحياة الثانية فقال: ﴿أولم يروا﴾ أي أينكرون البعث الآخر؟ ولم يروا بعيون قلوبهم ﴿أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾؟؟! بلى إنه لقادر لو كانوا يعلمون!
 وقوله تعالى: ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ أي وقتاً محدوداً معيناً لهلاكهم وعذابهم ﴿لأريب فيه﴾ وهم صائرون إليه لا محالة، وقوله: ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي مع هذا البيان والاستدلال العقلي أبى الظالمون إلا الجحود والكفران ليحق عليهم كلمة العذاب فيذوقوه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.
- ٢ - الهداية والاضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.
- ٣ - فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.
- ٤ - جهنم جزاء الكفر بآيات الله والانكار للبعث والجزاء يوم القيامة.
- ٥ - دليل البعث عقلي كما هو نقلني فالقادر على البدء، قادر عقلاً على الإعادة بل الإعادة بل الإعادة - عقلاً - أهون من البدء للمخلق من لا شيء.

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَنِي إِسْرَاءَ يَلِ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ

(١) جملة: ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ معطوفة على جملة ﴿أولم يروا﴾ لتأويلها بمعنى: قد رأوا ذلك لو كانوا يعقلون.
 الاجل: الزمن المجعول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال والمراد به هنا مدة حياتهم.

هَؤُلَاءِ الْآرَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٍ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ
يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٦﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

خزائن رحمة ربي	: أي من المطر والأرزاق
لأمسكنم	: أي منعمم الانفاق .
خشية الإنفاق	: خوف النفاق .
قتوراً	: أي كثير الاقتار أي البخل والمنع للمال .
تسع آيات بينات	: أي معجزات بينات أي واضحات وهو اليد والعصا والطمس إلخ .
مسحوراً	: أي مغلوباً على عقلك، مخدوعاً .
ما أنزل هؤلاء	: أي الآيات التسع .
مثبوراً	: هالكاً بانصرافك عن الحق والخير .
فأراد أن يستفزهم	: أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر .
اسكنوا الأرض	: أي أرض القدس والشام .
الآخرة	: أي الساعة .
لفيفاً	: أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ، قل يا محمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب، وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لو كنتم أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكنم بخلاّبها ولم تنفقوها خوفاً من نفاذها إذ هذا طبعكم، وهو البخل، ﴿وكان الإنسان﴾ قبل هدايته وإيمانه ﴿قتوراً﴾ أي كثير التقدير بخلاً وشحاً نفسياً ملازماً له حتى يعالج هذا الشح بما وضع الله تعالى من دواء نافع جاء بيانه في سورة المعارج من هذا

(١) هو قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾^(١) أي ، ولقد أعطينا موسى بن عمران نبي بني إسرائيل تسع آيات وهي : اليد ، والعصا والدم ، وانفلاق البحر ، والطمس على أموال آل فرعون ، والطوفان والجراد والقمل والضفادع ، فهل آمن عليها آل فرعون؟! لا ، إذأ ، فلو أعطيناك ما طالب به قومك المشركون من الآيات الست التي اقترحوها وتقدمت في هذه السياق الكريم مبينة ، ما كانوا ليؤمنوا بها ، ومن هنا فلا فائدة من إعطائك إياها .

وقوله تعالى : ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي سل يابنينا علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره ، إذ جاءهم موسى يطالب فرعون بإرسالهم معه ليخرج بهم إلى بلاد القدس ، وأرى فرعون الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته وأحقية ما يطالب به فقال له فرعون : ﴿إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾ أي ساحراً لإظهارك ما أظهرت من هذه الخوارق ، ومسحوراً بمعنى مخدوعاً مغلوباً على عقلك فتقول الذي تقول مما لا يقوله العقلاء فرد عليه موسى بقوله بما أخبر تعالى به في قوله ﴿لقد علمت﴾ أي فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات أي خالقها ومالكها والمدبر لها ﴿بصائر﴾ أي آيات واضحات مضيئات هاديات لمن طلب الهداية ، فعميت عنها وأنت تعلم صدقها ﴿وإني لأظنك يافرعون مشبوراً﴾^(٢) أي من أجل هذا أظنك يافرعون ملعوناً ، من رحمة الله مبعداً مشبوراً هالكاً . فلما أعيته أي فرعون الحجج والبيات لجأ إلى القوة ، ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي يستخفهم من أرض مصر بالقتل الجماعي استئصالاً لهم ، أو بالنفي والطرده والتشريد ، فعامله الرب تعالى بنقيض ، قصده فأغرقه الله تعالى هو وجنوده أجمعين ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿فأغرقتاه ومن معه﴾ أي من الجنود ﴿أجمعين﴾ وقوله تعالى :

(١) روى الترمذي وصححه والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي : أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله ، فقال : لا تقل له نبي فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين ، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ فقال : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تشؤوا ببريء إلى سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ولا تقدفوا محصنة ولا تفروا من الزحف ، وعليكم يا معشر يهود خاصة ألا تعدوا في السبت فقبلاً يديه ورجليه وقالوا : نشهد أنك نبي قال : ما يمنعكما أن تؤمنا؟ قالوا : إن داود دعا الله ألا يزال في ذريته نبي وإننا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود . وعليه فالمراد بالآيات : آيات التشريع في التوراة ، وهذا وجه . ولا منافاة مع تفسير الآيات بالمعجزات التسع كما في التفسير .

(٢) لا خلاف في اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والدم وإنما الخلاف في الثلاث الباقية وانفلاق البحر مجمع عليه وإنما في الطمس والحجر لأن الحجر كان في النبي بعد نجاته بني إسرائيل .

(٣) الظن هنا بمعنى التحقيق ، وذكر لكلمة مشبور عدة معان كلها صحيحة منها : الهلاك والخسران والخيال والمنع من الخير ،

قال ابن الزبيري :

إذ أجاري الشيطان في سنن النَّسِيِّ وَمَنْ مَالٌ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ أي هالك وخاسر .

﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ﴿اسكنوا الأرض﴾ أي أرض القدس والشام إلى نهاية آجالكم بالموت. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة بعثناكم أحياء كغيركم، ﴿وجئنا بكم لفيقاً﴾ أي مختلطين من أحياء وقبائل وأجناس شتى لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - الشح من طبع الانسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه. ^(١)
- ٢ - الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي .
- ٣ - مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه .
- ٤ - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيقاً أخلاطاً من قبائل وأجناس شتى .

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُوْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
 وَعَدْرُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

- وبالحق أنزلناه : أي القرآن .
 وبالحق نزل : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم والأحكام
 وقرآنًا فرقناه : أن نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك .
 على مكث : أي على مهل وتؤده ليفهمه المستمع إليه .

(١) قال تعالى : ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

ونزلناه تنزيلاً : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكتمل به ولتسعد عليه .
 أوتوا العلم من قبله : أي مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام ،
 وسلمان الفارسي .

للأذقان سجداً : أي سجدوا على وجوههم ، ومن سجد على وجهه فقد خرَّ على ذقنه
 ساجداً .

إن كان وعد ربنا لمفعولاً : منجزاً ، واقعاً ، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل
 عليه كتابه .

معنى الآيات :

يقول تعالى : ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي ذلك الكتاب الذي جحد به الجاحدون ، وكذب به
 المشركون أنزلناه بالحق الثابت حيث لا شك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله ، ﴿وبالحق نزل﴾
 فكل ماجاء فيه ودعا إليه وأمر به . وأخبر عنه من عقائد وتشريع وأخبار ووعد ووعيد كله حق ثابت
 لا خلاف فيه ولا ريبه منه . وقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك لمخلق
 الهداية في قلوب عبادنا ولا لإجبارهم بقوة السلطان على الإيمان بنا وتوحيدها ، وإنما أرسلناك
 للدعوة والتبليغ ﴿مبشراً﴾ من أطاعنا بالجنة ومنذراً من عصانا مخوفاً من النار . وفي هذا تقرير
 لرسالته ﷺ ونبوته وقوله تعالى : ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي أنزلنا القرآن
 وفرقناه في خلال ثلاث وعشرين سنة لحكمة منا اقتضت ذلك وقوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾
 آيات بعد آيات ليكون ذلك أدعى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه ، وقوله تعالى : ﴿ونزلناه^(١)
 تنزيلاً﴾ أي شيئاً فشيئاً حسب^(٢) مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والانسانية ليكملوا به ،
 عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين وقوله تعالى : ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي قل
 يارسولنا للمنكرين للوحي القرآني من قومك ، آمنوا به أولاً تؤمنوا فإن إيمانكم به كعدمه لا يغير
 من واقعه شيئاً فسوف يؤمن به ويسعد عليه غيركم إن لم تؤمنوا أنتم به وهامهم أولاء الذين أوتوا
 العلم من قبله من علماء أهل الكتابين اليهود والنصارى قد آمنوا به ، يريد أمثال عبد الله بن سلام
 وسلمان الفارسي والنجاشي أصحاب الحبشي وإنهم ﴿إذ أتيتهم﴾ أي يُقرأ عليهم ﴿يخرون للأذقان
 سجداً﴾ أي يخرون ساجدين على أذقانهم ووجوههم ويقولون حال سجودهم ﴿سبحان ربنا^(٣)

(١) قال القرطبي : لا خلاف في أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة .

(٢) «تنزيلاً» : مصدر مؤكد لنزوله نجماً بعد نجم وهو معنى مفرقاً آية بعد آية وسورة بعد سورة حتى اكتمل نزوله .

(٣) في الآية دليل على مشروعية التبليغ في السجود وشاهده من السنة رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده وركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) وورد أنه فعله استجابة لقول الله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ آخر سورة النصر .

أي تنزيهاً له أن يخلف وعده إذ وعد أنه يبعث نبي آخر الزمان وينزل عليه قرآناً، ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ إقراراً منهم بالنبوة المحمدية والقرآن العظيم، أي ناجزاً إذ وعد بإرسال النبي الخاتم وإنزال الكتاب عليه فأنجز ما وعد، وهكذا وعد ربنا دائماً ناجز لا يتخلف. وقوله ﴿ويخرون للأذقان^(١) يكون﴾ أي عندما يسمعون القرآن لا يسجدون فحسب بل يخرون ويكونون يزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم واطمئناناً في جوارحهم لأنه الحق سمعوه من ربهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - القرآن حق من الله وما نزل به كله حق .
- ٢ - الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى .
- ٣ - تقرير نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة .
- ٤ - تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب .
- ٥ - بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض .
- ٦ - مشروعية السجود للقاريء أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي ﴿يخرون للأذقان يكون ويزيدهم خشوعاً﴾ فيخر ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلا: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء .

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

(١) ﴿الأذقان﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والسجود على الجبهة والأنف وإنما ذكر الأذقان هنا لأن اللحية تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف إذا كانت طويلة كما هي السنة .

(٢) دلت الآية على أن البكاء في الصلاة لا يقطعها، والخلاف في الفسخ والأنين والتنحنح والصحيح أن ما كان بحروف تسمع كان كلاماً ويقطع الصلاة وما لم يكن بحرف فلا فقد كان النبي ﷺ يبكي في صلاته ويسمع له أزيز كأزيز المرجل .

شرح الكلمات :

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما الله أو الرحمن .
أياما تدعوا : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنی وهذان منها .

ولا تجهر بصلاتك : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله .

ولا تخافت بها : أي ولا تسر به إسراً حتى ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك .

وابتغ بين ذلك سبيلاً : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً .

لم يتخذ ولدأ : كما يقول الكافرون .

ولم يكن له شريك : كما يقول المشركون .

ولم يكن له ولي من الذل : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك ذو الجلال والاکرام .

وكبره تكبيراً : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل .

معنى الآيات :

كان ﷻ يقول في دعائه يا الله . يارحمن ، يارحمن يارحيم فسمعه المشركون وهم يتصيدون له آية شبهة ليثيروها ضده فلما سمعوه يقول : يا الله ، يارحمن قالوا : أنظروا إليه كيف يدعوا لهين وينهانا عن ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أي قل لهم يانبينا أدعوا الله أو ادعوا الرحمن فالله هو الرحمن الرحيم ﴿ فأياما تدعوا ﴾ منهما الله أو الرحمن فهو الله ذو الأسماء الحسنی والصفات العلی وقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أي وسطاً بين السر والجهر ، وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوا قارئه ومن أنزله ، فأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون تابعون له إذا قرأوا في صلاتهم أن لا يجهروا حتى لا

(١) فنزلت الآية مبيّنة أنهما الله والرحمن اسمان لمسمى واحد فإن دُعي يا الله فهو ذاك وإن دعي يارحمن فهو ذاك .

(٢) روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ الخ قوله نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به . فقال الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك أي : أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أي : بين الجهر والمخافة كان هذا في مكة ثم استقرت السنة بالجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأولتين والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء .

يسمع المشركون قراءتهم ولا يسروا حتى لا يحرم سماع القرآن من يصلي وراءهم فأمر رسول الله بالتوسط بين الجهر والسر.

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾. أي أمر الله تعالى الرسول أن يحمد الله الذي لم يتخذ ولداً كما زعم ذلك بعض العرب، إذ قالوا الملائكة بنات الله! وكما زعم ذلك اليهود إذ قالوا عزيز بن الله والنصارى إذ قالوا عيسى بن الله! ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما قال المشركون من العرب: ليبيك اللهم ليبيك ليبيك لا شريك لك ليبيك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ كما قال الصابثون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله! ﴿وكبره﴾ أنت أو عظمه يارسولنا تعظيماً من أن يكون له وصف النقص والافتقار والعجز.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسماً واحداً فيدعى الله تعالى وينادى بأبيها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾
- ٢ - بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين ..
- ٣ - مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.
- ٤ - وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه وتنزيهه عن كل عجز ونقص.
- ٥ - هذه الآية ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل﴾ تسمى آية العز هكذا سماها رسول الله ﷺ.

(١) روي عن عمر أنه قال: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، وورد أن هذه الآية ﴿وقل الحمد لله﴾ الخ خاتمة التوراة وفاتحتها أول سورة الأنعام.

(٢) الإجماع على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماؤه وصفاته توقيفية مصدرها الوحي الإلهي: الكتاب والسنة.

سُورَةُ الْكَهْفِ^(١)

مكية

وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝^(١)
قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝^(٢) مَكِيثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ۝^(٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝^(٤)
مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝^(٥) فَلَعَلَّكَ بِخَعِّقِ نَفْسِكَ
عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يَؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝^(٦)

شرح الكلمات :

الحمد لله	: الحمد الوصف بالجميل، والله علم على ذات الرب تعالى .
الكتاب	: القرآن الكريم .
ولم يجعل له عوجاً	: أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه .
قيماً	: أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه
بأساً شديداً	: عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة .

(١) روى مسلم : ﴿من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ وروى الدرامي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق) . . . وروي أيضاً (أن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال) .

- من لدنه : من عنده سبحانه وتعالى .
 أجراً حسناً : أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات .
 كبرت كلمة : أي عظمت فريه وهي قولهم الملائكة بنات الله .
 إن يقولون إلا كذباً : أي ما يقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج .
 باخع نفسك : قاتل نفسك كالمنتحرج .
 بهذا الحديث أسفاً : أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد .

معنى الآيات :

أخبر تعالى في فاتحة سورة الكهف بأنه المستحق للحمد، وأن الحمد لله وذكر موجب ذلك، وهو إنزاله على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الفخم العظيم وهو القرآن العظيم الكريم فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وقوله تعالى، ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ أي ولم يجعل لذلك الكتاب العظيم عوجاً أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه فهو كلام مستقيم محقق للأخذ به كل سعادة وكمال في الحياتين. وقوله ﴿قيماً﴾ أي معتدلاً خالياً من الإفراط والتفريط قيماً على الكتب السابقة مهيمناً عليها الحق فيها ما حقه والباطل ما أبطله.

وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي أنزل الكتاب الخالي من العوج القيم من أجل أن ينذر الظالمين من أهل الشرك والمعاصي عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ينزل بهم من عند ربهم الذين كفروا به وأشركوا وعصوه وكذبوا رسوله وعصوه. ومن أجل أن يبشر بواسطته أيضاً ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يخبرهم بما يسرهم ويفرح قلوبهم وهو أن لهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقوله تعالى: ﴿وينذر﴾ بصورة خاصة أولئك المتقولين على الله المفترين عليه بنسبتهم الولد إليه فقالوا: ﴿اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله! هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو قول توارثوه لا علم لأحد منهم به، وإنما هو مجرد كذب يتناقلونه

(١) روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أن وقدأ من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا - محمد ﷺ - فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقول ففروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواقة قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فانظروا في أمره ما بدالكم وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: (أخبركم بما سألتكم عنه غداً؛ ولم يستش أي: لم يقل إن شاء الله فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوها.

(٢) العوج: ضد الاستقامة وهو الانحراف في الذوات والمعاني وتكسر عينه وتفتح، وقيل: الكسر في المعاني والفتح في الذوات.

بينهم لذا قبح الله قولهم هذا وعجب منه العقلاء، فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي عظم قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ كلمة قالوها تخرج من أفواههم لا غير إذ لا واقع لها أبداً، وقرر الإنكار عليهم فقال: ﴿إن يقولون إلا كذبا﴾ أي ما يقولون إلا الكذب البحت الذي لا يعتمد على شيء من الصحة البتة. وقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يعاتب الله تعالى رسوله ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات أي فلعلك يارسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك ويكتابك وما جئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل واصبر لحكم ربك فإنه منجز وعده لك بالنصر على قومك المكذبين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب حمد الله تعالى على آياته وعظيم نعمه.
- ٢ - لا يحمد إلا من له ما يقتضي حمده، وإلا كان المدح كذباً وزوراً.
- ٣ - عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الإفراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.
- ٤ - بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان والإنذار لأهل الشرك والكفران.
- ٥ - التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.
- ٦ - تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحمران.

إِنَّا

جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
 ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
 أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنَّا مِنَّا عَجَبًا ﴿٩﴾
 إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
 وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي

(١) ﴿باخع﴾ مهلك نفسك، قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه بشيء نحتة عن يديه المقادر
 وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدة الحزن.

الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

صعيداً جرزاً	: أي تراباً لا نبات فيه ، فالصعيد هو التراب والجرز الذي لا نبات فيه .
الكهف	: النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له «غار»
والرقيم	: لوح حجري رقت فيه أسماء أصحاب الكهف .
أوى الفتية إلى الكهف	: اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه .
الفتية	: جمع فتى وهم شبان مؤمنون .
هيء لنا من أمرنا رشداً	: أي يسر لنا طريق رشد وهداية .
فضربنا على آذانهم	: أي ضربنا على آذانهم حجاً بئس ما يمنعونهم من سماع الأصوات والحركات .
سنين عددا	: أي أعواماً عدة .
ثم بعثناهم	: أي من نومهم بمعنى أيقظناهم .
أحصى لما لبثوا	: أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف .
أمداً	: أي مدة محدودة معلومة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ من حيوان وأشجار ونبات وأنهار وبحار، وقوله ﴿لنبلوهم﴾ أي لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ أي أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا وقوله : ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي وإنا لمخربوها في يوم، من الأيام بعد عمارتها ونضارتها وزينتها نجعلها ﴿صعيداً جرزاً﴾ أي تراباً لا نبات فيه، إذاً فلا تحزن يارسولنا ولا تغتم مما تلاقه من قومك فإن مآل الحياة التي من أجلها عادوك وعصوننا إلى أن

(١) الجرز: القاحل الأجرد الذي لا نبات فيه .

(٢) الصعيد: وجه الأرض والجمع صُعد، والصعيد: الطريق أيضاً لحديث الصحيح : (إياكم والقعود على الصدقات) أي : الطرق، وجمع الجرز: أجزاز يقال سنين أجزاز لا مطر فيها ولا عشب ولا نبات .

تصبح صعيداً جزأً. وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ^(١) كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ أي أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الكهف والرقيم وهو اللوح الذي كتبت عليه ورقم أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات، السموات والأرض بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير. وقوله: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أوا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنوهم في دينهم وهم سبعة شبان ومعهم كلب لهم فقالوا سائلين ربهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْداً﴾ أي أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْداً﴾ أي ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رَشْداً﴾ أي سداداً وصلاًحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف وقوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدْداً﴾ أي فضربنا على آذانهم حجاًباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات فاناموا في كهفهم سنين معدودة أي ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا يتقبلون بلطف الله وتدييره لهم من جنب إلى جنب حتى بعثهم من نومهم وهذا استجابة الله تعالى لهم إذ دعوه قائلين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا﴾ أي من نومهم ورقادهم ﴿لِنَعْلَمَ أَيِ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا﴾ أي في الكهف ﴿أَمْداً﴾ أي لنعلم علمَ مشاهدة ولينظر عبادي فيعلموا أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر لبيثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبيثهم في الكهف حيث اختلف الناس إلى حزبين حزب يقول لبثوا في كهفهم كذا سنة وآخر يقول لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين.

(١) (أَمْ) هذه هي المنقطعة التي تقدر ببل والاستفهام للتعجب.

(٢) ويجمع الرقيم على رُقم، والرقيم: فعيل بمعنى مفعول أي: مرقوم بمعنى مكتوب.

(٣) إن إمامة الأحياء أعجب من إمامة أصحاب الكهف.

(٤) الرشد: بفتح السين: الخير، وإصابة الحق والنفع والصلاح أيضاً.

(٥) أي: حائلاً كمشاة ونحوها مما يحول دون السمع، ومعنى ضربنا، جعلنا أو وضعنا كقوله: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ﴾ أي: جعلت وألصقت بهم.

(٦) يبعد أن يكون المراد بالحزبين: هم أصحاب الكهف أنفسهم بل الذين اختلفوا فيهم حزبان من الأمة التي اكتشفتم بعد مضي سنين عديدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها.

٢ - تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيداً جزراً وقاعاً صفضاً لا يرى فيها عوج ولا أمت.

٣ - تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالايجاز والتفصيل.

٤ - تقرير التوحيد ضمن قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفاً من الشرك والكفر.

٥ - استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فأوهم الغار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد.

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ

إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا رَبَّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ

قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم

بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذْ أَعَزَّلْنَا طَمُوهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا

﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

: أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.

نباهم بالحق

: أي إيماناً وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى صبروا على الهجرة.

وزدناهم هدى

وربطنا على قلوبهم : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.

لن ندعوا من دونه إلها : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.

لولا يأتون عليهم بسلطان : أي هلا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.

على الله كذباً : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها .

فأووا إلى الكهف : أي انزلوا في الكهف تستترون به على أعين أعدائكم المشركين .

ينشر لكم ربكم من رحمته : أي ييسر من رحمته عليكم بنجاتكم مما فرتم منه .

ويهيء لكم من أمركم : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب .

مرفقا : أي ما ترتفقون به وتتفجعون من طعام وشراب وإواء .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى موجز قصة أصحاب الكهف أخذ في تفصيلها فقال ﴿نحن نقص عليكم نبأهم بالحق﴾^(١) أي نحن رب العزة والجلال نقص عليك أيها الرسول خير أصحاب الكهف بالحق الثابت الذي لا شك فيه ﴿إنهم فتية﴾^(٢) ، جمع فتى ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها وقوله ﴿وزدناهم هدى﴾ أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارهه .

وقوله تعالى : ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي قوينا عزائمهم بما شددنا على قلوبهم حتى قاموا وقالوا على رؤوس الملأ وأمam ملك كافر ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ أي ليس لنا رب سواه ، لن ندعوا من دونه إلهاً مهما كان شأنه ، إذ لو اعترفنا بعبادة غيره لكننا قد قلنا إذا شططاً من القول وهو الكذب والغلو فيه وقوله تعالى : ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يخبر تعالى عن قيل الفتية لما ربط الله على قلوبهم إذ قاموا في وجه المشركين الظلمة وقالوا : ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ أي هلا يأتون عليهم بسلطان بين أي بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله ؟ ومن أين ذلك والحال أنه لا إله إلا الله ؟ !

وقوله تعالى : ﴿فمن أظلم ممن افترى﴾^(٣) ينفي الله عز وجل أن يكون هناك أظلم ممن افترى

(١) الحق هنا بمعنى الصدق في الإخبار والباء في قوله ﴿بالحق﴾ للملابسة أي : القصص المصاحب للصدق والنبا : الخير ذو الشأن والأهمية .

(٢) الجملة بيانية أي : مبينة للقصص .

(٣) ﴿من﴾ ابتدائية ، أي آلهة ناشئة من غير الله تعالى .

(٤) ﴿من﴾ اسم استفهام ، ومعناه الإنكار والنفي ، الإنكار على من اتخذ آلهة دون الله تعالى ، والنفي لوجود آلهة حق مع الله تعالى .

على الله كذباً باتخاذ آلهة يعبدونها معه باسم التوسل بها وشعار التشفع والتقرب إلى الله زلفى بواسطتها !! وقوله تعالى عن قيل أصحاب الكهف لبعضهم: ﴿وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُم مَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأَوَّوْا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي فصيروا إلى غار الكهف المسمى «بنجلوس» ﴿يُنشِرْ لَكُمْ رِبْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي ييسط لكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي رميتم به من الكافر «دقینوس» ﴿وَيَهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾ أي ما ترتفقون به من طعام وشراب وأمن في ماواكم الجديد الذي أوتيم إليه فراراً بدينكم واستخفائكم من طالبكم المتعقب لكم ليفتنكم في دينكم أو يقتلكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف .
- ٢ - تقرير زيادة الإيمان ونقصانه .
- ٣ - فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أو السجن .
- ٤ - تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف .
- ٥ - بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها .
- ٦ - الشرك ظلم وكذب والمشرك ظالم مفتر كاذب .
- ٧ - تقرير فرض الهجرة في سبيل الله .
- ٨ - فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

﴿ وَيُضِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ وَلِيَا مَرِّشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ رُفُودٌ وَنَقَلِبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبَهُمْ ﴾

(١) أي : قالوا ما قالوه على سبيل النصح والمشورة الصائبة .

بَسِطْ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

تزاور	: أي تميل .
تقرضهم	: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيهم .
في فجوة منه	: متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها .
من آيات الله	: أي دلائل قدرته .
أيقاظاً	: جمع يقظ أي متبهين لأن أعينهم منفتحة .
بالوصيد	: فناء الكهف .
رُعباً	: منعهم الله بسببه من الدخول عليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في خطاب رسوله ﷺ ﴿وتسرى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾^(١) أي تميل عنه ذات اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيهم ذات الشمال . وقوله تعالى : ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ، وقوله ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي وذلك المذكور من ميلان الشمس عنهم إذا طلعت وقرضها لهم إذا غربت من دلائل قدرة الله تعالى ورحمته بأوليائه ولطفه بهم^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده وكذلك الإضلال فليطلب العبد من ربه الهداية إلى صراطه المستقيم ، وليستعذ به من الضلال المبين ، إذ من يضلله الله لن يوجد له ولي يرشده بحال من الأحوال ، وقوله تعالى : ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ أي انك إذا نظرت إليهم تظنهم أيقاظاً

(١) ﴿تزاور﴾ : تتنحى أو تميل من الأزور والزور : الميل ، والأزور من الناس : المائل النظر إلى ناحية وأزور : مال ومنه قول عنترة :

فأزور من وقع القنابلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

الللبان : الصدر ، والتحمحم : صوت دون الصهيل .

(٢) الفجوة : والجمع فجوات وفجاء وهو المتسع

(٣) والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلاء ، وتغير الأبدان والألوان والتأذي بحر أو برد .

(٤) ﴿رقود﴾ جمع راقد كراقع وركوع ، وساجد وسجود ، والتقليب : تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه وفعل الله تعالى هذا للحكمة وهي : حتى لا تؤثر الأرض على أجسامهم فتبلى ، ولم يعرف كم مرة يقبلون فيها في الشهر أو العام أو في أقل أو أكثر .

أي متبهمين لأن أعينهم مفتوحة وهم رقود نائمون لا يحسّون بأحد ولا يشعرون ، وقوله تعالى : ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ أي جهة اليمين ﴿وذات الشمال﴾ أي جهة الشمال حتى لا تعدو التربة على أجسادهم فتبليها . وقوله : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي : وكلبهم الذي خرج معهم ، وهو كلب صيد ﴿باسط ذراعيه بالوصيد﴾^(١) أي : بفناء الكهف . وقوله تعالى : ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي لو شاهدتهم وهم رقود وأعينهم مفتحة ﴿لوليت منهم فراراً﴾ لرجعت فراراً منهم ﴿ولملت منهم رعباً﴾ أي خوفاً وفزعاً ، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد ويمسهم بسوء إلى أن يوقظهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم ، ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظيم سلطانه وعجيب تدبيره في خلقه .

من هداية الآيات :

- ١ - بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه .
- ٢ - تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله ، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك .
- ٣ - بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم .

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ

لَيْتَسَاءَ لَوْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ يَتَرَقِّكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ

(١) فناء عند مدخل الكهف فشيبه بالباب الذي هو الوصيد لأنه يوصد ويغلق .

السَّاعَةَ لَارِيْبَ فِيهَا إِذِ يَنْزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
 أَمْرِهِمْ لَنْتَخِذَكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

- كذلك بعثناهم : أي كما أنماهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم من رقدهم بعثاً^(١)
 خارقاً للعادة أيضاً فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم آية .
- كم لبثتم : أي في الكهف نائمين .
- يوماً أو بعض يوم : لأنهم دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا عشية .
- بورقكم : بدراهم الفضة التي عندكم .
- إلى المدينة : أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم .
- أزكى طعاماً : أي أيُّ أطعمة المدينة أحلُّ أي أكثر حليَّةً .
- وليتلطف : أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء .
- يرجموكم : أي يقتلوكم رمياً بالحجارة .
- أعثرنا عليهم : أطلعنا عليهم أهل بلدهم .
- ليعلموا : أي قومهم أن البعث حق للأجساد والأرواح معا .
- إذ يتنازعون : أي الكفار قالوا ابنوا عليهم أي حولهم بناء يستريحهم .
- فقالوا : أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم .
- وقال الذين غلبوا على أمرهم : وهم المؤمنون لتتخذن حولهم مسجداً يصلى فيه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أصحاب الكهف فقوله تعالى ﴿ وكذا بعثناهم ليتساءلوا بينهم ﴾ أي كما أنماهم ثلاثمائة سنة وتسعاً وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى

(١) البعث: التحريك من سكون أي: كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدًى وقلبناهم بعثناهم أيضاً أي: ايقظناهم من رقدهم على ما كانوا عليه من ثيابهم وأحوالهم .

ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطاننا بعثناهم من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً كم لبثتم يا إخواننا فأجاب بعضهم قائلاً ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح وبعثوا من رقدهم في المساء وأجاب بعض آخر بقول مُرضٍ للجميع وهو قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فسلموا الأمر إليه، وكانوا جياً فقالوا لبعضهم ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾^(١) يشيرون إلى عملة من فضة كانت معهم ﴿إلى المدينة﴾ وهي أفسوس التي خرجوا منها هاربين بدينهم. وقوله: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ أي فلينظر الذي تبعثونه لشراء الطعام أي أنواع الأطعمة أزكى أي أطهر من الحرام والاستقذار ﴿فليأتكم برزق منه﴾ لتأكلوه سداً لجوعكم وليلطف في شرائه وذهابه وإيابه حتى لا يشعر بكم أحداً وعلل لقوله هذا بقوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يطلعوا ﴿يرجموكم﴾ أو يقتلوكم رجماً بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ ملة الشرك بالقسر والقوة. ﴿ولن تفلحوا إذا أبدأ﴾ أي ولن تفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا أتم عدتم للكفر والشرك . . فكفرتم وأشركتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة وبعثناهم ليتساءلوا بينهم فيزدادوا إيماناً ومعرفةً بولاية الله تعالى وحمايته لأولياته ﴿أعرنا عليهم﴾ أهل مدينتهم الذين انقسموا إلى فريقين فريق يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح، وفريق يقول البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم، فأنام الله الفتية وبعثهم وأعر عليهم هؤلاء القوم المختلفين فاتضح لهم أن الله قادر على بعث الناس أحياء أجساماً وأرواحاً كما بعث أصحاب الكهف وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا﴾ أي أولئك المختلفون في شأن البعث أن وعد الله حق وهو ما وعد به الناس من أنه سيبعثهم بعد موتهم يوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم. ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ

(١) قال ابن عباس كان معهم دراهم فضة عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم والورق: الفضة، وقرىء بكسر الراء وقرىء بسكونها.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز الوكالة في كل مباح مأذون فيه وسواء كان الموكل عاجزاً أو قادراً ورأى بعضهم أن القادر لا يوكل، والصحيح جوازه، وقد وكل النبي ﷺ وهو صحيح حاضر، ووكل علي رضي الله عنه ووكل كثير من الصحابة من ينوب عنهم في أمورهم.

(٣) الجمهور على أن نصف حروف القرآن التاء من قوله: ﴿وليتلطف﴾ أي: نصف القرآن من الفاتحة إلى ﴿وليتلطف﴾ والنصف الآخر والأخير منها إلى الناس.

(٤) القتل بالرجم بالحجارة أشقى لصدور أهل الدين لأنهم يشاركون في القتل بالرجم.

(٥) أطلعنا عليهم. يقال عثر على كذا: وقف عليه برجله ومنه العثار للرجل وأعثر عليه: جعل غيره يعثر عليه بمعنى يقف عليه مطلقاً عليه ظاهراً.

يتنازعون بينهم أمرهم ﴿ أي أعثرناهم عليهم في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام . فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معاً . وقوله تعالى : ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ﴾ وتركوهم في الكهف أي سدوا عليهم باب الكهف وتركوهم فيه لأنهم بعد أن عثروا عليهم ماتوا ﴿ ربهم أعلم بهم ﴾ وبحالهم .

وقوله تعالى : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ أي قال الذين غلبوا على أمر الفتية لكون الملك كان مسلماً معهم ﴿ لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ ^(١) أي للصلاة فيه وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته .

٢ - وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرها .

٣ - الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبداً .

٤ - تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة .

٥ - مصداق قول الرسول ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة » (في الصحيحين) .

٦ - مصداق قول الرسول ﷺ « لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع » . إذ قد بنى ^(٢) المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد . بعد القرون المفضلة حتى أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور. ^(٣)

(١) اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمة، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ وحذر منه وحرمه على أمته لما يفضي به إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرا كنيسة رأتاها بالحبيشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال ﷺ « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . وروى مسلم : (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) وفي الصحيحين : (لعنة الله على اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا) .

(٢) روى الترمذي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال : (نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يبنى عليها وأن توطأ) وروى أبو داود والترمذي وغيرهما أن علياً قال لأحد رجاله أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها) والمراد بالمشرف : العالي المرتفع أما تسنيم القبر شبراً وأكثر ليعرف فلا بأس به .

(٣) ذكر القرطبي هنا أن الدفن في الثابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة وقال : روي أن دانيال عليه السلام كان في تابوت من حجر وأن يوسف عليه السلام أوصى بأن يتخذ له تابوت من زجاج .

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ

رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
 بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ
 بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا
 وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ
 إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ
 إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
 ﴿٢٤﴾ وَلَيْثُوَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا
 ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
 فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- رجماً بالغيب : أي قذفاً بالظن غير يقين علم .
 ما يعلمهم إلا قليل : أي من الناس .
 فلا تمار فيهم : لا تجادل في عدتهم .
 ولا تستفت فيهم منهم أحداً : أي من أهل الكتاب ، الاستفتاء : الاستفهام والسؤال .
 إلا أن يشاء الله : أي إلا أن تقول إن شاء الله .
 لأقرب من هذا رشداً : هداية وأظهر دلالة على نبوتي من قصة أصحاب الكهف .
 له غيب السموات والأرض : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما
 أبصر به وأسمع : أي أبصر بالله وأسمع به صيغة تعجب ! والأصل ما أبصره وما أسمع
 ما لهم من دونه من ولي : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله أي من ناصر .

ولا يشرك في حكمه أحداً : لأنه غني عما سواه ولا شريك له .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحاب الكهف يخبر تعالى بأن الخائضين في شأن أصحاب الكهف سيقول بعضهم بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعض آخرهم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجماً بالغيب﴾ أي قذفاً بالغيب من غير علم يقيني ، ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم ، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأصحابه تلك الأقوال : ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ولعله فهم ذلك من سياق الآية إذ ذكر تعالى أن الفريقين الأول والثاني قالوا ما قالوه من باب الرجم بالغيب لا من باب العلم والمعرفة ، وسكت عن الفريق الثالث ، فدل ذلك على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿فلا تمار فيهم إلا مرأاً ظاهراً﴾ أي ولا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً بيناً ليناً بذكرك ما قصصنا عليك دون تكذيب لهم ، ولا موافقة لهم . وقوله تعالى ﴿ولا تستفت منهم﴾ أي في أصحاب الكهف «منهم» أي من أهل الكتاب أحداً وذلك لأنهم لا يعلمون عدتهم وإنما يقولون بالحرص والتخمين لا بالعلم واليقين . وقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ أي لا تقل يا محمد في شأن تريد فعله مستقبلاً أي سأفعل كذا إلا أن تقول إن شاء الله ، وذلك أنه ﷺ لما سأله وفد قريش بإيعاز من اليهود عن المسائل الثلاث : الروح ، وأصحاب الكهف وذو القرنين ، قال لسائليه : أجيبكم غداً انتظاراً للوحي ولم يقل إن شاء الله ، فأدبه ربه تعالى بانقطاع الوحي عنه نصف شهر ، وأنزل هذه السورة وفيها هذا التأديب له ﷺ وقوله : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج . أما الكفارة فلازمة إلا أن يكون الاستثناء متصلاً بالكلام وقوله تعالى : ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي وقل بعد النسيان والاستثناء المطلوب منك ﴿عسى أن يهديني

(١) أصل الرجم هو الرجم بالحجارة ونحوها والمراد به هنا ، رمي الكلام من غير رؤية ولا تثبت ، والمراد أن ما قالوه في بيان عددهم هو من باب القول بالظن بدون علم .

(٢) المراد : بالظاهر هو الذي لا سبيل إلى انكاره ولا يطول الخوض فيه .

(٣) الاستفتاء : طلب الفتيا وهي الخبر عن أمر لا يعلمه إلا ذوو العلم روي أن النبي ﷺ سأل بعض نصارى نجران فنهى عن ذلك .

(٤) لشيء أي : في شيء أو لأجل شيء .

(٥) أي : إلا أن تذكر مشيئة الله تعالى .

الكهف

ربي لأقرب من هذا رشداً ﴿ أي لعل الله تعالى أن يهديني فيسددني لأسد ما وعدتكم أن أخبركم به مما هو أظهر دلالة على نبوتي مما سألتموني عنه اختصاراً لي . وقوله تعالى : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ يخبر تعالى أن الفتية لبثوا في كهفهم رقوداً من ساعة دخلوه إلى أن أعتز الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري .

وقوله : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ رد به على من قال من أهل الكتاب إن الثلاثمائة والتسع سنين هي من ساعة دخولهم الكهف إلى عهد النبي ﷺ فأبطل الله هذا بتقرير الثلاثمائة والتسع أولاً ويقوله ﴿ الله أعلم بما لبثوا ﴾ ثانياً ويقوله : ﴿ له غيب السموات والأرض ﴾ أي ما غاب فيهما ، ثالثاً ، ويقوله : ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ أي ما أبصره بخلفه وما أسمع لأقوالهم حيث لا يخفى عليه شيء من أمورهم وأحوالهم خامساً ، وقوله ﴿ ليس لهم ﴾ أي لأهل السموات والأرض من دونه تعالى ﴿ من ولي ﴾ أي ولا ناصر ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ لغناه عما سواه ولعدم وجود شريك له بحال من الأحوال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية .
- ٢ - بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم .
- ٣ - من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلاً إلا قال بعدها إن شاء الله .
- ٤ - من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلاً بكلامه .
- ٥ - تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري .

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ

رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً ﴿٢٧﴾
وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ

(١) قرأ الجمهور ﴿ثلاثمائة﴾ بالتثنية و﴿سنين﴾ منصوب على التمييز أو على البدلية، فهو مجرور، وقرأ خلافهم بإضافة ثلاثمائة إلى سنين.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات:

- واتل ما أوحى إليك من الكتاب : أي اقرأ القرآن تعبدًا ودعوة وتعليمًا.
لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.
ملتحدًا : أي ملجأ تميل إليه إحتماءً به .
واصبر نفسك : أي إحبسها .
يريدون وجهه : أي طاعته ورضاه ، لا عرضاً من عرض الدنيا .
ولا تعد عينك عنهم : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا .
تريد زينة الحياة الدنيا : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر .
من أغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا .
وكان أمره فرطاً : أي ضياعاً وهلاكاً .
أحاط بهم سرادقها : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار .

بماء كالمهل : أي كعكر الزيت أي الدردي وهو ما يبقى في أسفل الإناء
ثخناً رديئاً.

من سندس واستبرق : أي مَارَقَ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه أي من
الديباج.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث عن أصحاب الكهف أمر تعالى رسوله بتلاوة كتابه فقال : ﴿واتل﴾ أي واقرأ^(١)
﴿ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ تعبداً به ودعوة للناس إلى ربهم به وتعليماً للمؤمنين بما جاء
فيه من الهدى.

وقوله : ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا تترك تلاوته والعمل به والدعوة إليه فتكون من الهالكين
فإن ما وعد ربك به المعرضين عنه المكذبين به كائن حقاً وواقع صدقاً فإن ربك ﴿لا مبدل
لكلماته﴾ المشتملة على وعده وألويائه ووعيده لأعدائه ممن كفروا به وكذبوا بكتابه فلم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه.

وقوله تعالى : ﴿ولن تجد من دون ملتحداً﴾ أي انك إن لم تتل كتابه الذي أوحاه إليك وتعمل
بما فيه فَنَأَلَّكَ ما أوعد به الكافرين المعرضين عن ذكره. ﴿لن تجد من دون الله ملتحداً﴾ أي
موثلاً تتل إليه وملجأً تحتمي به وإذا كان مثل هذا الوعيد الشديد يوجه إلى رسول الله ﷺ وهو
المعصوم فغيره ممن تركوا تلاوة القرآن والعمل به فلا أقاموا حدوده ولا أحلوا حلاله ولا حرموا
حرامه أولى بهذا الوعيد وهو حائق بهم لا محالة إن لم يتوبوا قبل موتهم وقوله تعالى : ﴿واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ نزل هذا التوجيه للرسول ﷺ
عندما عرض عليه المشركون إبعاد أصحابه الفقراء كبلال وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا
منه فنهاه ربه عن ذلك وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين ﴿الذين يدعون﴾ ربهم
في صلاتهم في الصباح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسيبهم ودعائهم عرضاً من أعراض الدنيا
وإنما يريدون رضا الله ومحبته بطاعته في ليلهم ونهارهم.

وقوله تعالى : ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾ أي لا تتجاوز بصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك
الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر وقوله ﴿ولا تطع﴾ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ فجعلناه غافلاً

(١) تضمنت هذه الآية : ﴿واتل﴾ الخ الرد على المشركين إذ المعنى : لا تعبا بهم إن كرهوا تلاوة بعض القرآن لأن فيها
التعريض بآلئهم والتنديد بها حتى طالبوك بأن تجعل بعض القرآن للثناء عليها أو عليهم.

(٢) لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

(٣) روي أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي لأنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه وهو إبعاد الفقراء وتقريب صنديد قريش.

عن ذكرنا وذكر وعدنا ووعيدنا ليكون من الهالكين لعناده وكبريائه وظلمه. ﴿وكان أمره فرطاً﴾^(١) أي ضياعاً وهلاكاً، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ أي هذا الذي جئت به وأدعو إليه من الإيمان والتوحيد والطاعة لله بالعمل الصالح هو ﴿الحق من ربكم﴾ أيها الناس. ﴿فمن شاء﴾ الله هدايته فآمن وعمل صالحاً فقد نجاه ومن لم يشأ الله هدايته فَبَقِيَ على كفره فلم يؤمن فقد خاب وخسر.

وقوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ أي جدرانها النارية. ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ رديئاً ثخيناً ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا أدناه الشارب من وجهه ليشرب شوى جلده ووجهه ولذا قيل فيه ذم له. ﴿بئس الشراب وساءت﴾ أي جهنم ﴿مرتفقاً﴾ في منزلها وطعامها وشرابها إذ كله سوء وعذاب هذا وعيد من اختار الكفر على الإيمان وأما وعد من آمن وعمل صالحاً وقد تضمنته الآيتان (٣١-٣٢) إذ قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا حكمنا الذي لا تبديل له وبين تعالى أجرهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم فقال: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة دائمة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، متكئين فيها على الأرائك﴾ وهي الأسرة بالحجلة^(٣). ثم أثنى الله تعالى على نعيمهم الذي أعده لهم بقوله: ﴿نعم الثواب﴾ الذي أثبوا به ﴿وحسنت﴾ الجنة في حليها وثيابها وفرشها وأسرتها وطعامها وشرابها وحورها ورضوان الله فيها ﴿حسنت مرتفقاً﴾ يرتفقون فيه وبه، جعلنا الله من أهلها

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام.

(١) الفرط: الظلم والاعتداء وهو مشتق من الفروط وهو السبق لأن الظلم سبق في الشر والظلم يؤدي إلى الهلاك والضياع والخسران.

(٢) الأمر في قوله ﴿فليؤمن﴾ و﴿فليكفر﴾ للتسوية بينهما وليس في هذا إذن لهم بالكفر وإنما الخطاب للتهديد والوعيد لمن اختار الكفر على الإيمان بدليل الجملة التعليلية: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا﴾ الخ، والمراد بالظالمين المشركون لقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

(٣) ﴿الأرائك﴾: جمع أريكة وهي مجموع سرير وحجلة، والحجلة: قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال فإذا وضع فيها سرير فهي أريكة يجلس فيها وينام.

(٤) (المرتفق): محل الارتفاق، وإطلاق المرتفق على النار تهكم، إذ النار لن تكون محل راحة وارتفاق أبداً بل هي دار شقاء وعذاب.

- ٢ - الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه .
 ٣ - على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق ، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم .
 ٤ - الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين .
 ٥ - عذاب النار شر عذاب ، ونعيم الجنة ، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك .

❁ وَأَضْرَبَ

لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
 بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجِنَّتَيْنِ ءَأَنْتِ أَكْلَاهَا وَلَمْ
 تَظْلِمِي مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ
 لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
 وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
 أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
 ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

- واضرب لهم مثلاً : أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين . . . الخ
 جنتين : أي بستانين .
 وحففناهما بنخل : أي أحطناهما بنخل .
 آتت أكلها : أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل .
 ولم تظلم منهم شيئاً : أي ولم تنقص منه شيئاً بل آتت به كاملاً ووافياً .

خلالهما نهراً	: أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً .
وهو يحاوره	: أي يحادثه ويتكلم معه .
وأعز نفرأ	: أي عشيرة ورهطاً .
تبيد	: أي تفتني وتذهب .
خيراً منها منقلباً	: أي مرجعاً في الآخرة .
أكفرت بالذي خلقك من تراب!؟	: الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم .
من نطفة	: أي مني .
ثم سواك	: أي عدلك وصيرك رجلاً .
لكنا	: أي لكن أنا، حذف الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا .
هو الله ربي	: أي أنا أقول الله ربي .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ : واضرب لأولئك المشركين المتكبرين الذين اقترحوا عليك أن تطرد الفقراء المؤمنين من حولك حتى يجلسوا إليك ويسمعوا منك ﴿اضرب﴾^(١) لهم ﴿أي اجعل لهم مثلاً﴾ : ﴿رجلين﴾ مؤمناً وكافراً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين من أعناب وحفناهما بنخل﴾ أي أحطناهما بنخل ، ﴿وجعلنا بينهما﴾ أي بين الكروم والنخيل ﴿زرعاً﴾ ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي لم تنقص منه شيئاً ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ ليسقيهما . ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي في الكلام يراجعه، ويُفاخره : ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾^(٢) أي عشيرة ورهطاً، قال هذا فخراً وتعاضماً . ﴿ودخل جنته﴾ والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ بالكفر والكبر وقال : ﴿ما أظن أن تبديد هذه﴾ يشير إلى جنته ﴿أبداً﴾ أي لا تفتنى . ﴿وما أظن الساعة

(١) اختلف في تحديد الفريقين الذين ضرب لهما المثل، وفي الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، والظاهر أن الفريقين اللذين ضرب لهما المثل هم المؤمنون والكافرون المستكفون عن مجالسة المؤمنين، وأما الرجلان فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني إسرائيل وهو الظاهر والله أعلم .

(٢) قال سيبويه : أصل كلا كَلُوا وأصل كلتا كلوا فحذفت لام الفعل من كلتا وعوضت التاء عن اللام المحذوفة لتدل التاء على التأنيث .

(٣) ﴿وكان له ثمر﴾ . الجملة في محل نصب على الحال، والتمر بضم التاء والميم المال الكثير المختلف من التقدين والأنعام والجنات والمزارع مأخوذ من : ثمر ماله : إذا كثر، وقرأ الجمهور بضم التاء والميم وقرأ حفص بفتحهما .

(٤) أعز أي أشد عزةً، والنفر : عشيرة الرجل الذين ينفرون معه للدفاع أو القتال والمراد بالنفر هنا أولاده .

(٥) الظن هنا بمعنى الاعتقاد ومعنى تبيد : تفتنى وتهلك .

قائمة ولئن رددت إلى ربي ﴿ كما تقول أنت ﴿ لأجدن خيراً منها ﴿ أي من جنتي ﴿ منقلباً ﴿ أي مرجعاً إن قامت الساعة وبعث الناس وبعثت معهم . هذا القول من هذا الرجل هو ما يسمى بالغرور النفسي الذي يصاب به أهل الشرك والكبر . وهنا قال له صاحبه المسلم ﴿ وهو يحاوره ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴿؟ وهو الله عز وجل حيث خلق أباك آدم من ﴿ تراب ثم من نطفة ﴿ أي ثم خلقك أنت من نطفة أي من مني ﴿ ثم سواك رجلاً ﴿ وهذا توبيخ من المؤمن للكافر المغرور ثم قال له : ﴿ لكننا هو الله ربي ﴿ أي لكن أنا أقول هو الله ربي ، ﴿ ولا أشرك بربي أحداً ﴿ من خلقه في عبادته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني الخفية إلى الأذهان .
- ٢ - بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم .
- ٣ - تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء .
- ٤ - التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر .

وَلَوْلَا إِذْ

دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَأُقُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا
 أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصَبِحُ صَعِيدًا
 زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
 وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَاقُلُّبُ كَفِيَّةٍ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْسَ لِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ

(١) قرأ الجمهور (منهما) بالثنية وقرأ عاصم (منها) بالإنفراد .

(٢) النطفة : ماء الرجال مشتقة من النطف الذي هو السيلان .

فِيئَةُ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِراً ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ

لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

- ما شاء الله : أي يكون وما لم يشأ لم يكن .
- حساباً من السماء : أي عذاباً ترمى به فتؤول إلى أرض ملساء دحضاً لا يثبت عليها قدم .
- أو يصبح ماؤها غوراً : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يقدر على استنباطه وإخراجه .
- وأحيط بشمره : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء .
- يقلب كفيه : ندماً وحسرة على ما أنفق فيها من جهد كبير ومال طائل .
- وهي خاوية على عروشها : أي ساقطة على أعمدتها التي كان يُعرش بها للكرم، وعلى جدران مبانيها .
- فئة : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه .
- هنالك : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة .
- الولاية : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى .
- خير ثواباً وخير عقباً : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يُعقب أي يحزني بخير .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في المثل المضروب للمؤمن الفقير والكافر الغني فقد قال المؤمن للكافر ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك ﴾ أي هلا إذ دخلت بستانك قلت عند تعجبك من حسنه وكماله ﴿ ماشاء الله أي كان ﴾ لا قوة إلا بالله ﴿^(١) أي لا قوة لأحد على فعل شيء

(١) هذا وجه في إعراب (ما شاء الله) ما : مبتدأ والخبر كان، وهناك وجه آخر حسنه بعضهم وهو: هذه الجنة ما شاء الله . فما خبر عن مبتدأ محذوف ويجوز تقديره أيضاً : الأمر الذي شاء الله إعطاءه .

(٢) قال مالك : ينبغي لكل من دخل داره أو بستانه أن يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وروي أنه كان مكتوباً على باب وهب بن منبه ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وروي مسلم أن : لا حول ولا قوة إلا بالله كمنز الجنة وورد استحباب قول بسم الله أمنت بالله توكلت على الله لا قوة إلا بالله .

أو تركه إلا بإقدار الله تعالى له وإعانتة عليه قلل هذا المؤمن نصحاً للكافر وتوبيخاً له . ثم قال له ﴿إن ترن أنا أقل منك مآلاً وولداً﴾ اليوم ﴿فعسى ربي﴾ أي فرجائي في الله ﴿أن يوتيبي خيراً من جنتك ويرسل عليها﴾ أي على جنة الكافر ﴿حسباناً﴾ من السماء ﴿أي عذاباً ترمى به . ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ : أي تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم . ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ الذي تسقى به غائراً في أعماق الأرض فلن تقدر على إستخراجه مرة أخرى ، وهو معنى ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ .

وقوله تعالى : في الآيات (٤٠) ، (٤١) ، (٤٢) يخبر تعالى أن رجاء المؤمن قد تحقق إذ قد أحيط فعلاً بيستان الكافر فهلك بكل ما فيه من ثمر ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ من جهد ومال في جنته ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة على أعمدة الكرم التي كان يعرشها للكرم أي يحمله عليها كما سقطت جدران مبانيها على سقفها وهو يتحسر ويتندم ويقول : ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحداً ، ولم تكن له﴾ جماعة قوية تنصره ﴿من دون الله وما كان﴾ المنهزم ﴿منتصراً﴾ لأن من خذله الله لا ناصر له . قال تعالى : في نهاية المثل الذي هو أشبه بقصة ﴿هنالك﴾ أي يوم القيامة ﴿الولاية﴾ أي القوة والملك والسلطان ﴿لله﴾ أي المعبود ﴿الحق﴾ لا لغيره من الأصنام والأحجار ﴿هو﴾ تعالى ﴿خير ثواباً﴾ أي خير من يشيب على الإيمان والعمل الصالح . ﴿وخير عقاباً﴾ أي خير من يعقب أي يجزي بحسن العواقب هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال ، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن معيط وهو النار .

٢ - استحباب قول من أعجبه شيء : ﴿ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله﴾ فإنه لا يرى فيه مكروهاً إن شاء الله .

(١) أنا : ضمير فصل وأقل : مفعول ثانٍ لترن وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفاً .

(٢) (عسى) للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشرك .

(٣) الحسبان : مصدر كالففران وهو هنا وصف لمحذوف تقديره : هلاكاً حسباناً أي : مقدراً من الله تعالى ، وقيل هو اسم جمع حسبانة أي : صاعقة ، وقيل : اسم للجراد وهو محتمل لكل ما ذكر .

(٤) العقب : بمعنى العاقبة وقرئ : بضم العين وسكون القاف بمعنى : عاقبة وهي آخرة الأمر وما يرجوه المرء من سعيه وعمله ولذا فسرت الآية بهو خير عاقبة لمن رجاه وأمن به ، يقال : هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه : أي آخره .

- ٣ - استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى .
 ٤ - المخذول من خذله الله تعالى فإنه لا ينصر أبداً .
 ٥ - الولاية بمعنى^(١) الموالاته النافعة للعبد هي موالاته الله تعالى لا موالاته غيره .
 ٦ - الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾
 الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- المثل : الصفة المعجبة .
 هشيماً : يابساً متفتتاً .
 تذروه الرياح : أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويوسته .
 مقتدراً : أي كامل القدرة لا يعجزه شيء .
 زينة الحياة الدنيا : أي يتجمل بما فيها .
 والباقيات الصالحات : هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات .
 وخير أملاً : أي ما يأمله الإنسان ويتنظره من الخير .

معنى الآيات :

هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخذعتهم فصرفتهم عن الله تعالى ربهم فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه .

(١) «الولاية»: بفتح الواو: الموالاته، وبكسرهما: الملك والسلطان.

قال تعالى : في خطاب رسوله محمد ﷺ : ﴿واضرب لهم﴾ أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها الحقيقية التي لا تختلف عنها بحال ﴿كماء أنزلناه من السماء﴾، فاختلط به نبات الأرض ﴿فزهوا وازدهر واخضر وأنظر﴾، فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه . وفجأة أتاه أمر الله بريح لاجفة ، محرقة ، ﴿فأصبح هشيماً﴾ أي يابساً مت هشماً متكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ هنا وهناك ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أي قادراً كامل القدرة ، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير .

وقوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ إنه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها فأوردتهم موارد الهلاك أخبر بحقيقة أخرى ، يعلم فيها عباده لينتفعوا بها ، وهي أن ﴿المال والبنون﴾ أو الأولاد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ لا غير أي يتجمل بهما ساعة ثم يبيدان ويذهبان ، فلا يجوز الاغترار بهما ، بحيث يصبحان همَّ الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال ، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية ، والجزء الثاني هو أن ﴿الباقيات الصالحات﴾ والمراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أي هذه ﴿خير ثواباً﴾ أي جزاءً وثمراً ، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة ، ﴿وخير أملاً﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله .

(١) بعض الحكماء شبه الحياة الدنيا بالماء للاتصالات الآتية :

١- الماء لا يستقر في موضع والحياة كذلك

٢- الماء يتغير والدنيا كذلك .

٣- الماء لا يبقى والدنيا كذلك .

٤- الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يتل والدنيا لا يدخلها أحد ويسلم من فتنها وآفاتها .

٥- الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مبيتاً وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر .

وفي الصحيح (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) رواه مسلم .

(٢) يقال : هشمه بهشمه إذا كسره وفتته وهشيم بمعنى : مهشوم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول ، وهشم الثريد إذا فتته وبه سمي هاشم بن بن مناف وكان اسمه عمرو وفيه يقول عبدالله بن الزبيري :

عمر العلاء هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مستنون عجاف

(٣) قيل : في المال والبنين زينة الحياة الدنيا : لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً والمثل مضروب لحقارة الدنيا وسرعة زوالها ولذا قيل : لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك .

(٤) روى مالك في الموطأ : أن الباقيات الصالحات هن : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها .
- ٢ - تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة ، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاغترار بهما، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد . ورباط ، وصيام وزكاة .

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|----------------|--|
| نُسِيرُ الجبال | : أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً . |
| بارزة | : ظاهرة إذ فنى كل ما كان عليها من عمران . |
| فلم نغادر | : لم نترك منهم أحداً . |
| موعداً | : أي ميعاداً لبعثكم أحياء للحساب والجزاء . |
| ووضع الكتاب | : كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله . |
| مشفقين | : خائفين . |
| ياويلتنا | : أي ياهلكتنا احضري هذا أو أن حُضورك . |
| لا يغادر صغيرة | : أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عدداً . |

ما عملوا حاضراً : مثبتاً في كتابهم ، مسجلاً فيها .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى مآل الحياة الدنيا وأنه الفناء والزوال ورغب في الصالحات وثوابها المرجو يوم القيامة ، ناسب ذكر نبذة عن يوم القيامة ، وهو يوم الجزاء على الكسب في الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ أي اذكر ﴿ يوم نسير ﴾ أي تقتلع^(١) من أصولها وتصير هباءً منبثاً ، ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ ظاهرة ليس عليها شيء فهي قاع صنفصف ﴿ وحشرناهم ﴾ أي جمعناهم من قبورهم للموقف ﴿ فلم نغادر منهم أحداً ﴾ أي لم نترك منهم أحداً كائناً من كان ، ﴿ وعرضوا على ربك ﴾ أيها الرسول صفأً وقوفاً أذلاء ، وقيل لهم تويحاً وتقريعاً^(٢) : ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ لا مال معكم ولا سلطان لكم بل حفاة عراة غرلاً ، جمع أغرل ، وهو الذي لم يختن .

وقوله تعالى : ﴿ بل زعمتم ﴾ أي ادعيتم كذباً أنا لا نجعلكم ليوم القيامة ، ولن نجعل لكم موعداً فهذا أنتم مجموعون لدينا تنتظرون الحساب والجزاء ، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما فيه ، وقوله تعالى في الآية ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يخبر تعالى عن حال العرض عليه فقال : ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الحسنات والسيئات وأعطى كل واحد كتابه فالمؤمن يأخذه بيمينه والكافر بشماله ، ﴿ فترى المجرمين ﴾ في تلك الساعة ﴿ مشفقين ﴾ أي خائفين ﴿ مما فيه ﴾ أي في الكتاب من السيئات ﴿ ويقولون : يا ويلتنا ﴾ ندماً وتحسراً ينادون يا ويلتكم وهي هلاكهم قائلين :

(١) هذا على قراءة تُسير بالتاء المضمومة لبناء للمفعول وقراءة الجمهور ﴿ نسير الجبال ﴾ والفاعل هو الله تعالى ، وقرئ أيضاً : تسير الجبال بفتح التاء مضارع سار يسير كقوله تعالى : ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ .

(٢) المغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء ، وسمي الغدير من الماء غديراً لأنه ترك بعد السيل ، ومنه غداثر المرأة وهو شعرها تضره ويتركه خلفها

(٣) أخرج المحافظ أبو القاسم بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رقيق غير قطع : يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أنامل أقدامهم للحساب) تضمن هذا الحديث تفسيراً كاملاً لهذه الآيات .

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ﴾ «غير مختونين» .

(٥) هذا الخطاب لمنكري البعث والجزاء من أهل الكفر والشرك .

(٦) ﴿ الكتاب ﴾ : اسم جنس يشمل كل الكتب التي يُعطاها العباد في المحشر .

(٧) الويلة : مؤنث الويل للمبالغة وهي سوء الحال والهلاك كما أنت الدار على دارة للدلالة على سعة المكان ، ونداء الويلة معناه : الدعاء على أنفسهم بالهلاك لمشاهدتهم عظام الأهوال وما ينتظرهم من صنوف العذاب نادوا ويلتكم طالبين حضورها .

﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ ^(١) ﴿من ذنوبنا﴾ ﴿إلا أحصاها﴾ أي أثبتها عدداً. وقوله تعالى: في آخر العرض ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي من خير وشر مثبتاً في كتابهم، وحوسبوا به، وجوزوا عليه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ بزيادة سيئة على سيئاته أو بنقص حسنة من حسناته، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.
- ٢ - يبعث الانسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافياً عارياً لم يقطع منه غلفة الذكر.
- ٣ - تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقاً للعدالة الإلهية.
- ٤ - نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

أَفْتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا

﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ

فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ

النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات:

اسجدوا لآدم : أي حيّوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي .

إلا إبليس : أي الشيطان أبي السجود ورفضه وهو معنى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي

(١) أصغر الصغائر: النظر بغير قصد وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ولا ضابط حق الكبيرة إلا أن هناك ضابطاً يستأنس به وهو: ما توعده عليه أو لعن عليه أو وضع حد له في الكتاب أو السنة فهو كبيرة.

الكهف

خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه !

أفتتخذونه وذريته أولياء؟ : الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك؟! .

بش للظالمين بدلاً : قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله .
المضلين عضداً : أي ما كنت متخذ الشياطين من الانس والجن أعواناً في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصوني .

موبقاً : أي وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق، حاجز بين المشركين، وما كانوا يعبدون بدليل قوله :
﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ .

مواقعوها : أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبداً .
ولم يجدوا عنها مصرفاً : أي مكاناً غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في إرشاد بني آدم وتوجيههم إلى ما ينجيهم من العذاب ويحقق لهم السعادة في الدارين، قال تعالى في خطاب رسوله واذكر لهم ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ وهم عبادنا المكرمون ﴿اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا وسجدوا إلا إبليس . (١) لكن إبليس الذي يطيعه الناس اليوم كان من الجن وليس من الملائكة لم يسجد، ففسق بذلك عن أمرنا وخرج عن طاعتنا . ﴿أفتتخذونه﴾ أي أصبح منكم يابني آدم أن تتخذوا عدو أبيكم وعدو ربكم وعدوكم أيضاً ولياً توالونه وذريته بالطاعة لهم والاستجابة لما يطلبون منكم من أنواع الكفر والفسق ﴿بش للظالمين﴾ أنفسهم ﴿بدلاً﴾ طاعة الشيطان وذريته وولايتهم عن

(١) الفسق : مشتق من : فسقت الرطبة : إذا خرجت من قشرتها، والفأرة من جحرها، وفسق العبد : خرج عن طاعة ربه متجاوزاً الطاعة إلى المعصية، فكل من ترك واجباً وفعل حراماً فقد فسق بذلك عن طاعة ربه أي خرج عنها .
(٢) الاستفهام للتوبيخ والانتكار، وذرية الشيطان بينت السنة كيفية وجودهم فقد صح عن النبي ﷺ قوله : (لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ)، فهذا دال على أن للشيطان ذرية من صلبه .
(٣) في مسلم : ﴿أن الصلاة شيطاناً يسمى خنزب مهمته الوسوسة فيها﴾ وروى الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان يوسوس فيه .

(٤) روى مسلم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئاً قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال : فيدنيه أو قال : فيلتزمه ويقول : نعم أنت !! .

طاعة الله ورسوله وولايتهما.

وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم^(١) خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ يخبر تعالى بأنه المنفرد بالخلق والتدبير ليس له وزير معين فكيف يُعبدُ الشيطان وذريته، وأنا الذي خلقتهم وخلقت السموات والأرض^(٢) وخلقت هؤلاء الذين يعبدون الشيطان، ولم أكن ﴿متخذ المضلين﴾ وهم الشياطين من الجن والإنس الذين يضلون عبادنا عن طريقنا الموصول إلى رضانا وجنتنا، أي لم أكن لأجعل منهم معيناً لي يعضدني ويقوي أمري وخلاصة ما في الآية أن الله تعالى ينكر على الناس عبادة الشياطين وهي طاعتهم وهم مخلوقون وهو خالقهم وخالق كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي أذكر يارسلنا لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إلى عبادة عدوه الشيطان، أذكر لهم يوم يقال لهم في عرصات القيامة ﴿نادوا شركائي الذين﴾ أشركتموهم في عبادتي زاعمين أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم فيخلصونكم من عذابنا.

قال تعالى ﴿فدعوهم^(٣) يا فلان!! يا فلان...﴾ فلم يستجيبوا لهم﴾ إذ لا يجرؤ أحد ممن عبد من دون الله أن يقول رب هؤلاء كانوا يعبدونني. قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم^(٤) موبقاً﴾ أي حاجزاً وفاصلاً من عداوتهم لبعضهم. وحتى لا يتصل بعضهم ببعض في عرصات القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي يؤتى بها تجرُّ بالسلاسل حتى تبرز لأهل الموقف فيشاهدونها وعندئذ يظن^(٥) المجرمون أي يوقنوا ﴿أنهم واقعوها﴾ أي داخلون فيها. ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً^(٦)﴾ أي مكاناً ينصرفون إليه لأنهم محاطون بالزبانية، والعياذ بالله من النار وعذابها.

(١) أي: ما أحضرتهم لاستعين بهم على خلق السموات والأرض ولا أحضرت بعضهم لاستعين به على خلق البعض الآخر.

(٢) في الآية رد على أهل الضلال كافة من شيطان وكاهن ومنجم وطبعمي وملحد إذ الجميع مخلوق مروبب والله خالق كل شيء ومليكه وربّه ومدبّره.

(٣) أي: امتثلوا الأمر ودعوهم فلم يستجيبوا لهم.

(٤) فسر الموبق ابن عباس رضي الله عنهما: بالحاجز، وفسره أنس بن مالك رضي الله عنه بواد في جهنم من قيح ودم، وفسر بالمهلك والتفسير بالمهلك يدخل فيه كل ما ذكر، ومن الجائز أن يتعدد الحاجز ويكون أنواعاً منها: عداوة بعضهم لبعض فإنها حاجز والنار نفسها أعظم موبق ولعلها هي المراد بالموبق.

(٥) ﴿ظنوا﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين وهو كثير في القرآن الكريم. قال الشاعر.

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

(٦) ﴿مصرفاً﴾: أي: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عداوة إبليس وذريته لبني آدم .
- ٢ - العجب من بني آدم كيف يطيعون عدوهم ويعصون ربهم !!
- ٣ - لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل معبود مما يعبد غيره من سائر المخلوقات .
- ٤ - بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لاغاثتهم فيدعونهم فلا يستجيبون لهم .
- ٥ - جمع الله تعالى المشركين وما كانوا يعبدون من الشياطين في موق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
 وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا الْعَجَلُ لَهُمْ
 الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

صرفنا	: أي بينا وكررنا البيان .
من كل مثل	: المثل الصفة المستغربة العجيبة .
جدلاً	: أي مخاصمة بالقول .
سنة الأولين	: أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام .
قبلاً	: عياناً ومشاهدة .
ليدحضوا به الحق	: أي يبطلوا به الحق .
هزواً	: أي مهزوءاً به .
أكنة	: أغطية .
وفي آذانهم وقرأ	: أي ثقلاً فهم لا يسمعون .
موثلاً	: أي مكاناً يلجأون إليه .
لمهلكهم موعداً	: أي وقتاً معيناً لإهلاكهم .

معنى الآيات :

مزال السياق الكريم في بيان حجج الله تعالى على عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فينجوا من عذابه ويدخلوا دار كرامته فقال تعالى : ﴿ولقد صرفنا^(١) في هذا القرآن من كل مثل ﴿ أي ضربنا فيه الأمثال الكثيرة وبيننا فيه الحجج العديدة ، ﴿وصرفنا فيه ﴿ من الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً ، وقابلوا كل ذلك بالجحود والمكابرة ، ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴿ فأكثرهم الإنسان يصرفه في الجدل والخصومات حتى لا يدعن للحق ويسلم به ويؤديه إن كان عليه . هذا ما دلت عليه الآية الأولى : (٥٤) أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن الناس مامنهم ﴿ أن يؤمنوا إذ جاءهم

(١) قال القرطبي : يحتمل أي : هذا الكلام وجهين : أحدهما ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية والثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية وما في التفسير لم يخرج عن هذا فتأمله .

(٢) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴿ ويحتمل المسلم إلا أنه في الكافر أظهر وأكثر وروي مسلم عن علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ طرقة وفاطمة فقال : ألا تصلون؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴿ .

(١)

الهدى ﴿ وهو بيان طريق السعادة والنجاة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الكفر والشرك وسوء الأعمال ﴾ ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين ﴿ بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة، ﴿ أو يأتيهم ﴾ عذاب يوم القيامة معابنة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴾ ^(٢) وحينئذ لا ينفع الإيمان. وقوله تعالى: ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ أي دعاة هداة يمشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار. فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين، لكن الذين كفروا يتعامون عن هذه الحقيقة ويجادلون ﴿ بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾. ﴿ واتخذوا ﴾ آيات الله وحججه ﴿ وما أنذروا ﴾ به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وهزاء يهزءون به ويسخرون منه وبذلك أصبحوا من أظلم الناس. وهو ما قررته الآية (٥٧) إذ قال تعالى فيها: ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يدها ﴾ أي من الإجرام والشر والشرك. اللهم إنه لا أحد أظلم من هذا الإنسان الكافر العنيد. ثم ذكر تعالى سبب ظلم وإعراض ونسيان هؤلاء الطاعة المعرضين الناسين وهو أنه تعالى حسب سنته فيمن توغل في الشر والظلم والفساد يجعل على قلبه كناناً يحيطه به فيصبح لا يفقه شيئاً. ويجعل في أذنيه ثقلاً فلا يسمع الهدى. ولذا قال لرسوله ﷺ: ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا ﴾ أي بعد ما جعل على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ﴿ أبدأ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا ﴾ أي لو يؤاخذ هؤلاء الظلمة المعرضين ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾، ولكن مغفرته ورحمته تآبيان ذلك وإلا لعجل لهم العذاب فأهلكهم أمامكم وأنتم تنظرون. ولكن ﴿ لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً ﴾ ^(٣) يثلون إليه ولا ملجأ يلجأون إليه. ويرجح أن يكون ذلك يوم بدر لأن السياق في الظلمة المعاندين المحرومين من هداية الله كأبي جهل وعقبة ابن أبي معيط والأخنس بن شريق، هذا أولاً. وثانياً قوله تعالى: ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

(١) أي: بواسطة القرآن والرسول ﷺ.

(٢) أي: عياناً، وفُسِّرَ بعضهم بعذاب السيف يوم بدر.

(٣) قراءة الجمهور: (قبلاً) بكسر القاف أي: المقابل الظاهر، وقرئ: (قبلاً) بضم القاف والباء وهو جمع قبيل أي: يأتيهم العذاب أنواعاً متعدّدة.

(٤) ﴿ موثلاً ﴾: أي: منجى أو محيصاً يقال: وأل يثل وألاً ووثلاً أي: لجأ تقول العرب: لا وألت نفسه أي: لا نجت ومنه قول الشاعر:

لا وألت نفسك خليتها للعامرين ولم تكلم

(٥) تلك: مبتدأ وأهلكناهم الخبر، ويصح أن تكون تلك في محل نصب والعامل: أهلكنا نحو: زيداً ضربته.

﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي لهلاكهم موعداً محدداً فكذلك هؤلاء المجرمون من قريش ، وقد أهلكتهم بيدر ولعنهم إلى الأبد .

هداية الآيات

- ١ - لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال .
- ٢ - بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة .
- ٣ - بيان مهمة الرسل وهي البشارة والندارة وليست إكراه الناس على الإيمان .
- ٤ - بيان عظم ظلم من يُدكَّرُ بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسياً ما قدمت يده .
- ٥ - بيان سنة الله في أن العبد إذا واصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبداً حتى يهلك كافراً ظالماً فيخلد في العذاب المهين .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ

أُبْلَغُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا

مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا

هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ

الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ

فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا

قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ

عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى لفتهاه : أي أذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتهاه يوشع بن نون بن افرایم بن يوسف عليه السلام .

مجمع البحرين : أي حين التقى البحرين بحر فارس وبحر الروم .

حقباً : الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب .

سبيله في البحر سرباً : أي طريقه في البحر سرباً أي طريقاً كالنفق .

فلما جاوزا : أي المكان الذي فيه الصخرة ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً .

في البحر عجباً : أي عجباً لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذها في البحر

طريقاً كالنفق في الجبل

قصصاً : أي يتبعان آثار أقدامهما .

عبداً من عبادنا : هو الخضر عليه السلام .

مما علمت رشداً : أي ما هورشاد إلى الحق ودليل على الهدى .

ما لم تحط به خبيراً : أي علماً .

ولا أعصي لك أمراً : أي انتهى إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقاً هواي .

معنى الآيات :

هذه قصة موسى^(١) مع الخضر عليهما السلام وهي تقرر نبوة محمد ﷺ وتؤكد لها . إذ مثل

هذا القصص الحق لا يتأتى لأحد أن يقصه مالم يتلقه وحياً من الله عز وجل . قال تعالى :

﴿وإذ قال موسى﴾ أي أذكر يارسولنا تدليلاً على توحيدنا ولقائنا ونبوتك . إذ قال موسى

بن عمران نبينا إلى بني إسرائيل لفتهاه يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي سائراً ﴿حتى أبلغ

مجمع البحرين﴾ حيث أرشدني ربي إلى لقاء عبدٍ هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتى

(١) ذهب نوف البكالي إلى أن موسى هذا هو موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام وردّ هذا عليه ابن عباس رضي الله عنهما رداً عنيفا كما في البخاري فالصحيح أنه موسى بن عمران رسول الله إلى بني إسرائيل .

(٢) اختلف في فتي موسى من هو؟ قيل : إنه كان شاباً يخدمه ولذا أطلق عليه لفظ الفتى على جهة حسن الأدب ، قال ابن العربي . ظاهر القرآن أنه عبد وما دام صح الحديث بأنه يوشع بن نون فلا حاجة إلى البحث والتنقيب .

(٣) أي ملتقاهما . وهما بحر الأردن وبحر القلزم على الراجح الصحيح .

اتعلم منه علماً أزيدة على علمي ، ﴿أو أمضي^(١) حقباً﴾ أي أو اصل سيرتي زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لاتعلم عنه . قوله تعالى : ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين وهما بحر الروم وبحر فارس عند باب المنذب حيث التقى البحر الأحمر والبحر الهندي . أو البحر الأبيض والأطلنطي عند طنجة والله أعلم بأيهما أراد . وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ أي نسي الفتى الحوت ، إذ هو الذي كان يحمله ، ولكن نسب النسيان إليهما جريباً على المتعارف من لغة العرب^(٢) ، وهذا الحوت قد جعله الله تعالى علامة لموسى على وجود الخضر حيث يفقد الحوت ، إذ القصة كما في البخاري تبثديء بأن موسى خطب يوماً في بني إسرائيل فأجاد وأفاد فأعجب به شاب من بني إسرائيل فقال له : هل يوجد من هو أعلم منك ياموسى ؟ فقال : لا . فأوحى إليه ربه فوراً بلى عبدنا خضر ، فتاقت نفسه للقياه للتعلم عنه ، فسأل ربه ذلك ، فأرشده إلى مكان لقياه وهو مجمع البحرين ، وجعل له الحوت علامة فأمره أن يأخذ طعامه حوتاً وأعلمه أنه إذا فقد الحوت فثم يوجد عبدالله خضر ومن هنا لما بلغا مجمع البحرين واستراحا فنام موسى^(٣) والفتى شبه نائم وإذا بالحوت يخرج من المكمل «وعاء» ويشق طريقه إلى البحر فينجاب عنه البحر فيكون كالطاق أو النفق آية لموسى . ويغلب النوم على يوشع فينام فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من المكمل ودخوله في البحر لغلبة النوم فلما مشيا مسافة بعيدة وشعرا بالجوع وقد جاوزا المنطقة التي هي مجمع البحرين^(٤) قال موسى للفتى ﴿آتنا غداءنا﴾ وعلل ذلك بقوله : ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي تعباً . هنا قال الفتى لموسى ما قصَّ الله تعالى : قال مجيباً لموسى ﴿أرأيت﴾ أي أتذكر ﴿إذ أويانا إلى الصخرة﴾ التي استراحا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ وقال كالمعتذر ، ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾^(٥) واتخذ سبيله ﴿أي طريقه﴾ في البحر عجباً ﴿أي حبي بعد موت

(١) قال النحاس : الحقب : زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه أحقاب وورد الحقب مقدراً ثمانين سنة ، إلا أنه في قول موسى هذا مراده الأول وهو زمن غير محدود .

(٢) نحو قوله : ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ مع أنه لا يخرج إلا من البحر الملح ونحو قوله : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ مع العلم أن الرسل من الإنس فقط .

(٣) في البخاري : أن موسى عليه السلام قال ليوشع لا أكلفك إلا أن تخبرني حيث يفارقك الحوت قال الفتى : ما كلفت كثيراً .

(٤) هذا يُرجح أن يكون البحرين : نهر الأردن وبحيرة طبرية .

(٥) في الآية دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثم هم يسألون الناس ، وشاهد هذا آية البقرة إذ نزلت في أناس من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون فنزل قوله تعالى : ﴿وتزودوا . . .﴾ الآية .

(٦) أن : وما دخلت عليه تسبك بمصدر فيقال : وما أنساني ذكره إلا الشيطان .

ومشى حتى انتهى إلى البحر وانجاب له البحر فكان كالسرب فيه أي النفق فأجابه موسى بما قص تعالى : ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ وذلك لأن الله تعالى جعل لموسى فقدان الحوت علامة على مكان الخضر الذي يوجد فيه ﴿فارتدا﴾ أي رجعا ﴿على آثارهما قصصاً﴾ أي يتتبعان آثار أقدمهما ﴿فوجدا﴾ خضراً كما قال تعالى : ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾ وهو خضر آتينا رحمة من عندنا أي نبوة وعلمناه من لدنا علما وهو علم غيب خاص به ﴿قال له موسى﴾ مستعظماً له ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾ أي مما علمك الله رشداً أي رشاداً يَدُلُّني على الحق وتحصل لي به هداية فأجابه خضر بما قال تعالى : ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يريد أنه يرى منه أموراً لا يقره عليها وخضر لا بد يفعلها فيتضايق موسى لذلك ولا يطيق الصبر، وعلل له عدم استطاعته الصبر بقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي علماً كاملاً. فأجابه موسى وقد صمم على الرحلة لطلب العلم مهما كلفه الثمن فقال ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ أي سأنتهي إلى ما تأمرني وإن لم يكن موافقاً لما أحب وأهوى.

هداية الآيات :

- ١ - عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.
- ٢ - استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.
- ٣ - طروء النسيان على الانسان مهما كان صالحاً.
- ٤ - مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التماذي على الخطأ ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾.
- ٥ - تجلى قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

٦ - استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالماً وهنا أورد الحديث التالي وهو خير من قنطار ذهباً لمن حفظه وعمل به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال سأل موسى ربه : قال رب أي عبادك أحب إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني ، قال : فأبي عبيدك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ، قال : أي رب أي عبادك أعلم؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى

(١) في البخاري : (فوجدنا خضراً على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجئ بشوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه فقال : هل بأرضك من سلام؟ من أنت؟ قال : أنا موسى . الخ .

علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى . وللاثر بقية ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآيات .

قَالَ

فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

ذكرًا

: أي بياناً وتفصيلاً لما خفي عليك .

لقد جئت شيئاً إمرأً

: أي فعلت شيئاً منكراً .

لا ترهقني

: أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطيق حمله فتضيق علي صحبتي إياك .

نفساً زكية

: أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب .

بغير نفس : أي بغير قصاص .

نكراً

: الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والعالم الذي أراد أن يصحبه لطلب العلم منه وهو خضر . قوله تعالى : ﴿ قَالَ ﴾ أي خضر ﴿ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي ﴾ مصاحباً لي لطلب العلم ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾ عن شيء ﴿ أَفَعَلَهُ ﴾ مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه . وقوله تعالى : ﴿ فَاَنْطَلَقَا ﴾ أي

(١) في قول موسى : ﴿ هل أتبعك ﴾ من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب للشيخ الشيء الكثير ، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما ، وما كان موسى إلا أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف .

بعد رضا موسى بمطلب خضر انطلقا يسيران في الأرض^(١) فوصلا ميناء من المواني البحرية، فركبا سفينة كان خضر يعرف أصحابها فلم يأخذوا منها أجر الإركاب فلما أقلعت السفينة، وتوغلت في البحر أخذ خضر فأسا فخرق السفينة، فجعل موسى يحشو بثوب له الخرق ويقول: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على أنهما حملانا بدون نول ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أتيت يا عالم منكراً فظيعاً فأجابه خضر بما قص تعالى: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ فأجاب موسى بما ذكر تعالى عنه: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تعاقبني بالنسيان فإن الناسي لا حرج عليه. وكانت هذه من موسى نسياناً حقاً ولا تغشني بما يعسر علي ولا أطيعه فاتضايق من صحبتي إياك.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ بعد نزولهما من البحر إلى البر فوجدا غلاماً جميلاً وسيماً يلعب مع الغلمان فأخذه خضر جانباً وأضجعه وذبحه فقال له موسى بما أخبر تعالى عنه: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ زاكية طاهرة لم يذنب صاحبها ذنباً تتلوث به روحه ولم يقتل نفساً يستوجب بها القصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي أتيت منكراً عظيماً بقتلك نفساً طاهرة لم تذنب ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً لئلا يطق فعل منكركهذا لم يعرف له^(٢) وجهاً ولا سبباً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.
- ٢ - جواز ركوب السفن في البحر.
- ٣ - مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.
- ٤ - رفع الحرج عن الناس.
- ٥ - مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

(١) في البخاري: (فانطلقا يسيران على ساحل البحر فمرت سفينة فكلومهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول أي «أجرة»).

(٢) في البخاري: (قال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر). حرف السفينة: طرفها، وحرف كل شيء طرفه.

(٣) في الترمذي: (أنه أخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله) وفي بعض الروايات (أنه أخذ حجراً فضرب بها رأس الغلام فقتله) وما في التفسير أصح وأوضح.

(٤) سيأتي بيان علّة القتل وأنها حق والقتل كان بإذن الله تعالى وما مات أحد ولا قتل إلا بإذن الله تعالى.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَمَّا أَقْلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

- قال أم أقل لك : أي قال خضر لموسى عليهما السلام .
بعدها : أي بعد هذه المرة .
فلا تصاحبني : أي لا تتركني أتبعك .
من لدني عذراً : أي من قبلي (جهتي) عذراً في عدم مصاحبتي لك .
أهل قرية : مدينة أنطاكية .
استطعما أهلها : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف .
يريد أن ينقض : أي قارب السقوط لميلانه .
فأقامه : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط .
أجرا : أي جعلاً على إقامته وإصلاحه .
هذا فراق بيني وبينك : أي قولك هذا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية المفارقة .
بتأويل : أي تفسير ما كنت تنكره على حسب علمك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في محاوره الخضر مع موسى عليهما السلام ، فقد تقدم إنكار موسى على

الكهف

الخضر قتله الغلام بغير نفس، ولا جرم إرتكبه، وبالغ موسى في إنكاره إلى أن قال: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فأجابه خَضِرٌ بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ لما سألتني الصحبة للتعليم، فأجاب موسى بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال إن سألتك عن شئ بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي اترك صحبتي فإنك ﴿قد بلغت من لدني﴾ أي من جهتي وقبلي عذرا في تركك إياي.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ في سفرهما ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ (أي مدينة) قيل إنها انطاكية ووصلها في الليل والجو بارد فاستطعما أهلها أي طلبا منهم طعام الضيف الواجب له ﴿فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها﴾ أي في القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يسقط فأقامه الخضر وأصلحه فقال موسى له: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ أي جعل مقابل إصلاحه، لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقنا من الضيافة. وهنا قال الخضر لموسى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ لانك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل الغلام عن شئ أن لاتطلب صحبتي وها أنت قد سألتني، فهذا وقت فراقك إذا ﴿سأنبئك﴾ أي أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.

٢ - وجوب الضيافة لمن استحقها.

٣ - جواز التبرع بأي خير أو عمل إبتغاء وجه الله تعالى.

(١) اختلف في أيهما أبلغ: إمراً أو نكراً، ورجح بعضهم أن إمراً فيما لم يحدث من فعل منكر فيكون خاصاً بالمستقبل، ومعناه: أمر فظيع مهيل ونكراً: يكون فيما وقع فهو بين الفساد بالغ في النكر واجب الإنكار.

(٢) قرىء: ﴿من لدني﴾ بتخفيف الدال وقرىء في السبع بتشديدها وقرىء عذراً بسكون الدال وقرىء في السبع أيضاً بضمهما، وضم العين قبلها كُنْذِرْ ونُذِرْ.

(٣) في الحديث: (إنهم كانوا لثاماً بخلاء) وهو تعليل لعدم استضافة موسى والخضر.

(٤) في البخاري: هنا قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما).

أَمَّا

السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَادِقًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُمْ
عَن أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- المساكين : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب .
يعملون في البحر : أي يؤجرون سفينتهم للركاب .
أعيبها : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها .
غصباً : أي قهراً .
أن يرهقهما طغياناً وكفراً : أي يغشاهما : ظلماً وجحوداً
وأقرب رحماً : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى واحد .
وما فعلته عن أمري : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي جل جلاله وعظم سلطانه .

معنى الآيات :

هذا آخر حديث موسى والخضر عليهما السلام، فقد واعد الخضر موسى عندما أعلن له عن فراقه أن يبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبراً، وهذا بيانه، قال تعالى (حكاية عن

(١) الخضر ﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها وأنكرت عليّ ذلك ﴿فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ يؤجرون سفينتهم بما يحصل لهم بعض القوت ﴿فأردت أن أعيها﴾ لا لأغرق أهلها، ﴿وكان وراءهم ملك﴾ ﴿ظالم﴾ يأخذ كل سفينة صالحة ﴿غصباً﴾ أي قهراً وإنما أردت أن أبقيا لهم إذ الملك المذكور لا يأخذ إلا السفن الصالحة ﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلت وأنكرت عليّ قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ إن كبر ﴿أن يرهقها﴾ أي يُغشيها ﴿طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة﴾ أي طهراً وصالحاً ﴿وأقرب رحماً﴾ أي رحمة وبراً بهما فلذا قتلته، ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما﴾ أي سن الرشد ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ أي كان ذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن إرادتي وإختياري بل كان بأمر ربي وتعليمه. ﴿ذلك﴾ أي هذا ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضاراً.

٢ - بيان حسن تدبير الله تعالى لأولياته بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة .

٣ - مراعاة صلاح الأباء في إصلاح حال الأبناء .

(١) بهذه الآية استدل من قال من الفقهاء بأن المسكين أقل فقراً من الفقير لأن من ملك سفينة لا يعتبر فقيراً، وردّ هذا بأن أصحاب السفينة كانوا سبعة أفراد، وخمسة منهم زمني ورثوا السفينة من أبيهم وبذا هم فقراء مساكين.

(٢) أعيها: أي أجعلها ذات عيب، يقال: عبت الشيء فعبأ أي: صار ذا عيب فهو معيب.

(٣) جائز أن يكون وراءه على حقيقته أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام، ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿وكان أمامهم ملك﴾.

(٤) قيل: اسم الملك هو هدد بن بدد، واسم الغلام المقتول: جيسور.

(٥) وفسر أيضاً: يجشمهما ويحملهما على الرهق وهو الجهل والمعنى: أنه يحملهما حبه على الغلو فيه فيطغيان ويكفران.

(٦) الرحم والرحمة بمعنى واحد قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرّحم

(٧) قيل: اسم الغلامين: أصرم وصريم، وكان الكنز ذهباً وفضة لحديث الترمذي عن أبي الدرداء، وشاهده من اللغة فإن الكنز: المال المدفون المدّخر، وجائز أن يكون مع المال كتاب فيه علم.

(٨) تسطع وتستطيع بمعنى

٤ - كل ما أتاه الخضر كان بوحى إلهي وليس هو مما يدعيه جهال الناس ويسمونه بالعلم اللدني وأضافوه إلى من يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر.

وَيَسْأَلُونَكَ

عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾
 إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
 ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
 وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ
 فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
 فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ
 الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ
 إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
 دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
 سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا
 لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

: أي كفار قريش بتعليم يهود لهم .

ويسألونك

: الإسكندر باني الاسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك

ذي القرنين

المتابعة وكان عبداً صالحاً .

- سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلماً .
- مَكَانًا لَهُ فِي الْأَرْضِ : بالحكم والتصرف في ممالكها .
- مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا : أي يحتاج إليه سبباً موصلًا إلى مراده .
- فَأَتَّبِعْ سَبِيلَ : أي فأتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده .
- تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض .
- قَوْمًا : أي كافرين .
- عَذَابًا نَكْرًا : أي عظيمًا فظيعًا .
- يَسْرًا : أي ليناً من القول سهلاً من العمل .
- مَطْلِعِ الشَّمْسِ : أي مكاناً تطلع منه .
- قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا : القوم هم الزُّنُجُ ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها .
- سِتْرًا : أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا .
- كَذَلِكَ : أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا .
- بَيْنَ السِّدِّينِ : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك سد ذو القرنين مابينها فليل فيها سدان .
- قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا : لا يفهمون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج .

معنى الآيات :

هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحميري التُّبَعِي على الراجح من أقوال العلماء، وهو الأسكندر باني الأسكندرية المصرية، ولأمر ما لُقِّبَ بذي القرنين^(١)، وكان قد تضمن سؤال قريش النبي ﷺ بإبعاد من يهود المدينة ذا القرنين إذ قالوا لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فإن أجابكم عنها فإنه نبي، وإلا فهو غير نبي فرَّوا رأيكم فيه فكان الجواب عن الروح في سورة الإسراء وعن الفتية وذي القرنين في سورة الكهف هذه وقد تقدم

(١) اختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال هي: عبدالله أو الاسكندر أو عباس أو جابر، كما اختلفوا في تلقيبه بذي القرنين على عشرة أقوال أمثلها أنه ملك فارس والروم أو أنه كان له صغيرتان من شعر رأسه فلقب لذلك بذي القرنين، واختلف في نبوته، والظاهر أنه كان نبياً يوحى إليه وكان ملكاً حاكماً.

الحديث التفصيلي عن أصحاب الكهف في أول السورة وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن الملك ذي القرنين عليه السلام قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونكَ﴾ يانينا ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ﴾ للسائلين من مشركي قريش ﴿سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ذكراً خبيراً يحمل الموعظة والعلم والمعرفة: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكْنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ هذه بداية الحديث عنه فأخبر تعالى أنه مكن له في الأرض بالملك والسلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه في فتحه الأرض ونشر العدل والخير فيها سبباً يوصله إلى ذلك، وقوله ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾^(١) حسب سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبرة وتابيع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع المسلة، وهكذا تابعه بين أسباب الغزو والفتح والسير في الأرض ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيها هو بحسب رأي العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة والمحيط إلى جنبها في الأرض وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي عند تلك العين في ذلك الإقليم المغربي ﴿قَوْمًا﴾ أي كافرين غير مسلمين فأذن الله تعالى له في التحكم والتصرف فيهم إذ يسر له أسباب الغلبة عليهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿قلنا إذا ذا القرنين﴾ وقد يكون نبياً ويكون قوله الله تعالى هذا له وحياً وهو ﴿إما أن تعذب﴾ بالأسر والقتل، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ وهذا بعد حرهم والتغلب عليهم فأجاب ذو القرنين ربه بما أخبر تعالى به: ﴿أما من ظلم﴾ أي بالشرك والكفر ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل والأسر، ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد موته ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ أي فظيماً أليماً. ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً﴾ أي أسلم وحسن إسلامه ﴿فله جزاء﴾^(٢) على إيمانه وصالح أعماله ﴿الحسنى﴾ أي الجنة في الآخرة ﴿وستقول له من أمرنا يسراً﴾ اليوم فلا نغلظ له في

(١) ﴿ذكراً﴾ أي: خيراً يتضمن ذكره.

(٢) أصل: السبب: الجبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فنوصل إلى فتح البلاد وقهر الأعداء وقرىء فاتبع سبباً بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة فاتبع سبباً بهمزة وصل وتشديد التاء.

(٣) قرأ الجمهور: (حمئة) من الحمأة أي كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود وقرأ بعضهم حامية أي: حارة وجازت أن تكون حامية من الحمأة فخففت الهمزة وقلبت ياء.

(٤) أي: قال لأولئك القوم أمّا من ظلم . . الخ.

(٥) قراءة أهل المدينة (فله جزاء الحسنى) برفع جزاء بدون تنوين والحسنى مضاف إليه والخبر تقديره: عند الله. وقرأ غيرهم بنصب جزاء على التمييز أي: فله الحسنى جزاءً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية.

القول ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه .

وقوله تعالى : ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدمه في مواصلة الغزو والفتح في المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم﴾^(١) بدائين لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضر فلذا هم لا يبنون الدور ولا يلبسون الثياب ، ولكن يسكنون الكهوف والمغارات والسراديب وهو ما دل عليه قوله تعالى : ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿ستراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي القول الذي قلنا والوصف الذي وصفنا لك من حال ذي القرنين ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من قوة وأسباب مادية وروحية ﴿خبراً﴾ أي علمًا كاملاً . وقوله تعالى : ﴿ثم أتبع﴾ أي ذو القرنين ﴿سبباً﴾ أي واصل طريقه في الغزو والفتح ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾^(٢) وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض بنى ذو القرنين بينهما سداً عظيماً حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم ، وهم القوم الذين قال تعالى عنهم ﴿وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ فلا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به إلا بشدة وبطء كبير .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة . قرأه عليهم قرآنا موحي به إليه .

٢ - إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات .

٣ - قول : ذو القرنين : ﴿أما من ظلم . . . الخ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإيجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه ، ومن الأسف أن

(١) المطلع : يجوز فيه كسر الميم وفتحها مثل المنسك والمجزر والمسكن والمنبت هذه يجوز فيها وجهان الكسر والفتح في ميمها .

(٢) قال صاحب التوير : والظاهر أنه بلغ ساحل اليابان في حدود منشوريا أو كوريا شرقاً .

(٣) جائز أن يكون المعنى : كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك .

(٤) قرأ حفص بفتح السين ، وقرأ نافع بضمها ، ونظير السد في الفتح والضم الضعف والقر والقر .

(٥) قوله : من دونها يعني أمام السدين إذ خلفهما يأجوج ومأجوج .

يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات،
وأهل الإيثار والإستقامة مهانين!!

٤ - بيان وجود أمم بدائية إلى عهد ما بعد ذي القرنين لا يلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى
الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لا يرتدون الثياب، وإنما يضعون
على فروجهم خيوط وسيور لاغير.

٥ - تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة حكموا الناس شرقاً وغرباً.^(١)

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَتُؤْنِتِي لِزُبُرِ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُؤْنِتِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا اسطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنَفَخْنَا فِي السُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾

(١) هم: مسلمان وهما ذو القرنين وسليمان عليهما السلام، وكافران وهما: النمرود وبختنصر. كذا قيل والله أعلم.

شرح الكلمات :

- قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم .
 ياجوج وماجوج
 أي جعلاً مقابل العمل .
 نجعل لك خرجاً
 السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين .
 سداً
 حاجزاً حصيناً وهو السد .
 رذماً
 جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجره التي يبنى بها .
 زبر الحديد
 أي صدف الجبلين أي جانبيهما .
 بين الصدفين
 القطر النحاس المذاب .
 قطرا
 أي عجزوا عن الظهور فوّه لعلوه وملاسته .
 فما استطاعوا أن يظهره
 أي فتح ثغرة تحت تحتها ليخرجوا معها .
 نقبا
 أي تراباً مساوياً للأرض .
 جعله دكا
 أي ياجوج وماجوج أي يذهبون ويحيثون في اضطراب كموج
 وتركتنا بعضهم
 البحر .

أعينهم في غطاء عن ذكري : أي عن القرآن لا يفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضا له أو
 أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لا تبصر الحق ولا تعرفه .
 لا يستطيعون سمعاً : لبغضهم للحق والداعي إليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حديث ذي القرنين إذ شكّا إليه سكان المنطقة الشمالية الشرقية من
 الأرض بما أخبر تعالى به عنهم إذ قال : ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في
 الأرض ﴾ أي بالقتل والأكل والتدمير والتخريب ، ﴿ فهل نجعل لك خرجاً ﴾ أي أجراً ﴿ على

(١) ياجوج وماجوج : اسمان أعجميان يهزمان ولا يهزمان ولذا قرئ في السبع بهما وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام ورد وصفهم أن صنفاً منهم يفرش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى ، ولا يمرّون بغيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه مقدّمهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، وذلك يوم يفتح سدهم ويهدم ، ويخرجهم من أسراط الساعة الكبرى .

(٢) الخرج والخراج : لغتان ، وقيل الخرج : ما يعطى تطوعاً والخراج : ما يلزم عطاؤه والمراد به هنا الأجر مقابل العمل المطلوب من إقامة السد .

أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿ أي حاجزاً قوياً لا يصلون معه إلينا . فأجابهم ذو القرنين بما أخبر الله تعالى به في قوله : ﴿ قال ما مكني فيه ربي ﴾ من المال القوة والسلطان ﴿ خير ﴾ أي من جعلكم وخرجكم ﴿ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴾^(١) أي أي سداً قوياً وحاجزاً مانعاً ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ أي قطع الحديد كل قطعة كالألينة المضروبة ، فجاءوا به إليه فأخذ يضع الحجارة وزبر الحديد وبني حتى ارتفع البناء فساوى بين الصدفين جانبي الجبلين ، وقال لهم ﴿ انفخوا ﴾ أي النار على الحديد ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾ قال آتوني بالنحاس المذاب أفرغ عليه قطراً فأتوه به فأفرغ عليه من القطر ما جعله كأنه صفيحة واحدة من نحاس ﴿ فما استطاعوا ﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿ أن يظهره ﴾ أي يعلوا فوقه ، ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ أي خرقة فلما نظر إليه وهو جبل شامخ وحصن حصين قال هذا من رحمة ربي أي من أثر رحمة ربي عليّ وعلى الناس وأردف قائلاً ﴿ فإذا جاء وعد ربي ﴾ وهو خروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ﴿ جعله دكاً ﴾ أي تراباً مساوياً للأرض ، ﴿ وكان وعد ربي حقاً ﴾ وهذا مما وعد به وانه كائن لا محالة قال تعالى : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ أي مختلطين مضطربين إنهم^(٢) وكنهم ﴿ ونفخ في الصور ﴾ نفخة البعث ﴿ فجمعناهم ﴾ للحساب والجزاء ﴿ جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾ . حقيقةً يشاهدونها فيه من قرب ، ثم ذكر ذنب الكافرين وعلة عرضهم على النار فقال : وقوله الحق : ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ﴾ أي أعين قلوبهم وهي البصائر فلذا هم لا ينظرون في آيات الله الكونية فيستدلون بها على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها ، ولا في آيات الله القرآنية فيهدون بها إلى أنه لا إله إلا الله ويعبدونه بها تضمنته الآيات القرآنية ، ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ للحق ولما يدعوا إليه رسل الله من الهدى والمعروف .

(١) القوة : الرجال والمال .

(٢) الردم أعظم من السد .

(٣) جائز أن يكون المراد بالقطر النحاس المذاب وهذا الظاهر ، وجائز أن يكون الحديد المذاب والثالث : أنه الصفر والرابع أنه الرصاص . روى أحمد عن النبي ﷺ ما خلاصته أن يأجوج ومأجوج يحفران يوماً السد حتى إذا كادوا يخرقونه يقولون غداً نتم حفرة وإذا جاء الغد حفروا ولم يقولوا إن شاء الله حتى إذا جاء وعد الله قالوا : إن شاء الله ففتح لهم .

(٤) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض : يأجوج ومأجوج وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال .
- ٢ - فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي
- ٣ - مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر .
- ٤ - تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم من أسرار الساعة .
- ٥ - تقرير البعث والجزاء .

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي
 أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
 أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
 فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
 جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

- أفحسب الذين كفروا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ .
- أن يتخذوا عبادي : كالملائكة وعيسى بن مريم والعزير وغيرهم .
- أولياء : أرباباً يعبدوهم بأنواع من العبادات .
- نزلاً : النزل : ما يعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه .
- ضل سعيهم : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به .
- يحسبون صنعا : أي يعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء .
- آيات ربهم : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية .
- ولقائه : أي كفروا بالبعث والجزاء .
- وزناً : أي لانجعل لهم قدراً ولا قيمة بل نذرهم ونذلهم .

ذلك

: أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك، لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كثفاء السيل لا خير فيه ولا وزن له فحسن أن يشار إليه بذلك.

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المشركين شركهم ويوبخهم مفرعاً لهم على ظنهم أن اتخذهم عبادة^(١) من دونه أولياء يعبدونهم كالملائكة حيث عبدهم بعض العرب والمسيح حيث عبده النصارى، والعزير حيث عبده بعض اليهود، لا يغضبه تعالى ولا يعاقبهم عليه. وكيف لا يغضبه ولا يعاقبهم عليه وقد أعد جهنم للكافرين نزلاً أي دار ضيافة لهم فيها طعامهم وفيها شراهم وفيها فراشهم كما قال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٢) وهي قوله تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٣) يخبر تعالى بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول ﴿قل هل ننبئكم﴾ أيها المؤمنون ﴿بالأخسرين أعمالاً﴾ إنهم ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملاً، ويعرفهم فيقول ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ فلم يؤمنوا بها، وبلقاء ربهم فلم يعملوا العمل الذي يرضيه عنهم ويسعدهم به وهو الإيثار الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله لعباده المؤمنين به يتقربون به إليه. فلذلك حبطت أعمالهم لأنها شرك وكفر وشر وفساد، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ إذ لا قيمة لهم ولا لأعمالهم الشركية الفاسدة الباطلة فإن أحدهم لا يزن جناح بعوضة لحفته.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم الشياطين: وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعواهم إلى عبادتهم.

(٢) قرئ: (أفحسب) بإسكان السين وضم الباء أي. أفكفهم أن يتخذوهم أولياء؟

(٣) جواب الاستفهام محذوف تقديره: كلا بل هم أعداء يترؤن منهم وجائز أن يكون: ولا أغضب ولا أعاقبهم، وكلا المعنيين يراد.

(٤) يدخل في هذا كل من المشركين واليهود والنصارى والحرورية والمراءون بأعمالهم، وكل من يعمل الأعمال، وهو يظن أنه محسن وقد حبطت أعماله لفساد اعتقاده ولمراءاته أو لعمله بغير ما شرع الله كأنواع البدع المكفرة.

(٥) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾).

(١) وأخيراً أعلن تعالى عن حكمه فيهم وعليهم فقال ﴿ذَلِكَ﴾ أي المذكور من غشاء الخلق ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ﴾. وعلل للحكم فقال: ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات ربهم وبرسله فكان الحكم عادلاً، والجزاء موافقاً والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله تعالى بحبهم والتقرب إليهم.
- ٢ - تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير ما شرع ويتوسلون إليه بغير ما جعله وسيلة لرضاه وجنته. كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية، والنصيرية والدروز ومن إليهم من غلاة المبتدعة في العقائد والعبادات والأحكام الشرعية.
- ٣ - لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه، وإن مات خوفاً من الله أو شوقاً إليه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَلِيدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنفدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

(١) وجائز أن تكون الإشارة بذلك إلى ترك الوزن وخسة القدر والخير: جزاؤهم جهنم. ولا جهنم) بدل من (جزاؤهم) بدلا مطابقاً فيه زيادة توكيد.

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِدٌ فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

- كانت لهم : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح .
 الفردوس نزلاً : هو وسط الجنة وأعلاها ونزلاً منزل إكرام وإنعام .
 لا يبغون عنها حولا : أي لا يطلبون تحولا منها لأنها لا خير منها أبداً .
 لو كان البحر : أي ماؤه مداداً .
 قبل أن تنفد كلمات ربي : أي قبل أن تفرغ .
 لنفد البحر : أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ .
 يرجو لقاء ربه : يأمل وينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقي ربه تعالى .
 ولا يشرك بعبادة ربه أحدا : أي لا يرائي بعمله أحدا ولا يشرك في عبادة الله تعالى غيره تعالى .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الشرك والأهواء وأنه جهنم ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان والتقوى التي هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله ، ووعده لأوليائه ، ووعيده لأعدائه من أهل الشرك والمعاصي ، وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض والواجبات وسارعوا في النوافل والخيرات هؤلاء ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله وحكمه ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أي بساتين الفردوس منزلا ينزلونه ودار كرامة يكرمون فيها وينعمون ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها قال رسول الله ﷺ واصفاً لها ومرغبا فيها وقد ارتادها وانتهى إلى مستوى فوقها ليلة الإسراء والمعراج قال : «إِنَّ سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ، كما في الصحيح ^(١) ، وقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ

(١) روى الشيخان من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : (جنان الفردوس أربع : ثنتان من ذهب حليتهما وأنيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة حليتهما وأنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) .

(٢) وروى البخاري وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، الفردوس أعلاها ، ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس) .

عنها حولاً ﴿ أي ماكثين فيها أبداً لا يطلبون متحولاً عنها إذ نعيمهما لا يمل وسعادتها لا تنقص ، وصفوها لا يكدر وسرورها لا ينغص بموت ولا بمرض ولا نصب ولا تعب جعلني الله ومن قال أمين من أهلها . آمين . وقوله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ تضمنت هذه الآية رداً على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم . فقالوا : أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مداداً الآية رداً عليهم وإبطالاً لمزاعمهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعي العلم الذي مافوقه علم بأنه لو كان ماء البحر مدادا وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلمًا ، وكتب بها لنفد ماء البحر وأغصان الشجر ولم تنفذ كلمات ربي التي تحمل العلوم والمعارف الإلهية وتدل عليها وتهدي إليها فسبحان الله ويحمده ، سبحان الله العظيم سبحان الله الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قدير . وقوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ . يأمر تعالى رسوله بأن يقول للمشركين الذين يطلبون منه المعجزات كالتي أوتى موسى وعيسى : إنما أنا بشر مثلكم لا أقدر على ما لا تقدرُونَ عليه أنتم ، والفرق بيننا هو أنه يوحى إلي الأمر من ربي وأنتم لا يوحى إليكم يوحى إلي أنما إلهكم أي معبودكم الحق وربكم الصدق هو إله واحد الله ربكم ورب آبائكم الأولين . وقوله ﴿ فمن كان يرجو ﴾ أي يأمل و ينتظر ﴿ لقاء ربه ﴾ خوفاً منه وطمعاً فيه ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ وهو مؤمن موقن ، ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ فإن الشرك محبط للعمل مبطل له ، وبهذا يكون رجاء صادقاً وانتظاره صالحاً صائباً .

(١) المداد في أول الآية والمداد في آخرها بمعنى واحد واشتقاقها لا يختلف .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما علم الله عنهما علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهي على خلقه فامرهُ أن يقرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي .

(٣) روي في سبب نزول هذه الآية ما يلي : أتى جندب بن زهير الغامدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أعمل لله تعالى فإذا أطلع عليه سرتي فقال رسول الله ﷺ : إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ولا يقبل ما روئي فيه . فنزلت هذه الآية .

(٤) فسر ﴿ يرجو ﴾ بمعنى : يأمل وبمعنى يخاف وكلاهما مطلوب الخوف من الله ومن عذاب الآخرة ، والأمل في فضل الله وإحسانه وثوابه في الدنيا والآخرة .

(٥) فسر سعيد بن جبير رحمه الله ﴿ ولا يشرك ﴾ بأن لا يراني . وهو صحيح ولفظ الشرك أعم من الرباء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢ - بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى .
- ٣ - علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية .
- ٤ - تقرير صفة الكلام لله تعالى .
- ٥ - تقرير بشرية النبي ﷺ وأنه ليس روحاً ولا نوراً فحسب كما يقول الغلاة الباطنية .
- ٦ - تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .
- ٧ - تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس ، يصلى ويصوم ويحب أن يثنى عليه بذلك .

سُورَةُ الْكَافِرِينَ

مكية

وآياتها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذِكْرٌ رَحِمْتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمَّرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ عَالِي يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا
إِنَّا نَبِّشُرُكَ بِعَلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

(١) قال ابن عباس وطاووس . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني فنزلت هذه الآية وجائز تعدد النزول من أجل أن يجاب السائل بنفس الآية التي كانت جواباً لسؤال مماثل .

شرح الكلمات : كَهَيْعَص^(١)

: هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص وتقرأ كاف، هاء يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك .
تأدى ربه : أي قال: يارب ليسأله الولد .
نداءً خفياً : أي سر بعداً عن الرياء .
وهن العظم مني : أي رق وضعف لكبر سني .
واشتعل الرأس شيباً : أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب .
ولم أكن بدعائك رب شقياً : أي إنك لم تخيبي فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبي اليوم فيما أدعوك فيه .

وإني خفت الموالي : أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي .
إمرأتي عاقراً : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم .
فهب لي من لدنك ولياً : أي ارزقني من عندك ولداً .
ويرث من آل يعقوب : أي جدي يعقوب العلم والنبوة .
واجعله رب رضيعاً : أي مرضياً عندك .
سمياً : أي مسمى يحيى .

معنى الآيات :

أما قوله تعالى: كَهَيْعَص^(٢) فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول: ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده به .

وأما قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ فإن معناه: مما تتلو عليك في هذا القرآن يانينا^(٤) (١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الكاف من كافِ والهاء من هادِ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق . وعن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم للسورة وقيل: هي اسم الله الأعظم، وكان علي يقول: يا كهيعص اغفر لي .

(٢) كهيعص: هذه حروف هجاء مكتوبة بمسمياتها مقروءة بأسمائها .

(٣) (ذكر) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا ذكر رحمة ربك وعبده: منصوب بالمصدر الذي هو ذكر .

(٤) بناء على أن ذكر رحمة ربك: خبر والمبتدأ محذوف فإنه يصح تقديره . هذا ذكر وذكر رحمة ربك، وهذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك .

فيكون دليلاً على نبوتك ذكر رحمة ربك التي رحم بها عبده زكريا حيث كبرت سنه، وامرأته عاقر لا يولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لا يوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً إلى أن الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة إلى السوء فنأدى ربه نداء خفياً قائلاً: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ أي رق وضعف، ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أي شاب شعر رأسي لكبر سني، ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتني الاستجابة لما أدعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتني. ﴿وإني﴾ ياربي قد ﴿خفت الموالى﴾ أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بما شرعت وحدك لا شريك لك، وذلك بعد موتي ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي من عندك تفضلاً به علي إذ الأسباب غير متوفرة للولد: المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم، ﴿وليأبى﴾ أي ولدأبلي أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم إبراهيم وهي الحنيفية عبادة الله وحده لا شريك له ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ أي واجعل الولد الذي تهني ياربي ﴿رضياً﴾ أي عبداً صالحاً ترضاه لحمل رسالة الدعوة إليك، فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أي من سمي باسمه يحيى قط.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.
- ٢ - استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.

(١) النداء هنا: الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، وفيه استحباب دعاء السرّ والمناجاة الخفية، وقد أسرّ مالك القنوت وجهر به الشافعي لأنّ الرسول ﷺ جهر به.

(٢) الموالى هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب لأنّ العرب تسمي بني العم موالى قال شاعرهم: مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنشوا بيننا ما كان مدقونا

(٣) المراد من الإرث هو: إرثه في دعوته لأنّ مواليه كانوا مهملين للدين والدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولدأ يقوم بذلك، أمّا المال فإنّ الأنبياء لا يورثون وما يتركونه فهو صدقة.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فاستجاب الله دعاءه فقال: يا زكريا... الخ.

(٥) تضمنت هذه البشري ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة. الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسم بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد ﷺ.

٣ - وجود العقم في بعض النساء .

٤ - قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها .

٥ - تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير^(١) وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة .

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا
تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَنبَحِي حُذِيَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيْنَاهُ الْحُكْمُ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

أنى يكون لي غلام؟: أي من أي وجه ووجهة يكون لي ولد .

عتيا : أي يبست مفاصلي وعظامي .

آية : أي علامة تدلني على حمل امرأتى

سويا : أي حال كونك سوي الخلق مابك عليه خرس .

(١) والدينار والدرهم .

- من المحراب ^(١) : المصلى الذي يصلى فيه وهو المسجد .
 فأوحى إليهم : أوماً إليهم وأشار عليهم .
 وآتيناه الحكم صبياً : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع .
 وحنانا من لدنا : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا .
 وزكاة : أي طهارة من الذنوب والآثام .
 جباراً عصياً : أي متعالياً لا يقبل الحق عصياً لا يطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه .
 وسلام عليه : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم يولد ، وأمان له من فتاني القبر يوم يموت ، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر رحمة الله عبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى ببيحيى قال : ما أخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ ^(١) أي من أي وجه وجهة يأتيني الولد أمن امرأة غير امرأتى ، أم منها ولكن تهبني قوة على مباحضتها ^(٢) وتجعل رحمها قادرة على العلوق ^(٣) ، لأنى كما تعلم ياربي قد بلغت من الكبر حداً بس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امرأتى عاقر لا يولد لها . فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عز وجل : ﴿ قال كذلك ﴾ أي الأمر كما قلت يا زكريا ، ولكن ﴿ قال ربك هو على هين ﴾ أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لاصعوبة فيه ويدلك على ذلك أنى ﴿ قد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ ، فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئاً فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بأن يجعل له علامة تدله على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعالى في قوله : ﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾ فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امرأته بالولد وهي أنه يصبح يوم بداية الحمل لا يقدر على الكلام

(١) المحراب : مكان مرتفع ، ومن هنا كره مالك أن يصلي الإمام في مكان أرفع من المكان الذي يصلي فيه الناس وراه خشية الكبر عليه ، والكبر من كباثر الذنوب ولم يكره أحمد رحمه الله تعالى .

(٢) قرأ نافع (عتياً) بضم أوله كما : بُكياً وصلياً ، وبكسرهما قرأ حفص ، والعتي : هو قحول العظم ويوسته .

(٣) أي : جماعها من إدخال البضع في البضع .

(٤) أي : علوق النطفة في الرحم .

(٥) أي : فخلق الولد كخلقك .

وهو سوي البدن مابه خرس ولا مرض يمنعه من الكلام، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المصلى الذي يصلي فيه ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أوما وأشار إليهم ﴿أن سبحوا بكرة وعشيا﴾^(٣) أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح. وهنا علم بحمل امرأته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل. وقوله تعالى: ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوراة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله ﴿وآتيناه الحكم﴾^(٤) صبياً أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام. وقوله تعالى: ﴿وحناناً من﴾^(٥) لدنا وزكاة وكان تقياً أي ورحة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً كما أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغيرهما من المسلمين وقوله وزكاة أي طهارة من الذنوب بإستعمال بدنه في طاعة ربه عز وجل، وكان تقياً أي خائفاً من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام.

وقوله تعالى: ﴿وبرا بالديه﴾ أي محسناً بهما مطيعاً لهما لا يؤذيها أدنى وقوله ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله: ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ أي أمان له من الشيطان يوم ولد، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت، وأمان له من الفرع الأكبر يوم يبعث حياً، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه، اللهم أماناً كما أمنتته فإنك ذو فضل عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى.

(١) أو كتب إليهم كتابة.

(٢) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة لأنه لم يقدر على الكلام إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

(٣) بكرة وعشيا ظرفان في الصباح والمساء.

(٤) يروى أنه قال له الأولاد: هيا بنا نلعب فقال لهم: ما للعب خلقت، فهذا مما أوتيه من الحكم صبياً.

(٥) الحنان: التعطف والترحم وأصله من حنين الناقة إلى فصيلها، ويقال: حنانك وحنانيك وهما بمعنى واحد. قال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبقت بعضنا حنانيك بعض الشرأهو من بعض

(٦) وجائز أن يكون المراد بالسلام هنا: التحية منه تعالى وهي أشرف من غيرها.

- ٢ - جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة .
- ٣ - آية عجيبة أن يصبح زكريا لا يتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط .
- ٤ - فضل التسبيح في الصباح والمساء .
- ٥ - وجوب أخذ القرآن بجد وحزم وقراءة وحفظاً وعملاً بما فيه .
- ٦ - صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ما قبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبيّاً .
- ٧ - وجوب البر بالوالدين ورحمتها والحنان عليهما والتواضع لهما .

وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ

مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هَيْئًا وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

- واذكر في الكتاب : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها .
- مريم : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام .
- إذ انتبذت : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها .
- شرقياً : أي شرق الدار التي بها أهلها .
- حجاباً : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذويها .
- روحنا : جبريل عليه السلام .

بشراً سوياً	: أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا تروع منه .
إن كنت تقياً	: أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعد عني ولا تؤذي .
غلاماً زكياً	: ولداً طاهراً لم يتلوث بذنوب قط .
ولم يمسنني بشر	: أي لم أتزوج .
ولم أكن بغياً	: أي زانية .
قال كذلك	: أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب .
هو على حين	: ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد .
ولنجعله آية للناس	: أي على عظيم قدرتنا .
ورحمة منا	: أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ماجاء به .
أمراً مقضياً	: أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتماً لا محالة .
معنى الآيات :	

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿واذكر في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿مريم﴾ أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إذ انتبذت﴾ أي اعتزلت ﴿من أهلها﴾ هذا بداية القصة وقوله ﴿مكاناً شريعياً﴾ أي موضعاً شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في ذلك إلا الابتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي من دون أهلها ﴿حجاباً﴾ ساتراً لها عن أعينهم^(١)، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلاً، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء . فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ أي طاهراً لا يتلوث بذنوب قط . فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله: ﴿أنى يكون لي

(١) قيل : استترت عن أهلها لتغتسل من حيضتها وتمشط ، وذلك لكمال حياتها .

(٢) قرأ ورش عن نافع : (ليهب) بالياء بغير همزة ، وقرأ غيره : (لأهب) بالهمزة فعلى قراءة نافع المعنى : أرسلني ليهب لك ، وعلى قراءة غيره أرسلني يقول لك أرسلت رسولي إليك لأهب لك .

غلام ﴿أي من أي وجه يأتيني الولد، ﴿ولم يمسنني بشر﴾ أي وأنا لم أتزوج، ﴿ولم أك بغياً﴾^(١) أي ولم أك زانية، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال: ﴿هو علي هين﴾ أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح، لأنه هين علينا من جهة، ﴿ولنجعله آية للناس﴾ دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم، والبعث الآخر من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿رحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك أمراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به كما سيأتي بيانه في الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.
- ٢ - فضيلة العفة والحياء.
- ٣ - كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.
- ٤ - مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف من إنسان أو جان.^(١)
- ٥ - التقوى مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.
- ٦ - خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة.

(١) لم تقل بغية لأنه وصف يغلب على النساء فقلما تقول العرب رجل بغى فجري بغياً مجرى حائض وعافر، وقيل هو فاعل بمعنى فاعل والأوّل أولى.

(٢) (ولنجعله) متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله.

(٣) أي: مقدراً في اللوح المحفوظ كتاب المقادير العام.

(٤) بخلاف الفجور فإنه مصدر كل ضرّ وشرّ.

﴿۴۲﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿۴۳﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿۴۴﴾
 فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿۴۵﴾
 وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿۴۶﴾
 فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
 إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿۴۷﴾

شرح الكلمات :

فاتنبتت به	: فاعتزلت به .
مكاناً قصياً	: أي بعيداً من أهلها .
فأجاءها المخاض	: أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة .
إلى جذع النخلة	: لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .
نسياً منسياً	: أي شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر .
فناداها من تحتها	: أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته .
تحتك سرية	: أي نهراً يقال له سري .
رطباً جنياً	: الرطب الجنى : ما طاب وصلح للإجتناء .
فكلي واشربي	: أي كل من الرطب واشربي من السري .
وقري عينا	: أي وطيب نفسي وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .
نذرت للرحمن صوماً	: أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درعها أو جيب قميصها فحملته فوراً ﴿وانتبتت به مكاناً قصياً﴾ أي فاعتزلت به في مكان بعيد ﴿فأجاءها المخاض﴾ أي ألجأها وجع النفاس ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمد عليه وهي تعاني من آلام الطلق وأوجاعه، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به: ﴿قالت ياليتني مت قبل هذا﴾ أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد، ﴿وكنت نسباً منسياً﴾ أي شيئاً متروكاً لا يذكر ولا يعرف وهنا ﴿فنادها﴾ عيسى عليه السلام ﴿من تحتها ألا تحزني﴾ يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى: ﴿قد جعل ربك تحتك سريباً﴾ أي نهر ماء يقال له سري، ﴿وهزىء إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وقري عينا﴾ أي طيبي نفساً وافرحي بولدك، ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأن الله تعالى

ذكر الانتباز عقب الحمل: ﴿فحملته فانتبتت به﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) انتحت بالحمل إلى مكان بعيد قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وادي بيت لحم بينه وبين إيلياء أربعة أميال وإنما بعدت فراراً من تعبير قومها بالولادة من غير أب.

(٣) يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا: اضطره وألجأه.

(٤) تمنى الموت لا يجوز لحديث: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) الحديث وتمنته مريم عليها السلام لا لصالح نفسها ولكن لله تعالى، وذلك أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتغير فتفتن بذلك، وهذا الله، وثانياً خافت أن يقع بعض الناس في البهتان والنسبة إلى الزنى فيهلكون. وهذا أيضاً لله لا لها.

(٥) النسي: الشيء الحقيق الذي شأنه أن ينسى ولا يتألم كالفقد كالتودد والحبل ونحوهما، ويجمع النسي على أنساء قال الكميّ رضي الله عنه:

أتجعلنا جسراً الكب قضاة ولست بنسي في معد ولا دخل

والنسي أيضاً: حرق الحوض التي ترمى بدمها من الحوض.

(٦) قرأ نافع (من) بكسر الميم حرف جر، وقرأ حفص من بفتحها، اسم موصول والمراد بالموصول عيسى عليه السلام نادها قبل أن ترضعه من تحتها تعجيلاً للمسرة والبشرى لها به فإن في ألا تحزني تفسيرية لأن النداء قول.

هداية الايات

من هداية الآيات :

- ١ - من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.
- ٢ - إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدتها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد ييسه .
- ٣ - تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لايمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب الجني^(١) إذ هذا في استطاعتها .
- ٤ - مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع^(٢) عن الكلام منسوخ في الإسلام .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلاً قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا خَتَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

(١) قالت العلماء: أكل الرطب للنساء من أنفع الأغذية لها نظراً إلى أن الله تعالى اختاره لمريم عليها السلام .
 (٢) قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ فسر الصوم بالصمت كما في التفسير وأولى من هذا أن يكون صوم النذر في دينهم مستلزماً للصمت وعدم الكلام، والسياق دال عليه ظاهر فيه، وما زال النصارى يعتبرون الصمت عبادة فيصمتون دقائق على أرواح موتاهم ونسخ الإسلام هذا كما في الصحيح حيث أمر من نذر أن لا يتكلم أن يتكلم، ومن سنن الهدى في الإسلام الامتناع عن الكلام القبيح في الصيام لحديث الصحيح: (إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرئ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم) وهو كقول مريم: ﴿فقولي إنني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ ..

شرح الكلمات :

فأنت به	: أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام .
جئت شيئاً فريا ^(١)	: أي عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب .
يا أخت هارون	: أي يا أخت الرجل الصالح هارون .
امراً سوء	: أي رجلاً يأتي الفواحش .
فأشارت إليه	: أي إلى عيسى وهو في المهدي .
آتاني الكتاب	: أي الإنجيل باعتبار ما يكون مستقبلاً .
مباركاً أينما كنت	: أي حيثما وجدت كانت البركة فيّ ومعني يتنفع الناس بي .
وبرا بوالدي	: أي محسناً بها مطيعاً لها لا ينالها مني أدنى أذى .
جباراً شقياً	: ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها: إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأتت به قومها وما ان رأوها حتى قال قائلهم: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي أمراً عظيماً وهو إتيانك بولد من غير أب . ﴿يا أخت هارون﴾ نسبوها إلى عبد صالح يسمى هارون: ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امراً سوء﴾ يأتي الفواحش ﴿وما كانت أمك﴾ «حنة» ﴿بغياً﴾ أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة . وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال لها ما ذكر تعالى في الآيات السابقة .

(١) (فرياً): أي: مختلقاً مفتعلاً من الافتراء الذي هو الكذب يقال: فرى وأفرى: كذب ومن كراماتها أن امرأة مدّت لها يدها لتضربها أصيبت بالشلل القوري فحملت كذلك وقالت لها: أخرى ما أراك إلا زנית فأخرسها الله فوراً فصارت لا تتكلم ومن ثمّ أنوا لها الكلام واحترموا .

(٢) من الجائز أن يكون لمريم أخ صالح من أبيها أو من أبيها نسبوها إليه ومن الجائز أن تنسب إلى هارون الرسول عليه السلام كقول العرب يا أخا تميم ويا أخا العرب، وما في التفسير إجمال يشمل الكل فتأمل، وفي الآية دليل على جواز التسمية بالأنبياء والصالحين، ولا خلاف في ذلك .

فردوا عليها مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟﴾ فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئاً كان عبداً لله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله إلى بني إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبته وخدمته والإيمان به وبمحبته وكان مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتياً ولا جباراً عصياً. فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر، ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.
- ٢ - آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.
- ٣ - وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتها والمعروف وكف الأذى عنهما.
- ٤ - التنديد بالتعالى والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ

إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

(١) كان : هنا زائدة للتوكيد، ومن : مبتدأ والخبر في المهد وصبياً : حال من الموصول.
 (٢) قيل : لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى : ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا رد على الذين ألوهوه وعبدوه من دون الله تعالى.
 (٣) البرّ: بمعنى البار وخص بهذه الصفة لأن قومهم قل فيهم البرور بالوالدين وكثر فيهم العقوق نظراً إلى فشو الباطل فيهم ورقة حبل الدين بينهم، والجبار: المتكبر على الناس الغليظ في معاملتهم، والشقي ضد السعيد.
 (٤) لما قال ما قال في المهد: إني عبدالله... إلى قوله: ﴿ويوم أبعث حياً﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
 بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
 وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نُرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- ذلك عيسى ابن مريم : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم .
 قول الحق : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به .
 يمترون : يشكون .
 ما كان لله أن يتخذ : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن
 من ولد : فيكون .
 سبحانه : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير .
 صراط مستقيم : أي طريق مستقيم لا يضل سالكه .
 فاختلف الأحزاب : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى
 هو الله وابن الله تعالى الله عما يصفون .
 من مشهد يوم عظيم : هو يوم القيامة .
 أسمع بهم وأبصر : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب .
 وأنذرهم يوم الحسرة : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما
 يشاهدون أهل الجنة فيورثون منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة
 في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم .

معنى الآيات :

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حملها وأنها وضعت تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لا تحزني، وأرشدتها إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه فعلا فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركاً وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وأنه بر بوالدته، ولم يكن جباراً شقيماً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول الحق الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وأنه ساحر وقال النصراني هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ماعداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(١). وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزهها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾^(٢). هذا من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم

(١) قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأما النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.

(٢) في هذا رد على النصراني القائلين بأن المكوّن بأمر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلا ابن الله تعالى فينت الآية أن أصول الموجودات كلها كانت بأمر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟! والجواب قطعاً لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنه كان بكلمة التكوين.

(٣) جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدّم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.

(٤) نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجميل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأول: ﴿إني عبد الله﴾ وبين قوله: ﴿وإن الله ربي وربكم﴾.

أن الله تعالى هوربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولا يعبدون معه غيره إذ لا إله لهم إلا هو سبحانه وتعالى، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكة إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والضلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى في الآية (٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾^(١) أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا بها فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿فويل للذين كفروا﴾ بنسبتهم الولد والشريك لله، والويل واد في جهنم فهم إذا داخلوها لا محالة، وقوله ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لا يقادر قدرها.

وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿أسمع بهم وأبصر يوم أتوننا﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لا يريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدوا ويعبدوا، والمتصاممين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى ما يكون أبصاراً وسمعا، ولكن حين لا ينفعهم سمع ولا بصر، وقوله تعالى: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يخبر تعالى أن أهل الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه.

وقوله تعالى في آية (٣٩) ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة، والمشركون يرثون منازل

(١) (من): زائدة واختلاف الأحزاب، وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت هو الله وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية ثم تشعبت وأشهرها الآن: الملكانية أي الكاثوليك واليعقوبية: أي أرثوذكس والاعتراضية أي: البروتستانت.

(٢) هذا الكلام ظاهر أنه أمر لحمل السامع على التعجب من حال المذكورين، ومعناه الخبر أي: لا أحد أسمع منهم ولا أبصر يوم يقفون في عرصات القيامة، وشاهدون النار ويسمعون زفيرها.

(٣) روي في مسند أحمد وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح. قال: ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة...﴾ الآية.

الموحدين في النار، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار خلود فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما حكم عليهم به من الخلود في نار جهنم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوماً سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بما كتبت أيديهم ويجزيهم به، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.
- ٢ - استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.
- ٣ - تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.
- ٤ - الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.
- ٥ - بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.
- ٦ - تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

وَأَذْكُرُ

فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ

(١) هذه الجملة ذُبل بها الكلام السابق فتمت به القصة وضمير (نحن) للتأكيد والأرض: المراد بها ما فيها من غير العقلاء (ومن عليها) المراد بهم العقلاء وهم البشر.

إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
 سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَأْتِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- اذكر في الكتاب : أي في القرآن .
 إنه كان صديقا : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه .
 يا أبت : يا أبي وهو آزر .
 صراطا سويا : أي طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة .
 لاتعبد الشيطان : أي لاتطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام .
 عصيا : أي عاصيا لله تعالى فاسقا عن أمره .
 فتكون للشيطان وليا : أي قريبا منه قرينا له فيها أي النار .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى
 لرسوله محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ يانينا ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿إبراهيم﴾ خليلنا ﴿إنه كان
 صديقا﴾ أي صادقا في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيما في الصدق ﴿نبيا﴾ من أنبيائنا فهو
 جدير بالذكر في القرآن ليكون قدوة صالحة للمؤمنين . واذكره ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿يا أبت
 لم تعبد﴾ أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات ما لا يسمع ولا يبصر من الأصنام أي
 لا يبصرك ولا يسمعك ﴿ولا يغني عنك شيئا﴾ لا يدفع عنك ضرراً ولا يجلب لك نفعاً فأى
 حاجة لك إلى عبادته ﴿يا أبت إنني قد جاءني من العلم﴾ أي من قبل ربي تعالى ﴿مالم يأتك﴾
 أنت ﴿فاتبعني﴾ فيها أعتقده وأعمله وأدعو إليه ﴿أهدك صراطا سويا﴾ أي مستقيما يفضي

(١) الاستفهام للإنكار أي : لأني شيء تعبد .

(٢) أي : من اليقين والمعرفة بالله وبما يكون بعد الموت ، وأن من عبد غير الله يعذب أبداً .

(٣) أرشدك إلى دين قيم فيه نجاتك وسعادتك .

بك إلى السعادة والنجاة، ﴿يَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنع، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ أي عاصيا أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره. ﴿يَأْتِ إِنْ أَخَافَ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن أنت بقيت على شركك وكفرك ولم تتب منها حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن ﴿فَتَكُونُ﴾ أي بذلك ﴿لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي قريبا منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالدعوة إليه .
- ٢ - كمال إبراهيم بذكره في الكتاب .
- ٣ - بطلان عبادة غير الله تعالى .
- ٤ - عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الأمر بها والداعي إليها .

قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي

يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ

سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

(١) الجملة تعليلية للنهي عن عبادة الشيطان واتباع وسوسته وما يدعو إليه من الشرك.

(٢) أي: إني أخاف أن تموت على الكفر فيمسك العذاب الأليم.

شرح الكلمات

لئن لم تنته	: أي عن التعرض لها وعيبتها.
لأرجحك	: بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرنى.
واهجرني ملياً ^(١)	: أي سلباً من عقوبتي
سلام عليك	: أي أمانةً مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني.
إنه كان بي حفياء	: أي لطيفاً بي مكرماً لي يجيبني لما أدعوه له.
عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً	: بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتي.
فلما اعتزلهم	: بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم.
وهبنا له اسحق ويعقوب	: أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه.
ووهبنا لهم من رحمتنا	: خيراً كثيراً المال والولد بعد السبوة والعلم.
لسان صدق عليا	: أي ربيعاً بأن يُثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال.
معنى الآيات :	

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر إنه بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر راداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديد وهي ما أخبر به تعالى عنه في قوله: في الآية (٤٦) ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أكاره لها تعيبتها، ﴿لئن لم تنته﴾ أي عن التعرض لها بأي سوء ﴿لأرجحك﴾^(٢) بأبشع الألفاظ وأقبحها، ﴿واهجرني ملياً﴾^(٣) أي وابتعد عني مادمت معافي سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ماتكره. كان هذا رد آزر الكافر المشرك. فيما أجاب إبراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (٤٧) ﴿قال سلام عليك﴾^(٤) أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك

(١) ﴿واهجرني ملياً﴾ أي: اتركني وشأني وابتعد عني طويلاً تسلم من عقوبتي.

(٢) أي: كميها وشتمها.

(٣) وقيل في معناه: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، وقيل: اهجرني طويلاً.

(٤) هذا يسمى سلام المتاركة، وليس هو بالتحية وهل يجوز بدء الكافر بالسلام؟ في المسألة خلاف، والراجح: جواز السلام إذا كان لغرض سليم ككونه جاراً لك أو رفيقاً أو مصاحباً لك في عمل أو لك إليه حاجة وما إلى ذلك إذ سلم الرسول ﷺ على جماعة فيهم مشركون كما في الصحيح، وأما حديث: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) فهو إذا لم يكن هناك غرض صحيح.

(٥) (سلام): نكرة وصح الابتداء بها لما فيها من معنى التخصيص فقاربت لذلك المعرفة وصح الابتداء بها. وعليك الخبر.

فيما كرهت مني قط وسأقابل إساءتك بإحسان ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك ﴿إنه كان﴾ سبحانه وتعالى ﴿بي حفياء﴾ لطيفاً بي مكرماً لي لا يخيبني فيما أدعوه فيه .

وقوله تعالى حكاية عن قيل ابراهيم : ﴿واعترلكم وماتدعون من دون الله﴾ أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان ، ﴿وأدعوري عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام . قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ماواعدهم به من هجرته لديارهم إلى ديار القدس تاركا أباه وأهله وداره كافأه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا رسولا ، ووهبنا لجميعهم وهم ثلاثة الوالد ابراهيم وولده اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى : ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب﴾ وهو ابن ولده إسحق ﴿وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ . وقوله تعالى عنهم ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظى به إبراهيم وولديه إكراما من الله تعالى وإنعاما عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان الفرق بين ما يخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام ، وبين ما يخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفضاظة الكلام .

٢ - مشروعية سلام المتاركة والمواذعة وهو أن يقال للشيء من الناس سلام عليك وهو لا يريد

(١) أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلاً وولداً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال، وفي قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم﴾ وهنا له دليل يرجح هذا القول . والله أعلم .

بذلك تحيته ولكن تركه وما هو فيه .

٣ - مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض .

٤ - الترغيب في حسن الأحذوثة بأن يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل وما يورث من خير وإفضال .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾
 وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
 رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

واذكر في الكتاب : أي في القرآن تشريفا وتعظيما .

موسى : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام .

مخلصا : أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام «مخلصاً» وموحداً لربه مفردا اياه

بعبادته بالغا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام .

جانب الطور : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر .

وقربناه نجيا : أي أدنيناه إثناء تشریف وتكریم مناجياً لنا مكلماً من قبلنا .

أخاه هارون نبيا : إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبأه وأرسله معه إلى فرعون .

معنى الآيات :

هذا موجز قصة موسى عليه السلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ

﴿واذكر﴾ في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن

عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى : ﴿إنه كان مخلصاً﴾ أي مختاراً

مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ما خلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالستهم وقلوبهم

وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون من سوانا، وكان موسى كذلك، وقوله

تعالى : ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له أن جعلناه نبياً رسولا نبأناه

وأرسلناه إلى فرعون وملائته، ﴿وناديناه﴾^(١) وهو في طريقه من مدين إلى مصر في جانب الطور الأيمن^(٢) حيث نبأناه وأرسلناه وبذلك ﴿وقربناه نجياً﴾ فصار ينجينا فنُسمعه كلامنا ونسمع^(٣) كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم، وقوله: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل معه أخاه هارون إلى فرعون فبرحمة من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولا وما كان هذا إلا برحمة خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والصراعة إذ هي هبة إلهية خاصة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضيلة الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً.
- ٢ - إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى.
- ٣ - بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه مالم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً.
- ٤ - تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولا.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) قيل : كان هذا الكلام والمناجاة ليلة الجمعة . ذكره القرطبي .

(٢) هو بالنسبة إلى يمين موسى عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال «ابن جرير الطبري» .

(٣) أي : من غير وحي بل كفاحاً وجهها لوجه بلا واسطة .

(٤) وذلك حين سأل ربه قائلاً : ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ الآية .

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

واذكر في الكتاب اسماعيل : أي اذكر في القرآن تشريفا وتعظيما اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليها السلام .

صادق الوعد : لم يخلف وعد قط .

بالصلاة والزكاة : أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

مرضيا : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه .

إدريس : هو جد أبي نوح عليه السلام .

ورفعناه مكاناً عليا : إلى السماء الرابعة .

إسرائيل : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

ومن هدينا واجتبتينا : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبتيناهم بنبوتنا .

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن : أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها .

سجداً وبكياً : جمع ساجد وبك أي ساجدين وهم يبكون .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبية محمد ﷺ كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها و ابراهيم وموسى اذكر

كذلك اسماعيل فإنه ﴿كان صادق الوعد﴾ لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعد الليالي حتى

يجيء وهو قائم في مكانه ينتظره، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ نبأه تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها

وأرسله إلى قبيلة جرهم العربية ومنها تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد ﷺ وقوله تعالى :

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم والذي أمه هاجر عليهما السلام ولا التفات إلى قول من قال : إنه إسماعيل بن حزقيل الذي بعته

الله إلى قوم فسلخوا جلد رأسه . الخ كما في القرطبي .

(٢) في الآية دليل على وجوب صدق الوعد وفي الحديث : (إن الخلف من آيات النفاق) . وقد انتظر النبي ﷺ ثلاثة أيام

وهو مقيم في مكان ينتظر من واعدته اللقاء فيه وذلك قبل بعثته ﷺ رواه أبو داود والترمذي ، والرجل هو : أبو الحمساء وقال له :

يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرلك !!

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، وقوله: ﴿كان عند ربه مرضياً﴾ موجب آخر لإكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومعنى ﴿كان عند ربه مرضياً﴾ أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضياً من قبل ربه عز وجل. وقوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه ﴿كان صديقاً﴾ كثير الصدق مبالغاً فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط، وصديقاً في أفعاله ومآثره فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبياً من أنبياء الله، وقوله ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ إلى السماء الرابعة في حياته كما رفع تعال عيسى ورفع محمد إلى مافوق السماء السابعة. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ كأدريس، ﴿ومن حملنا مع نوح﴾ أي في الفلك كإبراهيم، ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ كاسحق وإسماعيل، ﴿واسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿ومن هدينا﴾ لمعرفتنا وطريقنا الموصل إلى رضانا وذلك بعبادتنا والاختصاص لنا فيها ﴿واجتبتنا﴾ لوحينا وحمل رسالتنا. وقوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ أي أولئك الذين هديناهم واجتبتنا من اجتبتنا منهم. والاجتباء الاختيار والاصطفاء بأخذ الصفوة ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ الحاملة للعظمت والعبر والدلائل والحجج ﴿خروا سجداً﴾ لله ربهم ﴿وبكياً﴾ عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه.

(١) قيل: إن إسماعيل عليه السلام لم يعد شيئاً إلا وفى به وهو صحيح يقتضيه ظاهر الآية الكريمة، وقد قيل العدة ذين، وفي الأثر: وأي المؤمن واجب. والوأي. الوعد. قال الشاعر:

متى يقل حرّاً لصاحب حاجة نعم يقضها والحر للوأي ضامن

وقال مالك: إذا سأل الرجل الرجل شيئاً فوعده ثم بدا له عدم إنجاز ما وعد لا شيء عليه ولا يقضي عليه بذلك لأن العدة بخير من باب الإحسان وليس على المحسنين من سبيل.

(٢) قيل: إن إدريس هو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

(٣) كما في حديث المعراج في رواية مسلم وجاء فيه: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة).

(٤) فقال إدريس الشرف بالقرب من آدم، ونال إبراهيم الشرف بالقرب من نوح ونال إسماعيل الشرف واسحق ويعقوب بالقرب من إبراهيم عليهم السلام أجمعين.

(٥) البكي: مصدر من مصادر بكي يبكي بكاءً وبكى وبكى، ويكون البكي جمع بالك نحو: قعود، وقاعد وسجود جمع ساجد وأصل بكي: بكوي على وزن فعول فقلبت الواو ياء وأدغمت في الباء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لا ينكر عليه أن ينبيء محمداً ويرسله .
- ٢ - فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة .
- ٣ - فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل .
- ٤ - سنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها . ﴿خروا سجداً وبكياً﴾
- ٥ - فضيلة البكاء حال السجود فقد كان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكيّ يعني البكاء .

﴿خَلْفَ مَنْ بَعْدِهِمْ﴾

خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا
 ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
 وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
 بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُوهُمْ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
 وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
 عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات :

خلف ^(١) : أي عقب سوء .

أضاعوا الصلاة : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين .

اتبعوا الشهوات : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر .

يلقون غيًّا : أي وادياً في جهنم يلقون فيه .

ولا يظلمون شيئاً : أي لا ينقصون شيئاً من ثواب حسناتهم .

(١) الخلف : بإسكان اللام خلف سوء ويفتحها خلف خير وصلاح .

- جنات عدن : أي إقامة دائمة .
 بالغيب : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء وهم في الأرض .
 مأتياً : أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة .
 لغواً : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه .
 بكره وعشياً : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل .
 من كان تقياً : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم .
- معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممن اجتنبى وهدى من النبيين وذرياتهم، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم ﴿أضاعوا الصلاة﴾ فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ فانغمسوا في حماة الرذائل فشربو الخمر وشهدوا الزور وأكلوا الحرام وهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم ﴿فسوف يلقون غياً﴾ بعد دخولهم نار جهنم . والغى : ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم^(١)، والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ماتوجد الآبار في الأودية .

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن أي حقق إيمانه وعمل صالحاً فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم . فأولئك أي فهؤلاء التائبون المنيبون ﴿يدخلون الجنة﴾ مع سلفهم

(١) جائز أن يراد بهذا الخلف السوء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسنتها، واتبع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين .

(٢) اتباع الشهوات لازم لإضاعة الصلاة لقول عمر: من أضاعها فهو لما سواها أضيع، ولأن إقام الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: غي: واد فسي جهنم وإن أودية جهنم لتستعيز من حره أعد الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصّر على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه ولاكل الربا لا يتزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولداً ليس منه .

الصالح، ﴿ولا يظلمون شيئاً﴾ أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئاً من ثواب أعمالهم .
 وقوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة أبدية ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾
 أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض .
 وقوله: ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ أي كونهم مارأوها غير ضار لأن ما وعد به الرحمن
 لا يتخلف أبداً لا بد من الحصول عليه ومعنى مأتياً يأتيه صاحبه قطعاً .

وقوله تعالى في الآية (٦٢) ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ يخبر تعالى أن أولئك الثائنين الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لا يسمعون فيها أي في الجنة لغواً وهو الباطل من القول وما
 لاخير فيه من الكلام اللهم إلا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من
 النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم .

وقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيا﴾ أي ولهم طعامهم فيها وهو ماتشتهيه
 أنفسهم من لذيذ الطعام والشراب ﴿بكرةً وعشيا﴾ أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت
 العشي في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار،^(١) وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو
 العشاء تغير الأنوار من لون إلى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة
 على وقت الغداء والعشاء .

وقوله تعالى: ﴿تلك الجنة﴾ آية (٦٣) يشير تعالى إلى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية
 ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ منهم، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما
 أن منزل التقي في النار نورثه فاجراً من الفجار، إذ هذا معنى التوارث: هذا يرث هذا وذلك
 يرث ذا، إذ ما من إنسان إلا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل
 الجنة ونزل في منزلته، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزلته فيها، ويورث
 الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة .

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنما هم في نور أبداً وإنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء
 الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب). ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، والمهدوي
 وغيرهما «القرطبي» .

(٢) الجملة مستأنفة، واسم الإشارة فيها للتنويه بها ويعلو مقامها وعظم الكرامة فيها لأهل التقوى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات .
- ٢ - الوعيد الشديد لمن يغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك .
- ٣ - باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب .
- ٤ - بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار .
- ٥ - تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار .
- ٦ - بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء ، وأن ورثة النار هم الفجار .

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ

أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

- وما ننزل : التنزل النزول وقتا بعد وقت .
- إلا بأمر ربك : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء .
- له ما بين أيدينا : أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة .
- وما خلفنا : أي ما مضى من الدنيا .
- وما بين ذلك : مما لم يمض من الدنيا إلى يوم القيامة أي له علم ذلك كله .
- وما كان ربك نسيًّا : أي ذا نسيان فإنه تعالى لا ينسى فكيف ينساك ويتركك ؟ .
- رب السموات والأرض : أي مالكهما والمتصرف فيهما .
- واصطبر لعبادته : أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت .
- هل تعلم له سمياً : أي لاسمٍ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفواً أحد .

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ما روى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد ببطء قال له النبي ﷺ ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله تعالى قوله : جواباً لسؤال النبي ﷺ : ﴿ وما تنتزل ﴾ أي نحن الملائكة وقتاً بعد وقت على من يشاء ربنا ﴿ إلا بأمر ربك ﴾ أيها الرسول أي إلا بإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء إلى سماء أو إلى أرض إلا بإذن ربنا عز وجل ، ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ أي له أمر وعلم ما بين أيدينا أي ما أمامنا من أمور الآخرة وما خلفنا أي مما مضى من الدنيا علماً وتدبيراً ، وما بين ذلك إلى يوم القيامة علماً وتدبيراً ، وما كان ربك عز وجل يارسول الله ناسياً لك ولا تاركاً فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقوله تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له ويده وفي قبضته وعليه ﴿ فاعبده ﴾ أيها الرسول بها أمرك بعبادته به ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ أي تحمل لها المشاق ، فإنه لا إله إلا هو ، ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ أي نظيراً أو مثيلاً والجواب لا : إذا فاعبده وحده وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله . فإنه لا معبود بحق إلا هو إذ كل ما عداه مربوب له خاضع لحكمه وتدبيره فيه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ - تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

(١) روى البخاري أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت : ﴿ وما تنتزل إلا بأمر ربك ﴾ الآية ، وقال مجاهد : أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال : ما الذي أبطأك ؟ قال : كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تقنون رواجبكم ولا تستأكون . قال مجاهد : فنزلت الآية في هذا والمراد بالمعيب عليهم : بعض المؤمنين لا رسول الله ﷺ فحاشاه أن يكون معيباً وهو على أكمل الأحوال .

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ أي : ناسياً إذا شاء أن يرسل إليك أرسل .

(٣) أي : لطاعته ، واللام بمعنى : على أي : على طاعته ، ولا تحزن لتأخر الوحي عنك ، وأصل اصطبر : اصتبر فقلبت التاء طاء تخفيفاً في النطق .

(٤) ولذا إجماع أهل الإسلام من عهد آدم أنه لا يجوز أن يسمى مخلوق باسم الله عز وجل « الله » .

٢ - استحالة النسيان على الله عز وجل .

٣ - تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين ، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين .

٤ - وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت .

٥ - نفي الشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفواً أحد .

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ

أُخْرِجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ

وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ

شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ

هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ

حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ

فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

ويقول الإنسان : أي الكافر بقاء الله تعالى .

ولم يك شيئاً : أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة .

جثياً : أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن .

من كل شيعة : أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه

عتياً : أي تكبراً عن عبادته وظلماً لعباده .

أولى بها صلياً : أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار .

إلا واردها : أي ماراً بها إن وقع بها هلك ، وإن مر ولم يقع نجا .

حتماً مقضياً : أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحثمه فهو كائن لا بد .

فيها جثياً : أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى بعض .

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقرير عقيدة البعث والجزاء فيقول تعالى وقوله الحق: ﴿ويقول الإنسان﴾ أي المنكر للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرهما إذ هذه قولة كل من لا يؤمن بالآخرة يقول: ﴿إذا مت لسوف أخرج حياً﴾ يقول هذا استنكاراً وتكذيباً قال تعالى: راداً على هذا الإنسان قوله الكافرة ﴿أو لا يذكر الإنسان﴾ أي المنكر للبعث الآخر ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ أي يكذب بالبعث وينكره ولا يذكر خلقنا له من قبل، ولم يك شيئاً. ليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم جميعاً مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرهم حول جهنم جثياً على ركبهم أذلاء صاغرين. هذا معنى قوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ والشياطين ثم لنحضرهم حول جهنم جثياً.

وقوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم، يحضرهم حول جهنم جثياً، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتياً أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيذان به ورسوله ووعده ووعيده وهو معنى قوله تعالى في الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على أشد الرحمن عتياً﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم

-
- (١) اللام في: (لسوف) للتأكيد والاستفهام: (إذا): للإنكار، واللام: لام الابتداء جاء بها المتكلم لتأكيد إنكاره للبعث بعد الموت والخروج من قبره حياً.
- (٢) الاستفهام للإنكار على منكر البعث، والتعجب من عقلية وعمى قلبه من عدم النظر في عدم أصل خلقه فإنه لو أبصر وزالت غفلته لما أنكر البعث فالذي خلقه اليوم يخلقه غداً ولا عجب.
- (٣) قبل كعد: ملازمة للإضافة فإذا حذف المضاف بنيت على الضم، والمضاف المحذوف هنا تقديره: من قبل كونه شيئاً يذكر في الوجود وقد أوجده الآن ويعدهم غداً ويحييه بعد موته يوم يريد ذلك.
- (٤) الفاء: للتفريع، والضمير في: (لنحشرنهم) عائد على جنس الإنسان المكذب بالبعث الآخر، والمشارك بالله المصير على ذلك، وذكر حشر الشياطين معهم تحقيراً لشأنهم حيث يحشرون مع أخس الخلق وأحطه ثم أشار إلى أن شركهم وكفرهم كان بتزيين الشياطين لهم ذلك، والجثي: جمع جاثٍ مثل: قاعد وقعود، فجثي: أصلها جثوي قلبت الواو ياء، وأدغمت، والجاثي هو البارك على ركبته عجزاً عن القيام.

أولى بها صلياً ﴿ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾^(١).

وقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ ، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبين ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولا يسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم . وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ ونذر الظالمين ﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿ فيها جثياً ﴾ أي وترك الظالمين فيها أي جهنم جائمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمرور على الصراط .
- ٢ - تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة .
- ٣ - تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين .
- ٤ - تقرير حتمية المرور على الصراط .
- ٥ - بيان نجاة الأتقياء ، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي .

(١) يقال : صلى صلى صلياً كضى يمضي مضيها وهوى يهوي هويهاً ، وصلياً بكسر الصاد : قراءة حفص ، وبضمها : قراءة نافع ، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول ، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صلياً كما تقدم في جثياً .

(٢) حاول صاحب التحرير أن يردّ مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثم ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى ردّ مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعياً ففي صحيح مسلم : (ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة فيقولون : اللهم سلم سلم قيل : يا رسول الله : وما الجسر؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها : السعدان ، فيمرّ المؤمنون كطرف العين والبرق والريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ففاج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم ، وبهذا الصراط . . فسّر السلف الورود على جهنم ، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول ، إذ قد يرد المرء على الحوض وينسف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصحّ قول الرسول ﷺ فيمن مات له ثلاثة ولد له يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلا تحلة القسم) وهو الورود على متن جهنم نظراً إلى الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

وَإِذَا تَتلى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا يَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ
 كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
 إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
 وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
 وَالْبَاقِيَتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

- آياتنا بينات : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج .
 خير مقاماً : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة .
 وأحسن ندياً : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء .
 أحسن أثنا ورئياً : أي مالا ومتاعا ومنظراً .
 إما العذاب وإما الساعة : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم .
 من هو شر مكانا : أي منزلة .
 وأضعف جنداً : أي أقل أعواناً .
 وخير مرداً : أي مايرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة .

معنى الآيات :

(١) مازال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى ﴿ وَإِذَا تَتلى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴿١﴾
 بينات ﴾ أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء

(١) المراد بهم الكفار الذين سبق ذكرهم في الآيات قبل هذه إذا قرئت عليهم الآيات تعززوا بالدنيا وقالوا فما بالنا إن كنا على باطل أكثر أموالاً وأعز نفراً وقصدتهم إدخال الشبهة على المستضعفين من المؤمنين .
 (٢) (بينات) حال مؤكدة .

يوم القيامة إذا قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن
البيّنات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث ﴿قال الذين﴾ كفروا للذين آمنوا أي
الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴿، وقولهم هذا هو رد فعل لا غير، إذ أنهم لما يسمعون
الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لا يجدون ما يخففون به ألم نفوسهم
فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم ﴿أي الفريقين﴾ أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين
خير مقاماً أي منزلاً ومسكناً وأحسن ندياً أي نادياً ومجتمعاً يجتمع فيه، لأنهم يقارنون بين
منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول ﷺ والمؤمنون وبين
دور ومنازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شورا هم فرد تعالى عليهم
بقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً﴾ أي لا ينبغي أن يغرمهم هذا
الذي يتبجحون به ويتطاولون فإنه لا يدوم لهم ماداموا يجاربون دعوة الحق والقائمين عليها
فكم من أهل قرون أهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعاً ومناظر حسنة
جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي اذكر لهم سنتنا في
عبادنا يارسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن
فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجاً حتى إذا انتهوا إلى ما حدد لهم من زمن
يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم وظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوى بالقتل والأسر
ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون إلى جهنم عمياً وبكماً وصماً جزاء
التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما
الساعة فسيعلمون﴾ من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴿أي شر منزلة وأقل ناصراً أهم
الكافرون أم المؤمنون، ولكن حين لا ينفع العلم. إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي

(١) الذين كفروا كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال وصهيب.

(٢) الأثاث: متاع البيت من فرش وغيرها مما هو جديد، فإن استعمل قيل فيه: الخرشى قال الشاعر:

تقادم العهد من أم الوليد بنا دهرأ وصار أاث البيت خرشياً

الرشى: المنظر الحسن. وفيه قراءات خمس أشهرها قراءة الجمهور ورثياً بالهمزة، وقراءة نافع ريثاً بدون همزة واشتقاقه من
الرؤية أي: المنظر، ومن الرى ضد العطش، إذ الريان هو المنعم ذو الحال الحسنة.

(٣) في الآية رد على قولهم: ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾. أي سوف تنكشف الحقائق في يوم القيامة، ويعلمون
يقينا من هو الأفضل حالاً والأحسن مآلاً.

الحسرة والندامة لاغير.

وقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾^(١) أي إذا كان تلاوة الآيات البيئات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفرًا وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي .

وقوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾ أيها الرسول ﴿ثواباً وخيراً مرداً﴾ في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن ما يتبجح به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فإن، والصالحات باقية فثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً أي مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتر المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة .

٢ - بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين .

٣ - بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم ، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين .

٤ - بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) وفي الآية وجه آخر مشرق صالح وهو: أن الله تعالى يمدّ لأهل الضلالة في ضلالتهم، ويزيد لأهل الهداية في هدايتهم إذ قال: ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ . وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ وما في التفسير صالح ومشرق أيضاً .

(٢) أي: الأعمال الصالحة التي يعمل العبد إيماناً وإحساناً كالصلاة والصيام والصدقات والجهاد وذكر الله ثوابها لأهلها المدخر لهم عند الله تعالى خير من أعمال أهل الكفر والشرك والظلم إذ هي ذاهبة هباء منثوراً فيم يتعزّز الكافرون؟

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
 ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

- الذي كفر بآياتنا : هو العاص بن وائل .
 لأوتين مالا وولداً : يريد في الآخرة .
 أطلع الغيب : أي فعرّف أنه يعطى مالا وولداً يوم القيامة .
 كلا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً .
 ونمد له من العذاب مداً : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة .
 ونرثه مايقول : أي نسلبه ما تبجح به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه ﷺ معجباً له ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ أي كذب بالوحي وما يدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي . وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص . ﴿وقال لأوتين مالا وولداً﴾ قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قينٌ «حدادا» وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث فقال له العاص إذا أنا متُّ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ فعرّف أن له يوم القيامة مالا وولداً . ﴿أم اتخذ عند

(١) الأئمة ومن بينهم مسلم في صحيحه علم أن هذه الآية نزلت في الخباب والعاص بن وائل إذ كان لخباب دين على العاص فطالبه فأجاب بما خلاصته في التفسير أعلاه .

(٢) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنظر في اللوح المحفوظ . وقال مجاهد : أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا ؟

الرحمن عهداً ﴿﴾ بذلك بأن سيعطيه مالا وولداً يوم القيامة ﴿﴾ كلا ﴿﴾ لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً. وقوله تعالى: ﴿﴾ سنكتب ما يقول ﴿﴾ من الكذب والإفراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿﴾ ونمد له من العذاب مدا ﴿﴾ ، وقوله تعالى: ﴿﴾ ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً ﴿﴾ أي ونسلبه ما يقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلك أو ينصر رسوله على قومه فيسلبهم المال والولد. ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال معه ولا ولد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بهال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطوسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم .
- ٢ - تقرير البعث والحساب والجزاء .
- ٣ - مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم .
- ٤ - تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون .

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً
لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
تُوزِّعُهُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

(١) كلا : ردّ عليه أي : لم يكن له ذلك . أي : لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً .

(٢) وقيل : نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد إذ قال : لأوتين مالا وولداً ورد تعالى عليه قوله بقوله : ﴿﴾ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴿﴾ .

شرح الكلمات :

- ليكونوا لهم عزاً : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لا يعذبوا .
 سيكفرون بعبادتهم : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم .
 ضداً^(١) : أي أعداء لهم وأعوانا عليهم .
 تؤزهم أزا^(٢) : أي تزعجهم ازعاجا وتحركهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

- وفدا : أي راكبين على النُجْب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى ربهم فيكرمهم .
 إلى جهنم ورداً : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .
 عهداً : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مندداً بالمشركين فيقول: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات، ﴿ليكونوا لهم﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿عزاً﴾ أي شفعاء لهم عندنا يعزون بواسطتهم ولا يُهانون، ﴿كلاً﴾ أي ليس الأمر كما يظنون ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم، ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أي خصوماً، ومن ذلك قولهم^(٤). ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾. وقولهم. ﴿بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾.
 وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٣) ﴿ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾

- (١) الضدّ: ما يخالف ضده في الماهية أو المعاملة، ومن هذا تسمية العدو ضدّاً لأن معاملته تخالف معاملة نظيره، ويكون ضدّاً في معنى المصدر عاملوه معاملة المصدر فلا يشني ولا يجمع ولا يؤنث.
 (٢) العزّ: ضد اللذ، وأطلق العزّ هنا وأريد به سببه وهو الشفعاء والأعوان إذ بهم تحصل العزة وتكون المنعة.
 (٣) (كلاً): جائز أن تكون نافية بمعنى: لا وليس جائز أن تكون بمعنى: حقاً أي: حقاً سيكفرون بعبادتهم. الخ.
 (٤) أي: فيما أخبر تعالى به في قوله: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾. فها هم قد وقفوا ضدّهم بتكذيبهم إياهم. ورأى بعض أهل التفسير أن من الجائز أن تكون الآية مبشرة بنصر الرسول ﷺ وأن يوماً سيأتي يكفر المشركون بالهتهم وذلك بعد إسلامهم.
 (٥) الاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب أي: كيف لم تر ذلك والأمر واضح لوجود آثاره يشاهدها كل أحد. وأرسلنا بمعنى سلطناهم أو خلقناهم يفعلون بهم ما أرادوا من الإغواء والفتنة.

يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يارسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزا أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً. أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيلها عليهم حتى أنفاسهم ونحاسبهم على كل ذلك ونجزيم به. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾^(١).

وقوله تعالى في الآية (٨٥) ﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي أذكر يارسولنا يوم نحشر المتقين ﴿إلى الرحمن وفداً﴾. والمتفون هم أهل الإيثار بالله وطاعته وتوحيده ومحبه وخشيته وطاعة رسوله ومحبه وفداً أي راكبين على النجائب من النوق عليها رحال الذهب إلى الرحمن إلى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الأبرار والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾: أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يساقون سوق البهائم إلى جهنم ويثس الورد^(٢) المورد جهنم.

وقوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(٣) أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لا يملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمؤمنين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك إن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراماً للشافع أيضاً وإنعاماً على المشفوع له. كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم إلى الله الراجين ربه يملكون الشفاعة إن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها بشفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم.

(١) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإنما نعد لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٢) يطلق لفظ الورد على الماشية عندما تساق إلى الماء لترده، ويطلق على السير إلى الماء أيضاً كما يطلق على الماء المورد ومنه قوله تعالى: ﴿ويثس الورد المورد﴾.

(٣) الاستثناء منقطع، والمنقطع هو: استثناء الشيء من غير جنسه، ولذا يؤتى بعده بـلكن كما هو في التفسير أي: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفع.

(٤) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضاً بدليل السنة الصحيحة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العهد أيضاً بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزيًا لهم وإحقاقًا للعذاب عليهم .
- ٢ - لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه .
- ٣ - لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلمًا ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصى عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به .
- ٤ - بيان كرامة المتقين، ومهانة المجرمين .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

- وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله .
 جئتم شيئاً إدًّا : أي منكرًا عظيمًا .
 ينفطرن : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه .
 وتخِرُّ الجبال هداً : أي تسقط وتنهدم وتنهدم .
 أن دعوا للرحمن ولداً : أي من أجل إدعائهم أن للرحمن عز وجل ولداً .

ولا يتبغى : أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه .

إلا أتى الرحمن عبداً : أي خاضعاً منقاداً كائناً من كان .

فرداً : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿وقالوا﴾ أي أولئك الكافرون ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾^(١) إذ قالت بعض القبائل العربية الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله . يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾^(٢) أي أتيتم بشيء منكر عظيم ، ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه ، ﴿وتشق الأرض وتخر الجبال هدأ﴾^(٣) أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عز وجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب اليم . وقوله : ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾^(٤) أي أن نسبوا للرحمن ولداً ، ﴿وما ينبغي للرحمن﴾ أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد ، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر إلى اتیان الأنثى فيكون بإذن الله الولد ، والله عز وجل منزه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم ؟

وقوله تعالى ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً﴾ هذا برهان على بطلان قولة الكافرين الجاهلين ، إذ الذي ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة

(١) قرىء : (وُلدًا) بضم الواو وسكون اللام ، وقراءة الجمهور (ولدا) بفتح الواو واللام وهما لغتان مثل : الغرب والقرب .
والعجم والعجم قال الشاعر :

ولقد رأيت معاشرا قد ثَمروا مالا ووُلدًا

وقال آخر :

مهلا فداءً لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن وُلد

ففي البيت الأول شاهد وُلد بسكون اللام وفي الثاني شاهد لفتحها مع ضم الواو في الأول وفتحها في الثاني .

(٢) الإد والإادة : الداهية والأمر الفظيع . قال ابن عباس : الإد : المنكر العظيم .

(٣) تكاد : بالثاء قراءة العامة ، وقرأ نافع بالياء (يكاد) .

(٤) الهد : الهدم بصوت شديد ، والهدئة : صوت وقع الحائط ونحوه .

(٥) روى البخاري عن النبي ﷺ قوله : (يقول الله تبارك وتعالى : كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي فقولته : ليس يعيدني كما بداني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته . وأما شتمه إياي : فقولته : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

(٦) (إن) نافية بمعنى ما . في الآية دليل على عدم جواز ملك الوالد للولد ولا الولد للوالد ، وفي الحديث الصحيح : (لا ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه) . فإذا لم يملك الأب ابنه فلأن لا يملك الابن أباه من باب أولى .

(١) وإنس وجن إلا أتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلاً منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً، إذ الولد يطلب للحاجة إليه، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك .
 وقوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدأ﴾ أي علمهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد له لعلمه، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله: ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ هذا رد على أولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير. فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر، ولا مال ولا سلطان .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١ - عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم .
- ٢ - بيان أن كل المخلوقات من أجلها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد الله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم .
- ٣ - بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفة لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم ، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
 الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
 الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ
 مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

(١) روى أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم) أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم .

شرح الكلمات :

- وداً : أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ومحبههم ربهم تعالى .
 فإنما يسرناه بلسانك : أي يسرنا القرآن أي قراءته وفهمه بلغتك العربية .
 قوماً لداً : أي ألداء شديداً والجدل بالباطل وهم كفار قريش .
 وكم أهلكنا : أي كثيراً من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم .
 هل تحس منهم من أحد : أي هل تجد منهم أحداً .
 أو تسمع لهم ركزا : أي صوتاً خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبعده الله ووعده فتحلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنين محبة ووداً^(١) وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحابون متوادون، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم . وقوله تعالى : ﴿ فإنما يسرناه ﴾ أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالإيمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي ، ﴿ وتذر به قوماً لداً ﴾ وهم كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة ، وقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا ﴿ فهل تحس منهم من أحد ﴾ فتراه بعينك أو تمسه بيدك ، ﴿ أو تسمع لهم ركزاً ﴾ أي صوتاً خفياً اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال : إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء - قال : ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام وقال : إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال : فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض) .

(٢) (لداً) : جمع الألد ، وهو : الشديد الخصومة ، ومنه قوله تعالى : (الذ الخصام) وقال الشاعر :

أبيت نجياً للهموم كأنني أخاصم أقواماً ذوي جدل لداً

(٣) في الآية تهديد وتخويف لأهل مكة المصيرين على الكفر والشرك والتكذيب . وكم : خبرية ، والقرن : الجيل والأمة . ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة وشاع إطلاقه على المائة سنة .

(٤) والإحساس : الإدراك بالحس . والاستفهام إنكاري .

(٥) قيل : الرکز : مالا يفهم من صوت أو حركة .

فيتعظوا فيتوبوا إلى ربهم بالإيمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً .
- ٢ - بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والندارة لأهل الشرك والمعاصي .
- ٣ - إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى؟

سُورَةُ طه

مكية

وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا
لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ
فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾

شرح الكلمات

طه : أي يارجل .

إلا تذكرة : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عز وجل .

على العرش استوى : أي ارتفع عليه وعلا .
وما تحت الثرى : الثرى التراب الندي يريد ما هو أسفل الأرضين السبع .
وأخفى : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد .
الحسنى : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طه﴾ لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة، وجائز أن يكون معناه يارجل ورجح الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يارجل وعلى هذا فمعنى الكلام يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القرآن الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عز وجل ذلك وقال ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ وإنما أنزلناه ليكون تذكرة ذكري يذكر بها من يخشى ربه فيقبل على طاعته متحملاً في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذابين لرسوله، وقوله: ﴿تنزيلاً﴾ من خلق الأرض والسموات العلى ﴿أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نزل تنزيلاً من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق به يدبر أمر مخلوقاته، الذي ﴿له ما في السموات وما في

(١) نزلت (طه) قبل إسلام عمر رضي الله عنه لما روي : أنه دخل على بيت ختنه سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم أجمعين فطلبها فلم يعطها حتى اغتسل فلما قرأها لان قلبه ورق للإسلام .

(٢) قيل : إن طه بمعنى : يارجل لغة معروفة في عكك حتى إنك إذا ناديت المرء بيارجل لم يجيبك حتى تقول : طه وأنشد الطبري في هذا قول الشاعر:

دعوت بطله في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون مزيفاً

(٣) التذكرة: خطور المنسي بالذهن لأن التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها فسماع القرآن كقراءته يثير كامن التوحيد في فطرة الإنسان .

(٤) (تنزيلاً) حال من القرآن، المراد منها التنويه بشأن القرآن والإعلان عن خطره .

(٥) (الرحمن) يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي : هو الرحمن جل جلاله . ويجوز أن تكون مبتدأ واختير اسم الرحمن لأن المشركين ينكرون اسم الرحمن جهلاً منهم وعناداً .

(٦) تقديم الجار والمجرور: مؤذن بالحصر، وهو كذلك، إذ ليس لأحد ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى سواه عز وجل .

الأرض ومساكنها وما تحت الثرى^(١) ﴿من الأرضين السبع﴾. وقوله ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أيها الرسول أو تُسِرَّ ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾^(٢) من السر، وهو ما قدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد. وقوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه ﴿له الأسماء الحسنى﴾ التي لا تكون إلا له، ولا تكون لغيره من مخلوقاته. وهكذا عرّف تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فله الحمد وله المنّة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.
- ٢ - تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
- ٣ - تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل اثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عز وجل.
- ٤ - تقرير ربوبية الله لكل شيء.
- ٥ - تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلِيًّا أَيُّكُمْ مِّنْهَا يَقْبَسُ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَارُ بَيْتِكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

(١) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.
(٢) وجائز أن يكون أخفى السر: حديث النفس إذ هو أخفى من السر إذ السر ينطق به، وخاطر النفس لا ينطق به.

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
 أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ
 عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- هل أتاك : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق .
 حديث موسى : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل
 إذ رأى ناراً : أي حين رؤيته ناراً .
 لأهله : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد .
 آنست ناراً : أي ابصرتها من بعد .
 بقبس^(١) : القبس عود في رأسه نار .
 على النار هدى : أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر .
 فلما أتاها : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً .
 نودي ياموسى : أي ناداه ربه قائلاً له ياموسى !
 المقدس طوى^(٢) : طوى اسم للوادي المقدس المطهر .
 اخترتك : من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل .
 فاستمع لما يوحى : أي إليك وهو قوله تعالى : ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ .
 لذكري : أي لأجل أن تذكرني فيها .
 أكاد أخفيها^(٣) : أي أبالغ في اخفائها حتى لا يعلم وقت مجيئها أحد .

(١) القبس والمقباس يقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فقبسني أي: أعطاني منه قبساً بتحريك السين مفتوحة، واقتبس منه علماً لأن العلم نور، من مادة النار التي هي الضياء والإشراق .

(٢) طوى بالكسر وبالضم أشهر وبه قراءة عامة القراء، وهو اسم للوادي وفي لفظه ما يشير إلى أنه مكان فيه ضيق كالثوب المطوي أو لأن موسى طواه سيراً .

(٣) لما كانت الساعة مخفية الوقوع أثار قوله تعالى ﴿أكاد أخفيها﴾ تساؤلات كثيرة أقربها إلى الواقع ثلاثة. الأول: إخفاء الحديث عنها لأن الحديث عليها لا يزيد المعاندين من منكري البعث إلا عناداً. والثاني: أن كاد زائدة والتقدير: أن الساعة آتية أخفيها. والثالث: أن أخفيها بمعنى: أزيل خفاءها بأن أظهرها فتكون الهمزة للسلب نحو أعجم الكتاب: أزال عجمته وأشكى زيداً: إذا أزال شكواه.

بما تسمى : أي سعيها في الخير أو في الشر .
فتردى : أي تهلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى ، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته . فقال تعالى : ﴿وهل أتاك﴾ أي يانبينا ﴿حديث موسى﴾^(١) إذ رأى ناراً ، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل ، ﴿امكثوا﴾ أي ابقوا هنا فقد آنتست ناراً أي أبصرتها لعل آتيكم منها بقبس ﴿فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفنون بها ، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه .^(٢)

وقوله تعالى : ﴿فلما أتاه﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة تتلألؤ نوراً ﴿نودي ياموسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلاً ياموسى ﴿إني أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه . وقوله تعالى ﴿وأنا اخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلتك إليهم . ﴿فاستمع لما يوحى﴾ أي إليك وهو : ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي ، ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾^(٣) ، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها . فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى . وقوله ﴿إن الساعة آتية﴾^(٤) أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته ، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى .

(٢) الحديث : الخبر ، ويجمع على غير قياس : أحاديث ، وقيل : واحده أحذوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء . كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج .

(٣) قيل : هي شجرة عتّاب .

(٤) قرأ حمزة وحده ، وأنا اخترتك بضمير العظمة .

(٥) في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقيين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أول لقاء معه ، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله ، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها .

(٦) استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصلها مستدلاً بقوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي : لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال ﷺ (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذلك)

(٧) الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب .

آتية لا محالة . من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر، وقوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي . وذلك لحكمة أن يعمل الناس ما يعملون وهم لا يدرون متى يموتون ولا متى يعيشون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلا ، وقوله : ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فتردى﴾ ينهى تعالى موسى أن يقبل صدَّ صادٍ من المنكرين للبعث متبعي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، فإن من لا يؤمن بها ولا يتزود لها يردى أي يهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة لمحمد ﷺ .
- ٢ - تقرير التوحيد وإثباته ، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل .
- ٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى .
- ٤ - مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركاً ، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه .
- ٥ - وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى .
- ٦ - بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته .

وَمَا تَلَّكَ

بِئَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا
وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَارٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا
يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِزُرِّيكَ

مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- وما تلك بيمينك يا موسى : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية .
 أتوكأ عليها : أي اعتمد عليها .
 وأهش بها على غنمي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم .
 ولي فيها مآرب أخرى : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حمله على عاتقه ، وقتل الهوام .
 حية تسمى : أي ثعبان عظيم ، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمى بالجان .
 سيرتها الأولى : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حية .
 إلى جناحك : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط .
 بيضاء من غير سوء : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس .
 إذهب إلى فرعون : أي رسولاً إليه .
 انه طغى : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبما عنده قائلاً : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى؟﴾^(١) يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة ، فإذا تحولت إلى حية تسمى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله إلى فرعون وملائته . وأجاب موسى ربه قائلاً : ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ يريد يخبط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم ﴿ولي فيها مآرب﴾ أي حاجات

(١) الجملة معطوفة على الجمل قبلها، وهي استفهامية أي : وما التي بيمينك؟ والمقصود تقرير الأمر حتى يقول موسى : هي عصاي .

(٢) في هذه الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه . وفي الحديث وقد سئل عن ماء البحر فقال : (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) فزاد جملة : (الحل ميتته) وقوله للتي سألته قائلة : ألهدنا حجج؟ قال : نعم ولك أجر) فزاد (ولك أجر) وفي البخاري : باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل .

(٣) الواحد : مأربة مثلثة الرءاء .

(١)

﴿أخرى﴾ كحمل الزاد والماء يعلقه بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية. فقال له ربه عز وجل ﴿ألقها ياموسى فألقاها﴾ من يده ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى: ﴿خذها ولا تحف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلاً أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه. ثم أمره تعالى بقوله: ﴿واضمم يدك﴾ أي اليمنى ﴿إلى جناحك﴾ الأيسر ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي برص وفعل فضم يده تحت عضده إلى ابطنه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقة قمر، أو كأنها الثلج بياضاً أو أشد، وقوله تعالى ﴿آية أخرى﴾ أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا إلى حية تسعى كأنها جان. وقوله تعالى: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى، أي حولنا لك العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطاننا. وقوله تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ لما اراه من عجائب قدرته أمره أن يذهب إلى فرعون رسولا إليه يأمره بعبادة الله وحده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم إلى أرض المعاد بالشام وقوله ﴿إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعي الربوبية والألوهية إذ فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾، فأبي طغيان أكبر من هذا الطغيان.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا من يوحى إليه.
- ٢ - استحباب تناول الأشياء غير المستقدرة باليمين.
- ٣ - مشروعية حمل العصا. (٥)

(١) أظن موسى في الجواب طلباً لمزيد الأنس بالوقوف بين يدي ربه يتاجيه ويوحى إليه.

(٢) الحية: اسم لصنف من الحنث مسموم إذا عض بنابيه قتل المعضوض.

(٣) السيرة في الأصل: هيئة السير ونقلت إلى العادة والطبيعة.

(٤) الجناح: العضد وما تحته من الإبط فهو مع اليد كجناح الطائر.

(٥) كان خطباء العرب يحملونها في أثناء الخطاب يشيرون بها، وكره هذا الشعوبيون من غير العرب وهم محجوجون بفعل الرسول ﷺ، وللعصا فوائد كثيرة آخر فوائدها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة.

- ٤ - سنة رعي الغنم للأنبياء .
 ٥ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك .
 ٦ - آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس .
 ٧ - بيان الطغيان : وهو إدعاء العبد ما ليس له كالألوهية ونحوها .

قَالَ

رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ
 لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ
 أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
 كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- اشرح لي صدري : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة .
 ويسر لي أمري : أي سهله حتى أقوى على القيام به
 واحلل عقدة من لساني ^(١) : أي حيسة حتى أفهم من أخطاب
 أشدد به أزري : أي قوي به ظهري .
 وأشركه في أمري : أي اجعله نبياً كما نبأني ^(٢)

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى إنه بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربه تعالى ﴿ اشرح لي صدري ﴾ لأتحمل أعباء الرسالة ﴿ ويسر لي أمري ﴾ أي سهل مهمتي عليّ وارزقني العون

(١) أصل العقدة : موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر وهي فُعلة كعقفة وشرفة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف ويقال : حيسة فشبه موسى حيسة لسانه بالعقدة في الحبل ونحوه .
 (٢) يقال : ما برأ أخ أخاه كما برأ موسى أخاه هارون إذ طلب له أشرف مطلب الرسالة والنبوة .

عليها فإنها صعبة شاقة. ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمره التي ألقاها في فمه بتدبير الله عز وجل حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحيه فرعون وفتفها فغضب فقالت له آسية إنه لا يعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجرم في طست ونقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ماشئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله فأخذ جمره فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يخلها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته. هذا معنى قوله: ﴿واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي﴾^(١).

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها. وقوله: ﴿اشدد به أزري﴾ أي قوّبه ظهري. وقوله: ﴿وأشركه في أمري﴾ وذلك بتبنيته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً. وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله: ﴿كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾، وقوله ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه ومطلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل ما يهيم العبد.
- ٢ - مشروعية الأخذ بالأهبة والاستعداد لما يعترم العبد القيام به.
- ٣ - فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته.

(١) اختلف في هل انحلت تلك العقدة أولم تنحل، والصحيح أنها انحلت إجابة الله تعالى لدعوة موسى إذ قال: (قد أجيبت دعوتكما) وأما قول فرعون: ولا يكاد يبين فهو تكرر لما سبق ولأجل الانتقال من كمال موسى عليه السلام.

(٢) الوزير: المؤازر كالأكيل للمؤاكل، وفي حديث النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه).

(٣) الأزر: الظهر من موضع الحقوين، والأزر: القوة أيضاً وأزره أي: قواه، وقيل: الأزر العون، ومنه قول أبي طالب.

ليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بينه بالطعان وبالضرب

(٤) في هذه الآية دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أن موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته.

قَالَ قَدْ

أُوتِيَتْ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾
 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
 فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
 فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
 عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾
 وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

- قد أوتيت سؤلك^(١) : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبيه أخيك .
 ولقد مننا عليك مرة أخرى : أي انعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه .
 ما يوحى : أي في شأنك وهو قوله : أن اقدفيه الخ .
 في التابوت : أي الصندوق .
 فاقدفيه في اليم : أي في نهر النيل .
 ولتصنع على عيني^(٢) : تربي بمرأى مني ومحبة وإرادة .
 على من يكفله : ليكمل له رضاعه .
 وقتلت نفسا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون .
 فنجيناك من الغم : إذ استغفرتنا فغفرنا لك وأثتمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم .
 وفتناك فتونا : أي اخترناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيمًا .

(١) سؤل بمعنى مسؤل كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول .

(٢) الصنع هنا : بمعنى التربية والتنمية .

جئت على قدر^(١) : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون .
 واصطنعتك لنفسى : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتبأء منالك لتحمل رسالتنا .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه
 أموراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله : في هذه الآية (٣٦) ﴿ قال قد أوتيت
 سؤالك يا موسى ﴾ أي قد أعطيت ما طلبت ، ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي قبل هذه
 الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل ﴿ إذ أوحينا إلى أمك أن اقدفيه في
 التابوت ﴾ أي في الصندوق ﴿ فاقدفيه في اليم ﴾ أي نهر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل يأخذه
 عدو لي وعدو له ﴾ فهذه النجاة نعمة ، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى : ﴿ وألقيت عليك
 محبة مني ﴾ أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك ، ونعمة أخرى وهي : من أجل
 أن تُربى وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أرجعتك بتدبيرى إلى أمك لترضعك وتقر عينها ولا
 تحزن على فراقك ، وهو ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ إذ تمشي أختك ﴾ فتقول : ﴿ هل أدلكم على
 من يكفله ﴾ لكم أي لارضاعه وتربيته . ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ ، ونعمة
 أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس واثتار آل فرعون على قتلك
 ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل . وقوله تعالى : ﴿ وفتنناك فتوناً ﴾ أي
 ابتليناك ابتلاءً عظيماً وهاهي ذي خلاصته في الأرقام التالية :

- ١ - حمل امك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل .
- ٢ - إلقاء أمك بك في اليم .
- ٣ - تحريم المراضع عليك حتى رجعت إلى أمك .
- ٤ - أخذك بلحية فرعون وهمه بقتلك .

(١) كما قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر

(٢) أوحى الله تعالى إلى أم موسى : ﴿ أن اقدفيه . ﴾ الآية .

(٣) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبيّة اجماعاً .

(٤) الساحل : الشاطئ ، وهو ساحل معهود وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة . واللام في (فليلقه) لام التكوين الإلهي .

(٥) هذا العدو : فرعون عدو الله تعالى وعدو موسى وبني إسرائيل .

(٦) أخت موسى تسمى مريم بنت عمران .

(٧) الفتون : مصدر كالدخول والخروج وهو كالفتنة ، وهي اضطراب حال المرء في مدة حياته .

- ٥ - قتلك القبطي واثتار آل فرعون بقتلك .
 ٦ - إقامتك في مدين وماعانيت من آلام الغربية .
 ٧ - ضلالك الطريق بأهلك وماأصابك من الخوف والتعب .
 (١) هذه بعض مايدخل تحت قوله تعالى : وقتناك فتوناً وقوله ﴿ فلبث سنين في أهل مدين ﴾
 ترعى غنم شعيب عشراً من السنين ﴿ ثم جئت ﴾ من مدين إلى طور سينا ﴿ على قدر ﴾ منا
 مقدر ووعدهم ما كنت تعلمه حتى لاقيته . واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك
 وابتليتك واتيت بك على موعد قدزته لك لأحلك عبء الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل :
 إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك إلى أرض المعاد . وإلى بني إسرائيل
 لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه .
 ٢ - مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام .
 ٣ - آية حب الله تعالى لموسى ، وأثر ذلك في حب الناس له .
 ٤ - تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه
 السلام .

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نِيَا
 فِي ذِكْرِي ﴿٤٤﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِنَا
 لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا
 أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى
 ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام ، وأهل مدين : أي : البلاد التي سميت باسم ابن إبراهيم هم قوم شعيب ، والبلاد
 على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة .

وَلَا تَعْذِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ
 الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذِّبِ
 وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

- بآياتي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها .
 ولا تنيا في ذكري : أي لا تفترأ ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما .
 انه طغى : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية .
 قولا لنا : أي خالياً من الغلظة والعنف .
 لعله يتذكر : أي فيما تقولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل .
 يفرط علينا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له .
 أو أن يطغى : أي يزداد طغيانا وظلماً .
 اسمع وأرى : أي اسمع ماتقولانه ومايقال لكما، وأرى ماتعملان ومايعمل لكما .
 فأرسل معنا بني إسرائيل : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم .
 بآية : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً .
 والسلام على من اتبع الهدى : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى ، إذ الهدى إيمان وتقوى .
 من كذب وتولى : أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنها فلم يقبلها .

معنى الكلمات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في

الآية السابقة أنه صنعه لنفسه، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصر في الدعوة إليه تعالى فقال: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي^(١) ولا تنيا في ذكري^(٢)﴾ وبين لهما إلى من يذهبا وعله ذلك فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله، وعلمهما أسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي خاليا من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل لذلك فقال ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي رجاء أن يتذكر معاني كلامكما وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي^(٤) أو يخشى العذاب ان بقي على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله: ﴿فقالا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل بعقوبتنا بالضرب أو القتل، ﴿أو أن يطغى^(٥)﴾ أي يزداد طغياناً وظلماً. فطمأنهما ربهما عز وجل بأنه معها بنصره وتأييده وهدايته إلى كل ما فيه عزهما فقال لهما: ﴿لا تخافا﴾ أي من فرعون وملائته: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ اسمع ماتقولان لفرعون ومايقول لكما. وأرى ماتعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركم عليه فأحق عملكما وأبطل عمله. فاتياه إذاً ولا ترددداً فقولا أي لفرعون ﴿إنا رسولا ربك﴾ أي إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ لنخرج بهما حيث أمر الله، ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهم في أسوأ الأعمال وأحطها، ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد

(١) يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الآيات التسع. وهذا باعتبار ما يكون وإلا فما حصل هو آية العصا واليد لا غير.

(٢) ولا تنيا؛ أي: ولا تضعفا. يقال: ونى بني ونى أي: ضعف في العمل. أي: لا تني أنت وأبلغ هارون أن لا ينني.

(٣) لعل: حرف ترح ولكن هي هنا بالنسبة إلى موسى وهارون معناه: لعل رجاءكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر.

(٤) لقد تذكر فرعون وخشي وذلك ساعة غرقه ولم ينفعه ذلك إذ قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٥) قوله تعالى: (قالا ربنا إنا نخاف) الخ هذه بداية كلام موسى وهارون بعد أن انتهى كلام موسى مع ربه وحده. قبل أن يصل إلى مصر، ومعنى: يفرط يبادر بعقوبتهما ويعجلها، يقال: فرط منه أمر أي: بدر، وأفرط: أسرف وفرط: ترك وأضاع، وفي الآية دليل عدم المؤاخذه بالخوف مما شأنه أن يخاف، ولكن لا يمنع من عبادة الله تعالى التي هي علة الخلق والوجود.

(٦) هي اليد والعصا.

وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج إلى أرض المعاد معنا. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي واعلم يا فرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به، فاتبع الهدى تسلم، ^(١) وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه ﴿قد أوحى إلينا﴾ أي أوحى إلينا ربنا، ﴿أن العذاب على من كذب﴾ بالحق الذي جئناك به ﴿وتولى﴾ عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.
- ٢ - وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.
- ٣ - تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحى عبادته بنصرهم وتأييدهم.
- ٤ - تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.
- ٥ - شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيهِ والصبر على اذاه.
- ٦ - عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت اسبابه.

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾

قَالَ عَلِمَهَا عِنْد رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا

وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ﴿مِنهَا

خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

(١) والسلام هنا ليس سلام تحية.

(٢) قوله تعالى: (إن العذاب على من كذب وتولى) هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

شرح الكلمات :

أعطى كل شيء خلقه : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره .
ثم هدى : أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه
ومنكحه .

قال فما بال القرون الأولى : أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى
لايفتضح فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وشمود في
عبادتهم الأوثان؟

قال علمها عند ربي : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه
لايعيننا

في كتاب لا يضل ربي : أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزئهم
ولا ينسى : بأعمالهم إن ربي لا يخطيء ولا ينسى فإن عذب أو أحر
العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك .

مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً : مهاداً، فراشاً وسلك : سهل ، وسبلاً طرقاً .
أزواجاً من نبات شتى : أزواجاً : أصنافاً : شتى : مختلفة الألوان والطعوم .
ان في ذلك آيات : لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته .
لأولى النهى : أي أصحاب العقول لأن النُهي العقل وسمى نهية لأنه ينهى
صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي .

منها خلقناكم : أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم
عند البعث يوم القيامة .

تارة أخرى : أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه
اخراجاً من الأرض .

معنى الآيات :

السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى
وأخوه إلى فرعون ودعوه إلى الله تعالى ليؤمن به ويعبده وبأسلوب هادىء لين كما أمرهما الله
تعالى : فقالا له : ﴿والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى علينا أن العذاب على من

كذب وتولى؟ ولم يقلوا له لا سلام عليك، ولا أنت مكذب ومعدب، وهنا قال لها فرعون ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال فمن ربكما ياموسى؟﴾ أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله: ﴿ربنا الذي أعطى^(١) كل شيء خلقه ثم هدى^(٢)﴾ أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته إلى طلب رزقها من طعام وشراب، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها. وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان. وعرف موسى أن اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿علمها عند ربي في كتاب^(٤)، لا يضل ربي ولا ينسى^(٥)﴾ فإن ما سألت عنه لا يعيننا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربي في لوح محفوظ عنده وسيجزئها بعملها، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إننا لحكمة يعلمها فإن ربي لا يخطيء ولا ينسى وسيجزى كلاً بكسبه. ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي فراشاً مبسوطة للحياة عليها ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي سهل لكم للسير عليها طرقات تمكنكم من الوصول إلى حاجاتكم فوقها، ﴿وأنزل من السماء ماء وهو المطر﴾ المكون للأثمار والمغذي للمد للآبار. هذا هو ربي وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ أي بالمطر أزواجاً أي أصنافاً من نبات شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص. كان هذا من قول الله

(١) أعلمه عليه السلام بأن ربه تعالى يعرف بصفاته لا بذاته ولا باسم يعرف به ولم يقل له موسى: إنه الله، لأن الاسم العلم لا يهدي إلى معرفته تعالى كما تهدي إليه الصفات العلى التي لا يقدر فرعون على جحدها وإنكارها.

(٢) قال ابن عباس: أعطى كل زوج من جنسه ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان. قال الشاعر:

وله في كل شيء خلقه وكذا الله ما شاء فعل

(٣) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه موسى عليه السلام أن علمها عند الله أي: إن ما سألت عنه من علم الغيب الذي استأثر الله به دون سواه.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية كتابة العلوم وتدوينها، حتى لا تنسى فتضيع وفي الحديث شاهد آخر ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده. إن رحمتي تغلب غضبي).

(٥) الضلال: الخطأ في العلم شبه بخطأ الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في الذهن.

(٦) في الكلام التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم والخطاب تنوعاً للأسلوب وتحريكاً للضمير الجامد.

تعالى تسمىً للكلام موسى وتذكيراً لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد. وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات وارعوا إبلكم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإِنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي إن في ذلك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وانه بذلك مستحق للعبادة دون سواه إلا أن هذه الدلائل لا يعقلها إلا اصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره. وقوله تعالى: ﴿منها﴾ أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي مخلوق أصلكم الأول وهو آدم، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون فيها، ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى وذلك يوم القيامة إذ نبعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.
- ٢ - تقرير مبدأ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- ٣ - تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.
- ٤ - الاستدلال بالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.
- ٥ - احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل^(٤) صاحبها دون الباطل والشر.
- ٦ - تسمية العقل نية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

(١) بمناسبة ذكر دلائل وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته دون سواه ذكرهم بعقيدة البعث والجزاء مستدلاً عليها بقدرة الله تعالى وعلمه.

(٢) تجمع التارة على تارات كالمرة على المرآت، والتارة: اسم جامد غير مشتق.

(٣) هذا حديث الصحيح: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

(٤) تعقل: أي: تحجزه أو تصرفه عما يضرّ حالاً أو مآلاً.

وَلَقَدْ

أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آتَيْنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلَهُ
 فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سُوَّى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ ضَحَى
 ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

- أريناه آياتنا كلها : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنها رسولين إليه من رب العالمين .
- من أرضنا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها .
- بسحرك يا موسى : يشير إلى العصا واليد البيضاء .
- مكانا سوى : أي مكان عدل بيننا وبينك ونصف، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى مافيها كل ناظر إليها .
- يوم الزينة : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل .
- وأن يحشر الناس ضحى : أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة .
- فتولى فرعون : أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض .
- فجمع كيده : أي ذوى كيده وقوته من السحرة .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائته من جهة

أخرى فقال تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ أي أرينا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ أي أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من ﴿قبلنا﴾ أرسلناهما إليه، فكذب برسالتها وأبى الاعتراف بها، وقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال أجتنا﴾ أي ياموسى ﴿لتخرجنا من أرضنا﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿بسحرك﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿فلنأتينك بسحر مثله، فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ تتقابل فيه، ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾^(١) عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجرى فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاوراة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.
- ٢ - للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.
- ٣ - مشروعية المباراة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.
- ٤ - مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

قَالَ لَهُمُ

مُوسَى وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُم بِعَذَابٍ

(١) أي: الدالة على وجود الله تعالى ووجوب ألوهيته وعلى صحة نبوة موسى وهارون.
 (٢) لما رأى الآيات وبهرته احتال في دفعها اللعين بدعواه أن موسى جاء ليخرج فرعون وقومه من بلادهم ليستقل بها دونهم، وهذا من الكذب السياسي الممقوت.
 (٣) قرأ حفص (سوى) كطوى بضم السين، وقرأ نافع (سوى) بكسرها كطوى، والكسر أفصح. أي: وسطاً في المدينة لا يشق على من يأتيه.
 (٤) اختار موسى اليوم والساعة، وهي: الضحى لعلمه أنه سيغلب السحرة وينهزمون أمامه، فأحب أن يكون الوقت مناسباً بكثرة المتفرجين ووضوح الرؤية لهم في شباب النهار (الضحى)

وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا
 كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
 قَالُوا أَيُّمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 بَلْ أَلْقَوُا فَيَا ذَا جِبَالِهِمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
 ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات:

- ويلكم : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك .
 فيسحتكم بعذاب : أي يهلككم بعذاب من عنده .
 فتنازعوا أمرهم : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران .
 وأسروا النجوى : وهي قولهم: ان هذان لساحران يريدان الخ
 بطريقتكم المثلى : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرفهم وساداتهم .
 فاجمعوا كيدكم : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه .
 قد أفلح من استعلى : أي قد فاز من غلب .
 إما أن تلقى : أي عصاك .
 فخيّل إليه أنها تسعى : أي فخيّل إلى موسى أنها حية تسعى ، لأنهم طلوها بالزئبق فلما
 ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيّل إلى موسى أنها
 تتحرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون

للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفاً إياهم عليهم يتوبون: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ أي لا تقولوا على الله فتنسبوا إليه ما هو كذب ﴿فيسحتكم بعداب﴾ أي يهلككم بعداب إبادة واستئصال، ﴿وقد خاب من افتري﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله:

﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ أي أحفوا ما تناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿إن هذان لساحران﴾ أي موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجكما من أرضكم﴾ أي دياركم المصرية، ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاء به ويدينون بدينها، وعليه فأجمعوا أمرهم حتى لاختلفوا فيما بينكم، ﴿ثم اتوا صفا﴾ واحداً متراصاً، ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي غلب، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون: ﴿ياموسى إما أن تلقي﴾ عصاك، وإما أن نلقي نحن فنكون أول من ألقى. فقال لهم موسى: ﴿بل ألقوا﴾، فلقوا عندئذ ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى (باقي الحديث في الآيات بعد).

(١) الويل: الهلاك وهو شبه مصدر، ونصبه إما على تقدير: ألزمهم الله أو على النداء أي: يا ويلهم. كقوله: (ياويلنا من بعثنا).

(٢) سحت وأسحت بمعنى، وأصله من استقصاء الشعر في إزالته قرأ أهل الكوفة: (فيسحتكم) بضم الياء من أسحت، وقرأ أهل الحجاز بفتح الياء من: سحت قال الشاعر:

وعرض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلفاً

والشاهد في: مسحت من أسحت.

(٣) التنازع: مشتق من جذب اللدلو من البثر وجذب الثوب من الجسد والتنازع تفاعل إذ كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه لما يراه من الصواب.

(٤) قراءة الجمهور بكسر إن وتشديد النون، وبلغ الخلاف في هذا الحرف أشده فبلغوا فيه إلى ستة تخريجات أمثلها: أن (إن) حرف جواب بمعنى نعم قال الشاعر:

ويقلن شيب علاك وقد كبرت فقلت إنه

والشاهد في إنه جواب لما في البيت من كلام، والهاء في إنه هاء السكت، وشاهد آخر وهو: أن عبدالله بن الزبير قال لأعرابي استجداه فلم يعطه: إن وراكها. لما قال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتي إليك. فقوله: إن: أي: نعم وراكها أي: ملعون كذلك.

(٥) المثلى: مؤنث: الأمثل، من المثالية التي هي حسن الحال. أراد فرعون إثارة الحمية في قومه ليدافعوا عن عاداتهم وشرائعهم وأخلاقهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة الكذب على الله تعالى ، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه .
- ٢ - من مكر الانسان وخداعه أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق .
- ٣ - معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولاً من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال . لاسيما في موقف كهذا .

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَالْقِيَامَ فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا
 كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجُودًا
 قَالُوا أَمْ نَأْتِي رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْ نَأْتِي رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطِعُوا أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ
 أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

- فأوجس في نفسه خيفة : أي أحس بالخوف في نفسه .
 أنت الأعلى : أي الغالب المنتصر .
 تلقف : أي ابتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي
 كيد ساحر : أي كيد سحر لابقاء له ولا ثبات .

(١) المراد به الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولقائه ولا يتحلى بالصبر والتقوى .

لايفلح الساحر : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .
 فألقى السحرة سجداً : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين .
 إنه لكبيركم : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر .
 من خلاف : أي يد يمنى مع رجل يسرى .
 في جذوع النخل : أي على أخشاب النخل .
 أينما أشد عذاباً وأبقى : يعني نفسه - لعنه الله - ورب موسى أشد عذاباً وأدومه على مخالفته وعصيانه .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلات بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة : ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ أي الغالب القاهر لهم .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٧) فأوجس في نفسه خيفة موسى والثانية (٦٨) ﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ﴾ أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال : ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ أي هو مكر وخدعة من ساحر ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ أي لا يفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره . وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيهم عرفوا أن ماجاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ . وهنا صاح فرعون مزجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال

(١) (أوجس) : أي أحس ووجد أي : خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا .

(٢) لم يقل له : ألقى العصا لأن فيها إكباراً لشأن العصا وأنها بحق قادرة على إبطال باطل السحرة .

(٣) قرأ الجمهور : (كيد ساحر) وقرأ بعضهم : (كيد سحر) بكسر السين أي : كيد ذي سحر، وكيد : خبير مرفوع، والمبتدأ : ما الموصولة في قوله : (إن ما صنعوا) وصنعوا : صلتها، وكيد : الخبر . وقرئ بـ نصب كيد على أن ما كافة . وكيد معنول لصنعوا .

للسحرة ﴿آمتتم له قبل أن أذن لكم﴾ بذلك ﴿إنه لكبيركم﴾^(١) أي معلمكم العظيم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم معه على الهزيمة . ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجله، أو العكس ﴿ولأصلبنكم^(٢) في جذوع النخل﴾ أي لأشدنكم على أخشاب النخل واطرركم معلقين عبرة ونكالا لغيركم ﴿ولتعلمن أينما أشد عذابا وأبقى﴾ أي أدومه : رب موسى الذي آمتتم به أو أنا «فرعون عليه لعائن الله»

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لا يقدر في الإيمان .
- ٢ - تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له .
- ٣ - حرمة السحر لأنه تزوير وخداع .
- ٤ - قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر .
- ٥ - شجاعة المؤمن لا يرهبها خوف بقتل ولا بصلب .

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ

الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَاءً امْتَارِبِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا كَرِهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ بِجَرِمٍ مَا

فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ

عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ

(١) أراد فرعون بقوله هذا التشبيه على الناس والتنويه حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كمايمانهم لا أن موسى استأذهم في السحر وأنه أحذق منهم له وأعلم منهم به .

(٢) حروف الجر تتناوب، والفاء هنا: (في جذع النخل) بمعنى: على . قال الشاعر:
هم صلبوا العبدني في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى



شرح الكلمات :

- لن نؤثرك : أي لن نفضلك ونختارك .
والذي فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئاً .
فاقض ما أنت قاض : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا .
والله خير وأبقى : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى .
مجراً : مجرماً أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي .
جزاء من تزكى : أي ثواب من تطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (٧٢) ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ يافرعون ﴿على ماجاءنا من البيّنات﴾ الدلائل والحجج القاطعة على أن رب موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب . ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين .

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا: ﴿إنا آمنا بربنا﴾ أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي من تعلمه والعمل به، ونحن لانريد ذلك ولا شك أن فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد . وقولهم ﴿والله خير وأبقى﴾

(١) روي أن آسيا امرأة فرعون لما بدأت المباراة قالت لهم: أخبروني عمّن يغلب فأخبرت أن موسى وهرون غلبا فقالت: أمّنت بربّ موسى وهرون. فأمر فرعون بأعظم صخرة فإذا أصرت على قولها فالقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت منزلها في الجنة بعد أن قالت ﴿ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ وخرجت روحها فالقيت عليها الصخرة وهي جسد لا روح فيها استجاب الله لها عليها السلام .

أي خير ثوابا وجزاء حسنا لمن آمن به وعمل صالحاً، وأبقى عذاباً لمن كفر به وبأمن بغيره وعصاه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٧٢) و(٧٣).

أما الآية الثالثة (٧٤) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾^(١) أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾^(٢) فيستريح من العذاب فيها، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة يسعد فيها.

وقولهم ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي مؤمناً به كافرأً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدرجات العلى جنات عدن﴾ أي في جنات عدن ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها، ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب. لاشك أن هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذ أقاموا بينهم زمناً طويلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - لا يؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا أحق جاهل.
- ٢ - تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.
- ٣ - الاكراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لا يطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.
- ٤ - بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

(١) المجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية، والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: الكافر غالباً.

(٢) اللام في: له جهنم لام الاستحقاق أي: هو صائر إليها لا محالة.

(٣) لا يموت فيها ولا يحيى، لأن عذابها متجدد فيها فلا هوميّت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأنه في حالة الموت أهون منها، وهذا كقول عباس بن مرداس:

وقد كنت في الحرب ذا تُذَرِّه فلم أعط شيئاً ولم أمنع

(٤) (فأولئك...) الآية أوتي باسم الإشارة إلى أنهم أحياء بهذا النعيم في جنات ويؤكد قوله (ذلك جزاء من تزكى).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَاهَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَبْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَأَوَّعَدْنَاكُمْ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا
 مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَن يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- ان أسر بعبادي : أي سر ليلاً من أرض مصر
 طريقاً في البحر يبساً : طريقاً في وسط البحر يبساً لا ماء فيه
 لا تخاف دركاً : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخشى غرقاً
 فغشيهم من اليم : أي فغطاهم من ماء البحر ماغطاهم حتى غرقوا فيه .
 وأضل فرعون قومه : أي بدعائهم إلى الإيثار به والكفر بالله رب العالمين .
 وما هدى : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله : ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ .
 جانب الطور الأيمن : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا .
 المن والسلوى : المن : شيء أبيض كالثلج ، والسلوى طائر يقال له السمانى^(١) .
 ولا تطغوا فيه : أي بالإسراف فيه ، وعدم شكر الله تعالى عليه .

(١) السُّمَانِي : بضم السين، وفتح النون ممدودة، والجمع سمانيات والواحدة سماناة كمناجاة: نوع من الطيور.

ثم اهتدى : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت .
معنى الآيات :

إنه بعد الجدال الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى ﴾ وبأي شيء أوحى إليه . بالسرى . ببني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ قوله ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ﴾^(١) أي اجعل لهم طريقاً في وسط البحر، وذلك حاصل بعد ضربه البحر بالعصي فانفلق البحر فرقتين والطريق وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو إسرائيل البحر، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ﴾ أي من ماء البحر ﴿ ماغشيهم ﴾^(٢) أي الشيء العظيم من مياه البحر . وقوله لموسى ﴿ لا تخاف دركاً ولا تحشى ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تحشى غرقاً في البحر .

وقوله تعالى : ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه، ودعاهم إلى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما اهتدوا، وكان يزعم أنه ما يهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب .
وقوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ أي فرعون، ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ أي مع نبينا موسى لانزال التوراة هدايتكم وحكمهم بشرائعها، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه، ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ أي قلنا لكم : كلوا من طيبات ما رزقناكم من حلال الطعام والشراب، ﴿ ولا تطغوا : ه ﴾ بترك

(١) اليبس : محرك الباء والباء، وتسكن الباء أيضاً : وصف بمعنى اليابس وأصله مصدر كالقدم، والعدم بفتح العين وضمتها .

(٢) قريء : (فأتبعهم) وبالياء في بجنوده للمصاحبة فهي بمعنى مع أي مع جنوده .

(٣) ما غشيهم في هذا تهويل عظيم لما غشيهم من الماء الذي غمرهم وغطاهم بحيث يستحيل النجاة معه .

(٤) (دركاً) أي : لحاقاً بك ويمن معك من بني إسرائيل .

(٥) (وما هدى) : توكيد لقوله : (أضل فرعون) لأن الهدى ضد الضلال فما دام قد أضلهم فإنه ما هداهم كقوله : (أموات غير أحياء) وكقول الشاعر :

إما ترينا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى ونتنعل

وفي الآية : التهمك بفرعون إذ قال لهم : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد .

الحلال إلى الحرام وبالأسراف في تناوله ويعدم شكر الله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ أي أن أنتم طغيتم فيه . ﴿ ومن يحلل عليه غضبي ﴾ أي ومن يجب عليه غضبي ﴿ فقد هوى ﴾ أي في قعر جهنم وهلك .

وقوله تعالى : ﴿ وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ ^(١) يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم فآمن وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لا يقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي .

٢ - آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته .

٣ - تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلمهم يشكرون فيتوبون فيسلمون .

٤ - تحريم الإسراف والظلم ، وكفر النعم .

٥ - الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماه لا كصفات المحدثين .

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ

قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ

السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ

يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ

(١) ثم اهتدى بأن لزم طريق الهداية حتى مات على ذلك أما من تاب وعمل صالحاً ثم ضل بعد ذلك ومات على ضلالة ، فلا يناله هذا الوعد ففي قوله : (ثم اهتدى) احتراس ممن يتوب ثم يعود فيموت على غير هداية .

الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
 مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
 فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
 وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
 يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

- وما أعجلك : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم .
 هم على أثري : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني .
 وعجلت إليك ربي لترضى : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني .
 قد فتنا قومك : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل .
 وأضلهم السامري : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب
 تعالى .
 غضبان أسفاً : أي شديد الغضب والحزن .
 وعداً حسناً : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم
 لتكملوا عليها وتسعدوا .
 أفتال عليكم العهد : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى
 أربعين يوماً .
 فأخلفتكم موعدي : بترككم المجيء بعدي .
 بملكنا^(١) : أي بأمرنا وطاقنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على
 انجاز الوعد بالسير وراءك .

(١) ميم ملكنا مثلثة تفتح وتضم وتكسر والمعنى واحد كما في التفسير أي : لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا .

- أوزاراً : أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن .
 فخذفناها : أي القيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام .
 ألقى السامري : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية ، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ألقاه أي قذفه على الحلي .
 عجلأ جسداً : أي ذا جثة
 له حوار : الحوار صوت البقر
 فنسي : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه .
 ألا يرجع إليهم قولاً : أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الحوار .
 معنى الآيات :

بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني إسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوراة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن ، واستعجل موسى في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقله تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى لقومه بعده وهو لا يدري فلما قال تعالى لموسى : ﴿ وما أعجلك ﴾ عن المجيء وحدك دون بني إسرائيل مع ان الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله

(١) نفى بعضهم أن تكون هناك قبيلة من بني إسرائيل تدعى السامرة وإنما السامرة أمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبني إسرائيل، ثم امتزجوا ببني إسرائيل لما دخلوها واتبعوا معهم شريعة موسى، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني إسرائيل أصلاً ومحتدماً ثم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني إسرائيل تدعى السامرية، وهي عبارة عن طريقة ضالة تنتمي إلى شريعة التوراة وهي منحرفة فنشأت عن فتنة السامري الأولى كالطرق المنحرفة لدى المسلمين .

(٢) لهذا الاستعجال لآمره ربه وعتب عليه في قوله : ﴿ وما أعجلك من قومك يا موسى ﴾ حتى تركتهم وجئتنا وحدك، وقد ترتب على هذا الاستعجال شر كبير باتخاذ بني إسرائيل عجلأ عبده دون الله تعالى، ولذا قيل : تأن في العجلة الندامة وفي الثاني السلامة .

(١) ﴿هم أولاء على أنثري﴾ آتون بعدي، وعجلت المجيء إليك لترضى عني. هنا أخبره تعالى بما حدث لقومه فقال عز وجل: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أي بصنع العجل لهم ودعوتهم إلى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه. ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي حزينا إلى قومه فقال لهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ فذكرهم بوعد الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبادة العجل والخلافات الشديدة بينهم، وقوله ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوماً فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى، قوله ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي بل أردتم بصنيعكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحل بكم، ﴿فأخلفتم موعدى﴾ بعكوفكم على عبادة العجل وترككم السير على أثرى لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم.

وقوله تعالى ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ هذا ما قاله قوم موسى كالمعتدين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وماضللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن موسى أخطأ الطريق إليه. هذا معنى قولهم: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي بأمرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوبين على أمرنا.

وقولهم: ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها﴾ هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم،

(١) أنثري، وإثري: لغتان، والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف، والمعنى: هم سائرون على مواضع أقدامي وقرىء (إثري) بكسر الهمزة والجمهور قرؤا بالفتح.

(٢) هذا ابتداء كلام يحمل اللوم والعتاب والتأديب حيث جمع موسى بني اسرائيل وفيهم هارون وخاطبهم قائلاً: يا قوم... الخ.

(٣) الاستفهام تابع للاستفهام الأول: ألم يعدكم، وهو للتقرير والإنكار معاً.

(٤) (أم) بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٥) المراد من موعدة إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

(٦) الأوزار: جمع وزر، وهو الحمل الثقيل والمراد بها: الحلي الذي استعاره نساؤهم من جاراتهن القبطيات بمصر بقصد الفرار به للنعم الخاص، وخافوا تلاشي الحلي فأرأوا أن يصوغوه في قطع كبيرة يحفظ بها من الضياع.

وأصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم إلى القدس، وتم إنجائهم واغراق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمرة هارون أخيه على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلي الذي عندكن لا يحل لكنَّ أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النهار لتحترق ولا ينتفع بها بعد، هذا مادل عليه قولهم ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي قوم فرعون فقدفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى ﴿فكذلك ألقى السامري﴾^(١) هو من جملة قول بني إسرائيل لموسى فكما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلهكم وإله موسى الذي ذهب إلى موعدة فسني وضل الطريق إليه فاعبدوه حتى يأتي موسى. قال تعالى موبخاً إياهم ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً﴾ إذا كلموه، ﴿ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً﴾ فكيف يعقلون أنه إله وهو لا يحييهم إذا سألوه، ولا يُعطيهم إذا طلبوه، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

- ١ - ذم العجلة وبيان آثارها الضارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام.
- ٢ - مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يجب أن يتقرب به إليه.
- ٣ - مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه.
- ٤ - مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل.
- ٥ - وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر.

(١) أي: فمثل قذفنا الزينة في النار لصوغها قذف السامري، وقالوا هذا اعتذاراً منهم لموسى عليه السلام.
(٢) الجسد: الجسم ذو الأعضاء وسواء كان حياً أو ميتاً، والتعبير بأخرج الإشارة إلى أن السامري صنع العجل بحيلة مستورة خفية حتى أتمه ثم أظهره أي: أخرجه ظاهراً لنا.
(٣) إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ في اللغة.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾

شرح الكلمات :

- فتنتم به : أي ابتليتم به أي بالعجل .
لن نبرح عليه عاكفين: أي لن نزال عاكفين على عبادته .
إذ رأيتمهم ضلوا : أي بعبادة العجل واتخاذها من دون الله تعالى .
لا تأخذ بلحيتي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يجره إليه
يعذله ويلوم عليه .
ولم ترقب قولي : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقول
تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم
العجل يا قوم إن العجل ليس إلهكم ولا إله موسى وإنما هو فتنة فتنتم به ليرى الله تعالى
صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله، ويرى خلاف ذلك فيجزى كلاً بما يستحق وقال
لهم : ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها

(١) ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فَإِنِّي خَلِيفَةُ مُوسَى الرَّسُولِ فِيكُمْ فَأَجَابَ الْقَوْمَ الضَّالُّونَ بِمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ أَي لَنْ نَزُولَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَالْعَكُوفُ حَوْلُهُ ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ . وَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ مَا سَمِعَ التَّفَتَ إِلَى هَارُونَ قَائِلاً مَعَاتِباً عَادِلاً لَأَثْمًا ﴿يَاهَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ أَي بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أَي بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَتْرَكَ الْمُشْرِكِينَ ، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ، وَمِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ وَقُوَّةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ أَخَذَ بِشَعْرِ رَأْسِ أَخِيهِ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ بِيَسَارِهِ وَجَرَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يِعَاتِبُهُ وَيَلُومُ عَلَيْهِ فَقَالَ هَارُونَ: ﴿يَا ابْنَ أُمِّ لَأَتَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إِنْ لِي عِذْرًا فِي عَدَمِ مِتَابَعَتِكَ وَهُوَ أَنِي خَشِيتُ إِنْ أَنَا أَتَيْتُكَ بِبَعْضِ قَوْمِكَ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ وَتَرَكْتَ بَعْضًا آخَرَ وَهُمْ عِبَادَ الْعَجَلِ ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَذَلِكَ لِأَنِّي رَضِيكَ . ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أَي وَلَمْ تَنْظُرْ قَوْلِي فِيهَا رَأَيْتَ فِي ذَلِكَ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - معصية الرسول تؤدي إلى فتنه العاص في دينه ودنياه .
- ٢ - جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه .
- ٣ - جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا .
- ٤ - قد يخطئ المجتهد في اجتهاده وقد يصيب .

(١) أي : لا أمر السامر أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه .

(٢) روي أنه لما قالوا هذه المقالة اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصباح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال: هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله وقال: يا هارون... الآية .

(٣) الاستفهام إنكاري إذ أنكرك عليه عدم متابعتك لما شاهد القوم يعبدون العجل إذ كان المفروض أن يتركهم ويلحق بموسى يخبره .

(٤) أمره هو قوله له عند مغادرة بني إسرائيل إلى جبل الطور، (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبة إلى عصيانه ومخالفة أمره وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضياً حكمه كحكمهم، وفي هذه الآية دليل على بدعة الصوفية بدعة الرقص والتواجد، وأنها موروثه عن هؤلاء السامريين عبدة العجل والعياذ بالله تعالى .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَبَدَّتْهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَأَذْهَبُ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفُهُ، وَأَنْظُرِ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنْ نَحْرِقَنَّكَ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلْهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

فما خطبك : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك .
بصرت بما لم يبصروا به : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به لأنهم لم يروه .
قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام .

فبذتها : أي القيتها وطرحتها على الحل المصنوع عجلًا .
سولت لي نفسي : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل .
أن تقول لا مساس : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسنني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك .

إلهك : أي العجل .
ظلت : أي ظللت طوال الوقت عاكفًا عليه .
في اليم نسفًا : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفًا .
إنما الهكم الله : أي لا معبود لكم إلا الله الذي لا إله إلا هو .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامري المنافق إذ هو من عبّاد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل، ولما اتاحت له الفرصة عاد إلى عبادة البقر فصنع العجل وعبده ودعا إلى عبادته فقال له : في غضب ﴿فما خطبك ياسامري﴾ أي ماشأنك وما الذي دعاك إلى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر ﴿بصرت بهالم يبصروابه﴾ أي علمت مالم يعلمه قومك ﴿فقبضت قبضة من أثر﴾ حافر فرس ﴿الرسول فبذتها﴾ في الحلبي المصنوع عجلًا فخار كما تخور البقر. ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ ذلك أي زينتني لي وحسنته ففعلته، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله : ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾ أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لتنتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لا يقرب في ذلك، بل لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحدٌ مَعاً أي أصابتها الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها. وقوله له : ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾، أي ذاك النفي والطرْد عذاب الدنيا، وإن لك عذاباً آخريوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آتٍ وواقع لا محالة .

وقوله : أي موسى للسامري : ﴿وانظر إلى الهك﴾ المزعوم ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ تعبده لا تفارقه، والله ﴿لنحرقنه ثم لننسنفنه في اليم نسفاً﴾ وفعلاً حرقه ثم جعله كالنشارة

(١) الرسول هنا : جبريل عليه السلام قاله جمهور المفسرين، وقالوا : إن السامري فتنه الله تعالى فأراه جبريل ركباً فرساً فوطيء حافر الفرس مكاناً فإذا هو مخضراً بالنبات، فعلم السامري أن أثر فرس جبريل إذا القي على جماد صار حياً، فقبض من تراب وطئه حافر الفرس واحتفظ به إلى اليوم، ولما صنع العجل ألقاه عليه فصار له خوار كالعجل الحيوان .

(٢) نفاه موسى عن قومه، وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له . قال الشاعر :

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا تريد السامري مساسا

هذه المسألة أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يُخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك بالذين تخلفوا عن غزوة تبوك .

(٣) (لا مساس) : المساس مصدر ماسه يماسه ومساسا . ولا : نافية للجنس ومساس : اسمها مبني على الفتح .

(٤) ظلت : أي : دمت وأقمت عليه عاكفاً أي : ملازماً وأصل ظلت : ظلمت قال الشاعر :

خلا أن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس

فأحسن أصله : أحسن حذف إحدى السينين كما حذف إحدى اللامين .

(٥) النسف : نقض الشيء ليذهب به الريح، وهو : التذرية، والمنسف آلة ينسف بها الشيء، والنسافة : ما يسقط منه .

وذره في البحر تدرية حتى لا يعثر له على أثر، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين: ﴿إنما الهكّم﴾ الحق الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿الله الذي لا إله إلا هو﴾^(١) وسع كل شيء علماً أي وسع علمه كل شيء فهو عليهم بكل شيء وقدير على كل شيء وماعدها فليس له ذلك وما لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع . . ؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له .
- ٢ - ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئاً إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له ،
- ٣ - قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
- ٤ - مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه .
- ٥ - كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى .

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ مَنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

كذلك : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني

إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل .

من لدنا ذكراً : أي قرآنًا وهو القرآن الكريم .

(١) لا العجل الذهبي الذي سولت نفس السامري الخبيثة صنعه .

من أعرض عنه : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به .
 وزراً : أي حملاً ثقيلاً من الآثام .
 يوم ينفخ في الصور : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث ، والصور هو القرن .
 زرقاً : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم .
 يتخافتون بينهم : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول .
 أمثلهم طريقة : أي أعدلهم رأياً في ذلك ، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول
 والفرع .

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون ، وبين موسى وبني إسرائيل قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿كذلك نقص عليك﴾ أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك ، وعبرة وذكرى للمؤمنين . وقوله تعالى : ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ أي وقد أعطيناك تفضلاً منا ذكراً وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ربه ويهتدي به إلى سبيل النجاة والسعادة ، وقوله ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي أثماً عظيماً لأنه لم يعمل صالحاً وكل عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه ، ﴿خالدين فيه﴾ أي في ذلك الوزر في النار ، وقوله ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل بطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾ أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي ﴿يومئذ﴾ أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿زرقاً﴾ أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله : ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتهايمسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كم لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض : ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ أي ما لبثتم إلا

(١) الكاف من كذلك في محل نصب لأنها بمعنى مثل : نعت لمصدر محذوف تقديره : نقص عليك قصصاً من أنباء ما قد

سبق مثل ما قصصنا عليك هذا القصص .

(٢) ويطلق الذكر على الشرف أيضاً ، وعلى ما يذكر به الله تعالى من قول والمراد به هنا القرآن الكريم .

(٣) الرُّزْق : خلاف الكحل ، والعرب تشاءم بزرق العيون وتذمه وسبب هذه الزرقة هو شدة العطش .

(٤) أي : في الدنيا أو في القبور .

عشر ليال، وقوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴿أي أعد لهم رأياً﴾ ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم ما يشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ يقص تعالى عليه انباء ما قد سبق بعد قصه عليه انباء موسى وفرعون بالحق، وايتائه القرآن الكريم.
- ٢ - كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.
- ٣ - سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.
- ٤ - عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ

فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

(١) (نحن أعلم بما يقولون): جملة معترضة قول الأولين: (إن لبثتم إلا عشرا) نظروا فيه إلى أن تغير الأجسام يتم في عشرة أيام، والذي قال يوماً نظر إلى أن الأجسام ما تغيرت إذ قد أعيدت كما كانت.

شرح الكلمات :

- يسألونك عن الجبال : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة .
 فقل ينسفها ربي نسفاً : أي يفتتها ثم تذروها الرياح فتكون هباءً منبثاً .
 قاعاً صَفْصَفاً : أي مستوياً .
 عوجاً ولا أمتاً : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً .
 الداعي : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى .
 وخشعت الأصوات : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي .
 ورضى له قولاً : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً .
 ولا يحيطون به علماً : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم ، وهم لا يحيطون به علماً .

- وعنت الوجوه للحي القيوم: أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت .
 من حمل ظلماً : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك .
 ظلماً ولا هضماً : أي لا يخاف ظلماً بأن يزداد في سيئاته ولا هضماً بأن ينقص من حسناته .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿عَنْ الْجِبَالِ﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل له: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ فيذرها قاعاً صَفْصَفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿أَيَّ أَجْبِهِمْ﴾ بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباءً منبثاً، فيترك أماكنها قاعاً صَفْصَفاً أي أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أي لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً. وقوله

(١) قال القرطبي كل سؤال في القرآن أجيب بقل إلا هذا فب: فقل لأن المعنى إن سألك فقل فتضمن الكلام معنى الشرط، وهو يقتضون بالفاء دائماً.
 (٢) قال ابن الأعرابي وغيره يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملاً يسيل سيلاً ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا أو هكذا ثم كالهباء المثور.
 (٣) (فيذرها): أي: يذر مواضعها قاعاً صَفْصَفاً، القاع: الأرض الملساء لا نبات فيها، ولا بناء عليها وهي مستوية، وجمع القاع: أقواع وقيعان.
 (٤) الأمت: المكان المرتفع كالبنك، وهو التل الصغير، والعوج: الوهدة وهي الانخفاض كالعرج في الشيء أي: ليس في الأرض انخفاض ولا ارتفاع بل هي مستوية.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي يوم تقوم القيامة فيُنشرون يدعوهم الداعي هلموا إلى أرض المحشر فلا يميلون عن صوته يمناً ولا يسرة وهو معنى لا عوج له. وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي ذلت وسكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً ﴿أَيُّ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَوْمَ جُمِعَهُمُ لِلْمَحْشَرِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةٌ أَحَدًا إِلَّا مِنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ فِي الشَّفَاعَةِ، وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا أَيْ وَكَانَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَوْلُهُ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أَي يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْمَحْشَرِ أَيْ مَا يَسِيحُكُمُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِمَّا تَرَكُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا، فَلِذَا سَيَكُونُ الْجَزَاءُ عَادِلًا رَحِيمًا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أَي ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ كَمَا يَعْنُو بِوَجْهِهِ الْأَسِيرُ، وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أَي خَسِرَ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أَلَا وَهُوَ الشَّرْكَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَالْحَالُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ وَالْبَعْثُ الْآخِرُ ﴿فَهَذَا لَا يَخَافُ ظُلْمًا بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَلَا هَضْمًا بِنَقْصِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهِيَ عَدَالَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَتَجَلَّى فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.
- ٢ - تقرير مبدأ البعث الآخر.
- ٣ - لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يشفع مشرك، ولا يشفع لمشرك.
- ٤ - بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

(١) ومنه قيل للأسير عانٍ، قال أمية بن الصلت.

ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

(٢) القيوم: أي: القائم بتدبير الخلق، والقائم على كل نفس بما كسبت.

(٣) والقدر خيره وشره.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا
 إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

- وكذلك أنزلنا : أي مثل ذلك الانزال أنزلنا قرآنًا عربيًا أي بلغة العرب ليفهموه .
- وصرفنا فيه من الوعيد : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي .
- أو يحدث لهم ذكرا : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون .
- فتعالى الله الملك الحق : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون .
- ولا تعجل بالقرآن : أي بقراءته .
- من قبل أن يقضى إليك وحيه : أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك .
- عاهدنا إلى آدم : أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة .
- فنسي : أي عهدنا وتركه .
- ولم نجد له عزمًا : أي حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه .

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (١) أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق إذ الغرض واحد وهو التنويه بشأن القرآن وتقرير الوحي له ﷺ .

على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهدوا به ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾^(١) أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروي لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سبباً في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي ﴿أَوْ يَحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٢) أي يوجد لهم ذكراً في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا مادلت عليه الآية الأولى (١١٣).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ مَنزَّهُ عَنْ الشَّرِكِ وَالْوَالِدُونَ كُلٌّ نَقْصٌ يَصِفُهُ بِهِ الْمُفْتَرُونَ الْكَذَابُونَ.

وقوله : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ يُعَلِّمُ تَعَالَى رَسُولَهُ كَيْفِيَةَ تَلْقَى الْقُرْآنَ عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُرْشِدُهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْجَلَ فِي قِرَاءَةِ الْآيَاتِ وَلَا فِي إِمْلَائِهَا عَلَى أَصْحَابِهَا وَلَا فِي الْحُكْمِ بِهَا حَتَّى يَفْرَغَ جِبْرِيلُ مِنْ قِرَائَتِهَا كَامِلَةً عَلَيْهِ وَيَبَيِّنُ مَرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا فِي إِزْهَالِهَا عَلَيْهِ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ الْمَزِيدَ مِنَ الْعِلْمِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وفيه إشعار بأنه دائماً في حاجة إلى المزيد، ولذا فلا يستعجل ولكن يترث ويتمهل، وهذا علماء أمته أحوج إليه منه ﷺ فالاستعجال في الفتيا وفي إصدار الحكم كثيراً ما يخطيء أصحابها.^(٣)

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسِيٍّ﴾^(٤) ولم نجد له عزمًا ﴿يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا آدَمَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْأُمَمِ الَّتِي أَمْرُنَا وَنَهْيُنَا فَلَمْ يَطْعَ أَكْثَرُهَا وَصَّيْنَاهُ بِأَنْ لَا يَطْعَ عَدُوَّهُ ابْلِيسَ وَأَنْ لَا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ فَتَرَكَ وَصَّيْتَنَا نَاسِيًا لَهَا غَيْرَ مَبَالٍ بِهَا

(١) التصريف: التنويع والتفنين، والوعيد هنا للتهديد.

(٢) لعله يحدث لهم ذكراً: فيه بيان أنهم قبل نزول القرآن وسماعه لم يكونوا يذكرون الله في توحيده ولا في وعده ووعيده ولا في شرعه وأحكامه.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه ﷺ على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهأه تعالى عن ذلك فأنزل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ وقال الحسن نزلت هذه الآية في رجل لطم وجه امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ لها القصاص فنزل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وأبى الله ذلك. ولهذا قال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وفي هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أن حرصه في حفظ القرآن محمود.

(٤) قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس.

(٥) العهد المنسي هو ما جاء في قوله تعالى: (فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة) من هذه السورة.

(٦) فسر العزم بالصبر والثبات أمام الإغراء.

وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لاتأسى ولا تحزن على عدم ايمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه .
- ٢ - اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون .
- ٣ - استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه .
- ٤ - الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم .
- ٥ - التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني .

وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ

مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴿١١٨﴾

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ

الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ

لَا يَبَلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾

ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَجَاءَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

وإذ قلنا للملائكة : أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.
 إلا إبليس أبى : أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجنان كان مع الملائكة يعبد الله معهم .
 عدو لك ولزوجك : أي حواء ومعنى عدو أنه لا يحب لكما الخير بل يريد لكما الشر .
 فتشقى : أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى .

لا نظماً فيها ولا تضحى : أي لاتعطش ولا يصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض .
 شجرة الخلد : أي التي يخلد من أكل منها .
 وملك لا يبلى : أي لا يفنى ولا يبید ولازم ذلك الخلود .
 فبدت لها سوءاتها : أي ظهر لكل منها قُبَلٌ صاحبه وِدْبَرُهُ فاستاءا لذلك .
 وطفقا يخصفان : أي أخذوا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما سترًا لسوءاتهما .
 فغوى : أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها .
 فاجتباه ربه فتاب عليه : أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبداً صالحاً .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لا يخرجوه هو وزوجه من الجنة ، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتامها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وسجودهم عبادة لله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه . فامتثلت الملائكة أمر الله ﴿ فسجدوا ﴾ كلهم أجمعون ﴿ إلا إبليس أبى ﴾ أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه كان يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١٦) .

وقوله تعالى ﴿ فقلنا يا آدم ﴾ أي بعد أن تكبر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له ﴿ إن هذا ﴾ أي إبليس ﴿ عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ أي فلا تطيعانه

(١) فإن طاعته تكون سبب إخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما، ووجه الخطاب إلى آدم في قوله تعالى: فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة زوجته فهو الذي يشقى دونها، وقوله تعالى لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي لا تعطش ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ أي لا تتعرض لحر شمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي ناداه من طريق الوسوسة. ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلُ﴾ فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ فترتب على ذلك انكشاف سوءاتها لهما بذهاب النور الساتر لهما بسبب المعصية لله تعالى وقوله تعالى ﴿فَطَفِقَا لِيَخْتَفِيَ﴾ من ورق الشجر أي فأخذوا يشدان ورق الشجر على عوراتهما سترًا لهما لأن منظر العورة يسوء الأدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة، فبذلك غوى، إلا أن ربه تعالى اجتبه أي نبياً وقربه ولياً ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ وهده العمل بطاعته ليكون من جملة أصفياؤه وصالح عباده. والحمد لله ذي الإناعم والإفضال.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي .

- (١) هذا مبدأ: أن نفقة الزوجة على زوجها. وأن النفقة الواجبة محصورة في الطعام والشراب والكسوة والسكن.
- (٢) قال الحسن: المراد بالشقاء: شقاء الدنيا لا يرى ابن آدم فيها إلا ناصباً.
- (٣) يقال: ضحيت للشمس ضحاً: برزت، وضحيت بفتح الحاء مثله والمضارع أضحى، والأمر إضح، ومنه قول عمر في عرفة لرجل لازم الخيمة إضح لمن جئت له.
- (٤) روى أبو داود وأحمد أن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد).
- (٥) كان هذا قبل النبوة، ومن أذنب مرة واحدة لا يقال له مذنب ولا غاو ولا سيماً بعد التوبة.
- (٦) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى).

- ٢ - تقرير عداوة إبليس لبني آدم .
- ٣ - بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب ، وإنما ذلك في الأرض .
- ٤ - التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُردي صاحبها .
- ٥ - ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية .
- ٦ - كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال .
- ٧ - حرمة كشف العورات ووجوب سترها .
- ٨ - إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه .

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا

جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِينَتَ كُمْ مَنِّي هُدَى

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ

نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ

وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات :

- قال اهبطا منها جميعا : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط .
- بعضكم لبعض عدو : أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته ، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما .
- فأما يأتينكم مني هدى : أي فإن يأتينكم مني هدى وهو كتاب ورسول .
- فمن اتبع هداي : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن .

فلا يضل	: أي في الدنيا
ولا يشقى	: في الآخرة
ومن أعرض عن ذكري	: أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه .
معيشة ضنكا	: أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة .
أعمى	: أي أعمى البصر لا يبصر .
وقد كنت بصيرا	: أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث .
قال كذلك	: أي الأمر كذلك أتت آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم .
وكذلك نجزي من أسرف	: أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد ، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى .
أشد وأبقى	: أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة آدم إنه لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه ﴿ ألم أنهيكم عن تلكم الشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ . وأنزل على آدم كلمة التوبة ففعلها مع زوجته فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك قال ﴿ اهبطا منها ﴾ أي من الجنة ﴿ جميعاً ﴾ إذ إبليس العدو قد أبليس من قبل وطرد من الجنة فهبطوا جميعاً . وقوله : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ أي بيان عبادتي تحمله كتبي وتبينه رسلي ، ﴿ فمن اتبع هداي ﴾ فآمن به وعمل بما فيه ﴿ فلا يضل ﴾ في حياته ﴿ ولا يشقى ﴾ في آخرته

(١) هي قوله تعالى : (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) من سورة الأعراف وأخبر تعالى عنها في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

(٢) الآية من سورة الأعراف .

(٣) الخطاب لآدم وإبليس وحواء تابعة لزوجها بقرينة : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وتلا هذه الآية .

﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإن له﴾ أي جزاءً منا له ﴿معيشة ضنكاً﴾ أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يصر به. وقد يعجب لحاله ويسأل ربه ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت﴾ في الدنيا وفي البعث ﴿بصيراً﴾ فيجيبه ربه تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك كنت بصيراً وأصبحت أعمى لأنك ﴿أتتك آياتنا﴾ تحملها كتبنا وتبينها رسلنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضاً عنها فالיום تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (١٢٧) ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في حياته الدنيا وفي البرزخ ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم حيث لا ينقضي ولا ينتهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان.
- ٢ - عِدَّةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في حياته ولا يشقى في آخرته.
- ٣ - بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.
- ٤ - التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
 فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ
 مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
 وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا

(١) (ضنكاً) أي: ضيقاً، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال عترة.
 (٢) أي: من المعيشة الضنك. إن يلحقوا أكرروا وإن يستلحموا أشدود وإن يُلْفُوا بضعك أنزل

تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَأَصْطَرِعَ عَلَيْهَا لَأَنْشَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزِقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى

﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات :

أفلم يهد لهم	: أي أفلم يبين لهم .
من القرون	: أي من أهل القرون .
آيات لأولى النهى	: أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل .
ولولا كلمة سبقت	: أي بتأخير العذاب عنهم .
لكان لزاما	: أي العذاب لازما لا يتأخر عنهم بحال .
مايقولون	: من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات .
ومن آناء الليل	: أي ساعات الليل واحدها إنِّيء أو إنو .
لعلك ترضى	: أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به .
إلى ما متعنا به أزواجاً منهم	: أي رجالاً منهم ^(١) من الكافرين .
زهرة الحياة الدنيا	: أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ماتذبيل وتذوى .
لنفتنهم فيه	: أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون .
والعاقبة للتقوى	: العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى .

معنى الآيات :

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى ﴿ أفلم يهد ﴾ لأهل مكة المكذبين المشركين أي أغفلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أي اهلاطنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين

(١) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأن الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لاجل الدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متعناهم به من مال وبنين .

كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من الإهلاك للقرون الأولى ﴿آيات﴾ أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، ﴿لأولى النهى﴾ أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بأن لا تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأجل مسمى عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان. وعليه ﴿فاصبر﴾ يارسولنا ﴿على مايقولون﴾ من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح ﴿قبل طلوع الشمس﴾ وهو صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ وهو صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ أي ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك.

وقوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي لا تتطلع ناظراً ﴿إلى ما تمنعنا به أزواجاً منهم﴾ أشكالا في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ أي من زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الذي تمنعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى: ﴿ورزق ربك﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خير وأبقى﴾ خيراً في نوعه وأبقى في مدته، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي من أزواجك وبناتك وأتباعك

(١) فيه تقديم وتأخير، الأصل: ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لزاماً. أي لكان العذاب لازماً لهم.

(٢) العتمة. واحد الآناء: أني وإني وإني.

(٣) قال مجاهد: الأغنياء منهم، وبهذا يشمل النساء والرجال إذ كل منهما زوج فرجع هذا أن أزواجاً: مفعول به، ولا يتنافى هذا مع ما في التفسير لأن قولنا: أشكالا في عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم يعني: منطقاً الرجال الأزواج.

(٤) (زهرة) منصوب على الحال من الموصول. والزهرة: واحدة الزهور وهو نور الشجر والمراد هنا: الزينة المعجزة المبهرة في النساء والبنين والأنعام والبساتين والجنان.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ وجميع أمته تابعة له في ذلك فكل مؤمن يجب عليه أن يقيم الصلاة وأن يأمر أهله بذلك ويصبر. روي أنه لما نزلت هذه الآية كان ﷺ (يذهب إلى بنته فاطمة كل صباح وقت الصلاة) وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يمثل بالآية: وكان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم يادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿ولا تمدن عينك﴾ الآية.

شرح الكلمات :

- لولا^(١) : أي هلاً فهي أداة تخصيص وحث على وقوع ما يذكر بعدها .
 بآية من ربه : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته .
 بينة ما في الصحف الأولى: أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية
 وهلاكهم بتكذيبهم لرسولهم .
 من قبله : من قبل ارسالنا رسولنا محمد ﷺ وانزلنا كتابنا القرآن .
 من قبل أن نذل ونخزي : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم .
 متربص : أي منتظر ما يؤول إليه الأمر .
 فستعلمون : أي يوم القيامة .
 الصراط السوي : أي الدين الصحيح وهو الإسلام .
 ومن اهتدى : أي ممن ضل نحن أم أنتم .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجالاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصرروا على الشرك والتكذيب ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾ أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبوته ورسالته إلينا . فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة : ﴿أو لم تأتكم بينة ما في الصحف الأولى؟﴾ أي طالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرآن الكريم فعرفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم فيما يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما

(١) لولا: أداة تخصيص وجملة: (أو لم تأتكم بينة ما في الصحف الأولى) حالية أي: قالوا ذلك، والحال أنها أتتهم بينة ما في الصحف الأولى، فلا استفهام إنكاري، والبيّنة: الحجة، والصحف: كتب الأنبياء السابقين كقوله تعالى: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى).

(٢) أي: لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة كناقفة صالح وعصا موسى أو هلاً يأتينا بالآيات التي نقتربها كتحويل جبال مكة.

(٣) هذه البيّنة هي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم، محمد أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد جاء بما لم يأت به غيره من العلوم والمعارف والقرآن الكريم حوى علوم الأولين وقصصهم، وكل علم نافع في الحياتين فآية أعظم من هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاباً يتلى عليهم﴾!

(٤) قال القرطبي: فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم كحال أولئك.

أهلك المكذبين من قبلهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (١٣٤) ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل إرسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ فيما تدعوننا إليه من التوحيد والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزي هذا الخزي في نار جهنم . فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لا يؤمنون ويتبعون آيات الله فيعملون بها جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه ﴿قل كل متربص﴾ أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا﴾ ، فستعلمون في نهاية الأمر وعندما توفقون في عرصات القيامة ﴿من﴾ هم ﴿أصحاب الصراط السوي﴾ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق، ﴿ومن اهتدى﴾ إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخرس وهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته .

٢ - الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح .

٣ - في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه: «يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلاً انتفع به، ويقول الهالك في الفترة لم يأتي رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك، وقرأ ﷺ ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لا أعقل . قال فترفع لهم نار ويقال لهم: ردوها قال فإيديها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلأأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم» . رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ .

(١) هذه الآية دليل على أن الإيمان بوحداية الله تعالى مما يقتضيه العقل وتوجه الفطرة لولا حجب الضلالات وإغواء الشياطين للناس .

(٢) هذا جواب عن قولهم: ﴿لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ وما بينهما اعتراض والترصص : الانتظار .

(٣) بمعنى المُستوي وهو مأخوذ من التسوية .

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

مكية

وآياتها مائة واثناعشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

أقرب للناس حسابهم (١) : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وهم في غفلة : أي عما هم صائرون إليه

معرضون : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول وهن من ثلاثي : يريد من أول ما حفظ كالمال التليد..

الشرك والمعاصي

من ذكر من ربهم محدث :	أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول .
وهم يلعبون	: أي ساخرين مستهزئين .
لا هية قلوبهم	: مشغولة عنه بما لا يغني من الباطل والشر والفساد .
واسروا النجوى	: أي أخفوا مناجاتهم بينهم .
أضغاث أحلام	: أي أخلاط رآها في المنام .
بل افتراه	: أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه .
أنهم يؤمنون	: أي لا يؤمنون فلا استفهام للنفي .

معنى الآيات :

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق: ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾^(١) أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها ﴿ وهم في غفلة ﴾^(٢) عما ينتظرهم من حساب وجزاء ﴿ معرضون ﴾^(٣) عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال. وقوله تعالى: ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾^(٤) أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ويذكرهم بما فيه ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لا عبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه. وقوله تعالى: ﴿ لا هية قلوبهم ﴾ أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثة النزول من هدى ونور، ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾^(٥) وهم المشركون قالوا في تناجيهم بينهم: ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ أي ما محمد إلا إنسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتبعونه على ما جاء به،

(١) لفظ الناس: عام وإن أريد به أهل مكة بدليل السياق في الآيات بعد.

(٢) الجملة حالية أي: اقترب للناس حسابهم والحال أنهم في غفلة معرضون.

(٣) محدث: أي: في نزوله وقراءة جبريل له على النبي ﷺ إذ كان ينزل آية وآية وسورة وسورة وجائز أن يكون الذكر الرسول ﷺ لقربة الآيات كقوله: ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ وقوله: ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا . . ﴾ فرسول بدلا من قوله: (ذكرأ) وقوله (إلا استمعوه) أي: الرسول وهم يلعبون. قاله الحسن بن الفضل.

(٤) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى. يقال: لهيت عن الشيء إذا تركته وسهوت عنه، وهو نعت تقدم عن الاسم فنصب على الحال نحو: (خاشعة أبصارهم)، (ودانية عليهم ظلالها) وكقول كثير عزة:

لعزة موحشا طلل يلوح كأنه خجل

(٥) (الذين ظلموا) بدل من واو الجماعة في: (وأسروا النجوى).

إنه ما هو إلا ساحر ﴿ أفنأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ مالكم أين ذهبت عقولكم؟ قال تعالى لرسوله: ﴿ قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع . . . ﴾ لأقوال عباده ﴿ العليم ﴾ بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليهم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه .

وقوله تعالى: ﴿ بل قالوا ﴾ أي أولئك المتناجون الظالمون ﴿ أضغاث أحلام ﴾ أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه، ﴿ بل افتراه ﴾ انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم ﴿ بل هو شاعر ﴾ أي ﷺ وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي هو ذكر أشياء لا واقع لها ولا حقيقة. وقوله تعالى عنه: ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون. قال تعالى: ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ أي أهل قرية ﴿ أهلكتناها ﴾ بالعذاب لما جاءت الآيات فكذبت أفهم يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قرب الساعة .
- ٢- بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض ، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك .
- ٣- بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبى ﷺ .
- ٤- المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب اهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءتته كل آية .

(١) قرأ نافع والجمهور: (قل ربي) بصيغة الأمر، وقرأ حفص ومن وافقه (قال) بصيغة الماضي .

(٢) (من): زائدة لتقوية الكلام وتوكيد النفي المستفاد من حرف (ما) .

(٣) الاستفهام للإنكار أي: انكار إيمانهم لوجاءتهم الآية أي: فهم لا يؤمنون .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

قبلك	: يا محمد .
أهل الذكر	: أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب .
جسداً	: أي أجساداً آدمية .
الوعد	: أي الذي واعدناهم .
المسرفين	: أي في الظلم والشرك والمعاصي .
كتاباً	: هو القرآن العظيم .
فيه ذكركم	: أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس .

معنى الآيات :

كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حول لِمَ يكون الرسول بشراً، ولِمَ يكون رسولاً
ويأكل الطعام لِمَ لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها، لِمَ لا يأتيها بآية كما أرسل بها الأولون،
وهكذا . قال قتادة قال أهل مكة للنبي ﷺ «وإذا كان ما تقوله حقاً وسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا
ذهبا، فأتاه جبريل فقال إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم
ينظروا» أي ينزل بهم العذاب فوراً» وإن شئت استأنيت بقومك، قال بل استأنى بقومي
فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ يارسولنا ﴿إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا. ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهود ورهبان النصارى إن كانوا لا يعلمون فإنهم يعلمون أن الرسل من قبلهم لم يكونوا إلا بشراً. وقوله تعالى: ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا﴾ أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها الطعام بل جعلناهم أجساداً آدمية تفتقر في بقاء حياتها إلى الطعام والشراب^(١). فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وقوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم﴾ أي أولئك الرسل ﴿الوعد﴾^(٢) الذى وعدناهم وهو أننا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكتناهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي أنجيناهم وامن آمن بهم واتبعهم، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون؟﴾ يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ لهدايتكم وإصلاحكم ثم إيسادكم ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن ﴿فيه ذكركم﴾ أي ما تذكرون به وتتعمنون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم. أنتشتون في المكابدة والعناد فلا تعقلون، ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

(١) هذا رد على المشركين إذ قالوا: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وتأنيس للنبي ﷺ حتى لا يضيق بما يقولون.
(٢) جائز أن يكون أهل الذكر أي: الكتاب الأول هم اليهود والنصارى إذ كان أهل مكة يسألون يهود المدينة وجائز أن يكون القرآن وهم المؤمنون ولذا قال علي وهو صادق: نحن أهل الذكر. أي: فليناظروا المؤمنين كعلي وأبي بكر الصديق وبلال. وفي الآية دليل على وجوب تقليد العامة العلماء إذ هم أهل الذكر ووجوب العمل بما يقتونهم به ويعلمونهم به.
(٣) الجسد: الجسم لا حياة فيه كالجثة. وفي العبارة تهكم بالمشركين لسخف عقولهم إذ أنكروا على الرسول ﷺ أكل الطعام فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ وهل يعقل وجود أجسام بشرية تستغني عن الأكل والشرب؟
(٤) ولذا هم يموتون ولا يخلدون وهذه حقيقة الأدمي.
(٥) الوعد: منصوب على نزع الخافض أي: صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم، وهو وعدهم بنصرهم وإهلاك أعدائهم.
(٦) (فيه ذكركم): أي: فيه ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وبيان ما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب وفيه ذكر مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.
- ٢- تعيين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم ، من أمور الدين والآخرة .
- ٣- ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم .
- ٤- القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

- وكم قصمنا : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم .
 كانت ظالمة : أي كان أهلها ظالمين .
 يركضون : أي فارين هاربين .
 إلى ما أترفتم فيه : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب .
 تسألون : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم .
 تلك دعواهم : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .
 حصيداً خامدين : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أجمدت .

معنى الآيات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصروا على التكذيب والعناد ﴿وكم قصمنا﴾ أي أهلكتنا وأبدنا إبادة كاملة ﴿من قرية﴾ أي أهل قرية ﴿كانت ظالمة﴾ أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد، ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ هم خير من أولئك الهالكين . وقوله تعالى : ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ أي فلما أحسَّ أولئك الظالمون ﴿بأسنا﴾ أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم ﴿إذ هم منها﴾ من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت . والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً : لا تركضوا هاربين ﴿وارجعوا إلى ما أترقتم فيه﴾ نُعِمْتُمْ فِيهِ مِنْ وَافِرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكَسَاءِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْكَبِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم، فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿قالوا يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا أحضر هذا أو آن حضورك إنا كنا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد . قال تعالى : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي ما زال قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ تلك دعوتهم التي يرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ أي مُجْتَثِينَ مِنْ أَصُولِهِمْ سَاقِطِينَ فِي الْأَرْضِ خَامِدِينَ لَا حَرَكَ لِهِمْ كَالنَّارِ إِذَا أُخْمِدَتْ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا لَهِيْبٌ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله .
 - ٢- جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً .
 - ٣- لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب لو طلبها الهالكون .
 - ٤- شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهدر ولا يدري ما يقول .
- (١) قيل : هذه القرى هي مدائن كانت باليمن، والعموم ظاهر في السياق ولا داعي إلى حصره في مدائن اليمن بل هو شامل عاداً وثمود وأهل مدين والمؤتفكات، والقصم : الكسر يقال : قصم ظهر فلان : إذا كسره .
- (٢) الإحساس : الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح .
- (٣) وهذا استهزاء بهم وتهكم وتقريع وتوبيخ لهم .
- (٤) أي : الكلمة التي يكررونها وهي : يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى هلكوا عن آخرهم .
- (٥) الحصد : جزّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد، وشاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود، والخامد الذي لا حراك له من خمدت النار إذا زال لهيبها .

وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ
لَا تَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

لا عيين	: أي عابثين لا مقصد حسن لنا في ذلك .
لهوا	: أي زوجة وولداً .
من لدنا	: أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة .
بل نقذف بالحق	: أي نرمي بالحق على الباطل .
فيدمغه	: أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك .
فإذا هو زاهق	: أي ذاهب مُضمحل .
ولكم الويل مما تصفون	: أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأن له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفتري .
ولا يستحسرون	: أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسييح .
لا يفترون	: عن التسييح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء .

معنى الآيات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة

لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقه بأساءه في الدنيا والآخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررت الآية وهي قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعيين﴾^(١) أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى : ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ أي صاحبة أو ولداً كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضلّال النصارى أن الله اتخذ مريم زوجة فولدت له عيسى الابن، تعالى الله عما يافكون فرد تعالى هذا الباطل بالمعقول من القول فقال لو أردنا أن نتخذ لهواً نتلّهى به من صاحبة وولد لاتخذنا من لدنا من الحور العين والملائكة ولكننا لم نرد ذلك ولا ينبغي لنا إنا نملك كل من في السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجةً والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يجعل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾^(٢) فإذا هو زاهق ﴿فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء﴾^(٣) ﴿ولكم الويل﴾ أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر والكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجل كذبكم وافتراءكم على ربكم ورسوله . وقوله تعالى : ﴿وله من في السموات والأرض﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غني عن صاحبة والولد إذ الكل له مُلكاً وتصرفاً . وقوله : ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾^(٤) برهان آخر ﴿يسبحون الليل والنهار ولا

(١) ينفي تعالى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما وما في السموات وما في الأرض من عجائب المخلوقات وبدائع الصناعات وما بين السماء والأرض من السحب والأمطار ورياح وأجواء الفضاء ينفي أن يكون هذا الخلق العظيم لعباً : أي : لهواً وعبثاً بل خلق ما خلق لأعظم حكمة وأسمائها وهي أن يعبد بذكره وشكره، فلذا من كفر به تعالى فترك ذكره وشكره كان من شر خلقه واستوجب العذاب الأبدي الذي لا يخرج منه ولا يموت فيه ولا يحيى .

(٢) الآية رد على افتراءات المبطلين جهلة البشر الذين نسبوا لله تعالى صاحبة والولد بغير علم من عقل ولا نقل .
(٣) الدمغ : شح الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ، والباطل هو الشيطان والحق : القرآن، في قول مجاهد إذ قال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان .

(٤) لا يستحسرون أي : لا يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع من الإعياء والتعب يقال : حسر البعير يحسر حسوراً : أعياء وكل واستحسر وتحسر مثله .

يفترون ﴿ أي فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عدداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله ﴿ لا يفترون ﴾ أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترة بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد.
- ٢- حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضمحمل.
- ٣- إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لا بد منه.
- ٤- بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته.
- ٥- بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى.

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
 ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَّعِيَ
 وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

- أم اتخذوا آلهة من : أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .
 الأرض
 هم ينشرون : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .
 لو كان فيهما : أي في السموات والأرض .
 لفسدنا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع عادة وهو يقضى بفساد النظام .
 فسبحان الله : أي تنزيهه لله عما لا يليق بحلاله وكماله .
 رب العرش : أي خالقه ومالكه والمختص به .
 عما يصفون : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .
 لا يسأل عما يفعل : إذ هو الملك المتصرف ، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .
 قل هاتوا برهانكم : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .
 هذا ذكر من معي : أي القرآن ذكر أمتي .
 وذكر من قبلي : أي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .
 لا يعلمون الحق : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .
 فاعبدون : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيات :

يؤيخ تعالى المشركين على شركهم فيقول : ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ أي من أحجارها ومعادنها آلهة ﴿هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والذي لا يحيي الموتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال . هذا ما دل عليه قوله (١) الاستفهام هنا للجد والإنكار أي : لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء في وصف الآلهة من الأرض تهكم بعابديها ظاهر وتأنيب عجيب .

تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْتَشِرُونَ﴾^(١) وفي الآية الثانية (٢١) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدنا لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع^(٢) والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا وهذا لا يريد هذا يريد أن يعطى كذا وذلك لا يريد فيختل نظام الحياة وتفسد، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العبادة وحده دون من سواه، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المبطلون من الزوجة والولد فقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَوْنَ﴾ فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزى به لن يكون إلا عبداً مربوباً، وقوله في توبيخ آخر للمشركين: أم اتخذوا من دونه عز وجل آلهة يعبدونها؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل؟ وقوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون ﴿وَذَكَرْ مِنْ قَبْلِي﴾ أي التوراة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى. والجواب لا. إذاً فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرَضُونَ وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرَضُونَ﴾ فليسوا أهلاً لمعرفة الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه.

- (١) هذه الجملة مقررة لما أنكره تعالى على المشركين من اتخاذهم آلهة من الأرض مبيّنة وجه الإنكار شارحة له أي: يستحيل أن يوجد آلهة حق مع الله تعالى. والبرهان المذكور في التفسير.
- (٢) هذا ما يسمى بدليل أوبرهان التمانع وأنه وإن كان فيه ما يريد إلا أنه في الجملة دليل مسكت للخصم مقنع لذي العقول.
- (٣) إظهار اسم الجلالة في مكان الإضمار كان لتربية المهابة منه عز وجل إذ كان المفروض أن يقول سبحانه.
- (٤) قال ابن جريج: لا يسأله الخلق عن قضائه فيهم وهو يسألهم عن أعمالهم لأنهم عبيده وبهذا انهدم معتقد المشركين والقدريين معاً إذ الله لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل فالذي يسأل ويحاسب ويجزى لن يكون إلهاً أبداً.
- (٥) (أم) بمعنى: بل والاستفهام التعجبى أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة يا للعجب فليأتوا إذاً ببرهان عقلي على صحة دعواهم ومن أين لهم إذاً أفلا يتوبون.
- (٦) زيادة على إقامة بطلان الشرك بشهادة القرآن كتاب الله وشهادة الكتب السابقة وفيها التهديد والوعيد للمشركين.
- (٧) قرأ الحق بالرفع ابن محسن والحسن على تقدير هذا هو الحق وقرأ الجمهور بالنصب مفعول أي: لا يعلمون الحق الذي هو القرآن العظيم فهم لا يتأملونه فحججه وبراهينه على إبطال الشرك ظاهرة

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(١) فلو كان المشركون يعلمون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك، ولكنهم جهلة مغررون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله.
- ٢- وحدة النظام دالة على وحدة المنظم، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده.
- ٣- لا برهان على الشرك أبداً، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى.
- ٤- القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى.
- ٥- تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ

﴿٤٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِّنْ دُونِهِ ۖ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ

جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٩﴾

(١) هذا برهان آخر على إبطال الشرك إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله، فكيف يصح إذا إقرار الشرك والعمل به، والآية كآية النمل: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

شرح الكلمات :

ولداً : أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك .

سبحانه : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد .

بل عباد مكرمون : هم الملائكة ، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً .

لا يسبقونه بالقول : أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده

بشيء .

وهم بأمره يعملون : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم .

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له .

مشفقون : أي خائفون .

من دونه : أي من دون الله كيابليس عليه لعائن الله .

كذلك نجزي الظالمين : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركين جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركين وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم ﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله فنزه تعالى نفسه عن هذا النقص فقال ﴿ سبحانه ﴾ وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ أي فمن نسبوهم لله بنات له هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى تعالى بقوله : ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى ، وهم يعملون بأمره فلا يقولون ولا يعملون إلا بعد إذنه لهم ، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع له فقال تعالى :

(١) قيل : هذه الآية نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم يرجون شفاعتهم ، وفريتهم قائمة على أن الله تعالى أصره إلى سروات الجن فأنجب الملائكة . تعالى الله علواً كبيراً .

(٢) (بل عباد مكرمون) أي : بل هم عباد مكرمون ، فعباد : خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون : نعت للخبر .

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا .

(٤) قال ابن عباس : هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله . وقال مجاهد : هم كل من رضي الله عنه . وهو أعم من الأول ، وأخص

أيضاً باعتبار جهتين .

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وزيادة على ذلك أنهم ﴿من خشيته مشفقون﴾ خائفون، وعلى فرض أن أحداً منهم قال إنى إله من دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا لهم عنده تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى .
- ٢- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى .
- ٣- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له .
- ٤- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشرطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ تَقَافِنِقْنُهُمَا وَجَعَلْنَا

مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ

رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ

عَآئِنِهَا مَعْرُضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

(١) في الآية دليل على أن الملائكة وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين إلى العبادة اضطراباً بل شأنهم شأن المعصومين من الرسل يعبدون تعبدًا لا اضطراباً .

شرح الكلمات :

كانتا رتقا	: أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها .
ففتقناهما	: أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين .
رواسي	: أي جبلاً ثابتة .
أي تميد بهم	: أي تتحرك فتميل بهم .
فجاجا سبلا	: أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون .
لعلهم يهتدون	: إلى مقاصدهم في أسفارهم .
وهم عن آياتها	: من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون .
كل في فلك يسبحون	: الفلك كل شيء دائر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجز فقال تعالى : ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كما أن السماء تفتق بإذنه تعالى عن الأمطار، والأرض تفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حي في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟

فما للناس لا يؤمنون؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (٣٠) ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟﴾ وقوله تعالى : ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبلاً ثوابت كيلا تميد أي

(١) قرأ الجمهور (أولم ير) بالواو بعد همزة الاستفهام، وقرأ بعض : (ألم ير) بدون واو، بمعنى يعلم .
(٢) (رتقا) : الرتق : السد ضد الفتق، يقال : رتقت الفتق ارتقه فارتقق . أي : التأم، ومنه : امرأة رتقاء أي : منضمة الفرج غير مفتوق، والمراد أن السموات والأرض كانت شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما وما في التفسير إشارة إلى ما اختاره ابن جرير الطبري وهو : أن السماء كانت رتقا لا مطر والأرض كانت رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والآية دالة على الوجهين والوجهان صحيحان .

(٣) (جعلنا) بمعنى : خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أن كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني : أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث : (كل شيء خلق من الماء) .

تتحرك وتضطرب بسكانها، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي طرقاً سابلة للسير فيها ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم، وقوله: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ من السقوط ومن الشياطين. وقوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها ﴿معرضون﴾ أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها، وقوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.
- ٢- بيان الحكمة من خلق الجبال الراوسي.
- ٣- بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.
- ٤- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الأفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

(١) رجاء أن يهتدوا في سيرهم إلى ما يرومون من الديار والبلاد، ورجاء أن يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله وتوحيده.

(٢) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظلمة لها كالسقف على الدار.

(٣) هذه كلها من الله تعالى على عباده وآيات قدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده وإعراض الناس عن النظر والتدبر هو الذي حرمهم هداية الله تعالى.

(٤) (كل في فلك يسبحون): هذه جملة مستأنفة استثنافاً بيانياً جواباً لمن سمع الآيات، فتساءل عن الشمس والقمر وعن باقي الأجرام السماوية قائلاً: كيف لا يقع بينها تصادم ولا يتخلف بعضها فيحدث خلل في الكون والحياة فأجيب بقوله تعالى: ﴿كل في فلك يسبحون﴾.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
 الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾
 وَإِذْ أَرَأَى الْكَافِرِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
 أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الخلد	: أي البقاء في الدنيا.
ذائقة الموت	: أي مرارة مفارقة الجسد.
ونبلوكم	: أي نختبركم.
بالشر والخير	: فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.
فتنة	: أي لأجل الفتنة لننظر أنصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون.
إن يتخذونك إلا هزواً	: أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزواً بك.
يذكر آلِهَتكم	: أي يعيها.
بذكر الرحمن هم كافرون	: حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما الرحمن؟
خلق الإنسان من عجل	: حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه.
سأوريكم آياتي	: أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

معنى الآيات :

كأن المشركين قالوا شامتين إن محمداً سيموت، وقالوا نترصب به ريب المنون فأخبر تعالى أنه لم يجعل لبشر من قبل نبيّه ولا من بعده الخلد حتى يخلد هو ﷺ فكل نفس زائقة الموت، ولكن إن مات رسوله فهل المشركون يخلدون والجواب لا، إذا فلا وجه للشماتة بالموت لو كانوا يعقلون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٤) ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مّت فهم الخالدون﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي كل نفس منفسوسة ذائقة مرارة الموت بمفارقة الروح للبدن، والحكمة في ذلك أن يتلقى العبد بعد الموت جزاء عمله خيراً كان أو شراً، دل عليه قوله بعد: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ من غنى وفقر ومرض وصحة وشدة ورخاء ﴿فتنة﴾ أي لأجل فتنتكم أي اختباركم ليرى الصابر الشاكر والجزع الكافر. وقوله تعالى: ﴿والينا ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء على كسبكم خيره وشره.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾ يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا هزواً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم، وبين وجه استهزائهم به ﷺ بقوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي بعبئها وانتقاصها، قال تعالى: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ أي عجباً لهم يتألمون لذكر آلهتهم بسوء وهي محط السوء فعلاً، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم سبحانه وتعالى حتى إنهم أنكروا أن يكون اسم الرحمن اسماً لله تعالى وقالوا لا رحمن إلا الرحمن اليمامة.

وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾^(٤) قال تعالى هذا لما استعجل المشركون

(١) الاستفهام مقدر أي: أفهم الخالدون؟ وهو للنفي والإنكار كقول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي: أهم؟ ومعنى رفوني سكتوني يقال رفاه إذا سكته.

(٢) يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنشد واستشهد بالبيتين الآتين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهباً لأخرى مثلها فكان قد

(٣) عجباً لجهلهم وسوء فهمهم يعيون من جحد إلهية أصنامهم وهم يجحدون إلهية الرحمن إن هذا لغاية الجهل والغرور.

(٤) إن طبع الإنسان العجلة إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرته، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان

أو آدم عليه السلام قال سعيد بن جبير لما دخل الروح في عين آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من

قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله: تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾.

العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأخبر تعالى أن الاستعجال من طبع الإنسان الذي خلق عليه، وأخبرهم أنه سيريهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي: فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد إلى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة، وإلى جهلهم وكفرهم من جهة أخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير، لا بالعذاب والشر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال ما شاع من أن الخضر حيٌّ مخلد لا يموت لفيه تعالى ذلك عن كل البشر.
- ٢- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.
- ٣- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول ﷺ.
- ٤- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

لَو يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هَمَّ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأُ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَن

(١) العجلة: السرعة، قيل: إن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهة، فإذا فكر في شيء محبوب استعجل حصوله، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته، ومن هنا كان عجولاً.

الرَّحْمَنُ بَلَّ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرَضُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- لا يكفون : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم .
بل تأتيهم بغتة : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة .
فتبتهم : أي تُحيرهم .
ولا هم ينظرون : أي يمهلون ليتوبوا .
وحاق بهم : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون .
من يكلؤكم : أي من يحفظكم ويحرسكم .
من الرحمن : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم .
بل هم عن ذكر ربهم : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه .
معرضون
ولا هم منا يصحبون : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا .

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا^(١) الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ الْمُطَالِبُونَ بِهِ حِينَ أَيُّ الْوَقْتِ
الَّذِي يُلْقَوْنَ فِيهِ فِي جَهَنَّمَ وَالنَّارِ تَأْكُلُ وَجُوهَهُمْ وَظُهُورَهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْنَعُوا
أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ بِمَنْ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ لَوْ عَلِمُوا هَذَا وَأَيَقْنُوا بِهِ لَمَا طَالَبُوا
بِالْعَذَابِ وَلَا اسْتَعْجَلُوا يَوْمَهُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، هَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ^(٢)
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وَجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لا تزول فيه النار عن وجوههم وعن
ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

(٢) جواب لو: محذوف كما تقدم آنفاً، والغرض من حذفه تهويل جنسه فتذهب نفس السامع كل مذهب. وجملة: ﴿لو يعلمون﴾ الخ مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣) (حين) اسم زمان منصوب على المفعولية لا على الظرفية أي: لو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذبوا به.

(١) ﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ أي أن القيامة لا تأتيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة، وإنما تأتيهم ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي فتحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها، ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ وهو العذاب هذا القول للرسول ﷺ تعزية له وتسلية ليصبر على ما يلاقه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب، إذ حصل مثله للرسول قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسول عليهم السلام. وقوله تعالى: ﴿قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبيين بالعذاب المستعجلين له: ﴿من يكلوكم بالليل والنهار﴾ أي من يجيركم من الرحمن إن أراد أن يعذبكم، إنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله، وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه. وقوله: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر أن آلهتهم لا تستطيع نصرهم ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجاتهم من عذاب الله متى حل بهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣- تسلية الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أمهم .

(١) (بل): للاضراب الانتقالي من تهويل ما أعد لهم إلى التهديد بأن ذلك يحل بهم بغتة (أي فجأة).
 (٢) يكلاكم: أي يحرسكم ويحفظكم إذ الكلاءة: الحفظ والحراسة يقال: كلاء الله كلاءة أي: حفظه وحرسه ومنه قول الشاعر:

إن سلمي والله يكلاها ضنت بشيء ما كان يرزوها

والاستفهام في: من يكلاكم: للنفي.

(٣) فسر يصحبون بيمينون، ويجارون قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دوني

- ٤- بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم .
 ٥- بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور .

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا نَتِي

الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا

مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ

لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ

﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- متعنا هؤلاء وآباءهم : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات .
 حتى طال عليهم العمر : فانغروا بذلك .
 نقصها من أطرافها : أي بالفتح على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين .
 إنما أنذركم بالوحي : أي بأخبار الله تعالى التي يوحىها إلي وليس هناك شيء من عندي .
 نفحة : أي وقعة من عذاب خفيفة .
 يا ويلنا إنا كنا ظالمين : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا .
 إنا كنا ظالمين : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ .

الموازين القسط : أي العادلة .

فلا تظلم نفس شيئاً : لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة .

مئقال حبة : أي زنة حبة من خردل .

وكفى بنا حاسبين : أي محصين لكل شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى : ﴿بل متعنا هؤلاء﴾^(١) بما أنعمنا عليهم هم وآباؤهم فظنوا أن آلهتهم هي الحافظة لهم بل الله هو الحافظ حتى طال عليهم العمر فانغروا بذلك . ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أرض الجزيرة بلادهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بدخول أهلها في الإسلام بلداً بعد بلد . ﴿أفهم الغالبون﴾؟ الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم ، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى انذارهم وعدمه وقوله تعالى : ﴿ولئن مسَّتهم نفحة من عذاب ربك﴾ أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مئقال حبة من حسنة أو سيئة أتينا بها ووزناها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾^(٢) أي محصين لأعمال العباد لعلنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء . . ألا فلتتق الله أيها العقلاء!!

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل مكة . أي : بسطنا لهم ولآبائهم نعيمنا .

(٢) (طال عليهم العمر أي : في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبّر حجج الله عز وجل .

(٣) المس : اتصال بظاهر الجسم ، والنفحة : المرّة من النفع في العطية ، يقال : نفعه بشيء إذا أعطاه . وما في التفسير مغني عن هذا .

(٤) هذا اعتراف منهم في حين لا ينفع الاعتراف .

(٥) قيل : يجوز أن يكون لكل عامل ميزان خاص به فتكثر الموازين كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان

(٦) ضمير الجمع في (حاسبين) : مراعى فيه ضمير العظمة ، وهو منصوب على الحال أو التمييز لكفى

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه .
- ٢- حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه .
- ٣- بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً يهلكه .
- ٤- تقرير البعث والحساب والجزاء .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُنْقِبِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- الفرقان : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن .
- ضياء : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع .
- وذكراً : أي موعظة .
- يخشون ربهم بالغيب : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام .
- وهم من الساعة مشفقون : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون .
- وهذا ذكر مبارك : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به .
- أفأنتم له منكرون : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله .
- معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان أي الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون

(١) وفسر الفرقان بالتوراة أيضاً وهو حق أيضاً وجائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل .

وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوراة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكر أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب أي وهم لا يرونه والثانية: أنهم مشفقون من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات لا تنقضى عجائبه ولا تكنته أسراره ولا تكتشف كل حقائقه، هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى: ﴿أفأنتم له منكرون﴾^(٣) يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمه بانزال التوراة على موسى والقرآن على محمد ﷺ.
- ٢- بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واحب ولا بفعل محرم: وهم دائما في اشفاق وخوف من يوم القيامة.
- ٣- الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركا.
- ٤- توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ حَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَذَا عَرِيسِينَ ﴿٥٣﴾

(١) قال القرطبي: (بالغيب) أي: غائبين لأنهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم رباً قادراً يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، والباء في: (بالغيب) بمعنى الفاء أي: يخشونه تعالى في الغيب.

(٢) الإشفاق: هو رجاء حادث مخوف.

(٣) الاستفهام للتعجب والتوبيخ.

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
 أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٥٧﴾
 فَجَعَلَهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

- رَشْدُهُ : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه .
 التماثيل : جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان .
 التي أنتم لها عاكفون : أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبدًا .
 أم أنت من اللاعبين : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون .
 ربكم رب السموات : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض .
 الذي فطرهن : أي أنشأهن خلقاً وإيجاداً على غير مثال سابق .
 لأكيدن أصنامكم : أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها .
 جذاذاً : فتاتاً وقطعاً صغيرة .
 إلا كبيراً لهم : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره .
 لعلمهم إليه يرجعون : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز
 آلهتهم .

معنى الآيات :

على ذكر مامن به تعالى على موسى وهارون ومحمد ﷺ من إيتائه إياهم التوراة والقرآن ذكر
 أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فأتاه رشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب

الإيمان به تعالى وعبادته وحده، وإن عبادة من سواه باطلة، فقال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾^(١) وقوله: ﴿وكننا به عالمين﴾^(٢) أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه ﴿إذ قال﴾ أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر، وقومه منكرًا عليهم عبادة غير الله ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فأعلمنا عن جهلهم إذ لم يذكرنا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبد.

فرد عليهم إبراهيم عما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه ﴿مبين﴾ لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أجبتنا بالحق﴾ أي فيما قلت لنا من أننا وآباءنا في ضلال مبين ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حق لكم سواه. ﴿وتالله﴾ قسماً به تعالى ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأحتالن عليها فأكسرها ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتركوها وحدها.

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: (ما هذه التماثيل والظرف متعلق باذكر).

(٣) ظاهر السؤال أنه سؤال استعمال فلذا أجابوه بحسبه فقالوا: (وجدنا آباءنا لها عابدين)، وضمن (عاكفون) معنى العبادة فعدي باللام.

(٤) الاستفهام للاستعلام أي: جئنا بالحق في اعتقادك أم أنت مازح فيما تقول؟

(٥) أي: لست بلاعب ولا مازح (بل ربكم رب السموات... الخ).

(٦) أقسم لهم بالله على أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان وإنما سيكيد أصنامهم فيكسرها وذلك لوثوقه بربه تعالى، ولتوطينه نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن دين الله والتناء في تالله تختص بالقسم بالله وحده، والواو تختص بكل اسم ظاهر والباء بكل مضمهر ومظهر.

(٧) (مدبرين) حال مؤكدة لعاملها.

وفعلًا لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه ^(١) لعلهم إليه يرجعون ﴿ أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربه سبحانه وتعالى عندما يتبين لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده .
- ٢- تقرير النبوة والتوحيد ، والتنديد بالشرك والمشركين .
- ٣- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل .
- ٤- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها .
- ٥- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل .

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْهَيْئَةَ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوبْ بِهِ
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ
 هَذِهِ الْهَيْئَةَ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
 رءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات :

بآهنتنا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤهلونها

بذلك .

(١) تركه لم يكسره وعلق الفأس في عنقه . وقوله : (لعلهم إليه يرجعون) : جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيها، وما في التفسير أولى وأصوب .

فتى يذكرهم : أي بالعيب والإنتقاص .
 على أعين الناس : أي ظاهراً يرونه بأعينهم .
 يشهدون : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ، ويشهدون العقوبة التي
 نزلها به .

أأنت فعلت هذا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب .
 بل فعله كبيرهم هذا : أشار إلى أصبغه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس
 قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَزَّى بإصبعه تحاشياً للكذب .
 فرجعوا إلى أنفسهم : أي بعد التفكير والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم
 لعبادتهم ما لا ينطق .
 نكسوا على رؤوسهم : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا
 كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى .
 ما هؤلاء ينطقون : فكيف تطلب منا أن نسألهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما
 استغل ابراهيم فرصة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة
 فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء
 وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في
 زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين : ﴿من فعل هذا بالهتنا
 إنه لمن الظالمين﴾ فأجاب بعضهم بعضاً قائلاً : ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي شاباً يذكر
 الآلهة بعيب وازدراء ، واسمه إبراهيم ، وهنا قالوا إذاً ﴿فأتوا به على أعين الناس﴾ لنشاهده
 ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره ، وجاءوا
 به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم : ﴿أأنت فعلت هذا﴾

(١) جائز أن يكون إبراهيم لما قال : متوعداً أصنامهم (تالله لا أكيدن أصنامكن) كان هناك من سمعه من ضعفة القوم أو سمعه
 من سمعه يعيب الآلهة قبل أن يتوعدا بالكسر .

(٢) في هذا دليل على أنه كان لا يؤخذ أحد بدعوى أحد قد لا تثبت بل لا بد من التحري حتى تثبت أو لا تثبت كما هو في
 شرعنا الإسلامي .

أي التفسير والتحطيم ﴿يا إبراهيم﴾؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿قال بل فعله^(١) كبيرهم هذا﴾ يشير بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ تقريباً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى: ﴿ثم نكسو على رؤوسهم^(٢)﴾ أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: ﴿لقد علمت﴾ أي يا إبراهيم ما ﴿هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.
- ٢- إقامة البينة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.
- ٣- أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولاً.
- ٤- مشروعية التورية خشية القول بالكذب^(٣).

قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(١) قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرّون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذا؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

(٣) الكذب: هو الاخبار بما يخالف الواقع، والتورية: أن يقول أو يفعل شيئاً ويوري بغيره تجنباً للكذب، وفي الحديث الصحيح: (لم يكذب إبراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: إني سقيم، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم) وهي في الواقع معاريف وليس بالكذب الصريح، وكانت في ذات الله تعالى.

فَعَلِينِ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

- مالا يتفعمكم شيئاً : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضرکم .
 أف لكم : أي قبحاً لكم ولما تعبدون من دون الله .
 قالوا : حرقوه : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لألهتكم التي كسرها .
 برداً وسلاماً : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه «الحبل الذي وثق به» .
 كيداً : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه .
 فجعلناهم الأخسرین : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء .
 ونجيناه ولوطاً : أي ابن أخيه هاران .
 التي باركنا فيها : وهي أرض الشام .
 ويعقوب نافلة : زيادة على طلبه الولد فطلب ولدأ فأعطاه ما طلب وزاده آخر .
 وكلاً جعلنا صالحين : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك .

معنى الآيات :

(١) يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة ألهتهم ﴿أفتعبدون﴾

(١) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتفريع .

من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴿ أي أعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت ﴿ أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ﴿ أفلا تعقلون ﴾ قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿ حرقوه ﴾ أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ التي أهانها وكسرها ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ أي مرادين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يده، ورجلاه. ولولم يقل وسلاماً لكان من الجائر أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام. روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى: ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾ أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ ونجيناه لوطاً ﴾ أي ونجيناه إبراهيم وابن أخيه هاران وهو لوط ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ وهي أرض الشام فنزل إبراهيم

(١) الاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٢) بعد أن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لاذوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج: أن الذي قال حرقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس واسمه هيزر وخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: وقيل: إن القائل: ملكهم نمrod. والله أعلم.

(٤) روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم لولم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلا أطفأت عن إبراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فلذا أمر الرسول ﷺ بقتلها وسماها الفويسقة.

(٥) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذ، وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج إبراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليهم السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمن فعل نجيناه معنى الإخراج فعدي بإلى.

(٦) قيل لها مباركة لكثرة خصبها وأنها رثما وثمارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير. إذا لزم مكانه ولم يبرحه.

بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التي بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله: ﴿باركنا فيها للعالمين﴾ أي بارك في أرزاقها بكثرة الأشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله: ﴿للعالمين﴾ وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له﴾ أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد، وزاده يعقوب نافلة^(١) وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الربّ تعالى كاملة، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومثانة أسلوبه في دعوته^(٢)، وذلك مما آتاه ربه.
- ٢- مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.
- ٣- آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.
- ٤- قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.
- فقال الله تعالى للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل.
- ٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.
- ٦- خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ.

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آئِنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ

(١) نافلة: منصوب على الحال وصاحبها: اسحق ويعقوب والنافلة الزيادة غير الموعودة.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ من سورة الأنعام.

الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْحَبِيْثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
 فَسَقِيْنَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ
 ﴿٧٥﴾ وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
 وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
 الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِيْنَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

- أئمة : أي يقتدى بهم في الخير.
 يهدون بأمرنا : أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين .
 وكانوا لنا عابدين : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا .
 ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصلاً بين الخصوم وفقهاً في الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله .
 تعمل الخبائث : كاللواط وغيره من المفساد .
 فاسقين : أي عصاة متمردين عن الشرع تاركين للعمل به .
 ونوحاً إذ نادى من قبل : أي واذكر نوحاً إذ دعا ربه على قومه الكفرة .
 من الكرب العظيم : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى : ﴿وجعلناهم﴾ أي إبراهيم واسحق ويعقوب أئمة هداة يقتدى بهم في الخير ويهدون الناس إلى

دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم . وهو معنى قوله تعالى : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾^(١) وقوله : ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وقوله تعالى : ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى : ﴿ولوطاً آتينا حكماً وعلماً ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخباث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي وكما آتينا إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتينا لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتينا أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقهاء في الدين . هذه منة وأخرى أنا نجينا من القرية التي كانت تعمل الخباث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء الى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا ، وقوله : ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين .

وقوله تعالى : ﴿ونوحاً﴾ أي واذكر يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم فقال إني مغلوبٌ فانتصر ، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين . وقوله : ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ونصرناه بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء ، وأغرقتناهم لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين .^(١)

- (١) وجائز أن يكون معنى (بأمرنا) : أي : بما أنزلنا عليهم بوحينا من الأمر والنهي كأنه قال : بكتابتنا وما بيّنا فيه من التشريع المحقق للأخذين به سعادة الدنيا والآخرة والأئمة جمع إمام وهو الرئيس الذي يقتدى به في الخير لا في الشر .
- (٢) (ولوطاً) : منصوب على الاشتغال أي : وآتينا لوطاً آتينا . والحكم : الحكمة وهو النبوة والعلم علم الشريعة .
- (٣) الخباث : جمع خبيثة وهي الفعلة الشنيعة ، ومن خباثتهم : اللواط ، والتضارط في الأندية وحذف الحصى ، والتحرش بين الديك والكلاب . والقرية هي سدوم وعمورة ، وما حولهما إذ كانت سبع مدن قلب جبريل منها ستة وأبقى واحدة للوط وعياله وهي : زغر من كورة فلسطين .
- (٤) من قبل إبراهيم ووط عليهما السلام .
- (٥) الكرب : هو الغم الشديد وهو هنا : الطوفان .
- (٦) السوء : بفتح السين مصدر : القبيح المكروه من القول والفعل وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها.
- ٢- فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .
- ٣- ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحى عباده بعبادتهم ، وخشوعهم له .
- ٤- الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار .
- ٥- التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله .
- ٦- تقرير النبوة المحمدية وتأكيدا إذ مثل هذا القصص لا يتأتى الا لمن يوحى إليه .

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
 نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
 فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
 مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
 وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
 فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾
 وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
 دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في الحرث : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلا .
 نفست فيه ^(١) : أي رعته ليلاً بدون راع .

(١) النفس : الرعي ليلا والهمل : الرعي بالنهار.

شاهدين : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك .

فقهناها : أي القضية التي جرى فيها الحكم .
وكلاً آتينا حكماً وعلماً : أي كلاً من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها .

يسبحن : أي معه إذا سبح .
وكنا فاعلين : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطيور فلا تعجبوا .

صنعة لبوس لكم : هي الدروع وهي من لباس الحرب .
لتحصنكم : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح .
فهل أنتم شاكرون : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا .
إلى الأرض التي باركنا : أي أرض الشام .
يفوصون : أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر .
ويعملون عملاً دون ذلك : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات .
وكنا لهم حافظين : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى : ﴿وداود وسليمان﴾ أي واذكر يانينا داود وسليمان ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾ أي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي ﴿نفشت فيه غنم القوم﴾ أي رعت فيه ليلاً بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الزرع يقوم عليه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا

ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى: ﴿فَفهمناها﴾^(١) أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان، ولم يعاتب داود على حكمه، وقال: ﴿وَكَلَّآ آتِينَا حَكْمًا وَعِلْمًا﴾ تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم.

وقوله: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطيور تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت، وقوله: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطيور تسبح مع سليمان لأننا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ أي داود ﴿صِنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ وهي الدروع السابغة التي تقي لاسبها طعن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى ﴿لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟﴾ أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده، وقوله ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ أي وسخرنا لسليمان ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة السرعة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ إذ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح تحمل بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام. وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ يخبر تعالى أنه كان وما زال عليماً بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة.

(١) يروى أن سليمان كان على باب المحكمة فإذا خرج الخصمان سألهما بم قضى بينكما نبي الله داود؟ فقال: قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال وما هو؟ فقال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث إلى آخر ما هو في التفسير.

(٢) اختلف هل كان حكمهما بوحى أو باجتهاد فإن كان بوحى فهو نسخ للحكم الأول بالثاني، وإن كان باجتهاد وهو ما عليه الجمهور، ولم يخطفى داود ولكن الحكم الذي ألهمه سليمان كان أرفق بالطرفين.

(٣) هذا مع إلانة الحديد له فقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ واللبوس في العربية: سلاح الحرب من سيف ورمح ودرع وغيرها واللبوس أيضاً: كل ما يلبس قال الشاعر:

إليس لكل حالة لبوسها إِمَّا نعيمها وإمَّا يؤسها

(٤) قرأ حفص: (لتحصنكم) بالتاء أي: الدروع، وقرأ نافع (ليحصنكم): أي: اللبوس وقرأ ورش لتحصنكم بالنون، والإحصان: الوقاية والحماية وفي الآية دليل على وجوب الصناعة على الكفاية.

(٥) الاستفهام هنا للأمر بالشكر.

وقوله: ﴿ومن الشياطين من يغفون له﴾^(١) أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغفون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر، ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكرراً منهم أو خديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به. هذا كله من إنعام الله تعالى على داود وسليمان وغيره كثير فسبحان ذي الأنعام والافضال إله الحق ورب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.
- ٢- بيان حكم الماشية ترعى في حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.
- ٣- فضل التسبيح.
- ٤- وجوب صنع آلة الحرب واعدادها للجهاد في سبيل الله.
- ٥- وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.
- ٦- بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.
- ٧- تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.
- ٨- كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقضيه.

(١) الغفوس: النزول تحت الماء، والغفوص: الذي يغوص لاستخراج اللآليء وفعله يقال له: الغفوصة على وزن حياكة (مهنة).

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ ﴾

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
 وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ
 ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ

﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

- وأيوب : أي واذكر أيوب .
 إذ نادى ربه : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده .
 مسني الضر : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده .
 وذكرى للعابدين : أي عظة للعابدين ، ليصبروا فيثابوا .
 وأدخلناهم في رحمتنا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقولته تعالى في الآية الأولى (٨٣) ﴿وأيوب﴾ أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أوبته ، وقد ابتليناه بالعافية والمال والولد ، فشكر وابتليناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر . أذكره ﴿إذ نادى ربه﴾ أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربّ

أي يارب ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله﴾ من زوجة وولد ﴿ومثلهم معهم﴾ أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر وأما المال فقد ذكر النبي ﷺ أنه أنزل عليه رجلاً من جرّادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه حثيثاً فقال له ربّه في ذلك فقال من ذا الذي يستغنى عن بركتك يا رب . وقوله تعالى : ﴿رحمة من عندنا﴾ أي رحمناه رحمة خاصة ، وجعلنا قصته ذكراً وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون ائتساء بعبدنا أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، وإدريس وهو اخنوخ وذا الكفل ﴿كل من الصابرين﴾ على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا ، وادخلناهم في رحمتنا فبنائنا منهم من بنائنا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- علو مقام الصبر ومثله الشكر فالاول على البأساء والثاني على النعماء .
- ٢- فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة .
- ٣- في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر .
- ٤- من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فصبرَ كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة ﴿إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها﴾ .

(١) هل قول أيوب : (ربّ إني مسني الضرّ) يتنافى مع الصبر؟ والجواب : هذه المسألة ذكر القرطبي في تفسيره نحواً من ستة عشر قولاً ، والصحيح أنّ هذا لا يتنافى الصبر لأنه دعاء ، والدليل هو قوله تعالى : (فاستجبنا له) ولم يكن شكوى لأنّ الاستجابة تأتي بعد الدعاء لا الاشتكاء ، قال الجنيد : عرفه فاقه السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال .

(٢) اختلف في مدة مرضه ، أصبح ما قيل فيها أنها ثمانى عشرة سنة وهذا مروى عن النبي ﷺ .

(٣) اختلف في ذى الكفل من هو؟ وأرجح الأقوال ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إنّ ذا الكفل لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله الشاء عليه) .

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا
لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَأَكَانُوا النَّاخِشِينَ ﴿٩٠﴾
وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

- وذا النون : هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ لأن حوته كبيرة ابتلته .
- إذ ذهب مغاضباً : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب .
- فظن أن لن نقدر عليه : أي أن لن نجسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته .
- في الظلمات : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل .
- ونجيناه من الغم : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت .
- لا تذرني فرداً : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقريته ويرث

من آل يعقوب .

رغباً ورهباً : أي طمعاً فينا ورهباً منا أي خوفاً ورجاءاً .
 أحصنت فرجها : أي صانته وحفظته من الفاحشة .
 من روحنا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام .
 آية للعالمين : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وانعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى : ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون أي يونس بن متى ﴿إذ ذهب معاضباً﴾ لربه تعالى حيث لم يصبر على بقاءه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب ، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه : ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أي ظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يحبسه في بطن الحوت ولا يضيق عليه وهو حسن ظن منه في ربه سبحانه وتعالى ، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث ، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله : ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ الذي أصابه من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته الى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب . وهو سبب المصيبة ، وقوله تعالى :

(١) قيل : (مغاضباً لربه) أي : لأجل ربه تعالى حيث عصاه قومه فكان غضبه لله تعالى وهو تأويل حسن إذ يقال : فلان غضب لله . أي : لأجله . وجائز أن يكون مغاضباً لقومه إذ ردوا دعوته ولم يستجيبوا له .

(٢) (من الظالمين) حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزه ربه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً .

(٣) روى أبو داود أنّ النبي ﷺ قال (دعاء ذي النون في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له) .

(١)

﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى: ﴿وزكريا﴾ أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً: ﴿رب﴾ أي يا رب ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي لا تتركني فرداً لا ولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ ذكر هذا اللفظ توسلاً به إلى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله . فوهبه يحيى وأصلح له زوجته بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخلق . وقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها . وقوله: ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي مطيعين ذليين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات .

وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعتة مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين ، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي عيسى كلمة الله وروحه ﴿آية﴾ أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدها فيها حيث لا يعبد غيرنا ﴿للعالمين﴾ أي للناس أجمعين

(١) قرأ ابن عامر: (نجي) بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الماضي وإضمار المصدر أي: وكذلك نجى النجاء المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى: ضرب الضرب زيداً.

(٢) قيل: الرغب: الدعاء بطون الألف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورهما. روى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا سألت الله فاسأله بطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم). وعن ابن عباس: إن رفع اليدين حذاء الصدر هو الدعاء ورفعهما حتى يجاوز بهما الرأس: فهو الابتهاج.

(٣) (رغباً ورهباً) يصح نصبهما على المصدرية وعلى الحال، وعلى المفعول لأجله.

(٤) (أحصنت فرجها): أي: عفت فامتنت عن الفاحشة، وقيل: إن المراد من فرجها فرج القميص: أي لم تعلق بشياها ريبة أي: أنها طاهرة الأنواب وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل، قال السهيلي: هذا من لطيف الكناية لأن القرآن اللفظ إشارة وأنزّه عبارة.

(٥) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله لأنه مبعوث من قبله سبحانه وتعالى .

(٦) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى عليه السلام آية.

يستدلون بها على ما ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- فضيلة دعوة ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقوي هذا الخبر.

٢- استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط.

٣- تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.

٤- فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.

٥- فضيلة العفة والاحصان للفرج.

٦- كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيى الموتى بإذن الله تعالى.

إِنَّ هَذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا يَجْعَلُونَ ﴿٩٣﴾

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ

لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبٌ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ

أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدَ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا

ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

- إن هذه أمتكم : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الانبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم .
- وأنا ربكم فاعبدون : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري .
- وتقطعوا أمرهم بينهم : أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها .
- كل إلينا راجعون : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة إلينا وسوف نجزيها بكسبها .
- فلا كفران لسعيه : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزي به وافيأ .
- وإناله كاتبون : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرا وشرها .
- وحرام : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا .
- يأجوج وماجوج : قبيلتان موجودتان وراء سد هما الذي سيفتح عند قرب الساعة .
- حـدب : أي مرتفع من الأرض .
- ينسلون : أي يسرعون المشي .
- الوعد الحق : يوم القيامة .
- في غفلة من هذا : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث .

معنى الآيات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ملة واحد من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشرك وقوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني تعالى على الناس تقطيعهم الإسلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما، وتمزيقه إلى طوائف ونحل، وقوله : ﴿وَكُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه . وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ والحال أنه مؤمن، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً . وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زميرتهم .

وقوله تعالى : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا، وهذا بناء على أن ﴿لَا﴾ مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الله تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة بالتوبة الصادقة وذلك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكتهم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم

(١) قرأ الجمهور: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ) برفع أمتكم على الخبرية ونصب أمة واحدة على الحال، والوصف . وقرأ بعض: (أمتكم أمة واحدة) بالرفع فيهما .

(٢) تفرقوا في الدين واختلفوا فيه .

(٣) (من الصالحات) من للتبويض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله (وهو مؤمن) وموحّد أيضاً فإن الشرك محبط للعمل .

(٤) في حرام قراءات ووجوه منها: (حرام) وهي قراءة الجمهور وحرم مثل جل وحلال . وحرم كمرض، وحرم كشراف، وحرم: كضرب، وحرم كبذل، وحرم كعلم مشددة اللام وحرم كفرح وحرم كقفل تسع قراءات .

لا يرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون ﴿لا﴾ صلة بل هي نافية ويرجح المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ فهو بيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدققهم في الأرض يخربون ويدمرون ﴿وهم من كل حدب﴾ وصبوب ﴿ينسلون﴾ مسرعين. وقوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ وهو يوم الدين والحساب والجزاء وقوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر ﴿يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا ﴿قد كنا في غفلة﴾ أي في دار الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- وحدة الدين وكون الإسلام هودين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.
- ٢- بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.
- ٣- وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.

(١) شاهد أن لا: نافية وليست بصلة، ويكون لفظ الحرام معناه الوجوب قول الخنساء: وإن حراماً لا أرى الدهر باكياً على شجوه إلا بكيت على صخر

تريد أخاها صخراً.

(٢) في الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: وأسأل القرية. أي أهل القرية.

(٣) الحدب: ما انقطع من الأرض، والجمع حداب مأخوذ من حدة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازدهاني تواترهم إلي من الحداب

و(ينسلون) يخرجون مسرعين، قال امرؤ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تنسل.

وقال النابغة: عسلان الذئب أمسى قارباً برد الليل عليه فنسل

أي أسرع.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: وتلّه للجبين، وناديتاه أي: للجبين ناديتاه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب إذا: فإذا هي شاخصة ويكون اقترب الوعد الحق: معطوفاً.

(٥) هي: ضمير الأبصار، والأبصار بعدها: تفسير لها كأنه قال: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد.

٤- تقرير حقيقة وهي إذا قُضِيَ بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس إلى ربهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
 هُوَ آلَاءَ آلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
 لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ هَذًا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
 ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
 بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

- وما تعبدون من دون الله : أي من الأوثان والأصنام .
 حصب جهنم : أي ما توقد به جهنم .
 لو كان هؤلاء آلهة : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش
 ما وردوها : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون
 على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم

من دخول النار.

وكل فيها خالدون : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لهم فيها زفير : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير.

سبقت لهم منا الحسنی : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة .

حسيسها : أي حسّ صوتها .

لا يحزنهم الفزع الأكبر : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين .

كطي السجل للكتب : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالى السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف .

كما بدأنا أول خلق نعيده : أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس

من قبورهم حفاة عراة غرلا، كما ولدوا لم ينقص منهم

شيء .

معنى الآيات :

يقول تعالى للمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم، وهم مشركوا قريش يقول لهم موعداً: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ (1) من أصنام وأوثان ﴿حصب﴾ (2) جهنم ﴿أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة، وقوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال. وقوله تعالى: ﴿كل فيها خالدون﴾ أي المعبودات الباطلة وعابدها الكل في جهنم

(1) قوله ﴿ماتعبدون﴾ فيه دليل على وجود العموم في الألفاظ، فإن ابن الزبير لما نزلت هذه الآية أتت به قريش وقالت له: انظر محمداً شتم آلهتنا. فقال: لو حضرت لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيراً، أفهما من حصب جهنم؟. فعجبت من مقالته ورأوا أن محمداً قد خصم. فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾. فدلّ قوله تعالى وما تعبدون على العموم وخصه الله تعالى بهذه الآية ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.

(2) قرأ الجمهور حصب بالصاد، وقرأ علي وعائشة رضي الله عنهما بالطاء أي حطب. والحصب أعم، إذ كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو حصب.

خالدون. وقوله: ﴿لهم فيها زفير^(١) وهم فيها لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الأنين وشدة الأصوات وفضاعة ألوان العذاب وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها. وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ نزلت هذه الآية رداً على ابن الزُّبَيْرِ عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وأن عيسى والعزير في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح. فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكان يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خالدون، لا يحزنهم الفزع الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون ﴿تلتقاهم الملائكة﴾ عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نظوي السماء﴾ أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿كطى^(٢) السجل﴾ أي الصحيفة للكتب. وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات. وقوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً^(٤). وقوله: ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا، وإنا على ذلك لقادرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

(١) الزفير نَفَسٌ يخرج من أقصى الرئتين لضغط الهواء من التأثير بالغم، وهو هنا من أحوال المشركين لا الأصنام.

(٢) لا يُحزنهم بضم الباء من أحزنه، ويفتحها من حزنه قراءة ثان سبعيتان، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار.

(٣) السجل: الكاتب يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها. هذا المعنى أوضح مما في التفسير.

(٤) الغرل: جمع أغرل وهو من لم يختن فتقطع منه غلفة ذكره، وأول من يكسى إبراهيم كما في صحيح مسلم.

- ٢- من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عبده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.
- ٣- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.
- ٤- بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلقة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
 يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا
 لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فقلْ ءاذنكم
 عَلَى سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
 إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
 ﴿١١٠﴾ وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهِ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ
 رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد كتبنا في الزبور : أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

من بعد الذكر : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أن الأرض ^(١)	: أي أرض الجنة .
عبادي الصالحون	: هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة
إن في هذا لبلاغاً	: أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغه لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة .
لقوم عابدين	: أي مطيعين الله ورسوله .
رحمة للعالمين	: أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة والكافرون ينجون . من عذاب الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الأمم السابقة .
فهل أنتم مسلمون	: أي أسلموا فالاستفهام للأمر .
وان ادري	: أي ما أدري .
فتنة لكم	: أي اختبار لكم .
على ما تصفون	: من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر .

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الذكر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى : ﴿إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله محمداً ﷺ إلا رحمة للعالمين^(٣)

(١) في الأرض : الأرض المقدسة ، وقال مرة انها أرض الكفار ترثها أمة محمد ﷺ

(٢) العابدون قال أبو هريرة وسفيان الثوري هم أهل الصلوات الخمس .

(٣) قال ابن زيد : المؤمنون خاصة ، والعموم أولى وأصح من الخصوص .

إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون باتباعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنون من عذاب الإبادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾^(١) يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه ولمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهكم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسولنا هذا ﴿فإن تولوا﴾ أي عرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه ﴿فقل اذنتكم﴾ أي اعلمتكم ﴿على سواء﴾ أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليّ وقوله تعالى: ﴿وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ أي وقل لهم يا رسولنا: إنني ما أدري أقرب من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أنني لا أعلم وقته. وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ أي يعلم طعنكم العلني في الإسلام وكتابه ونبيه، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحني وفي هذا إنذار لهم وتهديد، وهم مستحقون لذلك.

(٢)

وقوله: ﴿وإن أدري﴾ أي وما أدري ﴿لعله﴾ أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له يحربكم للإسلام ونبيه ﴿فتنة لكم﴾ أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متاع لكم بالحياة إلى آجالكم، ثم تعذبون بعد موتكم. فهذا علمه إلى ربي هو يعلمه، وبهذا أمرني بأن أقوله لكم. وقوله تعالى: ﴿قال رب احكم بالحق﴾ وفي قراءة قل رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بيني وبين قومي المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نعمتك بهم، وقوله: ﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾ أي وربنا الرحمن عز

(١) الاستفهام معناه الأمر أي أسلموا. كقوله تعالى ﴿فهل أنتم متبهون﴾ ؟ أي انتهوا.

(٢) لعله أي الإهمال والتأخير.

(٣) تصفون قرأ الجمهور تصفون بالتاء، وقرأ بعض يصفون بالياء.

الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى : ﴿إِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمِ عَابِدِينَ﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم .
- ٢- في القرآن الكريم البلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة .
- ٣- بيان فضل النبي ﷺ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين .
- ٤- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد .
- ٥- وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجهه العبد من صعاب وأتعاب .

سُورَةُ الْحَجِّ

مكية ومدنية^(١)

وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْقَارِبَ كُمْ إِن زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَرَىٰ وَمَاهَمُ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال : سورة الحج من أعاجيب سور القرآن . نزلت ليلاً ونهاراً سراً وحضراً مكياً ومدنياً سلمياً وحربياً ناسخاً ومنسوخاً محكما ومتشابهاً .

﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- اتقوا ربكم : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى .
 إن زلزلة الساعة : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة .
 تذهل كل مرضعة : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه .
 وتضع كل ذات حمل حملها : أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفرع .
 سكارى وما هم بسكارى : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى
 يجادل في الله بغير علم : أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى .
 شيطان مرید : أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة .
 كتب عليه أنه من تولاه : فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضلّه عن الحق .

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أي خافوا عذابه، وذلك

(١) روى الترمذي وصححه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى قوله : (شديد) قال : أنزلت عليه في سفر: فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال : (ذاك يوم يقول الله لأدم : ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال : فأنشأ المسلمون يكون فقال رسول الله ﷺ : قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أخذ من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقعة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبروا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا . قال : لا أدري قال الثلثين أم لا) . الرقعة : الهنة الناتجة في ذراع الدابة والشامة : علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

بطاعته بامثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب . وقوله : ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فكيف بالعذاب الذي يقع فيها لأهل الكفر والمعاصي ، إن زلزلة لها تتم قبل قيامها تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولدها ، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتسقط من شدة الفزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقدين لعقولهم وما هم بسكارى بشرب سكر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فخافوه لظهور أماراته ووجود بوادره .

هذا ما دلت عليه الآيتان (١) و (٢) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً ، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها فقال تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ بجلال الله وكماله ولشرايعه وأحكامه وسننه في خلقه ، ﴿وتتبع﴾ أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل ﴿كل شيطان مريد﴾ أي متجرد من الحق والخير ، ﴿كتب عليه﴾ أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضلّه عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما .
- ٢- حرمة الجدل بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله .
- ٣- حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح .
- ٤- موالاة الشياطين واتباعهم بفضي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير .

(١) الذي عليه أكثر أهل التفسير أن هذه الزلزلة تتم بنفخة الفناء بقرينة الحمل والوضع وحديث الترمذي الصحيح دال على أنها بعد البعث ، وإلجم بينهما : صحيح أولاً لآمانع من أن يقع هذا وذاك وهو كذلك والقرآن حمّل الوجوه ، فهذا الهول العظيم سيقع حتماً في النفخة الأولى ، وفي ساحة فصل القضاء ، وأما موضوع الحمل والوضع فكانت أيضاً في عرصات القيامة إذ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه فالحامل تبعث حاملاً والمرضع تبعث ترضع أيضاً .

(٢) قال قتادة ومجاهد : من تولى الشيطان فإنه يضلّه .

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي
 رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
 مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
 وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
 طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَوِّفُ
 وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

الْقُبُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

- في ريب من البعث : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث
 الحياة بعد الموت .
 من نطفة : قطرة المني التي يفرزها الزوجان .
 علقة : أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين
 يوماً .
 مضغة : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة اليها بعد
 أربعين يوماً .
 وغير مخلقة : أي مصورة خلقاً تاماً، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط

- قبل تمام خلقه .
- لنبين لكم : أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون .
- ونقر في الأرحام ما نشاء : أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً .
- لتبلغوا أشدكم : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم .
- إلى أرذل العمر : أي سن الشيخوخة والهزم فيخرف .
- لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه .
- هامدة : خامدة لآحراك لها ميتة .
- اهتزت وربت : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت .
- زوج بهيج : أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه .
- ذلك بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي لا إله سواه ، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل .
- وان الساعة آتية : أي القيامة .
- يبعث من في القبور : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم أحياء كما كانوا قبل موتهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي في شك وحيرة وقلق نفسى من شأن بعث الناس أحياء من قبورهم بعد موتهم وفنائهم لأجل حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقديّة وهو أن الله تعالى قد خلقكم من تراب أي خلق

(١) هذا دليل قاطع وهو دليل البدأة الأولى فمن قدر على البدأة قادر عقلاً على الإعادة وهي أهون عليه .

أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من نطفة أي ماء الرجل وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقه بعد تحول النطفة إليها ثم من مضغة بعد تحول العلقة إليها وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحوّلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من الرحم كما هو معروف ومشاهد، وفعل الله ذلك من أجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه وتعظّموه وتحبوه وتطيعوه وقوله: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً﴾ أي ونقر تلك المضغة المخلفة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانتهاء حملة ونخرجكم طفلاً أي أطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم، ثم ننمّكم ونربّكم بما تعلمون من سنننا في ذلك ﴿ثم لتبغّلوا أشدكم﴾ أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارضال العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علم كان له قبل هرمه شيئاً هذا دليل البعث وهو دليل عقلي منطقي وبرهان قوي على حياة الناس بعد موتهم إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية. ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وترى الأرض﴾ أيها الإنسان ﴿هامدة﴾ خامدة ميتة لا حراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء ﴿اهتزت﴾ أي تحركت ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وانتفخت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿من كل زوج بهيج﴾ جميل المنظر حسنه، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل

(١) النطفة: المني، وسمي نطفة لقلته.

(٢) العلقة: الدم الجامد، والعلق: الدم العبيط أي: الطري.

(٣) هذه الأطوار أربعة أشهر، قال ابن عباس: وفي العشر بعد الأربعة أشهر ينفخ فيه الروح، فذلك عدّة الوفاة منها أربعة أشهر وعشر، وفي الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم ليجتمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات. . . رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

(٤) روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لسقط أقدّمه بين يدي أحب إليّ من ألف فارس أخلفه وراثي).

(٥) أي: فخرج كل واحد منكم طفلاً، ويطلق الطفل على الولد من يوم انفصاله إلى البلوغ وولد كل وحشية يقال له طفل ويوصف به مفرداً كالمصدر فيقال: جارية طفل وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلّام طفل وغلّامان طفل، ويجمع الطفل على أطفال، وأطفلت المرأة: صارت ذات طفل.

وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قوله كهذه قدرة عفتة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس وأشرفهم . ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾^(١) أي الرب الحق والإله المعبود الحق، وما عداه فباطل ﴿وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾^(٢) ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك ﴿بأن الله هو الحق﴾ الخ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة .
- ٢- بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته .
- ٣- الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك .
- ٤- تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

(١) لما ذكر تعالى افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره في قوله (يا أيها الناس) إلى قوله: (بهيج) قال ذلك إشارة إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه وإحياء الأرض بعد موتها وانشقاق النبات منها أي: ذلك حصل بسبب أن الله هو الإله الحق دون غيره .

(٢) ومن براهين ألوهيته الحققة دون من سواه أنه يحيى الموتى وأنه على كل ما يريد قدير وأنه موجد الدنيا والآخرة وسيفني هذه في ساعة آتية لا محالة، وسيبعث الناس من القبور للحياة الثانية فيخلدوا فيها منهم شقي ومنهم سعيد .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
 وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ ۚ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ
 بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَهُ
 فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ
 وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ
 ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

يجادل في الله : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء
 كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى ، وهذا المجادل هو
 أبوجهل .

بغير علم : أي بدون علم من الله ورسوله .

ولا كتاب منير : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق
 ويبطل الباطل .

ثاني عطفه : أي لاوى عنقه تكبراً ، لأن العطف الجانب من الإنسان .

له في الدنيا خزي : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتر رأسه .

بظلام للعبيد : أي بذى ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم .

يعبد الله على حرف : أي على شك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به

وأغلب هؤلاء أعراب البادية .

- اطمأن به : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به .
 وإن أصابته فتنة : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه .
 إنقلب على وجهه : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي .
 مالا يضره ولا ينفعه : أي صنماً لا يضره إن لم يعبد، ولا ينفعه إن عبده .
 لبشش المولى : أي قبح هذا الناصر من ناصر .
 ولبشش العشير : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة، وهذه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد ان يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء، ولا علم من وحي عنده، ولا من كتاب إلهي موحي به إلى أحد أنبيائه . وقوله تعالى : ﴿ثاني عطفه﴾ وصف له في حال مشيه وهو يجرد رداءه مصعراً خده مائلاً إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الانتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في الحياتين . وقوله تعالى : ﴿له في الدنيا خزي﴾ أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين، وقوله تعالى : ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروجه في النار ويوم

(١) نير بين الحجة قوبها، والمراد من الكتاب : كتب الشرائع مثل : التوراة والانجيل من الكتب الأولى والقرآن آخرها نزولاً .
 (٢) في هذه الآية إخبار بغيث فكان كما أخبر تعالى فإن كلا من أبي جهل والنضر بن الحارث قد أذلهما الله وأخذهما بيد، فأبو جهل قتل وأخذ رأسه، والنضر قتل صبراً، والآية قطعاً نزلت بمكة فهي من معجزات القرآن الكريم .

القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى : ﴿وذلك بما قدمت يداك﴾ أي، يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والهوان وعذاب الحريق بما قدمت يداك من الشرك والظلم والمعاصي، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، وأنت منهم والله ما ظلمك بل ظلمت نفسك، والله منتزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على شك هذه شخصية ثالثة عطفت على سابقتها وهي شخصية بعض الاعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصابهم خير من مال وصحة وعافية اطمأنوا إلى الإسلام وسكنت نفوسهم واستمروا عليه، وإن أصابتهم فتنة أي اختبار في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه فخسروا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها، قال تعالى : ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس، وقوله تعالى ﴿يدعو من دون الله﴾ أي ذلك المنقلب على وجهه المرتد يدعو ﴿ملا يضره﴾ أي صنماً لا يضره لو ترك عبادته ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده وقوله تعالى : ﴿ذلك هو الضلال العبيد﴾ أي دعاء وعبادة مالا يضر ولا ينفع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيد أيضاً قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي . وقوله : ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها . قال تعالى : ﴿لبس العشير﴾ المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم يوم القيامة، تنفيراً لهم من الشرك

(١) هذه الآية نزلت بالمدينة النبوية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً وتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء .

(٢) حرف كل شيء : طرفه وجانبه والآية تمثيل لحال المتردد في عمله .

(٣) أي : في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعاً أصلاً وإنما قال : (ضره أقرب من نفعه) ترفيعاً للكلام نحو : (إننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعنى الكلام : القسم والتأخير أي : يدعو والله من ضره أقرب من نفعه، والمدعو هو الوثن الذي عبده من دون الله تعالى .

(٤) هذه الجملة تحمل الظم والتقيح للأصنام التي يدعوها المشركون فإنها شر الموالى وشر العشير، لأن شأن الولي جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيرته فإذا كان العكس كانا شر الموالى والعشراء .

(٥) قال تعالى من سورة يونس : (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وهذا منهم على فرض إن بعثوا أحياء يوم القيامة أو يرجون شفاعتهم في الدنيا .

وعبادة غيره سبحانه وتعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم .
- ٢- ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن .
- ٣- عدم جدوى عبادة صاحبها شك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها .
- ٤- لا يصح دين مع الشك .
- ٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين .

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ
يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- وعملوا الصالحات : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير .
يفعل ما يريد : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك من رحمته المؤمن
وعذاب الكافر .
أن لن ينصره الله : أي محمداً صلى الله عليه وسلم .

- فيلمدد بسبب : أي بحبل .
 إلى السماء : أي سقف بينه وليخنتق غيظاً
 هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيظه .
 وكذلك أنزلناه : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن .
 هادوا : أي اليهود .
 والصابئين : فرقة من النصارى .
 والمجوس : عبدة النار والكواكب .
 على كل شيء شهيد : أي عالم به حافظ له .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمتردد بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعدوه وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم^(١) وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢) ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإننا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوء نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبل^(٣)، وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟^(٤)

(١) هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكل ما تقدم لقوله: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) ومتضمنة تعليلاً اجمالياً لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك.

(٢) الظاهر أن هذا فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين وهما: فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يغتاظون لانصار النبي ﷺ لأنهم لا يردون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره ﷺ كأننا فكلمنا وأوا نصراً له ازدادهم واشتد كرههم لأن انتصاره يحزنهم ويخيفهم.

(٣) قرأ الجمهور: (ليقطع) بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعض (ليقطع) بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف.

(٤) (هل يذهبن كيده ما يغيظ) الاستفهام انكاري، وما: مصدرية أي: هل يذهبن كيده غيظه.

الحج

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾ أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحات تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكير فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ وهم المسلمون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين﴾ وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم عبدة الصليب ﴿والمجوس﴾ وهم عبدة النار والكواكب ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعاً سيحكم الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- 1- كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء.
- 2- إن الله ناصر دينه، ومكرم أهله، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق.
- 3- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- 4- تقرير ارادة الله ومشيتته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد.

(1) هذه الآية نزلت كالفلكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بالقابهم وأعلمتهم أن الحكم فيهم مؤجل إلى يوم القيامة وسيكون عادلاً لعلم الله تعالى بهم وحفظه لأعمالهم..

(2) لذا فهم يبتون إلهين لإله للخير وإله للشر وهم أهل فارس، وأقدم النحل المجوسية أسسها ملك فارسي قديم في التاريخ يدعى (كبومرث).

(3) هذا تفسير لقوله تعالى في الآية: (إن الله يفصل بينهم) إذ الفصل هو الحكم.

الَّتَرَاتِ اللَّهُ

يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- ألم تر : أي ألم تر بقلبك فتعلم .
يسجد له : أي يخضع ويدل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى .
من في السموات : من الملائكة .
والدواب : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض .
حق عليه العذاب : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به .
ومن يهين الله : أي يُسْخِطُهُ فِي عَذَابٍ مَهِينٍ .
فماله من مكرم : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده ، وقد أشقاه الله .

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى لرسوله : ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول بقلبك فتعلم ﴿أن الله يسجد له من في السموات﴾ من الملائكة ﴿ومن في الأرض﴾ من الجن والدواب ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس حق عليهم العذاب أي وجب لهم العذاب وثبت ، فهو لا يسجد سجود عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجد لنا بالصباح والمساء ، وقوله تعالى : ﴿ومن يهين الله فما له من مكرم﴾ أي ومن أراد الله إشقائه وعذابه فما له من مكرم يكرمه برَفْعِ

(١) قال القرطبي : هذه رؤية القلب أي : ألم تر بقلبك ، وعقلك .

(٢) قد استعمل السجود في هذه الآية . في حقيقته ومجازه .

(٣) وكذلك خضوعهم لأحكام الله تعالى فيهم ومجاري أقداره عز وجل عليهم من صحة ومرض وغنى وفقر وحياة وموت .

العذاب عنه واسعاده في دار السعادة وقوله: ﴿إِن اللّٰه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخلق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة سائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١- تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢- سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣- كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فاكثر افراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين.

٤- التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: ﴿إِن اللّٰه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا ﴾

فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَّقْمَعُونَ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوءٌ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءٌ إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

(١) الجملة تعليلية لما سبق من أحكام الله تعالى بالإكرام والإهانة بحسب الطاعة والعصيان.

شرح الكلمات :

- خصمان : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخضم صاحبه .
 اختصموا في ربهم : أي في دينه .
 قطعت لهم ثياب : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم .
 يصهر به ما في بطونهم : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها .
 مقامع من حديد : جمع مقمعة وهي آلة من حديد كالمجن .
 وذوقوا عذاب الحريق : أي يقال لهم توبيناً وتقريعاً : ذوقوا عذاب النار .
 ولؤلؤا : أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب .
 إلى الطيب من القول : هو شهادة أن لا إله إلا الله .
 إلى صراط الحميد : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل إلى رضاه وجنته .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ هذان خصمان ﴾^(١) الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر ﴿ اختصموا في ربهم ﴾ أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق ، وماتوا على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ﴿ فالذين كفروا ﴾ وهم أهل الدين الباطل ادخلوا النار وفصلت لهم ثياب من نار ﴿ يصب من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ أي الماء الحار المتتهي في الحرارة ، ﴿ يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴾ من لحم وشحم ، ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ يضربون بها ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها ﴾ أي من النار بسبب ما ينالهم من غم عظيم ﴿ أعيدوا فيها ﴾ أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج

(١) روى مسلم عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً : (إن هذان خصمان اختصموا في ربهم) أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة وشيبة أبناء ربيعة والوليد ابن عتبة ، وقال علي رضي الله عنه إني لأرؤ من يجئ للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة . يريد قصته في المباراة هذه ، وعموم الآية يشمل الخصومة بين أهل الإسلام وأهل الكتاب ، كما يشمل خصومة الجنة والنار لحديث مسلم (احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلها الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه يدخلها الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها) .

(٢) قطعت : فصلت أي : تقطع لهم في الآخرة ثياب من نار ، وذكر بلفظ الماضي لأن ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق ، كما قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس . . .) أي : يقول الله وجائز أن يكون قد أعدت لهم تلك الثياب ليلبسوها يوم القيامة وهذا أولى . وتلك الثياب من النحاس المذاب وهي السراويل المذكورة في سورة إبراهيم من قطران .

(٣) الصهر : إذابة الشحم والصهارة : ما ذاب منه .

منها، ويقولون لهم: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق . فهذا جزاء الخضم الكافر، وأما الخضم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً^(١)﴾ أي أساور^(٢) من لؤلؤ محلاة بالذهب ﴿ولباسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿حرير﴾ وقوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسبيح وكل كلام طيب، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهذا الطريق الموصل إلى رضاربهم وهو الإسلام، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا به وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حتى أن الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر للمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.
- ٢- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.
- ٤- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى .
- ٥- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ
وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٤٥﴾

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤاً .

(٢) قالت العلماء: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة . سوار من ذهب ، وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة .

(٣) روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبيسه أهل الجنة ولم يلبسه هو) وضح قوله ﷺ (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة) .

شرح الكلمات :

- كفروا : جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم .
ويصدون عن سبيل الله : يمنعون الناس من الإسلام ، ويصرفونهم عنه .
والمسجد الحرام : مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها^(١) .
العاكف : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام .
والباد : الطاريء عن مكة النازح إليها .
بإلحاد بظلم : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره .

معنى الآية الكريمة :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل من كفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف الناس عن الدخول في الإسلام ، وعن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامة في كل من كفر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسُّك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه ، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطاريء القدم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة والمسجد الحرام للتعبد .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبه كالشرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره . وقوله تعالى : ﴿نَذَقَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله

(١) هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو شائع لغة شائع تعبيراً .

(٢) أي : وهم يصدون ، وقيل الواو مزيدة أي : إن الذين كفروا يصدون ، وهذا ضعيف والصحيح أن خبر إن محذوف تقديره : خسروا وهلكوا ولا يصح أن يكون نذقه لأنه مجزوم .

(٣) كان في الصدر الأول أبواب دور مكة مفتوحة لكل من يريد النزول بها حاجاً أو معتمراً حتى سرق منزل أحدهم فاتخذ له باباً فأنكر عليه عمر ذلك فقال الرجل : إنما اتخذت الباب لأحفظ لهم متاعهم فتركه عمر فاتخذ الناس من يومئذ الأبواب . قال مالك . دور مكة ليست كالمسجد بل لهم أن يمنعوا من النزول بها من شاءوا .

(٤) (نذقه) جواب من : الشرطية في قوله : (ومن يرد فيه بإلحاد) .

والمسجد الحرام ومن أراد فيه إحداداً^(١) بظلم لنفسه أو لغيره.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- التنديد بالكفر والصدء عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك .

٢- مكة بلد الله وحرمة من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي ، وخاصة الشرك والظلم والضلال .

٣- عظيم شأن الحرم حيث يؤخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل .

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي
شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
مَنْفَعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا
نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

(١) الباء : في إحداد : الاجماع على أنها صلة لتقوية الكلام لشيوع مثلها في كلام العرب والأصل : ومن يرد فيه إحداداً قال الشاعر :

نحن بنو جملة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

الفلج : موضع لبني جملة بن قيس بنجد .

(٢) لا يؤخذ المؤمن بالنية السيئة في أي بلد كان إلا بمكة المكرمة لهذه الآية .

شرح الكلمات :

- وإذ بوأنا لإبراهيم : أي أذكر يارسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت .
- أن لا تشرك بي شيئاً ^(١) : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء .
- وطهر بيتي : ونظف بيتي من أقدار الشرك وأنجاس المشركين .
- وأذن في الناس بالحج : أعلن في الناس بأعلى صوتك .
- رجالاً وعلى كل ضامر : مشاة وركباناً على ضوامر الإبل .
- فج عميق : طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض .
- في أيام معلومات : هي أيام التشريق .
- بهيمة الأنعام : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها .
- البائس الفقير : أي الشديد الفقر .
- ليقضوا تفثهم : أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام .
- وليوفوا نذورهم : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ ^(١) ﴾ أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى إبراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربه مكان البيت ليبيّنه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقدار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكْع جمع راعع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمه، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك عن المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق، فأين يذهب

(١) (أن) : الصحيح أنها تفسيرية والقول أو ما في معناه : مقدر فيها نحو قلنا أو وصينا أو عهدنا .

(٢) يقال : بوأه كذا وبوأ له كذا فاللام مزيدة لتقوية الكلام كما يقال مكنته من كذا، ومكنت له كذا، ومعنى بوأنا لإبراهيم أي : أريناه أصله . وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه .

الحج

بعقولهم عندما يدعون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل . هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ .^(١)

وقوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أي وعهدنا إليه أمرين إياه أن يؤذن في الناس بأن ينادي معلنا معلماً: أيها الناس إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فحجوه ففعل ذلك فأسمع الله صوته من شاء من عباده ممن كتب لهم أن يأتوا الحجاً وسهل طريقهم وحجوا فعلاً ولله الحمد والمنة .

وقوله تعالى : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي عليك النداء وعلينا البلاغ فنَادِ ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾ من النوق المهازيل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد في أغوار الأرض وأبعادها كالأندلس غرباً وأندونيسيا شرقاً . وقوله تعالى : ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي يأتوك ليشهدوا منافع لهم دينية كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم ، وتعلم دينهم من علمائهم ، وديونة كريح تجارة بيع وشراء وعرض سلع وأنواع صناعات ، وقوله تعالى : ﴿ويذكروا اسم الله﴾ شاكرين لله تعالى إنعامه عليهم وإفضاله وذلك في أيام الحج كلها من العشر الأول من ذي الحجة إلى نهاية أيام التشريق بالصلاة والذكر والدعاء ، كما يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحر الإبل وذبح البقر والغنم بأن يقول الناحر أو الذابح بسم الله والله أكبر وقوله تعالى : ﴿فكلوا منها﴾ أي من بهيمة الأنعام التي نحرتموها أو ذبحتموها تقريباً إلينا كهدي التمتع أو التطوع ، ﴿واطعموا البائس الفقير﴾ وهو من اشتد به الفقر وقوله تعالى : ﴿ثم ليقتضوا تفثهم﴾ بإزالة الشعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام . وقوله : ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أن من كان منهم قد نذر هدياً بذبحه في الحرم فليوف بذلك إذ هذا أوان الوفاء بما نذر أن ينحره أو يذبحه

(١) وقرئ : (وَأَذِّنْ) بمعنى : أعلم ، (وَأَذِّنْ) : قراءة الجمهور وهي أولى ، والأذان : الإعلام .

(٢) روي عن ابن عباس وابن جبير : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت ، وقيل له : أذن في الناس بالحج قال له يا رب : وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعليّ البلاغ فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليشيكنم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فأجابهم من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة إن أجاب مرة فمرة وإن أجاب مرتين فمرتين ومرت ثالثة على ذلك .

(٣) السنة في ذبح الأضحية أن تكون بعد صلاة العيد ، ومن ذبح قبل ذلك أعاد لقوله ﷻ : (من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم) ويستحب في ذبح الأضحية والهدي أن يقول بعد التسمية الواجبة : اللهم منك ولك .

(٤) المشهور وعليه الأكثر أن أيام النحر ثلاثة وهي : أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد .

الحج

بالحرم. وقوله: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح إلا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤدي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقدار كالأبوال والدماء ونحوها.
- ٢- مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.
- ٣- جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.
- ٤- وجوب شكر الله تعالى وذكره.
- ٥- جواز الأكل من الهدى ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.
- ٦- وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.
- ٧- وجوب الوفاء بالنذور الشرعية أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.
- ٨- تقرير طواف الإفاضة^(١) وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ذَلِكَ وَمَنْ

يُعْظِمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ

لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

حِنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَانَ خَرَمًا مِمَّنْ

السَّمَاءِ فَتَخَفَطُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣١﴾

(١) لقوله لا وفاء لنذر في معصية الله، وقال ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه.

(٢) أما طواف القدم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعدر عند أكثر أهل العلم، لسقوطه عن الحائض أجماعاً، ومن أهل العلم من يرى طواف القدم سنة ليس بواجب.

﴿٢٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- ذلك : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت . . وكذا وكذا . .
 حرّمات الله : جمع حرمة ما حرّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .
 فهو خير له عند ربه : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرّمات الله فلا ينتهكها .
 إلا ما يتلى عليكم : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به .
 فاجتنبوا الرجس : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .^(١)
 واجتنبوا قول الزور : وهو الكذب وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور
 حنفاء لله : موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .
 خرّ من السماء : أي سقط .
 فتخطفه الطير : أي تأخذه بسرعة .
 شمائر الله : أعلام دينه وهي هنا البُذُن بأن تختار الحسنة السمينة منها .
 فإنها من تقوى القلوب : أي تعظيمها ناشىء من تقوى قلوبهم .
 لكم فيها منافع : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .
 إلى أجل مسمى : أي وقت معين وهو نحرها بالحرّم أيام التشريق .
 ثم محلها إلى البيت : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرّم .
 العتيق

معنى الآيات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي الأمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث أي إزالة شعر الرأس وقص الشارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا والضحايا ، ﴿ومن يعظم﴾ منكم ﴿حرّمات الله﴾ فلا ينتهكها ﴿فهو خير له﴾ أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربه يوم يلقاه وقوله تعالى : ﴿وأحلّت لكم

(١) وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

الأنعام ﴿ أي الإبل والبقر والغنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى : ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتُمْ وما ذبح على النصب ﴾ وقوله : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإنها رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا غيرها غضبا لله وعدم رضا بها وعبادتها، وقوله : ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزه، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله ، ﴿ حنفاء لله غير مشركين ﴾ أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام ، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله ﴾ إلهاً آخر فعنده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحالها في خسارته وهلاكه هلاك من خرَّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور، أو تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبده معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حماة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ أي الأمر ذلك من تعظيم حرمان الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسار المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدي للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشىء عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك

(١) الرجس : الشيء القذر، والوثن : التمثال من خشب أو حديد وغيرهما ومن : كونها لابتداء الغاية أولى ليعم الأمر اجتناب كل رجس في اعتقاد أو قول أو عمل إذ كل الأنجاس محرمة .
(٢) لفظ : حنفاء : من الأضداد يقع على الاستقامة والميل معاً، ومعناها مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان إلى الإسلام .

(٣) الشعائر : جمع شعيرة : وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر عباده به وأعلمهم ، والشعار : العلامة، ومنه شعار الحرب وإشعار : البينة لتعلم أنها مهداة للحرم ، فشعائر الله : أعلام دينه لاسيما المناسك وما يتعلّق بها .
(٤) أضيفت التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب، والتقوى من الخوف والخوف في القلب ويشهد لهذا قوله ﷺ : (التقوى ها هنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات .

على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ مَحَلُهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تعظيم حرمان الله لما فيها من الخير العظيم .
- ٢- تقرير حليّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها .
- ٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله .
- ٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة .
- ٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك .
- ٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها .
- ٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا وَوَجْدًا فَلَهُمْ سَلَامٌ وَأَبْشُرُوا بَشِيرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا

(١) في الصحيح أن رجلاً يسوق بدنة فقال له النبي ﷺ (اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال : اركبها قال : إنها بدنة، وفي الثالثة قال له ﷺ : اركبها وملك).

(٢) إن كان الهدى في الحج فمحلّه بعد رمي جمره العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدى مهدي إلى الحرم فمحلّه مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله .

(٣) وفي الصحيح : (إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور . . .) الحديث .

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
 جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَنَاعَ وَالْمَعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
 لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا
 وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
 اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

منسكاً : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى ،
 ومكان الذبح يقال له منسك .

فله أسلموا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه .

وبشر المنتخبين : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين .

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته .

والبدن : جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى
 الله تعالى .

من شعائر الله : أي من أعلام دينه ، ومظاهر عبادته .

صواف : جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى .

فإذا وجبت جنوبها : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها .

القناع والمعتر : القناع السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء
 وعفة .

(١) القناع : من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل ، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور
 العين فعل كعلم ، وفعل : من لا قناعة له فهو يسأل فعل : بفتح العين كمنصع ينصح .

كذلك سخرناها	: أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.
لعلكم تشكرون	: أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته .
لن ينال الله لحومها	: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم ، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .
لتكبروا الله على ما هداكم	: أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شكراً له على هدايته إياكم .
وبشر المحسنين	: أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقله تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعدوننا فيه ومنسكاً أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله : ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة : وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر . وقوله تعالى : ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد ﷺ ﴿وبشر المختبين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المختبين معرفاً بهم الذين تنالهم البشري على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلّت قلوبهم﴾ أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ،

(١) يقال : نسك ينسك نسكاً : إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى ، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها : نسك ، ومنها قوله تعالى : (أو صدقة أو نسك) والنسك : الطاعة لله ، وهي عبادته ، ومن ذلك قولهم : تنسك فلان : أي تعبد فهو ناسك ومتنسك ، والنسك بفتح السين وكسرهما موضع العبادة ، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدي فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة .

(١) ﴿والمقيم﴾ الصلاة أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ مما قل أو كثر ينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم .

وقوله تعالى : ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلكم من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا ، ﴿لكم فيها خير﴾ عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذ ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي قولوا بسم الله والله أكبر عند نحرها ، وقوله : ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى ، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾ الذي يسألكم ﴿والمعتر﴾ الذي يتعرض لكم ولا يسألكم حياءً ، وقوله تعالى : ﴿سخرناها لكم﴾ أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناها لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناها لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر . وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (٣٧) قوله : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لن يرفع إليه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منه ، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه .

(١) قرأ الجمهور: بكسر التاء من الصلاة على الإضافة، وقرأ أبو عمرو: (الصلاة) بفتحها على توهم النون، وأن حذفها كان للتخفيف لطول الاسم . وأنشد سيبويه :

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نطف

النطف : التلطف بالعيب والالتهام بريية أو فجور .

(٢) البدن : بضم الباء والدال، والبدن : بضم الباء وإسكان الدال لغة فصيحة وقرأ الجمهور: (والبدن) بإسكان الدال واحدها بدنة كثمرة وثمر، وخشبة وخشب وسميت بدنة لأنها تبتدئ، والبدانة : السمن، وتطلق على البقر على الصحيح فمن نذرها أجزاءه البقرة، وهي كالبعير تجزي عن سبعة في هدي التمتع والقران .

(٣) أصل هذا اللفظ مأخوذ من صفن الفرس إذا وقف على ثلاثة أرجل، ورفع الرابعة ومنها : تنحر الإبل بعد أن توقفت على ثلاثة وتعقد اليد اليسرى منها، وقرئ (صوافي) و(صواف) من الصفاء الذي هو الخلوص لله تعالى أي : خالصة له عز وجل .

(٤) القانع : اسم فاعل من قنع يقنع فهو قانع : إذا سأل وتذلل في السؤال : أما القانع بمعنى : ذي القناعة ففعله قنع بكسر النون قناعة : إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل قال مالك : أحسن ما سمعت أن القانع : الفقير، والمعتر، الزائر وهو موافق في المعنى لما تقدم، ويؤيد هذا قراءة الحسن : (والمعتر) وهو الذي يتعرض لك ويأتيك بدون علم منك .

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما : لن يصعد إليه . أي اللحم والدم، ولكن الذي يصل إليه التقوى منكم وما أريد به وجهه .

وقوله تعالى : ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلّة أن تكبروا الله على ما هداكم إليه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق . وقوله تعالى : ﴿وبشر المحسنين﴾ أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمداً ﷺ أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوحدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع .
- وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى ، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر .
- ٢- تعريف المختبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم .
- ٣- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام .
- ٤- بيان كيفية نحر البدن ، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها .
- ٥- الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها .
- ٦- وجوب شكر الله على كل إنعام .
- ٧- مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق .
- ٨- فضيلة الإحسان وفوز المحسنين بشرى على لسان رسول الله ﷺ .

﴿إِنَّ اللَّهَ



يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُرْفَعُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

يدافع : قُرَىء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين .
 خوان : كثير الخيانة لأمانته وعهوده .
 كفور : أي جحد لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه .
 بأنهم ظلّموا : أي بسبب ظلم المشركين لهم .
 بغير حق : أي استوجب إخراجهم من ديارهم .
 إلا أن يقولوا ربنا الله : أي الا قولهم : ربنا الله والله حق ، وهل قول الحق يُسَوِّغ إخراج قائله؟

صوامع وبيع : معابد الرهبان وكنائس النصارى .
 وصلوات : معابد اليهود ، باللغة العبرية مفردھا صلوثا .
 ومساجد : أي بيوت الصلاة للمسلمين .
 من ينصره : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين .
 قوي عزيز : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد .
 إن مكناهم في الأرض : أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم .

ولله عاقبة الأمور . : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويُعاقب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى : ﴿إِنْ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْ (١) الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم . وقوله : ﴿إِنْ اللَّهَ لَا يَجِبُ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢) تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به ، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم ، وليس لهم . ومقابله أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه ، ومن أجبته ودافع عنه وحماه من أعدائه .

وقوله تعالى : ﴿أُذِّنُ لِلَّذِينَ يِقَاتِلُونَ﴾ باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أُذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي قِتَالِ أَعْدَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَمَا كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْ ذَلِكَ لِحِكْمَةِ يَعْلَمُهَا رَبُّهُمْ ، وَهَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ تَحْمِلُ طَابِعَ الْحَرْبِ بِالْإِذْنِ فِيهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَإِنْ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي بدون موجب لإخراجهم اللهم إلا قولهم : ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال ، ونصرة الله تعالى لهم . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل ﴿لَهْدَمَتْ

(١) روي أن هذه الآية : (إن الله يدفع . .) نزلت بسبب أن المؤمنين بمكة لما كثر اضطهاد المشركين لهم فكّر بعضهم في اغتيال الكفار ، والاحتياط عليهم والغدر بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله : (كفور) .

(٢) قرأ الجمهور : (يدافع) وقرأ بعضهم : (يدفع) .

(٣) الخوّان : كثير الخيانة ، وهي الغدر ، والغدر من شر الصفات ، فقد صحّ (أن الله تعالى ينصب يوم القيامة للغادر لواءً عند آسته بقدر غدرته : يقال هذه غدرة فلان بن فلان) !!

(٤) هذه الآية نزلت بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إليها وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأول فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم .

(٥) قوله : (إلا أن قالوا ربنا الله . .) الاستثناء منقطع أي : لكن لقولهم ربنا الله أي : وحده لا رب لنا سواه استمرت مدة السلم ثلاث عشرة سنة ، وفي السنة الأولى من الهجرة أذن الله تعالى للمؤمنين بقتال المشركين إذ قد أعذر الله تعالى إليهم .

(٦) في الآية دليل على أن أمر الجهاد متقدم في الأمم قبل هذه الأمة وبه صلحت الشرائع وعبد الناس ربهم ، واستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم .

صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴿ وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحو للمؤمنين أن يعبدوا الله - وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع إليها .

وقوله تعالى : ﴿ ولينصروا الله من ينصره إن الله لقوي ﴾ أي قدير ﴿ عزيز ﴾ غالب فمن أراد نصرته نصره ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض ، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله ﴿ الذين إن مكناهم ﴾ أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه المطلوب منهم ، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم ، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيه وإقامته ، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد ، وذلك يوم القيامة ، وعليه فليراقب الله وليتق في السر والعلن وليتوكل عليه ، ولينب إليه ، فإن مرد كل أمر إليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم .
- ٢- كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة .
- ٣- مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أوليائه .
- ٤- بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله .

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى ، وإنما يمتنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام .

(٢) هذه عامة في هذه الأمة وليست خاصة بالخلفاء الراشدين الأربعة ولا بالصحابة والتابعين بل هي عامة فيمن مكن الله تعالى لهم في الأرض فسؤدهم وحكمهم وجب عليهم أن يقوموا بفعل ما ذكر في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥- بيان أسس الدولة التي ورث الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي :
إقام الصلاة - إيتاء الزكاة - الأمر بالمعروف - النهي عن المنكر .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
 وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
 أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ
 أَهَلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
 وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
 لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذا فلا تأس إذ
 لست وحدك المكذب .

وأصحاب مدين : هم قوم شعيب عليه السلام .

وكذب موسى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط .

فأملت للكافرين : أي أهملتهم فلم أعجل العقوبة لهم .

ثم أخذتهم : أي بالعذاب المستأصل لهم .

فكيف كان نكير : أي كيف كان إنكارهم عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعاً؟

نعم إذ الإستفهام للتقرير .

فهي خاوية على : أي ساقطة على سقوفها .

عروشها

بئر معطلة	: أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها .
وقصر مشيد	: مرتفع مجصص بالجص .
فإنها لا تعمي	: أي فإنها أي القصة لا تعمي الأبصار فإن الخلل ليس في
الأبصار	أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعمأها الهوى وأفسدتها الشهوة
	والتقليد لأهل الجهل والضلال .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات للمؤمنين فإنه لما أُذِن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصر لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم يلقونه . قال لرسوله ﷺ مسلماً له عن تكذيب المشركين له : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ ﴾ أيها الرسول فيما جئت به من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن ﴿ فقد كذبت قبلهم ﴾ أي قبل مُكذِّبِك من قريش والعرب واليهود ﴿ قوم نوح وعاد ﴾ قوم هود ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح ﴿ وقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وكُذِّب موسى ﴾ أيضاً مع ما أتيناها من الآيات البينات ، وكانت سستي فيهم أني أمليت لهم أي مددت لهم في الزمن وأرخت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحقت عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر ﴿ فكيف كان نكير ﴾ ، أي انكاري عليهم؟ كان وربك واقعاً موقعه ، وليس المذكورون أخذت فقط . . ﴿ فكأين من قرية ﴾ عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها ﴿ أهلكتناها وهي ظالمة ﴾ أي ضالعة في الظلم أي الشرك والتكذيب ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾ أي ساقطة على سقوفها ، وكم من بئر ماء عذب كانت سقيا لهم فهي الآن معطلة ، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بالجص إذ

(١) الآية في تسليمة الرسول ﷺ وتعزيتة من جرء ما يلاقي من قومه من أنواع التكذيب والعناد والجحود .

(٢) أي : تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك . والإنكار والنكير : تغيير المنكر .

(٣) العروش : جمع عرش وهو السقف . والمعنى : إن جدرانها فوق سقفيها .

(٤) قرأ نافع : (وبير) بدون همزة تخفيفاً .

(١) مات أهله وتركوه هذا ما تضمنته الآيات الأربع (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ حاثاً المكذبين من كفار قريش والعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون لهم قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم ونحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصح والخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا، وما لهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (٤) وهذا حاصل القول الأفليسيروا العلمهم يكسبون عبراً وعضات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتبلدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي .
- ٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار .
- ٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين .
- ٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد . ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله .

(١) (وقصر مشيد) أي : مبني بالشيد وهو الجص أي : مثلها معطل .

(٢) الاستفهام للتعجب من حالهم وهم في غيهم وجهلهم .

(٣) (فإنها . . .) أي : الحال أو القصة لا تعمى الأبصار: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما نزلت : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) سأل ابن أم مكتوم النبي ﷺ قائلاً : أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت هذه الآية : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الآية صريحة في أن العقل في القلب، ولا منافاة بين من يرى ذلك في المخ إذ ارتباط كبير بين المخ والقلب في حصول الوعي والإدراك للإنسان .

(٤) ذكر الصدور ظرفاً للقلوب للتأكيد إذا القلوب لا تكون إلا في الصدور فهو كقوله تعالى : (ولا طائر يطير بجناحيه . . .) (وكتولهم رأيت بعيني).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُفْرٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

يستعجلونك بالعذاب : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذرتهم منه من عذاب الله .
كألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة .
وكأين من قرية : أي وكثير من القرى أي العواصم والحواضر الجامعة لكل
أسباب الحضارة .

أمليت لها : أي أمهلتها فمددت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب .
نذير مبين : منذر أي مخوف عاقبة الكفر والظلم بين النذارة .
لهم مغفرة ورزق كريم : أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة .
سعوا في آياتنا معاجزين : أي عملوا بجهد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا
وما تحمله من دعوة الى التوحيد وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في إرشاد الرسول ﷺ وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل
فيقول له : ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي
خوفتهم به وحذرتهم منه ، ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد

(١) قيل : نزلت في النضر بن الحارث ورفقائه إذ كانوا يستعجلون العذاب ويطالبون رسول الله ﷺ بإنزاله تحدياً منهم وعناداً ،
وفيهم نزل : (سأل سائل بعذاب واقع) . (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق . . . الآية .)

تم ذلك في بدر وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسمائة سنة، وربيع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطئ، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي مدينة كبرى ﴿ أَمَلَيْتْ لَهَا ﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذنها ﴿ وَالرَّيِّ الْمَصِيرِ ﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لإستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أولم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾^(١) إنما أنا لكم نذير مبين ﴿ ، فليست بآله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني ، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه ، وأبشر أهل طاعته برحمته ، وهو معنى الآية (٥٠) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾^(٢) أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه ، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الأبدين .

(١) النداء لأهل مكة خاصة وللشريعة عامة إذ هو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة والنذير : المخوف عقوبة الشركة والشر والفساد .

(٢) أي : طائفتين منهم يعجزوننا فلم تقو عليهم ولم تقدر على أخذهم لأنهم مكذبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا .

(٣) ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحاً قوله ﷺ : ﴿ مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاه فأتاعته طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.
- ٢- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السفلي .
- ٣- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية .
- ٤- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير .
- ٥- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ
قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

من رسول ولا نبي	: الرسول ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بابلاغه . والنبي مقرر لشرع من قبله .
تمنى في أمينته	: أي قرأ في أمينته، أي في قراءته .
ثم يُحکم الله آياته	: أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحُکم الله آياته أي يثبتها .
والقاسية قلوبهم	فتنة للذين في قلوبهم مرض: أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك . : هم المشركون .
فتخبت له قلوبهم	: أي تتطامن وتخشع له قلوبهم .
في مرية منه	: أي في شك منه وريب من القرآن .
عذاب يوم عقيم	: هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه .
في جنات النعيم	: أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه .
فلهم عذاب مهين	: أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني .
معنى الآيات :	

بعد التسلية الأولى للنبي ﷺ التي تضمنها قوله تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح . . الخ ﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه ﷺ كان يقرأ حول الكعبة في صلواته سورة النجم والمشركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أفأرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية : « تلك الغرانيق العلاء ، وإن شفاعتهن لترتجى » ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها فلما سجد في آخر السورة سجدوا معه إلا رجلاً كبيراً لم يقدر على السجود فأخذ حثية من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصططح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه

(١) هذا الرجل، روى البخاري أنه أمية بن خلف، وقيل هو أبو أحيحة سعيد بن العاص وقيل : هو الوليد بن المغيرة . والله أعلم بأبهم كان .

(١) ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ ذي رسالة يبلغها ولا نبي مقرر لرسالة نبي قلبه ﴿إلا إذا تمنى﴾ أي قرأ ﴿ألقى للشيطان في أمينته﴾ أي في قراءته ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل ويبطل ﴿ما يلقي الشيطان﴾ من كلمات في أسماع الكافرين أوليائه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولا نقصانا، والله عليم بخلقه وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه . فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقال: ﴿ليجعل ما يلقي للشياطين﴾ أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ الشك والنفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبعداً عن الحق فوق بعدهم إذ ما يلقي الشيطان في أسماع أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلال . وقوله تعالى: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدراك . وقوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ وهذا هو الجزء الثاني أي ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته وتدبيره ﴿أنه الحق من ربك﴾ أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام

(١) في هذه الآية دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول لذكر الرسول في الآية ثم النبي: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن كل رسول نبي إذ لا يرسل حتى يوحى إليه وينبأ وليس كل نبي رسولاً إذ ينبت الله تعالى بما شاء ولا يرسله، وجاء في حديث أبي ذر (إن عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وأن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي جم غفير).

(٢) قال سليمان بن حرب إن (في) هنا هي بمعنى عند أي: ألقى الشيطان عند قراءته ألقى في قلوب المشركين . ولد (في) بمعنى عند نظير هو قوله تعالى (ولبث فينا سنين) أي: عندنا .

(٣) ما روي من خبر في قصة الغرانيق كله ضعيف ولم يثبت فيها حديث صحيح قط، والذي ثبت في الصحيح هو قراءة الرسول ﷺ لسورة النجم وسجوده وسجود المشركين معه والذي عضم منه ﷺ وهو المعصوم أن ينطق بكلمة: تلك الغرانيق العلاء . الخ وإنما نطق بها الشيطان وأسمعها المشركين للفتنة كما في التفسير الميثب فيه رأي ابن جرير إمام المفسرين رحمه الله تعالى .

(١) الآيات بعده ﴿فِيؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تطمئن وتسكن عنده وتخضع فيزدادون هدى. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضاه وجنته، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المِرْيَةُ والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي فجأة وهي القيامة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ريبتهم وعلموا انه الحق حيث لا ينفع العلم.

وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ﴾ أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليهم عن الشرك والمعاصي يدخلهم جنات النعيم، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهو السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة .
- ٢- بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقسااتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً

(١) قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) جائز أن يكونوا من المؤمنين ومن أهل الكتاب.

(٢) ومثبتهم على الهداية.

(٣) ومن الذين ومن كل ما جاء به النبي ﷺ.

(٤) وعذاب يوم القيامة عذاب عظيم باعتبار أنه يوم لا ليلة له فهذا وجه العقم لأن العقيم هو الذي لا يخلف ولداً، ولما ذكر عذاب يوم القيامة تعين أن يكون هو يوم بدر ومعنى عقمه: أنه لا خير فيه للمشركين ولم يحصلوا منه على فائدة.

(٥) قالوا: الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، وقيل في الآية إشارة إلى يوم بدر وهو بعيد ولا داعي إليه، ودلالة الآية تنفيه.

وأعظم هدىً.

٣- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٤- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ربهم حتى هلكوا في بدر.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَ وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

والذين هاجروا : أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة.

في سبيل الله : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه.

ليرزقنهم رزقاً حسناً : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة.

ليدخلنهم مدخلا يرضونه : أي الجنة يوم القيامة .

ذلك : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه .

ثم بغى عليه : أي ظلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به .

يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول

السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل .

بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه .

من دونه : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عباده فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل : ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه ﴿ثم قتلوا﴾ من قبل أعداء الله المشركين ﴿أو ماتوا﴾ حتف أنوفهم بدون قتل ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ﴿ليدخلنهم﴾ يوم القيامة ﴿مدخلاً﴾ يرضونه وهو الجنة، وقوله تعالى : ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير رزق وأطيبه وأوسع . وقوله : ﴿وإن الله لعليم حلِيم﴾ عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حلِيم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله .

(١) قيل : نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهما إذ ماتا بالمدينة مريضين فقال بعض الناس : من مات في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه . كأنه يعني عثمان وعبدالله فنزلت هذه الآية مسوية بين المجاهد والمهاجر، ومن شواهد فضل المهاجر ما روي : أن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ كان برودس أميراً على الأرباع فجيبىء بجنازتي رجلين أحدهما قتل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حضرته فقال : أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرأوا قول الله تعالى : ﴿والذين هاجروا . . .﴾ الآية . (٢) قرأ نافع : (مدخلا) يفتح الميم على أنه اسم مكان من دخل المجرد، وقرأ غيره مُدخلا بضم الميم : اسم مكان أيضاً من أدخله يدخله الرباعي مدخلا .

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ أي الأمر ذلك الذي بينت لكم، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ﴾ أي ومن أخذ من ظالمه بقدر ما أخذ منه قصاصاً، ثم المعاقب ظلم بعد ذلك من عاقبه فإن المظلوم أولاً وآخرأ تعهد الله تعالى بنصره، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى (١) ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وقوله: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ يُولِجُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرته من بُغِي عليه من أوليائه. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي المعبود الحق المستحق للعبادة، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرته أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل الجهاد في سبيل الله. (٢)
- ٢- جواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.
- ٣- بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤- إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

(١) ذلك: في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ مقدر كما في التفسير. أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك والآية نزلت في حادثة خاصة قاتل فيها المسلمون في الشهر الحرام فحزنوا لذلك، وكان قتالهم اضطرارياً لأن المشركين هم البادئون.

(٢) الآية من سورة الشورى.

(٣) والرباط: كالهجرة، والجهاد، فقد روي عن سلمان الفارسي أنه مرّ برجال مرابطين على حصن ببلاد الروم. وطال حصارهم للحصن، وإقامتهم عليه فقال لهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً أجرى الله تعالى عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتنين) وقرأوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا﴾ الآية.

الْمُتَرَاتِبَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
 مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾
 اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
 بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ
 اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ
 ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

الم تر	: أي ألم تعلم .
مخضرة	: أي بالعشب والكلأ والنبات .
الغني الحميد	: الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسماؤه .
سخر لكم ما في الأرض	: أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به .
أحياكم	: أي أوجدكم احياء بعدما كنتم عدما .
لكفور	: أي كثير الكفر والجحود لرَبِّه ونعمه عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ ألم تر ﴾^(١) يا رسولنا ﴿ أن الله أنزل من السماء ماء ﴾^(٢) أي مطراً فتصبح الأرض بعد

(١) (ألم تر) الخطاب صالح لكل متأهل للرؤية من ذوي العقول، والاستفهام للحض على الرؤية فهو كالأمر والفاء للتفريع إذ يتفرع عن نزول المطر: صيرورة الأرض مخضرة بالنبات .

(٢) هذا انتقال إلى التذكير بمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وشكره بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الإيمان به حق الإيمان وتصديقه بكل ما جاء به ويدعو إليه .

نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزرع، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾^(١) بعباده ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم.

وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي المحمود في الأرض والسماء بجميل صنعه وعظيم إنعامه وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الدواب والبهائم على اختلافها ﴿وَالْفَلَكَ﴾ أي وسخر لكم الفلك أي السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي بإذنه وتسخيره، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي كيلا تقع على الأرض ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بالإِنشاء والإيجاد من العدم، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ وبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه، فهذه المظاهر لقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره، وتجعل عبادة غيره سُخْفًا وضلالاً عقلياً لا يُقَادِرُ قَدْرَهُ وَلَا يُعْرِفُ مَدَاهُ.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.
- ٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.

(١) لطيف في تديره للخلقة خبير في صنعه . وهاتان الصفتان متجلتان في تديره تعالى للكون وصنعه فيه .
 (٢) التسخير: معناه: التذليل للشيء حتى يصبح طوع المسخر له وهو هنا بمعناه، ويعني: تسهيل الانتفاع فيما هو خارج عن قدرة الإنسان بإرسال الرياح ونزول الأمطار.
 (٣) وجائز أن يراد بالسماء: ماؤها أي: المطر كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيته وإن كانوا غضابا

٣- بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه .

٤- مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض ، وفي الإحياء والأمانة والبعث .

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
 وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ
 فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
 مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي
 وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
 بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَنْ
 ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

- جعلنا منسكاً : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها .
 فلا ينزع عنك : أي لا ينبغي أن ينازعوك .
 هدى مستقيم : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق .
 في كتاب : هو اللوح المحفوظ .
 ما لم ينزل به سلطاناً : أي حجة وبرهاناً .

الحج

المنكر : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيعه .
يسطون : يبطشون .
بشر من ذلكم : هو النار .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾^(١) أي ولكل أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون ﴿هم ناسكوه﴾ أي الآن ، فلا تلتفت إلى ما يقوله هؤلاء المشركون ، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل ، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق ، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسوله : ﴿وادع إلى ربك﴾ أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أي طريق قاصد هاد إلى الإسعاد والاكمال وهو الإسلام وقوله : ﴿وإن جادلوك﴾ في بيان بعض المناسك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لا يعلمون وقل : ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة ﴿والله يحكم بينكم﴾ أي يقضي بينكم أيها المشركون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل ودقيق وجلّي وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير . ﴿إن ذلك في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى ، و﴿إن ذلك﴾ أي كتبه

(١) سبق مثل هذا النزاع بين المؤمنين والمشركين في التذكية عند قول الله تعالى من سورة الأنعام : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله تعالى : (فلا ينازعنك) معناه : أترك منازعتهم وأعرض عنهم ولا تلتفت إليهم .
(٢) سبق مثل هذه الآية في أول السورة وهو دال على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع عقلا ولا تنتقض .

(٣) في الآية الكريمة أسلوب المتاركة إذا لم تنفع المجادلة لعدم استعداد الخصم لقبول الحق أو تعذر معرفته له .

(٤) الاستفهام تقريرى بالنسبة للرسول ﷺ والجملة تحمل التسلية له ﷺ والتخفيف مما يلاقي من جدال المشركين وعنادهم .

(١) وحفظه في كتاب المقادير ﴿على الله يسير﴾ أي هين سهل، لأنه تعالى على كل شيء قدير. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المناسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حجة ولا برهاناً بل ماهوا لإفك افتروه، ليس لهم به علم ولا آياتهم، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير. هذا ما دلت عليه الآية (٧١) وأما قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهي بينات في مدلوها تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿تعرف﴾ يارسلنا ﴿في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي تتغير وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات ﴿يكادون يسطون﴾ أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم واصلاحهم.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي قل لهم يارسلنا أفأنبئكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التي وعدها الله الذين كفروا أي من أمثالكم، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها.

٢- استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها.

٣- تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير إذ هو تعالى لا يعجزه شيء، ويقول للشيء كن فيكون.

(٢) أي: الغضب والعبوس.

(٣) السطو: شدة البطش يقال: سطا به يسطو: إذا بطش وسواء كان بسبب وشتم أو ضرب، وسطا عليه: إذا علاه ضرباً وشتماً.

(٤) أفأنبئكم) الهمزة داخلة على محذوف أي: أنكرهون سماع القرآن ومن يقرأه فانا أنبئكم بشر من ذلك الذي تأذيتهم به وكرهتموه؟ وقوله: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنهم قالوا: نبئنا فقال: النار... الخ.

- ٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ .
 ٥- بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكرهم بالآيات .
 ٦- مشروعية إغاظه الظالم بما يغيظه من القول الحق .

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ آيَاتِ الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
 وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ آيَاتِ اللَّهِ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

- ضرب مثل : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ... الخ .
 لن يخلقوا ذباباً : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات .
 ولو اجتمعوا : أي على خلقه فإنهم لا يقدرون ، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز .
 لا يستنقذوه منه : أي لا يسترده منه وذلك لعجزهم
 ضعف الطالب والمطلوب : أي العابد والمعبود .
 ما قدروا الله حق قدره : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته .
 يصطفي من الملائكة رسلاً : أي يجتبي ويختار كجبريل .
 ومن الناس : كمحمد صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين يقول تعالى : ﴿يا أيها الناس ضربٌ مثلٌ فاستمعوا له﴾ أي يا أيها المشركون بالله آلهة أصناماً ضرب لآلهتكم في حقارتها وضعفها وقلة نفعها مثل رائع فاستمعوا له . وبينه بقوله : ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ من أوثان وأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾^(١) وهو أحقر حيوان وأخسبه أي اجتمعوا واتحدوا متعاونين على خلقه ، أو لم يجتمعوا له فإنهم لا يقدرّون على خلقه وشيء آخر وهو إن يسلب الذباب الحقير شيئاً من طيب آلهتكم التي تضمخونها به ، لا تستطيع آلهتكم أن تسترده منه فما أضعفها إذاً وما أحقرها إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع .

وقوله تعالى : ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾^(٢) أي ضعف الصنم والذباب معاً كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم ﴿إن الله لقويٌ عزيز﴾ أي قوي قادر على كل شيء عزيز غالب لا يمانع في أمر يريد فكيف ساغ للمشركين أن يؤلّوها غيره ويعبدونه معه ويجعلونه له مثلاً . هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (٧٣) والثانية (٧٤) وقوله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ هذا رد على المشركين عندما قالوا : ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾ وقالوا : ﴿أبعث الله بشراً رسلاً﴾ فأخبر تعالى أنه يصطفي أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل ، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً ﷺ ، ﴿إن الله سميع﴾^(٥) لأقوال عباده طيبها وخبيثها ﴿بصير﴾ بأعمالهم صالحها وفاسدها وعلمه بخلقها وبصره بأحوالهم وحاجاتهم اقتضى أن

(١) ضرب المثل : هو ذكره وبيانه ، واستعير الضرب للقول والذكر تشبيهاً بوضع الشيء بشدة ، وهو تعبير شائع في اللغة العربية ، والمثل هنا تشبيه تمثيلي ، إذ هو تشبيه أصنامهم في عجزها وحقارتها بالذباب في عجزه وحقارته وضمنه الإنكار الشديد عليهم في تشبيه أصنامهم بالله عز وجل إذ عبدها بعبادته وألّوها تأليه عز وجل .

(٢) الذباب : اسم واحد للذكر والأنثى والجمع والقليل : أذبة والأكثر ذبان والواحدة ذبابة ، ولا يقال ذبابة بالتنديد وكسر الذال ، والمذبذبة : آلة لذب الذبان وذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

(٣) قيل : الطالب : الآلهة ، والمطلوب : الذباب ، والعكس صحيح ، وجائز أن يكون الطالب : عابد الصنم ، والمطلوب : الصنم .

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً ، والإخبار بجملة يصطفي بدل : نصطفي لإفادة الاختصاص أي : هنا الاصطفاء خاص به تعالى لعظيم علمه وحكمته .

(٥) الجملة تعليلية ، وجملة : يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، مفررة لها وتفيد الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل .

يصطفي منهم رسلاً وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الاعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى: ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من أن الله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذ هو ربّ كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان .
- ٢- التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين .
- ٣- ما قدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً .
- ٤- إثبات الرسالات للملائكة وللناس معاً .^(١)
- ٥- ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَسَجِدُوا وَعِبُدُوا
رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

(١) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أن الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعترضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

واعبدوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل .

وافعلوا الخير : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورجبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال .

لعلكم تفلحون : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة .

حق جهاده : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به وهو جهاد الكفار والشيطان والنفس والهوى .

اجتباكم : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة .

من حرج : أي من ضيق وتكليف لا يطاق .

ملة أبيكم : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له .

وفي هذا : أي القرآن .

اعتصموا بالله : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن ثوبته .

ونعم النصير : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم .

معنى الآيات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، نادى الرب تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ، ﴿اركعوا واسجدوا﴾ أمرهم بإقام الصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع ﴿وافعلوا الخير﴾ من كل ما انتدبكم الله إليه ورجبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار .

(١) خصَّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربه وذلت له .

وقوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾^(١) أي أمرهم أيضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفراغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ هذه منةٌ ذكّر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمم.

وقوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ أي الزموا ملة أبيكم وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قوله: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾ أي القرآن وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أمهم ما أرسلوا به إليهم وعليه فاشكروا هذا الإنعام والإكرام لله تعالى ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ أي تمسكوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاً وحكماً، وقوله تعالى: ﴿هو مولاكم﴾ أي سيدكم ومالك أمركم ﴿فنعم المولى﴾ هو سبحانه وتعالى ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم ما دمتم أولياءه تعيشون على الإيمان والتقوى.

(١) هذا من ذكر العام بعد الخاص، والعبادة: الطاعة ولكن مع غاية التعظيم والحب للمطاع.

(٢) الجهاد هنا: قتال الكفار المعتدين والمانعين لدعوة الله وصد الناس عنها والعلّة فيه إكمال البشر وإسعادهم بالإسلام لله تعالى (وفي) في قوله (في الله): تعليلية أي: لأجل الله أي: لإعلاء كلمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٣) هذا كقوله تعالى: (فاتقوا الله حق تقاته) فإنه مخصوص بالاستطاعة وقوله بعد: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) مخصّص له أيضاً، ويدخل في الأمر بالجهاد هنا: جهاد النفس والشيطان، وكلمة الحق عند من ينكرها لحديث (كلمة عدل عند سلطان جائر).

(٤) الملة: الدين والشريعة ونصب: (ملة): بالزموا ونحوه، والخطاب للعرب إذ إبراهيم أبو العرب المستعربة قاطبة، وهو أيضاً أبو أهل الكتاب وأب كل موحد أبوة تشریف واتباع وتعظيم.

(٥) قوله تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) بعد ذكر السنن إشارة صريحة إلى وجوب شكر الله تعالى على نعمه، وما شكر الله تعالى من لم يقيم الصلاة ويؤت الزكاة كما أن من لم يتمسك بدين الله كافر غير شاکر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.
- ٢- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ .
- ٣- فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم .
- ٤- فضيلة هذه الأمة المسلمة حيث أعطيت ثلاثاً^(١) لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي عليه السلام اذهب فليس عليك حرج فقال الله لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي عليه السلام أنت شهيد على قومك وقال الله: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ دل على هذا قوله تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .
- ٥- فرضية الصلاة، والزكاة، والتمسك بالشرعية .

(١) ذكر هذا ابن جرير الطبري رواية عن معمر وقتادة.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

مكية

وآياتها مائة وثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
 فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
 فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- قد أفلح المؤمنون : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون .
 في صلاتهم خاشعون : أي ساكنون متظامنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي
 ربهم .
 عن اللغو معرضون : اللغو كل ما لا رضى فيه لله من قول وعمل وتفكير، معرضون
 أي منصرفون عنه .
 للزكاة فاعلون : أي مؤدون .
 لفروجهم حافظون أي صانئون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة .
 أو ما ملكت أيمانهم : من الجوارى والسرايري إن وجدن .

فمن ابتغى وراء ذلك : أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً .
 فأولئك هم العادون : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع .
 راعون : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم .
 الفردوس^(١) : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾^(٢) يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي :

(١) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه ولا بقلبه في أكثرها. هذه الصفة تضمنها قوله تعالى : ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾^(٣).

(٢) إعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه : إنصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه ، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ .

(٣) فعلهم الزكاة أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامته كالنقدين والحبوب والثمار، وفعلهم لكل مايزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ .

(٤) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملوكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم ، ولكن اللوم

(١) أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال : (إذا سألتكم الله فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة).
 (٢) روى أحمد والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قوله : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل فليثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرتنا ولا تؤثر علينا وأرض عنا وأرضنا ثم قال : لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة : (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر .
 (٣) كان السلف الصالح إذا قام أحدهم في صلاته يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا، وأبصر النبي ﷺ رجلاً يبث بلحيته في الصلاة فقال : (لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه) والجمهور على أن الخشوع في الصلاة أحد فرائضها .

والعقوبة على من طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريتها ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم .

(٥) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهدهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى : ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون .

(٦) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سننها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ .

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الخشوع في الصلاة .
- ٢ - تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا تترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن ، ولزوجها النصف والربع ، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل .
- ٣ - تحريم العادة السرية وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة .
- ٤ - وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات .
- ٥ - تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

سُلَّةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
 لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

من سلالة : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم.

نطفة في قرار مكين : النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفزره الفحل ، والقرار المكين الرحم المصون .

العلقة : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمش البيض^(١) .

والمضغة : قطعة لحم قدر ما يمضغ الأكل .

خلقاً آخر : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً .

أحسن الخالقين : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾^(٢) يعني آدم عليه السلام ﴿ من سلالة من طين ﴾ أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحلحلي المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً والله الحمد والمنة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : (قد أفلح) فهي من عطف جملة ابتدائية على مثلها : وهي كعطف قصة على أخرى ، وهذا شروع في الاستدلال على التوحيد والبعث والجزاء بمظاهر القدرة والعلم والحكمة ، وهي مقتضية لعقيدة كل من التوحيد والبعث الآخر حيث أنكركما وكذب بهما المشركون .

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم ، وأن يكون أحد ذريته إذ السلالة : الشيء المستل أي : المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين .

والمنيّ مستل كذلك من مادة ما يفزره جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دماً ، وهذه السلالة مخرجة من الطين لأنها من الأغذية ، والأغذية أصلها من الأرض وقوله تعالى : (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) هذا طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم ، وسميت النطفة نطفة : لأنها تنطف أي : تقطر في الرحم في قناة معروفة وهي القرار المكين .

قوله: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلب آدم ﴿في قرار مكين﴾ هو رحم حواء ﴿ثم خلقنا النطفة﴾ المنحدرة من صلب آدم ﴿علقة﴾ أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل، ﴿فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظم^(١) لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي إنساناً آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقة فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأثنى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعظم أحسن الصانعين، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين.

وقوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أحياء للحساب والجزاء لتحيا حياة أبدية لا يعقبها موت ولا فناء ولا بلاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته .
- ٢ - بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها .
- ٣ - بيان مآل الإنسان بعد خلقه .
- ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون .

(١) وقد أثبت علم الأجنة والتشريح أن النطفة في طورها الثاني تعلق بجدار الرحم طيلة طورها الثاني فهي بمعنى علقة ولا منافاة بين كونها علقة وعلقة .

(٢) في الحديث الصحيح : (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح . .) الحديث فإذا نفخ فيه الروح تهياً للحياة والنماء وإليه الإشارة بقوله تعالى : (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وروي أن يهود يزعمون أن العزل هو الموءودة الصغرى، وأن علياً رد هذا وقال : لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع أي : الأطوار التي في هذه الآية .

وَلَقَدْ

خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾
 وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
 لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ
 طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي
 الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سبع طرائق : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض.

ماء بقدر : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص .

من طور سيناء : جبل يقال له جبل طور سيناء .

تنبت بالدهن : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت .

وصبغ للأكليين : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها .

في الأنعام لعبرة : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها .

مما في بطونها : أي من اللبن .

منافع كثيرة : كالوبر والصوف واللبن والركوب .

ومنها تأكلون : أي من لحومها .

تحملون : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر نعمه تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾^(١) أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة، وإلا لخرّب كل شيء وفسد وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله ﴿فأسكناه في الأرض﴾^(٢) وإنا على ذهاب به لقادرون ● فأنشأنا لكم به جنات﴾ أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك البساتين ﴿فواكه كثيرة، ومنها تأكلون﴾ أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لوجودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف.

^(٣) وقوله: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ أي وأنبت لكم به شجرة الزيتون وهي ﴿تنتب بالدهن وصبغ للآكلين﴾ فبزيتهما يدهن ويؤتدّم فتصبغ اللقمة به وتؤكل. وقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيمان والتوحيد والطاعة. وقوله: ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ من ألبان تخرج من بين فرث ودم، وقوله: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها. وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر. أفلا تشكرون لله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد ويوحّد في عبادته؟.

- (١) وفي ذكر أدلة التوحيد إذ تقدم الاستدلال على التوحيد بخلق الإنسان وهذا استدلال بخلق العدالة العلوية.
- (٢) الطرائق: جمع طريقة، وهي اسم للطريق تذكر وتؤثت فهل المراد بها هنا طرق الملائكة أو طرق سير الكواكب وهو سمتها وما تجري فيه أو هي السبع السموات، ومعنى طرائق: أن بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين ثوبين جعل أحدهما فوق الثاني، ويكون المعنى طباقاً وهذا هو الراجح. والله أعلم.
- (٣) (أسكناه في الأرض) منه ما هو ظاهر كماء الأودية، والأنهار، ومنه ما هو باطن، وهو المياه الجوفية، وإن الله تعالى على ذهابه من ظاهر الأرض كباطنها قدير، ويومها تهلك البشرية، وهذه الآية كقوله: (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين).
- (٤) جمع فاكهة وهي: ما يؤكل تفكهاً بأكله أي: تلذذاً بطعمه من غير قصد القوت، وما يؤكل لأجل الطعام يقال له: طعام ولا يقال له فاكهة.
- (٥) وشجرة: معطوفة على جنات أي: وأخرجنا لكم به شجرة.
- (٦) الباء في (بالدهن) للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوباً بسلامة.
- (٧) قرىء (نسقيكم) بضم النون من أسقاه، وافتحها من سقاه كذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة .
- ٢ - بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عبادته .^(١)
- ٣ - بيان منافع الزيت حيث هو للدهن والائتداف والإستصباح .
- ٤ - فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها ، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم .
- ٥ - وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها .

وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَثَرٌ بِصَوَابِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- اعبدوا الله : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره .
 أفلا تتقون : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه .
 الملائكة : أي أعيان البلاد وكبراء القوم .

(١) في الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وُجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله (تخرج من طور سيناء) إعلام بأول منبت لها .

ما هذا إلا بشر مثلكم : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه .

أن يتفضل عليكم : أي يسودكم ويصبح آمراً ناهياً بينكم .

ولو شاء الله لأنزل ملائكة : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلاً .

رجل به جنة : أي مصاب بمس من جنون .

فتربصوا به حتى حين : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاءه .

معنى الآيات :

هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً ﴾ أي قبلك يارسولنا فكذبوه . كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في العبادة ، ولا تعبدوا معه غيره ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم . وقوله : ﴿ أفلا تتقون ﴾ أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم ؟ .

فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه ﴿ ما هذا ﴾ أي نوح ﴿ إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أي يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم . ﴿ ولو شاء الله ﴾ أي أن لا نعبد معه سواه ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ تخبرنا بذلك ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا ﴿ في آبائنا الأولين ﴾ أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين ﴿ إن هو إلا رجل به جنة ﴾ أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون ، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهننا وتسفيه آبائنا ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أي انتظروا به أجله حتى يموت ، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكاً نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿ قال رب انصرني بما كذبون ﴾ أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني عليهم .

(١) فوائد سرد القصص كثيرة منها : تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر مما يلقي من قومه ، ومنها : العظة والاعتبار بما جرى من أحداث ، ومنها تقرير التوحيد وإثبات النبوة المحمدية واللام في : (ولقد أرسلنا) موطنه للقسام أي : وعزتنا لقد أرسلنا نوحاً .

(٢) قرأ الجمهور بجر (إله) ورفع (غيره) وقرأ بعضهم : بجر (غيره) لأنه نعت لإله المجرور بحرف الجر الزائد ورفع (غيره) هو على المحل إذ محل (إله) الرفع وإنما منع منه حرف الجر الزائد .

(٣) قولهم : هذا ناتج عن نفسياتهم المتهاكمة على حب الرئاسة والشرف الموهوم .

(٤) التريص : التوقف على عمل يراد عمله ، والتريث فيه لما قد يغني عنه .

(٥) (قال رب انصرني) هذه الجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً لأنها واقعة جواباً لسؤال مقدر تقديره : لما كذب قومه ماذا فعل ؟ والجواب : دعا عليهم : (قال رب انصرني) .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .
- ٢ - تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .
- ٣ - بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر .
- ٤ - بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهم الدعاة بها هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعالة لفلان والتملق لفلان . .

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾
 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّوْنَا
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- فأوحينا إليه أن اصنع : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك .
 بأعيننا ووحينا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها .
 وفار التنور : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان .
 فاسلك فيها : أي أدخل في السفينة .
 وأهلك : أولادك ونساءك .
 ولاتخاطبني في الذين ظلموا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين فإني حكمت بإغراقهم .
 وقل رب : أي وادعني قائلاً يارب أنزلي منيراً مباركاً من الأرض .
 إن في ذلك آيات : أي لدلائل وعبر .

وإن كنا لملتبين : أي لمختبرين .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاً عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً: ﴿رب انصرني^(١) بما كذبون﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص ﴿أن اصنع الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأعيننا ووحينا﴾ أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن ينفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا رأى تلك العلامة أن يدخل في السفينة من كل زوج أي ذكر واثني اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغروقون قطعاً. هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٧) ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا﴾ أي بإهلاك الظالمين المشركين ﴿وفار التنور، فاسلك فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين، وأهلك﴾ أي أزواجك وأولادك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي بإهلاكهم كامراته، ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي لا تسألني عنهم فإنني مهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿فإذا استوتبت أنت ومن معك على الفلك﴾ أي إذا ركبت واستقررت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾ أي من الأرض، وأثن علينا

(١) الباء سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، وجملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة: (أوحينا) لأن الوحي فيه معنى القول دون حروفه، فإن تفسيرية قطعاً.

(٢) الزوج: اسم لكل شيء له شيء آخر متصل به بحيث يجعله شفعاً في حالة ما، والمراد به هنا: أزواج الحيوانات لحفظ نوعها حتى لا تنقرض بالطوفان.

(٣) قرأ حفص (من كل) بتنوين كل، وقرأ نافع وغيره بلا تنوين أي: بإضافة اثنين إلى كل، وتنوين كل تنوين عوض أي: من كل ما أمرتك أن تحمله في السفينة.

(٤) أي: في شأنهم فإنهم قد قضى بإهلاكهم ولا راد لقضائه تعالى.

(٥) استوتبت: أي علوت فوقها واستقررت فيها، وحرف الجر (على) مؤذن بالاستقرار والتمكن منه.

(٦) الظالمين: أي المشركين، لأن الظلم هو الشرك، والنتيجة: الإنجاء من شرهم وأذاهم وشركهم وكفرهم.

(٧) المنزل بضم الميم: وفتح الزاي: مصدر الذي هو الإنزال، ويفتح الميم وكسر الزاي هو مكان النزول أي: أنزلني موضعاً مباركاً، والمنزل بفتح الميم والزاي معاً: مصدر نزل نزولاً ومنزلاً.

خيراً فقل ﴿وأنت خير المنزلين﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي المذكور من قصة نوح للدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته . وقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن ، والمطيع من العاصي ويتم الجزاء حسب ذلك إظهاراً للعدالة الإلهية والرحمة الربانية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - إثبات الوحي الإلهي وتقدير النبوة المحمدية .
- ٢ - تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين .
- ٣ - بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين .
- ٤ - سننية قول بسم الله والحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة .
- ٥ - استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا .
- ٦ - بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر .

ثُمَّ أَنْشَأْنَا

مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآءَ آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا
 اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْتَقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَآءُ مِنْ قَوْمِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا
 مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
 تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ إِذًا خَاسِرُونَ

(١) في الآية تعليم للمؤمنين إذا ركبوا أو نزلوا أن يدعوا بهذا الدعاء بل حتى إذا دخلوا بيوتهم وسلموا فقد كان علي رضي الله عنه إذا دخل المسجد دعا بهذا الدعاء : رب أنزلي . الخ .

﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ

﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود .

رسولاً منهم : هو هود عليه السلام .

أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره : أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده .

وأترفناهم : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش .

أنكم مخرجون : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم .

هيئات هيئات : أي بعدُ بعداً كبيراً وقوعُ ما يعدكم .

إن هي إلا حياتنا الدنيا : أي ماهي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة

أخرى .

إن هو إلا رجل : أي ماهو إلا رجل افتري على الله كذباً أي كذب .

على الله تعالى .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعد قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى : ﴿ثم

أنشأنا من بعدهم﴾ أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم

هود ﴿فأرسلنا فيهم﴾ رسولاً منهم ﴿هو هود عليه السلام بأن قال لهم : ﴿أن اعبدوا الله ما

(١) وقيل هم قوم صالح بقرينة قوله تعالى : (فأخذتهم الصيحة) وهي التي أهلك الله تعالى بها ثمود قوم صالح إذ قال تعالى :

(فأخذتهم الصيحة مصبحين) من سورة الحجر . وشرح هذا لأن فيها العبرة أكثر لوجود آثارهم في ديارهم شمال الحجاز إلا

أن ذكر عاد بعد قوم نوح هو الوارد في كل قصص القرآن وبترجيح الزمان إذ عاد أول أمة أهلكت بعد قوم نوح . والله أعلم .

(٢) قوله : (فيهم) بدل إليهم : لأن هوداً أو صالحاً كان المرسل من أهل البلاد وفرداً من أفرادهم فلا يحسن أن يقال : إلى إلا

إذا كان خارجاً عنهم ليس من أفرادهم ، وذلك كما في أهل سدوم ، وبنوي والقبط فجاء التعبير بإلى نحو : (إلى فرعون

وملته) .

لكم من إله غيره ﴿ أي عبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذ لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لا يستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله : ﴿ أفلا تتقون ﴾ يخثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا ﴾ أي وقال أعيان البلاد وأشرفها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم الله تعالى : بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات : قالوا : وماذا قالوا ؟ : قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم ﴾ أي ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم ﴿ يأكل مما تأكلون منه ﴾ من أنواع الطعام ﴿ ويشرب مما تشربون ﴾ من ألوان الشراب^(١) أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاكم . وقالوا : ﴿ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون ﴾ أي خاسرون حياتكم ومكانتكم ، وقالوا ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ﴾ أي فنيتم وصرتم تراباً ﴿ أنكم مخرجون ﴾ أي أحياء من قبوركم . وقالوا : ﴿ هيهات هيهات ﴾ أي بُعد بُعداً كبيراً ما يعدكم به هود إنها ما ﴿ هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ أي ﴿ نموت ونحيا ﴾ جيل يموت وجيل يحيا ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ وقالوا : ﴿ إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً ﴾ أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم . ﴿ وقالوا ما نحن بمبعوثين ﴾ هذه مقالتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل ، وما تبدىء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله .

- (١) أي : وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ، وصاروا يؤتون بالترفه وهي كالتحفة ، يقال : أترفه المال : إذا أبطره وأفسده .
 (٢) في قولهم : يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون . هذه الجملة وإن كانت تعليلاً لبشرية الرسول فإنها دالة على أنهم حقاً مترفون منعمون في ملاذ الأكل والشرب كأنه لا هم لهم إلا ذلك ، كما قيل : من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما هي مجالس المترفين اليوم جل أحاديثهم حول الأكل والشرب ونحوهما .
 (٣) الاستفهام للتعجيب ، والكلام انتقال من تكذيبهم بكونه رسلاً إليهم إلى التكذيب بما أرسل به من الدين الحق .
 (٤) الجمهور من النحاة واللغويين : أن هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد وهي مبنية على الفتح والكسر أيضاً ولا تُقال إلا مكررة ، قال الشاعر :

فهيهات هيهات العقيق وأهله هيهات خلٌ بالعقيق نواصله

- (٥) إن قيل : كيف قالوا : نموت ونحيا وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب : إما أن يكون مرادهم نكون نطقاً ميتة ثم نحيا ، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي : نحيا فيها ونموت نحو (واسجدي واركعي) وإما بموت الآباء وحياة الأبناء .
 (٦) الافتراء : الكذب الذي لا شبهة فيه للمخبر ، وهو الاختلاق .

- ٢ - أهل الكفر لا يصدر عنهم إلا ما هو شر وباطل لفساد قلوبهم .
 ٣ - الترف يسبب كثيراً من المفسد والشرور، ولهذا يجب أن يُحذَر بالاعتصام .
 ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة .
 ٥ - تكَاة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر ، دفعاً للحق وعدم قبوله .

قَالَ رَبِّ

أَنْصُرَنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٥٠﴾
 فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوِّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٥٢﴾
 مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا
 كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعُضَاهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
 أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- عما قليل : أي عن قليل من الزمن .
 ليصبحن نادمين : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم .
 فأخذتهم الصيحة : أي صيحة العذاب والهلاك .
 فجعلناهم غثاء : كغثاء السيل وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس .
 فبعداً : أي هلاكاً لهم .
 ثم أنشأنا : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب .
 تترا : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى .
 وجعلناهم أحاديث : أي أهلكتناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل .

معنى الآيات :

هذا ما قال هود عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذبيهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذبيهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كغثاء السيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى : ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب. وقوله تعالى : ﴿وماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي ان كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتقدمه كما لا يمكنها أن تتأخر عنه بحال.

وقوله تعالى : ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترأ﴾ أي يتبع بعضها بعضاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي في الهلاك فكلما كذبت أمة رسولها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكتها، وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم ﴿فبعداً﴾ أي هلاكاً منا ﴿لقوم لا يؤمنون﴾ في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد. وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها.

* دَرَج الجمهور من المفسرين على أن القصص المذكور هنا كما هو في سائر السور هو قصص هود عليه السلام، وذهب ابن جرير وبعض آخر إلى أنه قصة صالح لقريظة (فأخذتهم الصيحة) وقال الجمهور: يمكن أن تكون الصيحة ضمن عواصف الريح العقيم التي أرسلها تعالى على عاد قوم هود فأخذتهم فهلكوا بها والرياح عصفت بهم فمزقت وشتتت شملهم وتركهم كأعجاز نخل خاوية ثم تفتتوا وصاروا كالغثاء وهذا الجمع أحسن.

(١) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز غير المخل وهو: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ثم أنشأنا.

(٢) من في قوله (من أمة) صلة زيدة لتقوية النفي وتوكيده، والأصل ماتسبق أمة.

(٣) (تترى) على وزن فعلى كدعوى وسلوى، والألف فيه للتأنيث، وأصله وترى من الوتر، الذي هو الفرد أبدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث من الورث، وتجاه من الوجه، ولا يقال: تترى إلا إذا كان هناك تعاقب وانقطاع، وقرىء منوناً تترى، وهو منصوب على الحال في القراءتين معاً.

(٤) جمع أحدىثة وهو ما يتحدث به كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجب منه، ومثل هذا التعبير: أحاديث: لا يقال في الخير وإنما يقال في الشر لا غير لقوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وقد يقال في الخير إذا كان مقيداً بذكره نحو قول ابن دريد:

إنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين .
- ٢ - الآجال للأفراد أو الأمم لا تتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه .
- ٣ - تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم .
- ٤ - كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لا يهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ

هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَأَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

وَقَوْمِهِمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ

﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا

ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ

﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|--|
| بآياتنا وسلطان مبين | : الآيات هي التسع الآيات وهي الحجة والسلطان المبين . |
| وكانوا قوماً عالين | : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكماً . |
| وقومها لنا عابدون | : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء ، وكيف ، نشاء . |
| ولقد آتينا موسى الكتاب | : أي التوراة . |
| وجعلنا ابن مريم | : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده . |
| إلى ربوة ذات قرار ومعين | : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر . |

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبد من قصص الأولين للعتة والاعتبار، وإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى : ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسطان مبين أي بحجج وبراهين بيته دالة على صدق موسى وما يدعوا إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشرف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد فاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ أي خاضعون مطيعون . هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتها فقالوا : أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيها وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون . أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا . قال تعالى : ﴿فكذبوهما﴾ ، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل معها إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين ، وقوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ ، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل أتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى . هذه أيادي الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم .

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آية﴾ حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به وعبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه . وقوله تعالى : ﴿وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لها ربوة عالية صالحة للإستقرار عليها بها فأكفه وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه .

(١) خصّ موسى بآياته الكتاب دون هارون لأن هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه ، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة .

(٢) أدمج أمّه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانا عظيما .

(٣) الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهي مثلثة الرء تضم وتفتح وتكسر ، وهي بفلسطين أو مدينة الرملة وهي من أرض فلسطين .

(٤) المعين : هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام .
- ٢ - التنديد بالإستكبار، وأنه علة مانعة من قبول الحق .
- ٣ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين .
- ٤ - آية ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء .

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

- كلوا من الطيبات : أي من الحلال .
واعلموا صالحاً : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل .
وإن هذه أمتكم : أي ملتكم الإسلامية .
فاتقون : أي بامتنال أمري واجتناب نهبي .
فتقطعوا أمرهم : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية .
في غمرتهم : أي في ضلالتهم .
نسارع لهم : أي نعجل .
بل لا يشعرون : أن ذلك استدارج منا لهم .

معنى الآيات :

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

خاطب^(١) عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلا من الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله: ﴿واعملوا صالحاً﴾ كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وقوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على ما يعلمون من الصالحات. وقوله: ﴿وأن هذه أممكم واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه وأعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليتغوه بفعل ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته.

وقوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي دينهم ﴿زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فرقوا دينهم فرقاً فذهبت كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرحة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلا فيه. . . ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن يتنزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ إذ قال له في سورة الأنعام ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ لست منهم في شيء ﴿وفيه من التهديد ما فيه. وهذا الذي نعاه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلّفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة، وبالأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف. وقوله: ﴿أيحسبون أننا نمدهم به من مال

(١) اختلف في هذا الخطاب هل هو لعيسى عليه السلام نظراً لسياق الحديث أو هو لمحمد ﷺ أو هو عام لكل الرسل، أي: ما من رسول إلا وأمره بما في هذا السياق، وأمة كل رسول تابعة له، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في مثل هذا فلا داعي إلى الترجيح وعدمه ويشهد للعموم قوله ﷺ في الصحيح: (يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المرسلين بما أمر به المؤمنون فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) والشاهد في قوله ﷺ (بما أمر به المرسلين).

(٢) قرئ: (وأن) بكسر إن على القطع أي: الابتداء وعلى تقدير قول أو قلنا لهم: (إن هذه) . . الخ وقرئ بفتحها، وهي قراءة الأكثرين على تقدير واعلموا (أن هذه أممكم) . . الخ.

(٣) كان هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: (ألا إن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) الحديث أخرجه أبو داود ورواه الترمذي وزاد: (قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) وقوله: (ملة) فيه دليل على أن الاختلاف في الفروع غير مقصود وإنما المقصود هو ما كان في أصول الدين وقواعده.

(٤) (إنما): ما: موصولة بمعنى الذي أي: أيحسبون يا رسولنا إن الذي نعطيهم في الدنيا من مال وولد هو ثواب لهم على شركهم وكفرهم إنما هو استدراج وإملاء ليس إسراعاً في الخيرات واختلف في خبر إن فقيل: إنه محذوف وتقدير الكلام: إنما تسارع لهم به في الخيرات، والاستفهام في أيحسبون: إنكار.

وبنين ﴿ مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لا يشعرون بذلك . لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الأكل من الحلال ، وجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله .
- ٢ - الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه .
- ٣ - حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن .
- ٤ - إذا انحرفت الأمة عن دين الله ، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها ، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير .

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَنْكَلِفُ
نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

- مشفقون : أي خائفون .
لا يشركون : أي بعبادته أحداً .
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك .
أنهم إلى ربهم راجعون : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم .
وهم لها سابقون : أي يأذن الله في علمه .
ولا نكلف نفساً إلا أوسعها : إلا طاقتها وما تقدر عليه .
ولدينا كتاب ينطق بالحق : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق .
وهم لا يظلمون : أي بنقض حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيئاتهم .

(١) الخيرات : جمع خير وهو من الجموع النادرة مثل : سرادقات جمع سرادق .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونعى عليهم ذلك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم ويدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً: أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، فقال وقوله الحق: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وأخرى ﴿والذين هم بآيات ربهم يومنون﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي في ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبودونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك ورابعة: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾. أي يؤتون الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لا يقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم. وقوله تعالى: ﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه مادام قد بذل جهده إذ هو تعالى ﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها وما يتسع له جهده.

وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأن أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لا يخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك المعاصي بأن أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لا يظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلا بما كانوا يكسبون.

(١) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات).

(٢) أي: لأنهم: أو من أجل أنهم إلى ربهم راجعون. وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبرة بما يختم به للعبد، وفي البخاري: (وإنما الأعمال بالخواتيم).

(٣) قرئ: (يأتون) من الإتيان، ولا يختلف المعنى إذ هم يأتون الأعمال الصالحة ويفعلونها، وقلوبهم خائفة. كما يعطون ما يعطون من الزكاة والنفقات وقلوبهم وجلة أو يعطون الملائكة أعمالهم التي يكتبونها وقلوبهم وجلة.

(٤) (يسارعون في الخيرات) أي: في الطاعات كي ينالوا بها أعلى الدرجات والغرفات ولم يقل يسارعون إلى الخيرات إذ هم في الخيرات لم يخرجوا من دائرتها أبداً فهم فيها يسارعون. في الآية إشارة إلى أن الصلاة في أول وقتها أفضل، وهكذا السبق في كل خير قبل الغير خير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى .
- ٢ - بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى .
- ٣ - تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين .
- ٤ - تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العدالة .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا
 عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ
 ﴿٦٤﴾ لَا تَجْحَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي
 تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
 بِهِ سَمِرَاتٍ هَجَرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
 ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ
 كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------------|--|
| في غمرة من هذا | : أي جهالة من القرآن وعمى . |
| ولهم أعمال من دون ذلك | : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان
بالآيات والتوحيد والمراقبة . |
| هم لها عاملون | : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله
تعالى بها . |
| إذا هم يجارون | : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجين مستغيثين مما حلَّ
بهم من العذاب . |
| تنكصون | : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماع القرآن . |

مستكبرين به : أي بالحرم أي كانوا يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد لأننا أهل الحرم .
 سامراً تهجرون : أي تسمرون بالحرم ليلاً هاجرين الحق وسماعه على قراءة
 فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من
 القول كالفحش والقبح .
 رسولهم : أي محمداً ﷺ .
 به جنة : أي مجنون .

معنى الآيات :

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أنا نمدهم
 بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن ،
 ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ أي دون عمل المؤمنين . ﴿هم لها عاملون﴾ حتى تنتهي
 بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى : ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم
 يجأرون﴾ أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر
 بعذاب القتل والأسر ﴿إذا هم يجأرون﴾ يضجون بالصرخ مستغيثين ، والله تعالى يقول
 لهم : ﴿لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب
 والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
 تنكصون﴾ هروباً من سماعها حال كونكم ﴿مستكبرين به﴾ أي بالحرم زاعمين أنكم أهل
 الحرم ، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله : ﴿سامراً تهجرون﴾ أي تسمرون
 بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تتلى بها عليكم آيات الله . وقد قرىء

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذلك أي : دون الشرك من كباثر الذنوب هم عاملوها لا محالة إذ كتبت عليهم
 ليدخلوا بها النار ، وما كان دون عمل المؤمنين قطعاً هو الشرك والمعاصي ، فلا منافاة بين ما في التفسير وما روي عن ابن
 عباس .

(٢) الجوار : كالخوار يقال : خار الثور يخار : إذا صاح ، وجار الرجل بالدعاء : تضرع به ، قال قتادة : يصرخون بالتوبة فلا
 تقبل منهم ، وجأروا كذلك يوم أصابهم القحط والجذب فجأعوا حتى كادوا يهلكون بدعوة الرسول ﷺ .

(٣) (تنكصون) : ترجعون وراءكم ، وأصله الرجوع إلى الوراء القهقري . قال الشاعر :

زعموا أنهم على سبيل النجاة وإنما نكصوا على الأعقاب

(٤) سامراً معناه سماراً أي : جماعة تتحدثون بالليل ، والسمر مأخوذ من السمر الذي هو ظل القمر ، ومنه سمرة اللون وكانوا
 يتحدثون حول الكعبة في سمرة القمر فسمي التحدث به ، وقرى (سَمَاراً) جمع سامر . يقال : جاء من السامر يريد : من القوم
 الذين يسمرون ، وفي الحديث : كراهة النوم قبل العشاء ، والحديث أي السمر بعدها ، وروي أن عمر رضي الله عنه كان
 يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول : أسمرأ أول الليل ونوماً آخره !!!

تُهَجَّرُونَ بضم التاء وكسر الجيم أي تقولون أثناء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام، وكانوا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ الذي يسمعونه من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم ﴿أم جاءهم﴾ من الدين والشرع ﴿ما لم يأت أباةهم الأولين﴾ فقد جاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك. أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ فهم لهم منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله ﴿أم يقولون به جنه﴾ أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعوا إليها ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم﴾ للحق كارهون ﴿، وهذا هو سرُّ إعراضهم واستكبارهم - إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له .

٢ - لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله .

٣ - بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعه واستكبارهم بالحرم واعتزازهم به جهلاً وضلالاً واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا بَلْ أَيْدِنُهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ

وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزْقَيْنِ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

(١) وقيل: القول: القرآن: وسمي قولاً لأنهم خطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقرير والتأنيب.

(٢) (أم جاءهم) الخ .. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم مالا عهد لأبائهم به فلذا أنكروه وتركوا التدين به، والفاء في: أفلم يدبروا: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نسبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادية ذي بدء.

(٣) في قوله ﴿بل أكثرهم﴾ احتراس عرف في القرآن حتى لا ينقض ببعض الأفراد وهو من اعجاز القرآن وبلغ كماله في البلاغة والبيان.

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفُ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

وَمَا يَنْضَرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

لو اتبع الحق أهواءهم : أي ما يهونه ويستهونه .
أتيناهم بذكرهم : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويذكرون .

أم تسألهم خرجاً : أي مالاً مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم .
فخراج ربك خير : أي ما يرزقه الله خير وهو خير الرازقين .
إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام .
عن الصراط لنكبون : أي عن الإسلام أي متنكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه .

للجوف في طغيانهم يعمهون : لتهدوا في طغيانهم مصرين عليه .

فما استكانوا : أي ماذلوا ولا خضعوا .

إذا هم فيه مبلسون : أي آيسون قنطون .

معنى الآيات :

(١)

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقله تعالى : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحق النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي ما يهونه ويستهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى

(١) اختلف في المراد بالحق فقيل : هو الله تعالى قاله مجاهد وغيره ، وقيل معناه ولو اتبع صاحب الحق ، وقيل : هو مجاز أي : لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعاً ، وما في التفسير أظهر ، وقد استظهره ابن جرير الطبري .

(١) فساد الكون كله علويه وسفليه، وذلك لأنهم أهل باطل لا يرون إلا الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتماً إلى خراب الكون وقوله تعالى: ﴿بل أتيناكم بذكرهم﴾ أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم، وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرَجاً﴾ أي أجراً ومالاً ﴿فخرَج ربك خير﴾ أي ثواب ربك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازيين وحاشا رسول الله ﷺ أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى: ﴿وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي علة تنكبهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعله كفره بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يخبر تعالى أنه لورحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة، وكشف ما بهم من ضر أصابهم من قحط وجذب وجوع ومرض لا يشكرون الله، بل يتجادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون حيارى يترددون، وقوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ وهي سنوات الجذب والقحط بدعوة الرسول ﷺ وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر. وقوله: ﴿فما استكانوا^(٣) لربهم وما يضرعون﴾ فمالوا للربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ وهو معركة بدر وما أصاب

(١) وما في الكون العلوي من الملائكة، والسفلي من الجن والإنس، وإلى هذا الإشارة بمن في قوله: (ومن فيهن).

(٢) الأولى يذكرون بفتح الياء، مبنى للفاعل، والثانية يذكرون بضم الياء مبنى للمفعول.

(٣) قرىء خراجاً أيضاً والمعنى واحد، والمعنى: أسألهم رزقاً فرزق ربك خير، وقيل: الخرج: الجعل والخراج: العطاء، والخرج: المصدر، والخراج: الاسم.

(٤) الصراط في اللغة: الطريق، وسمي الدين طريقاً لأنه طريق إلى الجنة والتائب: العادل عن الشيء المعرض عنه، وهو مشتق من المنكب وهو جانب الكتف.

(٥) (ولو رحمناهم) معطوف على جملة: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وما بينهما: اعتراض باستدلال عليهم وتنديم لهم وقطع لمعاذيرهم أي: أنهم ليسوا بحيث لو استجاب الله جوارهم (دعاهم) عند نزول العذاب بهم وكشفه عنهم لعادوا إلى ما كانوا فيه من الغمرة والشرك والأعمال السيئة. وهذا كقوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون).

(٦) هذا استدلال على مضمون ما في قوله: (ولو رحمناهم) الخ، و(ال) في العذاب للعهد أي: بالعذاب المذكور آنفاً في قوله: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب)

(٧) الاستكانة: مصدر بمعنى الخضوع، مشتقة من السكون، لأن الذي يخضع يقطع الحركة أمام من يخضع له.

المشركين من القتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مَبْلُؤُونَ﴾^(١) أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - خطر اتباع الهوى وما يفضي به من الهلاك والخسران .
- ٢ - الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير .
- ٣ - التكذيب بيوم القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير .
- ٤ - من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتهادي في الشر والفساد .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

- أنشأ لكم السمع : أي خلق وأوجد لكم السمع والأبصار .
والأفئدة : جمع فؤاد وهو القلب .
قليلًا ماتشكرون : أي ماتشكرون إلا قليلًا .
ذراكم : أي خلقكم .

(١) الإيلاس : شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة .

وإليه تحشرون : أي تجتمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم .
 وله اختلاف الليل والنهار : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار .
 أفلا تعقلون : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق .
 إلا أساطير الأولين : أي ماتقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات
 وأساطير وأخبار الأولين ، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية
 مسطرة مكتوبة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيـان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم : ﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أي الله الذي خلق لكم أسعاعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويميزكم ، وقوله : ﴿ قليلاً ماتشكرون ﴾ يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم ، إذ أوجد لهم أسعاعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمده على ذلك ولم يشكروه بالإيـان به وبطاعته . وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ أي خلقكم في الأرض ، ﴿ وإليه تحشرون ﴾ إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويميزكم . وقوله : ﴿ وهو الذي يحيى ويميت ﴾ أي يحيى النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً ، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم .

وقوله تعالى : ﴿ وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ أي والله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا تعقلون أن من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى : ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴾ أي بدل

(١) هذا الكلام الإلهي ، استدلال وامتنان فقد عرفهم بكمال قدرته وعظيم منته .

(٢) جائز أن يكون لهم شكر قليل ، وجائز أن يكون لا شكر لهم البتة ، وإنما هو من باب الاحتراس لا ينقض الخبر . بأدنى شكر منهم .

(٣) جمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الأفراد ، ووجد السمع لأنه مصدر فجرى على الأصل .

(٤) هذه بعض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وحده ، والموجبة لتصديقه فيما واعد به وأعد ، من نعيم الآخرة وعذابها .

(٥) وله اختلاف الليل والنهار هذه اللام : لام الاختصاص إذ لا قدرة لكائن سواه على اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر ، والضياء والظلام ، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها .

(٦) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم تعقلهم وفهمهم لدلائل التوحيد والبعث والجزاء ، والفاء : للتفريع إذ هذا الكلام متفرع على ما تقدم من الأدلة في السياق .

(٧) في هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة لأن الكلام انتقل من التبريع إلى حكاية ضلالهم ، ويل : للاضراب الإبطالي أي : أبطل كونهم يعقلون مع إثبات إنكارهم للبعث مع علة الإنكار وهي : تقليدهم لأبائهم .

أن يؤمنوا باليوم الآخر لما دل عليه من هذه الأدلة التي لا يردّها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قولة المنكرين من الأمم قبلهم: ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً أإنا لمبعوثون﴾ وهو انكار صريح منهم للبعث الآخر. وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله: ﴿لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي لقد وعد هذا آباؤنا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.
- ٣ - سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ

مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا ذُكِرَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبَّحْنَاهُ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ

(١) قرأ الجمهور بهمزيين: الأولى. همزة الاستفهام، والثانية: همزة إذ الشرطية وكذلك مع (إنا لمبعوثون) إلا نافعاً وأباً عمرو فقد قرءا بهمزة واحدة اكتفاء بهمزة الاستفهام الأولى: الدالة على الشرط عن همزة الجواب. والاستفهام إنكاري.
(٢) من قبل محمد ﷺ وجملة: (إن هذه لأساطير الأولين جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً لمن قال: كيف رد الأولون والآخرين على هذا القول؟

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَائِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ

شرح الكلمات :

قل أفلا تذكرون : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو.

قل أفلا تتقون : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.

من بيده ملكوت كل شيء : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء.

وهو يجير ولا يجار عليه : يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده بسوء.

فأنى تسحرون : أي كيف تحذعون وتصرفون عن الحق.

بل أتيناكم بالحق : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

ولعلا بعضهم على بعض : أي قهراً وسلطاناً.

عما يصفون : أي من الكذب كزعمهم أن الله ولد وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل هؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من هي له فسموه. ولما لم يكن لهم من بُدُّ أن يقولوا ﴿الله﴾ أخبر تعالى أنهم سيقولون لله. إذاً قل لهم : ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يصلح أن يكون له شريك من عباده، وهو رب كل شيء ومليكه. وقوله : ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي سلَّهم من هو رب السموات السبع وربَّ العرش العظيم. الذي أحاط بالملكوت كله، أي من هو خالق السموات السبع، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمتصرف فيه، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي خالقها وهي لله ملكاً وتديراً وتصريفاً إذا قل لهم يارسلنا ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أندادا تعبدونها معه، أما تخافون عقابه أما

(١) قل يارسلنا جواباً لهم عما قالوه: (لمن الأرض...) الخ.

(٢) أي: تتعظون فتعلموا... الخ.

(٣) وتجعلون لله البنات وأنتم تكهون ذلك لأنفسكم فكيف ترضونه لربكم؟

(١) تخشون عذابه وقوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾، أي سلمهم يارسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسه بسوء ولا يجار عليه، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أرادته بسوء وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله، أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي^(٢) هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم ﴿فأنى تسحرون؟﴾ أي كيف تخدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق، وتتكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناهم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل ما يدعون ويقولون. ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ ولا بنت، ﴿وما كان معه من إله﴾ ولا ينبغي ذلك، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد هو أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إله بما خلق، ولحارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى: ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً لله تعالى عما يصفون به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك، والعجز عن البعث. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي مظهر وما بطن، وما غاب وما حضر فلو كان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء. ﴿فتعالى عما يشركون﴾^(٣)

(١) الملكوت: من صفات المبالغة كالجبوت، والرهوت، والمراد: ملك كل شيء، وهذا كله احتجاج على العرب لأنهم مقرّون بالله رباً، والاستفهام فيه وفي الذي قبله: تقريري لأنهم مقرّون أن الله هورب السموات وأنه الذي بيده ملكوت كل شيء.

(٢) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضوعين الأخيرين، ولا خلاف في الموضوع الأول لأنه سؤال بمن الملك؟ ومن قرأ في الأخيرين بلفظ: الله فلأن السؤال بغير اللام فجاء الجواب على لفظه. ومن أجاب بالله، فإنه راعى المعنى إذ رب السموات: مالكها فهي له وملكوت كل شيء لله.

(٣) (بل أتيناهم بالحق): إضراب لإبطال كونهم مسحورين. أي: ليس الأمر كما يخيل إليهم، وإنما أتيناهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون، فهذه علة إعراضهم وعدم قبولهم لدعوة الحق، وقولهم فيه (إن هذا إلا أساطير الأولين).

(٤) نفى عنه تعالى اتخاذ الولد كما نفى أن يكون له شريك في الألوهية بالبرهان العقلي وهو: أنه لو كان معه آلهة لاقتسما الكون وذهب كل إله بما خلق، وقد يحارب بعضهم بعضاً ويعلو من يغلب ولم يكن من مظاهر هذا شيء البتة فثبت النتيجة وهي المذكورة أولاً: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله).

(٥) هذا من جملة أدلة نفي الشريك له تعالى إذ العالم بكل شيء كيف يكون له شريك ولا يعرفه، وقرأ حفص عالم بالجر على أنه نعت لاسم الجلالة في قوله (سبحان الله)، وقرأ نافع بالرفع على أنه خبر لمحدوف أي: هو عالم.

(٦) (عما يشركون) ما مصدرية، والمعنى: تعالى عن إشراكهم. أي: هو منزّه عن أن يكون له شريك.

علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيماً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته .
- ٢ - تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته .
- ٣ - تنزيه الله تعالى عن الصحابة والولد وإبطال ترهات المفترين .
- ٤ - الإستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

قُلْ رَبِّ

إِمَّا تُرِيبُنِي مَا يُوْعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾
أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

- إما تريبني ما يوعدون : أي إن تريبني من العذاب .
ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم .
من همزات الشياطين : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده .
أن يحضرون : أي في أموري حتى لا يفسدوها علي .

جاء أحدهم الموت : أي رأى علاماته ورآه .
برزخ : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا
عمل يقبل .

معنى الآيات :

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاها حتى يحين هلاك قومه، أن لا يهلكه معهم فقال: ﴿قل رب إما تريني^(١)﴾ أي أن تريني ﴿ما يوعدون﴾ أي من العذاب، ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم . وقوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك مانعهم لقادرون﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم .
وقوله: ﴿ادفع بالتي^(٢) هي أحسن﴾ هذا قبل أمره بقتالهم: أمره بأن يدفع ما يقولونه له في الكفر والتكذيب بالخلَّة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الالتفات إليهم . وقوله: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أي من قولهم لله شريك وله ولد، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ لما علمه الاحتراز والتحصن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول ﴿رب﴾ أي يارب ﴿أعوذ بك﴾ أي استجير بك من همزات الشياطين أي وساوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه على .
وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت

(١) أصل إما: إن ما، إن شرطية، وما: صلة لتقوية الشرط، وجواب الشرط فلا تجعلني مع القوم الظالمين، علمه ربه هذا الدعاء ليدعوه به . أي: إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني عنهم وأبعدني عنهم . وفي الآية تهديد عظيم للمشركين .
(٢) الجملة تحمل وعيداً آخر مؤكداً للأول الذي تضمنته جملة ﴿رب﴾ إما تريني ما يوعدون .
(٣) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باق، وهو الصفع وعدم المؤاخذة فيما بينهم وأما بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد .
(٤) جمع همزة، والهمز في اللغة النخس والدفع، يقال: همزه ونخسه ودفعه، قال الليث: الهمز: كلام من وراء القفا، واللمز: مواجهة والشيطان يوسوس بوساوسه في صدر ابن آدم، الهمس لغة: الكلام الخفي يقال: همس في أذنه بكذا: أسر به إليه .

(٥) هذا التعوذ، وإن خطب به الرسول ﷺ فهو لأمته معه معه بل هي أحوج منه إليه، وهمزات الشيطان: هي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان بها نفسه وقد شكها خالد بن الوليد للنبي ﷺ أنه كان يورق من الليل فأمره أن يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون .

أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه ﴿قال رب ارجعون﴾^(١) أي أخرجوا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى رداً عليه ﴿كلا﴾^(٢) أي لا رجوع أبداً، ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ لا فائدة منها ولا نفع فيها، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة، ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٣).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن .
- ٢ - استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه .
- ٣ - مشروعية الإستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لا يفسدوه عليه بالخواطر السيئة .
- ٤ - موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يمكن منه فيموت بندمه وحسرتة ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة .

فَإِذَا نْفِخْ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ

خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(١) (ربّ ارجعون) هذا تمنّ للحياة الدنيا بعد ذهابها، وهيئات هيئات أن تعود!! وقوله: (ارجعون): خاطب الربّ تعالى بضمير التعظيم وتعظيم المخاطب شائع في كلام العرب .

(٢) كلا: ردع للسامع ليعلم يقيناً إبطال ما يطلبه الكافر من الرجوع .

(٣) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ .

أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكْتُمُوهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

- في الصور : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء .
- المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .
- تلفح وجوههم النار : أي تحرقها
- وهم فيها كالحون : الكالغ من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه .
- ألم تكن آياتي تتلى عليكم : أي يويخون ويذكرون بالماضي ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن .
- غلبت علينا شقوتنا : أي الشقاوة الأزلية التي تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده .
- أخرجنا منها فإن عدنا : أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخبر إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبى الموحى إليه، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الناقور فذلك

(١) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، والحشر والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا: من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم!!

يومئذ يوم عسير ﴿ فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب يراعى أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط ، ولا يسأل حميم حميماً وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ قالت : هل تذكرون أهليكم يارسول الله يوم القيامة فقال أما عند ثلاثة فلا : إذا تطايرت الصحف ، وإذا وضع الميزان وإذا نصب الصراط ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون .

وقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة ومن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسر وأبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ أي تحرق وجوههم النار فيكحلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أشبع منظر وأسوأه وقوله تعالى : ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ؟ ﴾ هذا يقال لهم تائباً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجسدي ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله ، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه . وقوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح . وقوله تعالى : ﴿ وكنا قوماً ضالين ﴾ هذا قوهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين . ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ هذا دعاؤهم وهم في جهنم يسألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة ، وهو ماتضمنته الآيات التالية .

(١) ورد ما يخص هذا العموم وهو قوله ﷺ (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) رواه الطبراني فإنه إن صح يكون مخصصاً للعموم الآية . والله أعلم .

(٢) (تلفح) وتنفح بمعنى واحد لقوله تعالى : (ولإن مستهم نفحة من عذاب ربك) إلا أن تلفح أبلغ من تنفح وأشد .

(٣) الكلوح : تكشر في عبوس ، والكالغ الذي تشمرت شفتاه وبدت أسنانه قال ابن مسعود : أرايت الرأس المشتط بالنار وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه .

(٤) الاستفهام للتقريع والتأنيب ، والتذكير بما يزيد في حسرتهم وعظيم محتهم وبلاتهم .

(٥) قرأ ابن مسعود وبها قرأ الكوفيون إلا حفصاً شقوتنا وقرأ الجمهور شقوتنا

(٦) وما يستقيمون لو ردوا لعلم الله تعالى بهم إذ قال عز وجل : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون) .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات .
- ٢ - تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة .
- ٣ - تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نهت عليها هنا حتى لا يعتز بها المؤمنون .
- ٤ - الاعتذار بالقدر لا ينفع صاحبه، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله وليتته بنيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور .

قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا

وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا

ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ

سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------|---|
| إخسأوا | : أي أبعثوا في النار أذلاء مخزيين . |
| فريق من عبادي | : هم المؤمنون المتقون . |
| فاتخذتموهم سخرياً | : أي جعلتموهم محط سخريتكم واستهزائكم . |
| بما صبروا | : أي على الإيمان والتقوى . |
| هم الفائزون | : أي الناجون من النار المنعمون في الجنة . |

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾^(١) هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا : ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ وعلل تعالى حكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين يقوله : ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهو فريق المؤمنين المتقين يقولون ﴿ربنا آمنا فاعفر لنا﴾ ذنوبنا ﴿وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بليابنهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية . ﴿أنهم هم الفائزون﴾ برضواني في جناتي لا غيرهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة : ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ .
- ٢ - فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال .
- ٣ - حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه .
- ٤ - فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد .

(١) أي : أبعادوا في جهنم كما يقال لكلب : اخسأ أي : أبعده ، يقال : خسأ الكلب وأخسأه لازم ومتعدّد . يروي عن ابن المبارك عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (إنكم ماكنون) والصحيح أنه يجيبهم بعد ألف سنة ، وعندها ينقطع رجاؤهم ودعاؤهم ويقبل بعضهم على بعض فيتباحون كالكلاب وقد أطبقت عليهم النار .

(٢) الظلم : وضع الشيء في غير موضعه وعابده غير الله تعالى وأضع العبادة في غير موضعها فلذا هو ظالم . والشرك : ظلم عظيم .

(٣) كبلال وصهيب وعمار وخباب من فقراء المسلمين الذين كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ويسخرون منهم .

(٤) في الآية دليل على حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به .

(٥) قرىء بفتح الهمزة أي : لأنهم هم الفائزون وقرىء بكسرهما على الابتداء .

قَالَ

كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسَأَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

كم لبثتم في الأرض : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟
فاسأل العادين : يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من
يعد أما نحن فلم نعرف.
خلقناكم عبثاً : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا.
فتعالى الله الملك الحق : أي تنزه الله عن العبث.
لا برهان له : الجملة صفة لـ «إلهاً آخر» لا مفهوم لها إذ لا لا يوجد برهان ولا
حجة على صحة عبادة غير الله تعالى إذ الخلق كله مريبوب لله مملوك
له.
حسابه عند ربه : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى : ﴿قال كم

لبثتم في الأرض عدد سنين؟ ﴿ هذا سؤال طرح عليهم أي سألمهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين ﴿ لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾ أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم ، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لا يعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ هذا بالنظر إلى ما تقدم من عمر الدنيا ، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسابهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم . وقوله تعالى : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي عن العبت وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله : ﴿ لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو ﴿ رب العرش الكريم ﴾ أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض ، ولم لا يكون العرش كريماً وعظيماً ومالكة جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة .

(١) هذا السؤال موجه للمشركين في عرصات القيامة ، والسؤال عن لبثهم في قبورهم وجائز أن يكون عن مدة حياتهم في الدنيا .

(٢) قيل : أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في قبورهم ، وقيل : استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور وراوه يسيراً بالنسبة إلى ما هم بصدده .

(٣) هذا بالنظر إلى الدار الآخرة لا يعتبر شيئاً يذكر .

(٤) روي بضعف ان ابن مسعود مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه : (أفحسبتم) الآية إلى (رحيم) فبرأ فقال رسول الله ﷺ :

(ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال) .

(٥) أي : مهملين كما خلق البهائم لاثواب لها ولا عقاب عليها كقوله تعالى (أبحسب الإنسان أن يترك سدى) .

(٦) (فتعالى الله) : أي تنزهه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد ، وعن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً .

وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له﴾ أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح، وقوله: لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على جواز عبادة ما عبده، ومن أين يكون له الحجة والبرهان على عبادة غير الله والله رب كل شيء ومليكه وقوله تعالى: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسارنا مبيناً لأنه كافر والكافرون لا يفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد. وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي وارحمي واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - عظم هول يوم القيامة وشدة الفرع فيه فليتنق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.
- ٢ - تنزه الله تعالى عن العبث واللغو واللعب.
- ٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٤ - كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.
- ٥ - الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.
- ٦ - استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

(١) نظرت إلى حذف المفعول في: اغفر وارحم فانقلح في نفسي أن لحذفه سراً وهو: أن يكون عاماً في المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

سُورَةُ الزَّانِيَةِ (١)

مدنية

وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ
عَذَابَهُمَا طَافِقَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

- سورة أنزلناها : أي هذه سورة أنزلناها .
وفرضناها : أي فرضنا ما فيها من أحكام .
وأنزلنا فيها آيات بينات : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .
لعلكم تذكرون : أي تتعظون فتعملون بها في السورة من أحكام .
الزانية : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة .
مائة جلدة : أي ضربة على جلد ظهره .
رأفة : شفقة ورحمة .
وليشهد عذابها : أي إقامة الحد عليها .

(١) روي أن عمر رضي الله عنه : كتب يوماً إلى أهل الكوفة . علموا نساءكم سورة النور . كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور، والغزل .

طائفة : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة .

الزاني لا ينكح إلا زانية : أي إلا زانية مثله أو مشرقة أي لا يقع وطء إلا على مثله .^(١)

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ﴿وفرضناها﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام ، وقوله : ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامرونه وآداب وأخلاق وقوله تعالى : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حُرَّان غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعضا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلدأ غير مبرح ، وزادت السنة تغريب سنة ، وقوله تعالى : ﴿ولا تأخذكم بها رافة في دين الله﴾ ، أي لا تشفقوا عليها فتعطلوا حدَّ الله تعالى وتحرموها من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها ، وقوله : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي فأقيموا عليها الحد وقوله : ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي إقامة الحد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل .

وقوله تعالى : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة﴾ أي لا يبطأ إلا مثله من الزواني أو مشرقة لا دين لها ، والزانية أيضاً لا يبطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرقة ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولازم هذا أن لا تزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته ، ولا تزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها .^(٥)

(١) أي : إلا مثل الواطئ يريد الزاني بالزانية والمشرقة بالمشرقة .

(٢) قرأ الجمهور برفع الزانية وقرأ : عسى التقني بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه نحو : زيدا أضربه ، وتقدير الرفع : مما يتلى عليكم الزانية والزاني . على تقديم الخبر ، وقدمت الزانية لأن الزنى في النساء أعز وأقبح وأضر للحمل ، وال : في الزانية والزاني : للجنس ليعم سائر الزناة ، على مرور الأعصر والأيام .

(٣) لا خلاف في أن الذي يقوم بإقامة هذا الحد هو الإمام أو نائبه والسادة في العبيد ، وأن السوط يكون بين اللين والشدة وسطا بينهما ، ولا يتعدى هذا الحد إلا أن يجزؤ الناس على الجرائم ويكثر الشر والفساد فيعزرون بما يردعهم .

(٤) قيل : إن هذه الآية منسوخة بآية : (وإنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وما في التفسير أولى وأظهر وبه العمل .

(٥) الجمهور على أن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد استبرائها بحيضة وإذا زنت امرأة الرجل أو زنى هو لا يفسد نكاحهما .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الشيطان فالرجم إن كانا حرين أو جلد خمسين^(١) جلدة لكل واحد منها إن كانا غير حرين .
- ٢ - وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين .
- ٣ - لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته ، ولا الزانية إلا بعد توبتها .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

- يرمون : أي يقذفون .
المحصنات : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء .
فاجلدوهم : أي حداً عليهم واجباً .
ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات .
إلا الذين تابوا : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم .

معنى الآيتين :

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال : ﴿والذين يرمون المحصنات﴾^(٢) أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط

(١) لقوله تعالى من سورة النساء (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والمراد به : الإماء والعبيد مثلهن ، ولما كان الموت لا ينصف فعلم أنه الجلد خمسين جلدة .

(٢) قيل : خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال .

(١) فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية : وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدالته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي عن طاعة الله ورسوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ بأن كذبوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفاحشة وقوله : ﴿فإن الله غفور﴾ فيغفر لهم بعد التوبة ﴿رحيم﴾ بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقدوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها .^(٢)
- ٢ - سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته .
- ٣ - قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً .^(٣)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ

فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

(١) اختلف في التعريض هل يوجب الحد أو لا؟ فمالك يرى إيجابه إذا حصلت المعرفة بالتعريض وإلا فلا وأخذ التعريض من آية : (إنك لأنت الحليم الرشيد) قاله قوم شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام تعريضاً به لا مدحاً له ومن أمثلة التعريض قول الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شبهه بالنساء .

وقال آخر :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

اتهم القبيلة بالضعف وهو من أحوال النساء .

(٢) للحد شروط تسعة : العقل والبلوغ وهما للقاذف والمقدوف سواء إذ هما شرط التكليف ، وشرطان في الشيء المقدوف به وهما أن يكون القذف بوطىء يوجب الحد وهو الزنى واللواط أو بنفيه من أبيه وخمسة في المقدوف وهي : العقل والبلوغ كما تقدمت والاسلام والحرية والعفة .

(٣) الجمهور على أنه لا حد على من قذف كتابياً ذكراً أو أنثى والاجماع على عدم إقامة الحد على من قذف كافراً لأنه لا يُحرم الزنى فكيف يحد على من قذف به؟ .

(٤) إن شهد أربعة وأقيم الحد على المقدوف ثم أقر أحد الشهود بأنه كان كاذباً فإن لأولياء الدم بين قتله وبين العقو عنه وبين أخذ ريع الدية منه . هذا مذهب مالك وبه قال أحمد رحمهما الله تعالى .

وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

يرمون أزواجهم : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه .

إنه لمن الصادقين : أي فيها رماها به من الزنى .

والخامسة : أي والشهادة الخامسة .

ويدرأ عنها العذاب : أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت .

أن تشهد أربع شهادات : أي شهادتها أربع شهادات .

والخامسة : هي قولها غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

ولولا فضل الله عليكم : أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما .

معنى الآيات :

بعد بيان حكم حد القذف العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ أي بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع شهادات قائلاً : أشهد بالله لقد رأيتها تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة ﴿لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي فيما رمى به زوجته . وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماها به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم ، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها ما زنت ، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله

(١) قرأ الجمهور بتشديد (أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ) (وَأَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا) بلفظ المصدر في (أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ) وتقدر باء الجر قبل أن لأنها هي التي اقتضت فتح أن، وقرأ نافع بتخفيف نون أن في الموضعين وغضب بصيغة الماضي .

(٢) ويعرف باللعان: لأن كلا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كذاباً .

(٣) نزلت هذه الآيات في قضية عويمر العجلاني مع زوجته خولة بنت عاصم أو قيس . فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقلته فيقتلونه أم كيف يفعل؟ قال رسول الله ﷺ : (قد أنزل الله فيك وفي صاحبك) فاذهب فأت بها فأتى بها وتلاعنا وكانت هذه الحادثة في شعبان سنة تسع عقب القبول من غزوة تبوك .

(٤) حذف متعلق شهادته لظهوره من السياق أي : شهادته على ما ادعوه مما رما به أزواجهم .

(٥) قامت الأربع شهادات مقام أربعة شهود الذين لا بد منهم في القذف بالفاحشة خاصة فشهادة القتل والسرقة وغيرها يكتبني بشاهدين وفي القذف لا بد من أربعة شهود .

(٦) سميت الأيمان هنا شهادة لأنها اقتصت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها .

فتقول ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العذاب الذي هو الحد ويفرق بينها فلا يجتمعان أبداً. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.

٢ - بيان كيفية اللعان، وأنه موجب لإقامة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.

٣ - في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحى إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
كِبْرًا مِّنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى
جَاءُ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

(١) هذا تذييل لما مر من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
 وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
 قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
 ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
 وَيَسِّنُّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

- بالإفك عصبه : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبه الجماعة.
 شراً لكم بل هو خير : الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره،
 لكم والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار.
 والذي تولى كبره : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين.
 لولا أداة تفضيض وحث بمعنى هلاً.
 فيما أفضتم فيه : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ.
 إذ تلقونه أي تلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض.
 وتحسبونه هيناً : أي من صفات الذنوب وهو عند الله من كبائرنا لأنه عرض مؤمنة
 هي زوج رسول الله ﷺ.
 سبحانه : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.
 بهتان عظيم : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه.
 يعظكم الله : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبداً.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق
 لا يحصون عدداً إذ طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ
 ورث فيهم رؤساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت
 تضليلاً وتغريباً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردتهم النار باسم

الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباهم ولوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجته إلى الفاحشة .

وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق أو المريسي، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة رضي الله عنها فظنوها فيه فوضعوها على البعير وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه، وما هي فيه، لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت فيه فعادت تلمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها وما زالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمى رضي الله عنه وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرأها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون أسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضي الله عنها فتجلبت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رأي ابن أبي لعنة الله عليه حتى قال والله مانجت منه ولا نجا منها، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، والذي تولى كبره هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة واضطربت لها نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبراءة صفوان رضي الله عنه، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾^(١) أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: ﴿عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة لا يقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر

(١) هذا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، والإفك: الكذب الخالص الذي لا شبهة فيه يفاجأ به المرء فيبته فيصير بهتاناً وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو القلب ومن صورته أن يقال في الصادق كاذب والطاهر خبيث ونحو ذلك .

(٢) عصبة: خبر إن، والعصبة: الجماعة يتعصب بعضهم لبعض .

مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها وحسان بن ثابت رضى الله عنه، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ﴿بل هو خير لكم﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى: ﴿لكل امرئ ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما قال وروح وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه .
وقوله : ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ وهو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله .

وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: ﴿لولا﴾ أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقتلتن لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم .

وقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالافك فإنهم لا يأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله . وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم . وقوله: ﴿إذ تلقونه بالسنتكم﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض ، ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ وهذا عتاب وتأديب . وقوله: ﴿وتحسبونه هيناً﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ ، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين .

(١) الكبر: بكسر الكاف قراءة الجمهور ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، وقرئ به بضم الكاف .
(٢) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ العصابة وفيه تربية للمسلمين وإرشاد لهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب .
(٣) لولا: هذه مثل سابقها حرف تحريض .
(٤) لولا هذه حرف امتناع لوجود، امتنع مس العذاب لوجود فضل الله ورحمته .
(٥) الإفاضة في القول: التوسع فيه مشتقة من إفاضة الماء على العضو .

وقوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ إذ هذه مما لا يصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه. وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿سبحانك﴾ أي يارب ﴿هذا﴾ أي الإفك ﴿بهتان عظيم﴾ بهتوا به أم المؤمنين وصفوان.

وقوله: ﴿يعظكم^(١) الله﴾ أي ينهاكم الله خوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة ﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً. وقوله: ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.
- ٢ - بشاعة الإفك وعظيم جرمه.
- ٣ - العقوبة على قدر الجرم كبيراً وصغراً قلة وكثرة.
- ٤ - واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذا أنت عند الله من الكاذبين.
- ٥ - حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ

(١) لولا هنا بمعنى: هلا وهي للتوبيخ.

(٢) قال مالك: من سب أبا بكر وعمر آذب ومن سب عائشة كفر لأن عائشة براها الله تعالى فمن سبها بغير الفاحشة آذب ومن سبها بالفاحشة كفر لانه كذب الله تعالى.

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي
 مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ
 وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

أن تشيع الفاحشة : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا .
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها
 العصابة .

خطوات الشيطان : نزغاته ووساوسه .
 ما زكى منكم من أحد أبداً : أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس
 الإثم .

ولا يأتل أولوا الفضل منكم : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق
 رضی الله عنه .

والسعة : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير .

معنى الآيات :

(١) مازال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك ف قوله تعالى : ﴿إن الذين يحبون
 أن تشيع الفاحشة﴾ أي تنتشر وتشتهر ﴿في الذين آمنوا﴾ أي في المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم
 في الدنيا﴾ بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار
 جهنم ، وكفى بهذا الوعيد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى : ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ما
 يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يجهبها بالعذاب
 الأليم في الدارين ، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على ما يشرع وذلك

(١) روي أنه ﷺ قال : (أيما رجل شد عضد امرئ من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع ، وأيما
 رجل قال شفاعة دون حد من حدود الله أن يقام فقد عاند الله وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة ، وأيما
 رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء أن يشقيه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يرميه بها في النار ، ثم تلا
 مصداقه من كتاب الله : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) الآية .

لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ هلكتم^(١) بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي يامن صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاموا بزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل الله^(٢) على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليظهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم ، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصابة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم ، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له . وقوله : ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيتة زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصْفَحُوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثانة

(١) (لهلكتم) هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق .

(٢) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي : أن الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وسواس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد .

(٣) لولا هنا : حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته ، والجملة سبقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا .

(٤) روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر آيات ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربائه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال : لا أنزعها منه أبداً . قال ابن المبارك . هذه أرجى آية في كتاب الله .

(٥) الفضل : الزيادة وهي ضد النقص . والسعة : الغنى والائتلاء : الحلف مأخوذ من الآلية التي هي الحلف .

وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا يأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكره لهم ولا يذكر ونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟﴾ فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله ﷺ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير.

وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الاستئذان عند دخول البيوت المسكونة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ما كضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشرطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

(١) (ألا تحبون): الاستفهام للإنكار وهو مستعمل في التحضيض والحث على السعي تحصيلاً للمغفرة بالعفو والصفح.

- ٢ - حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر .
 ٣ - متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر .
 ٤ - على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم .
 ٥ - من حلف على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير .
 ٦ - وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا .

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٢﴾
 يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿٤٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
 الْمُبِينُ ﴿٤٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
 وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
 مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- يرمون المحصنات : أي العفيفات بالزنى .
 الغافلات : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها .
 المؤمنات : أي بالله ورسوله ووعده الله ووعده .
 يعملون : أي من قول أو عمل .
 يوفيهم الله دينهم الحق : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم .
 الخبيثات من النساء والكلمات :

للخبِيثين : للخبِيثين من الرجال
والطيبات : من النساء والكلمات
للطيبين : أي من الرجال .
أولئك مبرءون مما : أي صفوان بن المعطل وعائشة رضی الله عنهما أي مبرءون مما قاله
يقولون عصابة الإفك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١)
هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبدالله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي
عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر بيالها ﴿لعنوا﴾ أي أبعدها من الرحمة الإلهية
﴿في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا بإقامة الحد عليهم وفي الآخرة بعذاب النار،
وذلك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من سوء الأفعال،
وقوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي
جزاءهم الواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق المبين أي الإله الحق الواجب
الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا غيره .

وقوله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ﴾ أي الخبيثات من النساء والكلمات للخبِيثين من
الرجال كابن أبي، ﴿والخبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ أي والخبِيثُونَ من الرجال للخبِيثَاتِ من النساء
والكلمات وقوله : ﴿والطيبات للطيبين﴾ أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من
الرجال كالنبي ﷺ وعائشة رضی الله عنها وقوله : ﴿والطيبون للطيبات﴾ أي والطيبون من
الرجال للطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى : ﴿أولئك مبرءون مما

(١) هذه الجملة مستأنفة كجملة : (إِنَّ الَّذِينَ يَحْتَرُونَ أَنْ تَشِعَّ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا . .) وكلتا الجملتين تفصيل للموعظة
في قوله تعالى : (يعظكم الله أَنْ لَا تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

(٢) الإجماع على أَنَّ حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياساً واستدلالاً وحكماً
وقضاء .

(٣) الغافلات : من اللاتي لا علم لهن بما رمين به وذلك لسلامة صدورهن ويُعدهن - بحكم إيمانهن - عن مواطن الرب .

(٤) الجملة مستأنفة استثناءً بيانياً .

(٥) لوصف الله تعالى بالحق له معنيان جليلان . الأول : أنه بمعنى : الثابت الحق لأن وجوده واجب فذاته حق إذ لم يسبق
عليها عدم ولا انتفاء فلا يقبل إمكان العدم . والثاني : أنه تعالى ذو الحق الواجب له على عباده وهو عبادته وحده دون سواه .

(٦) الابتداء بذكر الخبيثات لأن الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين واللام في للخبِيثين :
للاستحقاق .

(٧) المراد من الخبث والطيب : الصفات النفسية . الفواحش : صفات خبث والفضائل صفات طهر .

يقولون ﴿ أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها، ومبرؤون أي من قالة السوء التي قالها ابن أبي ومن أذاعها معه. وقوله: ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ هذه بشرى لهم بالجنة مقابل مانالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لا يخلو منها مؤمن وهو الستر عنها ومحوها ورزقاً كريماً في الجنة.

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - عِظْمُ ذَنْبٍ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ وَقَدْ عَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّبْعِ الْمُبِيقَاتِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.
- ٢ - تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب.
- ٣ - تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله.
- ٤ - استحقاق الخبث أهله. فالخبث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث.
- ٥ - استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب.
- ٦ - براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك.
- ٧ - بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ
قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

- آمنوا : أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع .
تستأنسوا : أي تستأذنون إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي .
وتسلموا على أهلها : أي تقولوا السلام عليكم أَدْخَلَ ثلاثاً .
تذكرون : أي تذكرون أنكم مؤمنون ، وأن الله أمركم بالإستئذان .
أزكى لكم : أي أظهر وأبعد عن الريبة والإثم .
ليس عليكم جناح : أي إثم ولا حرج .
فيها متاع لكم : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها .
ماتبدون : أي ماتظهرونه .
وما تكتمون : أي ماتخفونه إذا فراقوه تعالى ولا تضمروا ما لا يرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعالها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لا تدخلوا بيوتاً على أهلها حتى تسلموا عليهم قائلين السلام عليكم وتستأذنون قائلين أَدْخَلَ ثلاث مرات فإن أذن لكم بالدخول دخلتم وإن قيل لكم ارجعوا أي لم يأذنوا لكم لحاجة عندهم فارجعوا وعبر عن الإستئذان بالاستئناس لأمرين أولها أن لفظ الإستئناس^(١) وارد في لغة العرب بمعنى الإستئذان وثانيهما : أن الإستئذان من خصائص الإنسان الناطق وعدمه من خصائص الحيوان المتوحش إذ يدخل على المنزل بدون إذن إذ ذاك ليس من خصائصه .

(١) ورد في سب نزول هذه الآية أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله : إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرايت الخانات والمسكن في طرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة . . الخ .

(٢) صح أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (ارجع فقل السلام عليكم) وقال : (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذونا له) .

(٣) الاستئناس ، معناه طلب الأنا ل أهل البيت حتى تزول الوحشة والكرهة وذلك بالاستئذان .

وقوله ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي الاستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي في البيوت يأذن لكم أي بالدخول فلا تدخلوها وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾ لِأَمْرِ اقْتَضَى ذَلِكَ ﴿فَارْجِعُوا﴾ وَأَنْتُمْ رَاضُونَ غَيْرِ سَاخِطِينَ. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي أظهر لنفسكم وأكثر عائدة خير عليكم. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي مطلع على أحوالكم فتشريعهم لكم الإستئذان واقع موقعه إذا فاطبعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾. هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لا يستأذنوا عند دخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الإستئذان أي طلب الإذن لا غير.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي يعلم ماتظهرون من أقوالكم وأعمالكم وما تخفون إذا فراقبه تعالى في أوامره ونواهيه وافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الإستئذان ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته .
- ٢ - الرخصة في عدم الإستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض .

(١) ورد في الصحيح ما يجعل الاستئذان متأكداً فوق المشروعية إذ أنّ رجلاً اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدراً يرجل به رأسه فقال له رسول الله ﷺ (لو أعلم أنك تنظر لطمعت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البصر) وفي الآية توعد ظاهر لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة .

(٢) وإذا قيل له من؟ فلا يقل أنا بل يقول فلان ابن فلان لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: من هذا؟ فقالت أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا كأنه كره ذلك .

- ٣ - من آداب الإستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه ، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أَدْخَلَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ .
- ٤ - في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
 ذَلِكَ أَرَى لَهُمْ مِنْ اللَّهِ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
 يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
 وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
 آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
 أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
 الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
 وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا
 إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- يغضوا من أبصارهم^(١) : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن .
- ويحفظوا فروجهم : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى واللواط .

(١) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت . أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

- أزكى لهم
ولا يبدین زینتهن
- : أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات .
: أي مواضع الزينة الساقين حيث يوضع الخللخال،
وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس
حيث الشعر والأقراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين
والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب
والقلائد .
- إلا ما ظهر منها
- : أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيئاً
والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة
كالخمار والعجار والعباءة .
- بخمرهن على جيوبهن
- : أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي
فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيء من
جسمها .
- إلا لبعولتهن
أو نسائهن
- : البعل الزوج والجمع بعول .
: أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة
أمامهن .
- أو ما ملكت أيانهن
- : أي العبيد والجواري فللمسلمة أن تكشف وجهها
لخادمها المملوك .
- أو التابعين غير أولي الإربة
- : أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا
حاجة لهم إلى النساء .
- أو الطفل
- : أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ .
لم يظهر وا على عورات النساء : أي لم يبلغوا سنأ تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء
للتلذذ بهن .
- ليعلم ما يخفين من زینتهن
- : أي الخلاخل في الرجلين .
تفلهون : أي تفوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر
والشرف وعالي الغرف في دار النعيم .

معنى الآيات :

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ أي مُرَّ يارسولنا المؤمنين بأن يغضوا من^(١) أبصارهم أي بأن يخفصوا أجنفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيةات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجته فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب، وقوله : ﴿ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ أي أظهر لنفوسهم من نوافل العبادات ، وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ أي مرهن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ مما لا يمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لا يمكنها ستره .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر سترًا كاملاً وقوله : ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ أعاد اللفظ ليرتب عليه ما بعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج ، والأب والجد وان علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا ، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبناؤه وأن نزلوا ، وابن الأخ

(١) غض البصر واحترام النساء بعدم النظر إليهن معروف في الجاهلية وهذا عترة بن شداد يقول :

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني ماؤها؟

لم يذكر الله تعالى ما يغض البصر من أجله للعلم به وهو : وجود النساء الأجنبيةات ، وكذا ما يحفظ منه الفرج ، وهو : النظر إليه والزنى واللواط .

(٢) (من) جائز أن تكون زائدة في يغضوا أبصارهم ، وجائز أن تكون للتبعيض لجواز النظر إلى المحارم .

(٣) ورد في الأمر بغض البصر في السنة قوله ﷺ (إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال : فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقال لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) .

(٤) قال ابن عطية : ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية : أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر لحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه ، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فيما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه .

وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم. والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات، وعندها المملوك لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف، وعين ومعتوه وطفل صغير لم يميز دون البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر.

وقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهي تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها.

وقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المهوب والظفر بالمحبوب المرغوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب غض البصر وحفظ الفرج. ^(١)
- ٢ - وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.
- ٣ - بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.
- ٤ - الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.
- ٥ - حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ما تخفي من زينتها.
- ٦ - وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل.

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

(١) وجوب غض البصر عن النظر إلى المحارم والعورات ويستحب ستر العورة عن الزوج، لحديث عائشة: (ما رأيت ذلك منه، ولا رأيت ذلك مني) كما يستحب ستر العورة مطلقاً عن الله وملائكته لقوله ﷺ: (فإنه أحق أن يستحي منه من الناس: لمن قال له: الرجل يكون خالياً).

وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
 وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
 عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا
 تَكْرَهُوا فَبَيِّتْكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنَ لَلْبَيْتِغَاوِ عَرْضَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا
 مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

وأنكحوا الأيامى منكم

: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نساءكم .

والصالحين من عبادكم وإمائكم

: أي وزوجوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم .

إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله

: أي إن يكن الأيامى فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنهم .

إن الله واسع عليم .

: أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكريماً .

وليستعفف

: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام .

يبتغون الكتاب

: أي يطلبون المكاتب من المماليك

إن علمتم فيهم خيراً

: أي قدرة على السداد والإستقلال عنكم .

وآتوهم من مال الله

: أي اعينوهم بثمن نجم من نجوم المكاتب من الزكاة وغيرها .

على البغاء إن أردن تحصناً

: أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا .

عرض الحياة الدنيا : أي المال .
 ومن يكرههن : أي على البغاء «الزنى» .
 مبيئات : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه .
 ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم : أي قبلكم : أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك .
 وموعظة : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (٣٢) أمر جماعة المسلمين أن يزوجوا الأيامي من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا^(١) ﴾ والأمر للإرشاد ﴿ الأيامي ﴾ جمع آيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً ، ﴿ منكم ﴾ أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين . وقوله : ﴿ والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾ أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته ، وتكاليفه من مماليتكم وقوله : ﴿ إن يكونوا فقراء ﴾ غير موسرين لا يمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله : ﴿ يغنيهم^(٢) الله من فضله والله واسع عليم ﴾ أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لا يجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عبادته وحاجة المحتاجين منهم . وقوله تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه

(١) الخطاب للأولياء ولجماعة المسلمين إن عجز الأولياء أي : زوّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف ، والطهر والتكافل الاجتماعي . والنكاح تجرى عليه الأحكام الخمسة إذ يكون واجباً على من خاف العنت وقدر على مؤونته ، ويسن لمن لم يخف العنت وقدر على مؤونته ويحرم على من لم يخف العنت ولا مؤونة لديه . ويكره لمن لم يخف العنت ويشغله عن طاعة الله تعالى ويباح لمن لا رغبة له فيه وهو قادر عليه .

(٢) اختلف في هل للسيد أن يكره عبده أو أمته على التزويج والذي يبدو أن الإكراه يشرع مع خوف الضرر فإن لم يكن ضرر فلا إكراه .

(٣) في الآية دليل على تزويج الفقير بل قال عمر : عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى : (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله).

(٤) نكاحاً : أي طوّل نكاح فحذف المضاف ، وفي الحديث الذي رواه النسائي (ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم : المجاهد في سبيل الله والتاكي الذي يريد العفاف ، والمكاتب الذي يريد الأداء).

الآية وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكتبه . وكان أهلاً للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبه . ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكة أن يكتبه ، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وقوله تعالى : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جارتين كانتا لعبد الله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معادة ومسيكة قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكنا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة . وقوله : ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن رحيم بهن لأن المكروه لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٤) ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنية مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله : ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله : ﴿وموعظة للمتقين﴾ وهي ماتضمنته الآيات من الوعيد والوعيد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامي من المسلمين أحراراً وعبيداً .

٢ - وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى يسر الله أمره .

٣ - عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى .

(١) لا تكون المكاتبه إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد .

(٢) (خيراً) أي : صلاحاً وتقوى وقدرة على الأداء .

- ٤ - تعين مكاتبة العبد إذا توافرت فيه شروط المكاتبة .
 ٥ - حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود .
 ٦ - صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجماً أي قسطاً . على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .
 ٧ - بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

﴿الله نورا السموات﴾

وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوَةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
 لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
 نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
 لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْتَرَفَعُ
 وَيَذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
 رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
 مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

: أي منورهما فلولاها لما كان نور في السموات ولا في

الله نور السموات

الأرض، والله تعالى نورٌ (١) وحجابه النور.

مثل نوره	: أي في قلب عبده المؤمن .
كمشكاة	: أي كوة
كوكب دري	: أي مضىء اضاءة الدر الوهاج .
نور على نور	: أي نور النار على نور الزيت .
يهدي الله لنوره	: أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته .
ويضرب الله الأمثال	: أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا ما يدعوههم إليه .
في بيوت أذن الله أن ترفع	: هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة .
يوماً تتقلب ^(٢) فيه القلوب والأبصار : يوم القيامة .	
يرزق من يشاء بغير حساب	: أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادي إليه .

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ أي كوة في جدار ﴿فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ من بلور، ﴿والزجاجة﴾ في صفاتها وصقالتها مشرقة ﴿كأنها كوكب دري﴾ والكوكب الدرّي هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية، وقوله: ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي زيت

(١) في الحديث الصحيح: (اللهم أنت نور السموات والأرض) وفي آخر صحيح وقد سئل ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال (نور) أتى أراه) وفي آخر (رأيت نوراً).

(٢) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(٣) قال ابن عباس: (الله نور السموات والأرض) يقول: هادي أهل السموات والأرض.

المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتون والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿ نور على نور ﴾^(١) أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها.

وقوله: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ يخبر تعالى: أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.

وقوله: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر ووصى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا،^(٢) وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله: ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ أي بالأذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿ يسبح له فيها ﴾ أي الله في تلك البيوت ﴿ بالغدو ﴾ أي بالصباح ﴿ والآصال ﴾ أي المساء ﴿ رجال ﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿ لاتلهيهم تجارة ولا بيع ﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿ عن ذكر الله ﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألستهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿ وإقام الصلاة وإتياء الزكاة ﴾ أي لاتلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وقوله: ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفرع والهلول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ﴾

(١) أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاج إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.

(٢) قوله تعالى: ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ إلى قوله: ﴿ عليم ﴾ هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.

(٣) قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإن مسته النار ازداد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدئ على هدئ ونوراً على نور.

(٤) كون (في بيوت) متعلقاً بقوله (مصباح) أولى وأوضح من تعلقه بيسبح له) وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: (وجعل فيهن نوراً) وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.

(٥) لقول الرسول ﷺ للذي أنشد الضالة: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له) يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلم العلم.

(٦) الأصال: جمع أصيل وهو المساء.

أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك .
- ٢ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم .
- ٣ - الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية ، لا اشتراكية ولا رأسمالية . بل هي الملة الخفيفة من دان بها هدى ومن كفرها ضل .
- ٤ - وجوب تعظيم بيوت الله تعالى « المساجد » بتطهيرها ورفع بنائها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها .
- ٥ - ثناء الله تعالى على من لاتبهيم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
 وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 أَوْ كَظُلْمٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ
 فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
 يَكَدْ يَرِنُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
 اللَّهَ يَسْخِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّ

(١) أول من أثار مسجد رسول الله ﷺ : تميم الداري ، إذ أتى بقناديل من الشام فعلقها في مسجد رسول الله ﷺ وأسرجها فراها الرسول ﷺ فدعا بقوله ﷺ (نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة) .

عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

كسراب بقية : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ، والبقية جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض .

الظمان العطشان .

بحر لحي : أي ذو لجاج واللجة معظم الماء وغزير كما هي الحال في المحيطات .

يفشاه موج : يعلوه ويغطيه موج آخر .

يسبح له : ينزه ويقدر بألفاظ التسبيح والتفديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح .

صافات : باسطات أجنحتها .

قد علم صلواته : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلواته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب﴾^(١) لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرتها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بقية﴾ أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة . ﴿يحبسه الظمان ماء﴾ أي يظنه العطشان ماء وما هو بهاء ولكنه سراب خادع ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ لأنه سراب لا غير . فإيا للخبية ، خيبة ظمان يقتله العطش فرأى سراباً فجرى وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء ، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخرس خسراً مبيناً ، ﴿والله سريع الحساب﴾ فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم . هذا مثل تضمنته الآية الأولى (٣٩) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (٤٠)

(١) سمي السراب سراباً : لأنه يسرب كالماء في جريانه ، والسراب يلتصق بالأرض ، والأل كالسراب إلا أنه يكون كالماء ولكنه مرتفع بين السماء والأرض قال الشاعر :

وكنت كمهريق الذي في سقائه لزقراق آل فوق رابية صلد

وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر وظلمة العمل السيئ والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه وما يريده منه ، وما أعده له قال تعالى : ﴿أوكظلمات^(١) في بحر^(٢) لحي﴾ أي ذي لجج من الماء ﴿يغشاه﴾ أي يعلوه ﴿موج من فوقه موج﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿من فوقه سحب﴾ . والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا ، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى : ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ . أعلم تعالى عباده أن النور له ويده فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله .

وقوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير صافات أي باسقاط أجنحتها تسبح الله تعالى بمعنى تنزهه بالفاظ التنزيه كسبحان الله . فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله تسبح فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى : ﴿كل﴾ أي ممن في السموات والأرض والطير قد علم الله صلاته وتسيحه كما أن كلاً منهم قد علم صلاته لله تعالى وتسيحه له ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي والله عليم بأفعال عباده ، ويجزيهم بها وهو على ذلك قدير إذ له ملك السموات والأرض وإليه المصير أي مصير كل شيء إليه تعالى فهو الذي يحكم فيه بحكمه العادل .

(١) قال الجرجاني الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار ، والثانية في ذكر كفرهم . ونسق الكفر على الأعمال لأن الكفر أيضاً من أعمالهم .

(٢) قيل : المراد بالظلمات : أعمال الكفار ، وبالبحر اللحي : قلب الكافر ، وبالموج فوق الموج : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة ، وبالسحاب : الرين والختم والطبع على قلبه ، ولذا قال أبي بن كعب : الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار .

(٣) قيل : هذه الآية نزلت في شبية بن ربيعة أو في ربيعة نفسه إذ كلاهما ترهب وطلب الدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام كفر به ولم يدخلا فيه وماتا كافرين .

(٤) أي : من الجن والإنس .

(٥) قرىء (والطير) بالرفع عطفاً على من . وقرىء بالنصب على نحو : قمت وزيداً أي معه وهو أجود من الرفع ولو قلت قمت أنا وزيد لكان الرفع أجود .

(٦) تسبيح الحال هو ما يرى من علم الله تعالى وقدرته في آثار الصنعة في المخلوقات ، فالخالق المدبر وحده لا يكون إلا إلهاً واحداً لا شريك له .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان .
- ٢ - بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها .
- ٣ - بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم .
- ٤ - تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها .
- ٥ - بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السموات وما في الأرض وقوله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

الْمُتَرَانَّ اللَّهُ يُزْجِي

سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٢﴾
يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|------------------------------|
| يزجي سحاباً | : أي يسوق برفق ويسر . |
| ثم يؤلف بينه | : أي يجمع بين أجزائه وقطعه . |
| ثم يجعله ركاماً | : أي متراكماً بعضه فوق بعض . |
| الودق | : أي المطر . |

يخرج من خلاله	: أي من فرجه ومخارجه .
من جبال فيها من برد	: أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج .
فيصيب به من يشاء	: أي فيصيب بالبرد من يشاء .
سنا برقه	: أي لمعانه .
يذهب بالأبصار	: أي الناظرة إليّه
لعبرة	: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .
كل دابة من ماء	: أي حيوان من نطفة .
على بطنه	: كالحيات والهوام .
على رجلين	: كالإنسان والطيور .
على أربع	: أي كالأنعام والبهائم .
إلى صراط مستقيم	: أي إلى الإسلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله يزجي^(١) سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلّف﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي متراكماً^(٢) بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه وشقوقه . والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله: ﴿ويتزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته ، ويصرفه عن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر

(١) ذكر تعالى من حججه وبراهينه على ألوهيته شيئاً آخر وهو: سوق السحاب وتكوين المطر وإنزاله، وإزجاء السحاب، سوقه يقال: البقرة ازجت ولدها: إذا ساقته أمامها.

(٢) يقال: ركمه يركمه ركماً، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض، والركام المتراكم.

(٣) الودق: إنه البرق، وكونه المطر: أولى ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

القدرة واللطف الإلهي وقوله: ﴿يكاد سنا برقه﴾^(١) أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.

وقوله تعالى ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولعان البرق وتقلب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكما له فيعبدونه ويوحدونه مُحَبِّين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعالى: ﴿والله خالق كل دابة﴾^(٢) أي من إنسان وحيوان ﴿من ماء﴾^(٣) أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطيور، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ إذ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾^(٤) أي على فعل وإيجاد ما يريد قدير لا يعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلفها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟ وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.

(١) السنا مصدر: لمعان البرق والسنا، ممدود: الرقعة قال: ابن دريد:

زال السنا عن ناظري وزال عن شرف السنا

فالسنا أول: الرقعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: (يكاد سنا برقه) وصف ل: (سحاباً).

(٢) فخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.

(٣) تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبئها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.

(٤) هذه الجملة ذكرت تذييلاً وتعليلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١ - مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيثار والتقوى.
- ٢ - بيان كيفية نزول المطر والبرد.
- ٣ - مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن زرع وماشية بعض عباده.
- ٤ - مظاهر القدرة والعلم في قلب الليل والنهار على بعضهما بعضاً.
- ٥ - بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة.
- ٦ - امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال.

وَيَقُولُونَ

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

﴿٥٢﴾

(١) قرأ حفص: (ويتقّه) بإسكان القاف على نية الجزم لأن من: شرطية جازمة، وكسرهما الباقون: لأن جزم المعتل بحذف آخره وأسكن الهاء بعض واختلس كسرتها قالون عن نافع، وأشبع الكسرة الباقون.

شرح الكلمات :

- ويقولون : أي المنافقون .
 آمنا بالله وبالرسول : أي صدقنا بتوحيد الله وبنبؤة الرسول محمد ﷺ .
 ثم يتول فريق منهم : أي يعرض .
 إذا فريق منهم معرضون : أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ .
 مذعنين : أي مسرعين منقادين مطيعين .
 في قلوبهم مرض : أي كفر ونفاق وشرك .
 أم ارتابوا : أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ .
 أن يحيف الله عليهم ورسوله : أي في الحكم فيظلموا فيه .
 إنما كان قول المؤمنين : هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة .
 المفضلون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان بالله ورسوله ، وما عند الله من نعيم مقيم ، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أي صدقنا بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً ، وأطعناهما^(١) ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ﴿أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله ، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أي في قضية من قضايا دنياهم ، ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول ﷺ وقوله : ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم ﴿يأتوا إليه﴾ أي إلى رسول الله ﷺ ﴿مذعنين﴾ أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الرسول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى : ﴿أفي

(١) قولهم ، هذا قول باطل إنهم ما آمنوا ولا أطعوا وإنما هو قول المنافقين والله شهد إنهم لكاذبون .

(٢) قيل : إن هذه الآية نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي كانت بينهما أرض فقال اليهودي : هيا نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال بشر المنافق لا إن محمداً يحيف علينا فلنتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فنزلت .

(٣) لم يقل ليحكمنا لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ وإنما قدم اسم الله تعظيماً ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبين ومنفرد لا غير .

قلوبهم مرض ﴿ أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق . ﴿ أم ارتابوا ﴾ أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله ﷺ . ﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ لا ، لا ، ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ ، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين ﴿ أي الصادقين في إيمانهم ﴾ إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم : سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي الناجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق . وقوله تعالى : في الآية الكريمة الأخيرة (٥٢) ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ أي فيما يأمران به وينهيان عنه ، ﴿ ويخش الله ﴾ أي يخافه في السر والعلن ، ﴿ ويتقوه ﴾ أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يغشى محرماً ، ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة المنعمون في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرة من إنك ربنا وربهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة .
- ٢ - من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق .
- ٣ - اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق .
- ٤ - فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان .

(١) الاستفهام للتوبيخ والذم وهو أبلغ في التوبيخ وأشد في الذم من مجرد الإخبار كما في المدح أيضاً أبلغ وأشد فيه ، وشاهده قول جرير في المدح :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(٢) حكى أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم فقيل له هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إنني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت . وقيل له ما هي؟ قال: قوله تعالى: (ومن يطع الله) في الفرائض (ورسوله) في السنن (ويخشى الله) فيما مضى من عمره (ويتقوه) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة . فقال عمر قال النبي ﷺ : (أوتيت جوامع الكلم) .

❖ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلُوبُهُمْ
 لَأَنْفُسِهِمْ أَطَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يُمْرَأَكُمْ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمُوتْ حَيْثُ
 أَنْتَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي نَزَّلْنَا بِهَا الْقُرْآنَ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَآحِلُ
 وَعَلَيْكُمْ مَآحِلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَإِنْ تُكْفِرُوا يَأْتِ السُّلُوبَ وَالْجَمَلُ
 إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

- وأقسموا بالله جهد أيمانهم : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم .
 لئن أمرتهم : أي بالخروج إلى الجهاد .
 طاعة معروفة : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم
 بالله .
 فإن تولوا : أي فإن تولوا أي تعرضوا عن الطاعة .
 عليه ما حمل : أي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .
 وعليكم ما حملتم : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكما .
 وإن تطيعوه تهتدوا : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى
 خيركم .
 ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يُدبِل لهم من أهلها
 فيسودون فيها ويحكمون .

وليمكنن لهم دينهم : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ وأقسموا الله جهد أيمانهم ﴾ أي أقسموا للرسول ﷺ مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتسا بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم . وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : ﴿ لا تقسموا ﴾ أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيد، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعالى : ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم وما يقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به . وينهيان عنه ، ﴿ فإن تولوا ﴾ أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها ، فإنما على الرسول ما حمل من البلاغ والبيان ، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة ، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقي جزاءه وافيأ عند ربه وقوله تعالى : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يبحث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ أي ليس على الرسول هداية القلوب ، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فضلاً وهلك .
وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم ﴾ أي صدقوا الله والرسول (وعملوا الصالحات) فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكمين في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول : ﴿ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ وهو الإسلام

(١) (جهد أيمانهم) أي : طاقة ما قدروا أن يحلفوا . والجهد : بفتح الهاء : منتهى الطاقة وهو : منصوب إما على الحال من أقسموا . أو على المفعول المطلق أي : جهدوا أيمانهم جهداً .

(٢) هنا تم الكلام ، ثم استتف على تقدير : طاعة معروفة أولى من أيمانكم هذه المبالغين فيها .

(٣) (فإن تولوا) : أصله : تتولوا حذفت التاء الأولى تخفيفاً . وهو حذف شائع وسائغ .

(٤) قال مالك : هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقيل : هذه الآية تضمنت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهو كذلك وصدق ذلك قوله ﷺ : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وفي الآية دليل نبوة الرسول ﷺ وصحة دينه ، إذ تضمنت الآية إخباراً بالغيب فكان كما أخبر تعالى به .

* جملة تذييلية تحمل التهديد لهم إذ هم كاذبون في أيمانهم وغير صادقين في أقوالهم وأعمالهم .

فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى: ﴿وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾^(١) إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لا يقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتآلب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ما وعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿يعبدوني لا يشركون بي شيئاً﴾ هذا ثناء عليهم، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا وما زال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم. وقوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المستوجبون لعذاب الله ونقمته. عياداً بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى.
- ٢ - عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان.
- ٣ - طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران.
- ٤ - صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ.
- ٥ - وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات.
- ٦ - الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فَعَرَضَهَا لِلزَّوَالِ.

(١) فإن قيل: وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة؟ فالجواب: ليس الأمن مانعاً من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

(٢) الجملة يصح أن تكون حالاً أي: في حال عبادتهم الله تعالى بالإخلاص والعلم. وجائز أن تكون مستأنفة تحمل الثناء عليهم بعبادة ربهم تعالى وحده.

(٣) المراد بالكفر: كفران النعم، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط، وأهمل الدين، وسلب الله ما أعطى، وفي هذا دليل آخر على صحة القرآن والنبوة والإسلام إذ هذه أخبار غيب تمت كما أعلنت.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

وأقيموا الصلاة : أي أدوها أداءً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم .

وآتوا الزكاة : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحراث والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم .

وأطيعوا الرسول : أي عمداً ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه .

لعلكم ترحمون : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلا يعذبكم فيهما معجزين في الأرض : أي معجزين الله تعالى بحيث لا يدركهم ولا ينزل بهم نقمته وعذابه .

ولبئس المصير : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه .

معنى الايتين :

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين ، ولا يعذبوا فيهما . وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ﴾^(١) هذا خطاب للرسول ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما أراد بهم من خزي وعذاب ، لا ، لابل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم ، وقد فعل ﴿ وماؤاهم النار ﴾ يوم القيامة ﴿ ولبئس المصير ﴾ نار جهنم يصيرون إليها .

(١) الآية تحمل تسلية للنبي ﷺ وقرئت بالتاء : (تحسين) خطاب للنبي ﷺ ولكل ذي أهلية من أصحابه والمؤمنين والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً وقرئت الآية : (ولا يحسبن) بالياء وهي قراءة ضعيفة إذ حسب هنا بمعنى ظن ولم يذكر لها إلا مفعولاً واحداً وهي تنصب مفعولين .

(٢) المعجز : الذي يعجز غيره أي : يجعله عاجزاً عن غلبه ، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .
- ٢ - تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نعمته ويحل عليهم عذابه .
- ٣ - بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ

وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ

وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى

بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُّوا كَمَا اسْتَعِذَّ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ

نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ

غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

- ليستأذنكم : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم .
 ملكت أيانكم : من عبيد وإماء .
 لم يبلغوا الحلم منكم : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فيما فوق .
 تضعون ثيابكم : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم .
 ثلاث عورات لكم : العورة ما يستحي من كشفه ، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات .
 بعدهن : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة .
 طوافون عليكم : أي للخدمة .
 بعضكم على بعض : أي بعضكم طائف على بعض .
 فليستأذنوا : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .
 والقواعد من النساء : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن .
 أن يضعن ثيابهن : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار .
 غير متبرجات بزينة : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال .
 وأن يستعففن خير لهن : بأن لا يضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) روى من نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم . وقوله ﴿ ليستأذنكم الذي ملكت أيانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ﴾ أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمرهم بذلك . وقوله ﴿ ثلاث مرات ﴾ هي المبينة في قوله : ﴿ من قبل صلاة

(١) قيل : إن الآية منسوخة وقيل : هي للندب أو هي واجبة إذ كانوا لا أبواب لغرفهم والصحيح أنها محكمة وأن الاستئذان من هؤلاء المذكورين واجب وسواء كان العبد وغداً أو ذا منظر حسن .

(٢) (ملكتم أيانكم) هم العبيد والذكر والأنثى في هذا سواء .

الفجر ﴿ وهي ساعات النوم من الليل ، ﴿ وحين تضعون ثيابكم من الظهره ﴾ وهي القيلولة ، ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ وهي بداية نوم الليل . وقوله : ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾^(١) أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة ما يستحي من كشفه وقوله : ﴿ ليس عليكم ولا عليهم ﴾ أي ولا على الأطفال والخدم ﴿ جناح بعدهن ﴾ أي بعد المرات الثلاث وقوله : ﴿ طوافون عليكم ﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة . ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة .

وقوله تعالى : ﴿ كذلك بين الله لكم الآيات ﴾ أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان بين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنه وقوله : ﴿ والله عليم ﴾ أي بخلقه وما يحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يشرع لهم ويفرض عليهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٥٩) ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ﴾ أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لا يدخل على غير محارمه إلا بعد الاستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لا يدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ وهم الرجال وقوله تعالى : ﴿ كذلك بين الله لكم آياته ﴾ أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿ والله عليم ﴾ بخلقه وما يصلح لهم ﴿ حكيم ﴾ في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً ﴾^(٢) أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنهن بحيث أصبحت لا ترجون نكاحاً ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها ، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على

(١) يكره تسمية العشاء بالعمته . روى مسلم أن النبي ﷺ قال : (لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء وهم معتمون بالإبل وفي رواية فإنها في كتاب الله العشاء وإنما أي الأعراب تعتم بحلاب الإبل وفي الصحيح (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل) .

(٢) العورة : في الأصل الخلل والنقص ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه .

(٣) المراد أن الأطفال إذا بلغوا الحلم تغير حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال في الاستئذان على دخول بيوت الغير كما تقدم في آية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا إذا دخلتم بيوتاً . . .) الآية .

(٤) القواعد : جمع قاعد بدون تاء وهي : الأيسة من الحيض والحمل .

(٥) هذه الجملة متضمنة وصفاً كاشفاً للقواعد وليس قييداً .

(١) جسمها حال كونها غير متبرجة أي مظهرة زينة لها كخضاب اليمين والأساور في المعصمين والخلخل في الرجلين، أو أحمر الشفتين، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرَ لهنَّ﴾ أي ومن لازمت خمارها وعجارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومالاً، وحسبها أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فليتنق فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الاستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.
- ٢ - وجوب استئذان الأولاد إذا احتملوا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.
- ٣ - بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سنّاً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقّت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرَ لهنَّ﴾.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا

مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ

أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا

(١) ورد وعيد شديد للمتبرجات فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا...).

جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات:

- الخرج والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين في مؤاكلة
غيرهم .
أو ما ملكتم مفاتحه : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو
ماشية .
أو صديقكم : أي من صدقكم الود وصدقتموه .
جميعاً أو أشتاتاً : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين .
من عند الله : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من عند الله فهو خير
عظيم .
طيبة : أي تطيب بها نفس المسلم عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هداية المؤمنين وبيان ما يكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية الكريمة . رفع
تعالى عنهم حرجاً عظيماً كانوا قد شعروا به فآلمهم وهو أنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي
العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل
لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لا يأكلون كما يأكل الأصحاء كما وكيفاً والله يقول :
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ . كما أن أصحاب العاهات قد تخرجوا أيضاً من مؤاكلة
الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج
عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على
الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلية في بيوت الآباء للحديث (أنت ومالك لأبيك) والحديث وإن ضعف فما هو إلا
شاهد فقط وإلا فمعلوم بالضرورة أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكروا .

أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه ﴿ بوكالة وغيرها ﴾ ﴿ أو صديقكم ﴾^(١) وهو من صدقكم المودة وصدقتموه فيها مادام الرضا حاصلًا، وإن لم يحضروا ولا استئذان وإن حضروا. ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الأكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله: ﴿وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ أي مجتمعين^(٢) على قطعة واحدة^(٣) ﴿أو أشتاتاً﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بداله ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فأرشدهم إلى ما يجب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم على أهل البيت قائلًا السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله: ﴿تحية من عند الله﴾ إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله ﴿مباركة﴾ أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المسلم عليهم تطيب بها .

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين .

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: الصديق أوكد من القرابة أي: أقوى صلة وقال: ألا ترى استغاثة الجهنيمين: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله تعالى قولاً حسناً في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبدولاً، فإذا كان محرراً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الإدخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرر عنهم إلا بإذنه.

(٣) لا ينبغي أن يفهم من كلمة مجتمعين أنهم رجال أجنب مع نساء أجنبيات بل هم محارم لبعضهم بعضاً. (٤) هذا يشمل النهد ووليمة العرس وغيرها والنهد هو أن يكون القوم في سفر فيجمعون الطعام من بعضهم بعضاً ويخلطونه ويأكلونه مجتمعين فهو جائز مباح.

(٥) ورد كيفية الدخول إلى المنزل وهو أن يقول: (اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله) (في صحيح مسلم).

- ٢ - الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء .
 ٣ - جواز الأكل الجماعي والإفرادي بلا تخرج .
 ٤ - مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
 عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ
 لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
 يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
 أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
 مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
 يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

أمر جامع : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام
 كحرب ونحوها .

يُستأذِنونه : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن .

لبعض شأنهم : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم .

دعاء الرسول : أي ندائه فلا ينادي بيا محمد ولكن بيا نبي الله ورسول الله .

كدعاء بعضكم بعضاً : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بيا عمر ويا سعيد مثلاً .

يتسللون منكم لوذاً : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية .

أن نصيهم فتنه : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا .
 قد يعلم ما أنتم عليه : أي من الإيمان والنفاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر . وقد هنا
 للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً .
 معنى الآيات :

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه ﷺ في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب، لم يذهبوا حتى يستأذنه ﷺ ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين . فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنون بالله ورسوله، ومقابله أن الذين لا يستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسوله وهم المنافقون حقاً، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم .

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ هذا يجتمل أموراً كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغصاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لا يرد فليس هو كدعاء غيره، والثاني أن لا يدعوا الرسول باسمه يا محمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يانبي الله ويارسول الله، والثالث أن لا يغلظوا في العبارة بل عليهم أن يلينوا اللفظ ويرققوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله ﷺ هذا ماتضمنه قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾

وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله ﷺ فيتسللون واحداً بعد آخر بدون أن يستأذنوا متلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً، وفي هذا تهديد بالغ

(١) إنما: أداة حصر، وهي هنا كذلك، فالمعنى أنه لا يتم ولا يكمل إيمان من آمن بالله ورسوله إلا إذا كان من الرسول سامعاً غير معنت، فلا يناقض للرسول في قول ولا عمل أبداً .

(٢) يريد: لا يصحوا به من بعيد يا أبا القاسم، بل يعظموه، شاهده من سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراءك الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ .

الخطورة لأولئك المنافقين . وقوله : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ ^(١) أي أمر رسول الله وهذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين ، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف .
 وقوله تعالى : ﴿ ألا إن الله ما في السموات والأرض ﴾ أي خلقاً وملكاً وعبداً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد ألا فليتنق الله عز وجل في رسوله فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه .

وقوله تعالى : ﴿ قد يعلم ما انتم عليه ﴾ إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى ، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى ، ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتنق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً . وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة .
- ٢ - وجوب تعظيم رسول الله ﷺ ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً .
- ٣ - وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه .
- ٤ - المتجرى على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله .

(١) دلت الآية على أن الأمر للوجوب ، وتوجيهه أن الله تعالى قد حذر من مخالفة أمره وتوعد بالعقاب عليها بقوله : (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .
 (٢) قيل : إن (عن) في قوله : (يخالفون عن أمره) زائدة ، والتقدير : يخالفون أمره ، وقيل : ليست زائدة إذ المعنى : يخالفون بعد أمره فعن بمعنى : عند وهذا كقوله تعالى : (فسق عن أمر ربّه) أي : بعد أمر ربّه إياه بأن يسجد لآدم .

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

مكية

وآياتها سبع^(١) وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ﴿٢﴾
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

- تبارك : أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها .
الذي نزل الفرقان : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل .
على عبده : أي محمد ﷺ .
ليكون للعالمين نذيراً : أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحده .
فقدره تقديراً : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة .
ضراً ولا نفعاً : أي لا دفع ضرر ولا جلب نفع .
موتاً ولا حياة ولا نشوراً : أي لا يقدرُونَ على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات .

(١) من الجائز أن يكون فيها بعض الآيات مدنياً إلا أن أسلوبها ومحتواها ظاهر في أنه مكِّي وهو الصحيح ، وسميت بالفرقان لذكر لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات .

معنى الآيات :

يشي الرب تبارك وتعالى على نفسه بأنه عَظْمٌ خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والشر والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله : ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله : ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وهو ثناء آخر عظيم أننى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله : ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ أصناماً ﴿لا يخلقون شيئاً وهو يخلقون ولا يملكون لأنفسهم﴾ فضلاً عن غيرهم من عابديهم ﴿ضراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضرراً ولا جلب نفع ، ولا يملكون موتاً لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً للناس يوم القيامة . أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمع الله الذي عمته بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً يتخذون من دونه آلهة أصناماً لاتدفع عن نفسها ضراً ولا تجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة .

٢ - التنديد بالشرك والمشركين .

(١) للفظ تبارك دلالات كلها حق، منها: تقدس، وتعالى، ودام وثبت إنعامه . قال الثعلبي : لا يقال : متبارك ولا مبارك لأنه يوقف في أسمائه تعالى وصفاته على ما ورد عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال الطرماح :

تباركت لا معطٍ لشيء منعه وليس لما أعطيت يارب مانع

(٢) (ليكون) أي : من نزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ للعالمين نذيراً في الآية دليل على عموم رسالته ﷺ ولم يكن هذا لغيره إلا نوحاً بعد الطوفان ، فقد عمّت رسالته الإنس .

(٣) فيه ردّ على المجوس والنوية القائلين : هناك خالقان خالق للظلمة وخالق للنور أو خالق للخير وخالق للشر، وهو رأي عفن وجهل مظلم .

(٤) في هذه الجملة تعجب من اتخاذ المشركين آلهة دونه تعالى وهي جمادات لا حياة فيها ولا تملك نفعاً ولا ضراً .

(٥) النشور: الإحياء بعد الموت قال الأعشى :

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ
 افْتَرَبَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
 ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْطِيرًا الْأُولِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى
 عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
 مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
 لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى
 إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
 الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 سَبِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

افك افتراه : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا .

ظلمًا وزورًا : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلفاً وزوراً بنسبة ما هو برىء منه إليه .

اكتتبها : أي طلب كتابتها له فكتبت له .

يعلم السر : أي مايسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم .
أو يلقي إليه كنز : أي من السماء فينطق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق .

جنة يأكل منها : بستان فيه مايعنيه من أنواع الحبوب والثمار .
رجلاً مسحوراً : مخدوعاً مغلوباً على عقله .
ضربوا لك الأمثال : أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك
فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً : فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لا تنضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آلهة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفاك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم آخرون يعنون اليهود ساعده على الإتيان بالقرآن . فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلماً وزوراً ظلماً لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذبا وجعلوا البريء من الكذب والذي لم يكذب قط كاذباً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً . وقوله تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم . وإذا حدث محمد ﷺ قومه مخذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد ، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يملئها عليه غيره صباحاً ومساءً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله : ﴿ قل أنزله ﴾ أي القرآن

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (قوم آخرون) هم : أبو فكيهة مولى بن الحضرمي وعدّاس وجبر ، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب .

(٢) هذه الجملة ردّ على من زعم من المشركين أنّ محمداً يتلقى القرآن من أهل الكتاب وذكر السرّ دون الجهر لأنّ من علم السر فهو بالجهر أعلم وأمرّ آخر : لو كان القرآن مأخوذاً عن أهل الكتاب لما كان فيه زيادة عمّا عندهم في حين أنّ فيه من العلوم والمعارف ما لا يخطر حتى على البال ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بسورة من مثله .

(٣) الأساطير : جمع أسطورة كأحاديث جمع أحذوتة . وقال بعضهم إنها جمع أسطار كأقوال وأقاويل : (تملى) أصلها : تُملل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف .

﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي سر ما يستره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر، ولولا أن رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه .

وقوله تعالى: ﴿وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ هذه كلمات رؤساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته إلى ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذا فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ^(١) تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقى إليك كنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى: ﴿وقال الظالمون﴾ أي للمؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ماتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لا يدري ما يقول ^(٢) ولا ما يفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ما عليه آباؤكم وقومكم. وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي انظر يارسولنا إلى هؤلاء المشركين المفتونين كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد، وذلك لبعدهم ضلالهم فلا يقدرّون على الرجوع إلى الحق وهو معنى قوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ .

(١) الاستفهام للتعجب، وجملة: (يأكل الطعام) جملة حالية، وقولهم: (هذا الرسول) من باب المجازاة وإلا فهم مكذبون برسالته .

(٢) لولا: حرف تحضيض استعملت هنا في التعجيز أي: لولا أنزل عليه ملك لاتباعناه وإنهم كاذبون .

(٣) (الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول ﷺ يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد أنها شرّ البقاع والمساجد خيرا وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) كتب له ألف ألف حسنة .

(٤) هذا القائل هو: عبدالله بن الزبير أيام جاهليته إذ أسلم بعد وحسن إسلامه .

(٥) هذه الجملة تعجيبية وهي إخبار منه تعالى عن حال المشركين إذ ضلوا في تلفيق المطاعن والبحث عن التهم لدفع الحق وإبطاله فعجزوا وتاهوا في طرق طلبهم ما يبطلون به دعوة الله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله ومازال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة .
- ٢ - تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .
- ٣ - بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضرهم الأمثال الواهية الرخيصة للصدء عن سبيل الله ، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة .

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
 كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذْ أَرَاتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
 أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
 كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------|---|
| تبارك | : أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته . |
| خيراً من ذلك | : أي الذي اقترحه المشركون عليك . |
| ويجعل لك قصوراً | : أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون . |
| بل كذبوا بالساعة | : أي لم يكن المانع لهم من الإيهان كونك تأكل الطعام وتمشي في |

الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك .
 تغيظاً وزفيراً : أي صوتاً مزعجاً من تغيظها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به .

مقرنين : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد .
 دعوا هنالك ثبوراً : أي نادوا ياثبورنا أي ياهلاكنا إذ الثبور الهلاك .
 كانت لهم جزاء ومصيراً : أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم ، ومصيراً صاروا إليها لا يفارقونها .
 وعداً مسؤولاً : أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتانا وعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ ، إذ قالوا لولا أنزل إليه ملك ، أو يلقي إليه كنز وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى : لرسوله ﷺ : ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي من خلال أشجارها وقصورها ، ﴿ ويجعل لك قصوراً ﴾ لا قصراً واحداً كما قالوا ، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأه والخير فيما يشاءه فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها ﴿ بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة ﴾ أي القيامة ﴿ سعيراً ﴾ أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً .

(١) أي : إن شاء جعل لك خيراً من ذلك الذي اقترحه المشركون عليك وأن معنى لو الشرطية وجواب الشرط محذوف . أي : لجعل ولكن لم يشأ ذلك لأنه غير لائق بمقامك في هذه الدار وهو لك في الآخرة .

(٢) قرىء (ويجعل) بالرفع على الاستئناف ، وقراءة الأكثر بالجزم على محل الشرط : إن شاء جعل لك .

(٣) القصر في اللغة : كل بناء رفيع عالٍ حصين . وأما البيت فقد يكون من لبن وطين وقد يكون من شعر .

(٤) بل : هنا للاضراب والانتقال . إضراب على جواب اقتراحهم ، وانتقال إلى ذكر علة كفرهم وعنادهم واقتراحهم ما اقترحوه ، وهو تكذيبهم بالبعث الآخر ، إذ هو سبب عنادهم وكفرهم وفسادهم .

(٥) الساعة : اسم غلب على عالم الخلود . تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيظاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائصهم. ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ﴾ مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاة ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ أي نادوا بأعلى أصواتهم ياثبورا أي ياهلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك : فيقال لهم : خزياً وتبكيثا وتحسيراً : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ، فهذا أوآن هلاككم وخزيكم وعذابكم وهنا يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء : ﴿أَذَلَّكَ﴾ أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير، وإنما هو التذكير لا غير وقوله : ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى ﴿جَزَاءً﴾ أي ثواباً، ﴿وَمَصِيرًا﴾ يصيرون إليه لا يفارقونه وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمسكن وقوله : ﴿خَالِدِينَ﴾ أي فيها لا يموتون ولا يخرجون ، وقوله : ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلاً﴾ أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ﴾ ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء

(١) إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم فقد ورد مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً . قيل يا رسول الله ولها عينان؟ قال : أما سمعتم الله عز وجل يقول : إذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول : وكلت بكل من جعل مع الله إلهاً آخر . الحديث صححه ابن العربي في القيس .

(٢) إن قيل : كيف قال : (أذلك خين) ولا خير في النار؟ قيل : هذا من باب قول العرب : الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه . قال حسان :

أنهجه وولست له بكفىء فشركما لخيركما الفداء

وقطعاً الرسول ﷺ لا شر فيه البتة .

في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة .

٢ - تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة .

٣ - فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي

هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ

يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ

كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا

نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ

الطَّعَامَ وَيَمْسُحُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

يحشرهم	: أي يجمعهم
وما يعبدون من دون الله	: من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن
أم هم ضلوا السبيل	: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك .
سبحانك	: أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك .
ولكن متعتهم	: أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم .
وكانوا قوماً بوراً	: أي هلكى ، إذ البوار الهلاك .
ومن يظلم منكم	: أي ومن يشرك منكم أيها الناس .

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة : أي بليّة فالغني مبتلى بالفقير، والصحيح بالمرضى،
والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني
والمرضى يقول مالي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول ما
لي لا أكون كالشريف مثلاً.

أتصبرون : أي اصبروا على ما تسمعون ممن ابتليتكم بهم، إذ
الاستفهام للأمر هنا.

وكان ربك بصيراً : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار
هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم^(١) وما يعبدون
من دون الله﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة
والمسيح والأولياء والجن . ﴿فيقول﴾ لمن كانوا يعبدونهم ﴿أنتم﴾ أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم
ضلوا السبيل؟ ﴿أي ما أضللتموهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى
عبادتي وحدي دون سواي . فيقول المعبودون ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل
ما لا يليق بجلالك وكمالك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي لا يصح
منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فنصلهم بذلك، ﴿ولكن متعتهم﴾
ياربنا ﴿وآبأهم﴾ من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ
﴿حتى نسوا الذكر﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً
أي هلكى خاسرين .

وقوله تعالى : ﴿فقد كذبوك^(٥) بما تقولون﴾^(٦) يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم

(١) قرأ الجمهور : (نحشرهم) بالنون للتعظيم، و(يقول) بالياء وهو التفات من التكلم إلى الغيبة حسن . وقرأ حفص وغيره
بالياء في (يحشرهم) و(يقول) معاً وقرأ بعض بالنون فيهما معاً .

(٢) الاستفهام تقريرى للاستنطاق والاستشهاد .

(٣) الأولياء جمع ولي بمعنى التابع فإن الولي يرادف المولى فيصدق على كلا طرفي الولاء أي : على السيد والعبد، والناصر
والمناصر والمراد هنا من الولي : التابع .

(٤) قيل : الذكر : القرآن، وقيل : الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل .

(٥) الفاء الفصيحة إذ أفصح على جواب شرط محذوف تقديره :

إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوك بما تقولون، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم الققول فقد جئنا خراسانا

(٦) قرأ الجمهور بالياء وقرأ حفص بالتاء : (تقولون) .

تشركون به ، فقامت الحججة عليكم فأنتم الآن لاتستطيعون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم .

وقوله تعالى : ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يارسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق إذاً فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون .^(١)

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي هذه سنتنا في خلقنا نتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع ، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزى الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك .

وقوله تعالى : ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم . وقوله تعالى : ﴿وكان ربك بصيراً﴾ أي وكان ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٢ - ياهول الموقف إذا سئل المعبودون عن عبدوهم ، والمظلومون عن ظلموهم .
- ٣ - براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم .
- ٤ - خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقائه .
- ٥ - تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولى الخزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم .

(١) أخرج مسلم قوله ﷺ : (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) .

(٢) هذه الجملة تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم .

والاستفهام في : (أتصبرون) معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله : (فهل أنتم متهون) .

أي : عما حرم من الخمر والميسر .

﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ
 أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا
 ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
 حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٣﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
 هَبَاءً مَّنْشُورًا ﴿٢٤﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
 وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- لا يرجون لقاءنا : أي المكذبون بالبعث إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة .
- لولا أنزل علينا الملائكة : أي هلاً أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله .
- أو نرى ربنا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك .
- استكبروا في أنفسهم : أي في شأن أنفسهم وراوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم .
- وعتوا عتواً كبيراً : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى .
- ويقولون حجراً محجوراً : أي تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم البشري .
- وقدمنا إلى ما عملوا : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص .
- هباء منشوراً : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى .
- وأحسن مقيلاً : المقيل مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر .
- معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أقوال المشركين من قريش فقال تعالى ﴿وقال الذين لا

يرجون لقاءنا ﴿^(١) وهم المكذبون بالبعث المنكرون للحياة الثانية بكل ما فيها من نعيم وعذاب ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أي هلا أنزل الله علينا الملائكة تشهد لمحمد بالنبوة ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بأن محمداً رسوله وأن علينا أن نؤمن به وبما جاء به ودعا إليه . قال تعالى ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ أي وعزتنا وجلالنا لقد استكبر هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث في شأن أنفسهم ورأوا أنهم شيء كبير وعتوا أي طفوا طغياناً كبيراً في قولهم هذا الذي لا داعي إليه إلا الشعور بالكبر، والطغيان النفسي الكبير، وقوله ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي الذين يطالبون بنزولهم عليهم ، وذلك يوم القيامة . لا بشرى يومئذ للمجرمين أي الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والظلم الفساد: ﴿ويقولون﴾ أي وتقول لهم الملائكة ﴿حجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً عليكم البشرى بل هي للمؤمنين المتقين .

وقوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ أي وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً كالغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة أو نافذة لا يقبض باليد ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها .

وقوله تعالى ﴿أصحاب الجنة﴾ أي أهلها الذين تأهلوا لها بالإيمان والتقوى يومئذ أي يوم القيامة الذي كذب به المكذبون خير مستقراً أي مكان استقرار وإقامة وأحسن مقيلاً

(١) (لقاءنا) أي : لا يخافون لقاءنا ولا ياملونه ولا يباليون به ، وهذا كله ناتج عن تكذيبهم بالبعث والدار الآخرة .
(٢) لما كانت الحياة الدنيا حياة ابتلاء امتنع أن يعطيهم ما طلبوا إذ لو أراهم الله تعالى نفسه أو أراهم ملائكته لآمنوا وبطل حينئذ التكليف الذي أقام تعالى عليه الحساب والجزاء مع أن رؤية الله لا يقدرُونَ عليها لكن على فرض لو أقدرهم الله عليها .

(٣) العتو: أشد الكفر وأفحش الظلم .

(٤) حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأقام شرائع الله ، وكذلك الحال يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين : ومن شواهد أن حجراً بمعنى محرماً وحراماً قول المتلمس :

حَتَّ إِلَى النَّخْلَةِ الْقَصْرَى فَقَلَّتْ لَهَا حَجْرٌ حَرَامٌ الْا تَلِكُ الدَّهَارِيسِ

الدَّهَارِيسِ : الدَّرَاهِمُ .

(٥) قدمنا : عمدنا قال الشاعر :

وقدم الخوارج والضلال إلى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال

(٦) تصغير هباء : هُبِّي وواحدته : هبأة ، وهمز في هباء لالتقاء الساكنين وجمع هبأة : أهباء .

(٧) المقيلاً : الذي يؤوى إليه في وقت القيلولة للاستراحة فيه وفي الحديث : (قلوا فإن الشياطين لا تقبل) وروي أن النبي ﷺ قيل له ما أطول هذا اليوم فقال ﷺ : (والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا) .

أي مكان استراحة من العناء في نصف النهار أي خير وأحسن من أهل النار المشركين المكذبين وفي هذا التعبير إشارة إلى أن الحساب قد ينقضي في نصف يوم الحساب وذلك أن الله سريع الحساب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان .
- ٢- إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح ، ويوم القيامة .
- ٣- نفي البشري عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين .
- ٤- حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة .
- ٥- انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة .

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكُ الْمَلَكَةُ
 تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
 يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يُؤَلِّتِي لَيْتَنِي لَمْ أُتَّخَذْ
 فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

بالغمم : أي عن الغمام وهو سحاب أبيض رقيق كالذي كان لبني إسرائيل في التيه .

الملك : أي الملك الحق لله ولم يبق لملوك الأرض ومالكها ملك في شيء ولا شيء .

على الكافرين عسيرا : أي صعباً شديداً .

يعض الظالم على يديه : أي ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله .

سبيلاً : أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة .
 لم أتخذ فلاناً خليلاً : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً .
 لقد أضلني عن الذكر: أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح .
 وكان الشيطان : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القيامة وبيان أحوال المكذبين بها فقال تعالى ﴿ويوم﴾ أي اذكر ﴿يوم تشقق السماء بالغمام﴾ أي عن الغمام ونزل الملائكة تنزيلاً وذلك لمجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء . وقوله تعالى ﴿الملك يومئذ الحق﴾ أي الثابت للرحمن عز وجل لا غيره من ملوك الدنيا ومالكها، وكان ذلك اليوم يوماً على الكافرين عسيراً لا يطاق ولا يحتمل ما فيه من العذاب والأهوال وقوله ﴿يوم يعرض الظالم على يديه﴾ أي المشرك الكافر بيان لعسر اليوم وشدته حيث يعرض الظالم على يديه تنديماً وتحسراً وأسفاً على تفریطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال . . يقول يا ليتني أي متمنياً: ﴿أتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي طريقاً إلى النجاة من هول هذا اليوم وذلك بالإيمان والتقوى . وينادي مرة أخرى قائلاً ﴿يا ويلتأ﴾ أي يا هلكتي احضري فهذا وقت حضورك، ويتمنى مرة أخرى فيقول ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ وهو شيطان من الإنس أو الجن كان قد صافاه ووالاه في الدنيا فغرر به وأضله عن الهدى . فقال في تحسر ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ أي القرآن بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول وفيه هداي

(١) قرأ نافع (تَشَقَّقَ) بتشديد الشين والقاف، وقرأ حفص : (تشقق) بتخفيف الشين وأصلها تشقق فمن حذف إحدى التائين للتخفيف قرأ بتخفيف الشين ومن أدغم التاء في الشين شَدَّدها .

(٢) الباء : بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام : سحب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالى فيه : (هل أن ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) .

(٣) الحق : نعت للملك . المبتدأ والخبر: الجار والمجرور، والجملة تتضمن إبطال أي ملك لأحد سوى الرحمن عز وجل إذ هو الملك الحق والمالك الحق .

(٤) مفهوم الخطاب أنه على المؤمنين غير عسير فهو إذا يسير وهو كذلك .

(٥) أهل التفسير على أن هذا الظالم هو عقبة بن أبي معيط وأن خليله أمية بن خلف، فعقبة قتله علي في أسرى بدر وأمية قتله رسول الله ﷺ فكان هذا من دلائل النبوة . لأنه أخبر عنهما بهذا قتلًا كافرين إلى النار .

(٦) هذا هو عقبة بن أبي معيط وفلان هو: أمية بن خلف . في الآية دليل على وجوب البعد عن قرناء السوء، وفي الحديث الصحيح : (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافع الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد ريحاً طيبة ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة) رواه مسلم .

وبه هدايتي، قال تعالى ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أي يورطه ثم يتخلى عنه ويتركه في غير موضع وموطن.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء بذكر أحوالها وبعض أهوالها.
- ٢- إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة.
- ٣- تندم الظلمة وتحسروهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله.
- ٤- بيان سوء عاقبة موالاته شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله.
- ٥- تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن، ثم لأمه أبي بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المنتدم المتحسر القائل ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ...﴾.

وَقَالَ الرَّسُولُ

يَرْبِ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
 وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
 وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾
 وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
 مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

(١) الخذول: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معانها: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره.

شرح الكلمات:

مهجوراً : أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه .

هادياً ونصيراً أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح وناصرأ لك على كل أعدائك .

جملة واحدة : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفريق .

لثبت به فؤادك : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها .

ورتلناه ترتيلاً : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى ليتيسر فهمه

وحفظه .

شر مكاناً : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال البعث الآخر الذي أنكره المشركون وكذبوا فقال تعالى ﴿وقال الرسول: ^(١) يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ هذه شكوى الرسول ﷺ بقومه إلى ربه ليأخذهم بذلك . وهجرهم للقرآن تركهم سماعه وتفهمه والعمل بما فيه .

وقوله تعالى : ﴿وكذلك ^(٢) جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك أيها الرسول أعداء لك من مجرمي قومك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من مجرمي قومه، إذاً فاصبر وتحمل حتى تبلغ رسالتك وتؤدي أمانتك، والله هاديك إلى سبيل نجاحك وناصرك على أعدائك . وهذا معنى قوله تعالى ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ . وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنبوة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضاً لا مفرقاً آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل والزبور وهذا من باب التعنت منهم والافتراحت التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه، ولكنه الكفر والعناد . ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول ﷺ رد تعالى عليهم

(١) الرسول : هو محمد ﷺ يشكو المشركين من قومه إلى ربه تعالى يوم القيامة لتحق عليهم كلمة العذاب .

(٢) هذه الجملة تحمل الغزاء للنبي ﷺ والتسلية من جراء ما يجد من قومه المكذبين المعادين المحاربين، ومعنى الآية : وكما جعلنا لك عدواً من قومك وهو أبو جهل جعلنا لكل نبي عدواً .

بقوله ﴿كذلك﴾^(١) أي أنزلناه كذلك منجماً ومفرقاً لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة. وقوله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ أي أنزله مرتلاً أي شيئاً فشيئاً ليتيسر حفظه وفهمه والعمل به.

وقوله تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾^(٢) هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً لا جملة واحدة وهو أنهم كلما جاءوا بمثل أو عرض شبهة ينزل القرآن الكريم بإبطال دعواهم وتفنيد كذبهم، وإلغاء شبهتهم، وإحقاق الحق في ذلك وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم فيه وقوله تعالى ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾^(٣) أي أولئك المنكرون للبعث المقترحون نزول القرآن جملة واحدة هم الذين يحشرون على وجوههم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم لأنهم مجرمون بالشرك والتكذيب والكفر والعناد. أولئك البعداء شر مكاناً يوم القيامة، وأضل سبيلاً في الدنيا، إذ مكانهم جهنم، وسبيلهم الغواية والضلالة والعياذ بالله من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- شهادة الرسول ﷺ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعه ولم يفهموه ولم يعملوا به، وشكواهم إياهم إلى الله عز وجل.
- ٢- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عدو من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداة لازم من أهل الباطل لأهل الحق.
- ٣- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً.
- ٤- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً.

(١) جائز أن يكون كذلك من كلام المشركين: أي: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك أي: كالطورا والإنجيل فيتم الوقف على كذلك ثم ينتدى (لثبت به فؤادك) وما في التفسير أولى.

(٢) هذا كقولهم: (إن هذا إلا إفك افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين) وقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وقولهم (إن تبعون إلا رجلا مسحورا) وقولهم: (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كل هذا الذي قالوه رد عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعواهم.

(٣) أي: بما يقطع حججهم ويلقمهم الحجر فلا يستطيعون الرد أو القول.

(٤) (سبيلاً) منصوب على التمييز المحول عن فاعل، أي: ضلّت سبيلهم.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ اتَّوَعَّا عَلَى الْقَرْيَةِ
 الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا أَفَكُم يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ
 كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- الكتاب : أي التوراة .
 وزيراً : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة .
 إلى القوم الذين كذبوا : هم فرعون وآله .
 لما كذبوا الرسل : أي نوحاً عليه السلام .
 وجعلناهم للناس آية : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة
 للمعتبرين .
 وعاداً وثمود : أي اذكر قوم عاد وثمود إلخ . .
 وأصحاب الرس : الرس بئر رس فيها قوم نبيهم ، أي رموه فيها وفسده في التراب .
 وقرونًا بين ذلك كثيرا : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قرونًا كثيرا .
 تبرنا تتبيرا : أي دمرناهم تدميراً .
 التي أمطرت مطر السوء : هي سدوم قرية قوم لوط .
 لا يرجون نشوراً : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ هذا شروع في عرض أمم كذبت رسلها وردت دعوة الحق التي جاءوا بها فأهلكهم الله تعالى ليكون هذا عظة للمشركين لعلهم يتعظون فقال تعالى وعزتنا لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب الذي هو التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً، فقلنا أي لهما ﴿أذهبنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾^(١) وهم فرعون وملأه فاتوهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً كاملاً حيث أغرقوا في البحر، وقوله تعالى : ﴿وقوم نوح﴾ أي اذكر قوم نوح أيضاً فإنهم لما كذبوا الرسل أي كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فكانما كذب عامة الرسل أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس بعدهم آية أي عبرة للمعتبرين وقوله ﴿وأعدنا﴾ أي وهبنا للظالمين في الآخرة عذاباً أليماً أي موجعاً زيادة على هلاك الدنيا، وقوله ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس﴾ أي أهلكتنا جميع ودمرناهم تدميراً لما كذبوا رسلنا وردوا دعوتنا، وقروناً أي وأهلكنا قروناً ذلك الذي ذكرنا كثيراً.

وقوله ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أي إقامة للحجة عليهم فما أهلكتناهم إلا بعد الإنذار والإعذار لهم . وقوله ﴿وكلاً تبرنا تبتيراً﴾ أي أهلكتناهم إهلاكاً لتكذيبهم رسلنا وردهم دعوتنا . وقوله : ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ أي ولقد مر أي كفار قريش على القرية التي أمطرت مطر السوء أي الحجارة وهي قرى قوم لوط سدوم وعمورة وغيرهما فأهلكهم لتكذيبهم رسولهم وإيتانهم الفاحشة وقوله تعالى ﴿أفلم يكونوا يرون في سفرهم إلى الشام وفلسطين . فيعتبروا بها فيؤمنوا وهو استفهام تقريرى وإذ كانوا يمرون بها ولكنهم لم يعتبروا لعله وهي أنهم لا يؤمنون بالبعث الآخر وهو معنى قوله تعالى ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾^(٢) فالذي لا يرجو أن يبعث ويحاسب ويجزى لا يؤمن ولا يستقيم أبداً.

(١) فرعون وهامان والقيبط .

(٢) في الآية حذف وهو: ما قدرناه في التفسير أي فكذبوهما فدمرناهم تدميراً .

(٣) ذكر الجنس وهو الرسل والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده .

(٤) وجائز أن يكون معنى الآية : هذه سبيلي في كل ظالم أخذه في الدنيا بالدمار والهلاك .

(٥) الرس : في اللغة البئر تكون غير مطوية والجمع رساس قال الشاعر :

تنايلة يحفرون الرساسا

يريد آبار المعادن .

(٦) اقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجب من عدم اعتبارهم .

(٧) النشور: مصدر نشر الميت: أحياه . قال الشاعر: بالكبر أشروالي كليباً بالكبر أين أين الفرار

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها.
- ٢- بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب.
- ٣- بيان علة تكذيب قريش للرسول ﷺ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ

إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ

لِيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ حِين يَرَوْنَ الْعَذَابَ مِن أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ

مِنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا

كَأَلٍ لَّنَعْمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

إِن يَتَّخِذُونَكَ : أي ما يتخذونك .

إِلَّا هُزُوعًا : أي مهزوءاً به .

أهذا الذي بعث الله رسولاً: أي في دعواه لأنهم معترفون برسالته والاستفهام للتهكم والاحتقار.

إِن كَادَ لِيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا .

لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا : أي لصرفنا عنها .

أرأيت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرني عن من جعل هواه معبوده فأطاع هواه . فهل تقدر على هدايته .

إن هم إلا كالأنعام : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يتخذونك إلا هزوا ﴾ يخبر تعالى رسوله عن أولئك المشركين المكذبين بالبعث أنهم إذا رأوه في مجلس أو طريق ما يتخذونه إلا هزوا أي مهزواً به احتقاراً وازدراءً له فيقولون فيما بينهم ، ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ وهو استفهام احتقار وازدراء لأنهم يعتقدون أنه رسول الله ويقولون ﴿ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ﴾ أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها . وهذا القول منهم ناتج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث وقوله تعالى ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب ﴾ في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلاً هم أم الرسول والمؤمنون ، وفي هذا تهديد ووعيد بقرب عذابهم وقد حل بهم في بدر فذلوا وأسروا وقتلوا وتبين لهم أنهم أضل سبيلاً من النبي وأصحابه . وقوله تعالى لرسوله وهو يسليه ويخفف عنه آلام إغراض المشركين عن دعوته ﴿ أرايت من اتخذ إلهه هواه ﴾ أخبرني عن جعل معبوده هواه فلا يعبد غيره فكلما انتهى شيئاً فعله بلا عقل ولا روية ولا فكر فقد يكون لأحدهم حجر يعبده فإذا رأى حجراً أحسن منه عبده وترك الأول فهذا لم يعبد إلا هواه وشهوته فهل مثل هذا الإنسان الهابط إلى مستوى دون البهائم تقدر على هدايته يا رسولنا؟ ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ أي حفيظاً تتولى هدايته أم أنك لا تقدر فاتركه لنا يمضي فيه حكمنا .

وقوله ﴿ أم تحسب ﴾ أيها الرسول أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يطلب منهم إن هم إلا كالأنعام فقط بل هم أضل سبيلاً من الأنعام إذ الأنعام

(١) جواب (إذا رأوك) قوله : (ان يتخذونك إلا هزوا) .

(٢) (رسولا) منصوب على الحال، والعائد محذوف تقديره، بعثه الله حال كونه رسولا .

(٣) الاستفهام للتعجب أي : عجب الله تعالى رسوله من حال المشركين أي : من إضمارهم الشرك وإصرارهم عليه مع إصرارهم أن الله تعالى خالقهم ورازقهم ثم يعبد أحدهم إلى حجر يعبده . قال ابن عباس : الهوى إنه يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية : (أرايت من اتخذ إلهه هواه) وقد كان الرجل منهم إذا هوى شيئاً عبده حتى إنه ليعبد الحجر أياماً ثم يرى غيره فيترك الأول ويعبد الثاني .

(٤) أي : سماع قبول أو يتفكرون فيما تقول فيعقلونه .

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها في جواب سؤال لأن ما تقدمها في إنكار سمعهم يثير في النفس سؤالاً عن نفي سماعهم وفهمهم فأجيب (إن هم إلا كالأنعام) .

(٦) هم أضل من الأنعام لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء المشركين .

تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان الرسول ﷺ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء .
- ٢- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عين العذاب عرف ما كان ينكر، وآمن بما كان يكفر .
- ٣- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل : أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف بسطه .
ولو شاء الله لجعله ساكناً : أي ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ولا يقصر ولا يطول .

ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل .

ثم نبضناه إلينا قبضاً يسيراً : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءاً فجزءاً حتى ينتهي .

ثم جعلنا الليل لباساً : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس .
والنوم سباتاً : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار .
وجعل النهار نشوراً : أي حياة إذ النوم بالليل كالموت والانتشار بالنهار كالبعث .

بشراً بين يدي رحمته : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله ، والمطر هو الرحمة .
ماء طهوراً : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ .
لنحيمي به بلدة ميتاً : أي بالزرور والنباتات المختلفة .
أنعاماً وأناسي كثيراً : أي حيواناً وأناساً كثيرين .
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية .
فأبى أكثر الناس إلا كفوراً : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحّدوا .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾^(١) هذا شروع في ذكر مجموعة من أدلة التوحيد وهي مظاهر لرؤية الله تعالى المقتضية لألوهيته فأولاً الظل وهو المشاهد من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وقد مدّه الخالق عز وجل أي بسطه في الكون، ثم تطلع الشمس فتأخذ في زواله وانكماشه شيئاً فشيئاً، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكناً لا يبارح ولا يغادر ولكنه حسب مصلحة عباده جعله يتقاصر ويقبض حتى تقف الشمس في كبد السماء فيستقر ثم لما تدحض الشمس مائلة إلى الغروب يفيء أي يرجع شيئاً فشيئاً فيطول تدريجياً لتعرف به ساعات النهار وأوقات الصلوات حتى يبلغ من الطول حداً كبيراً كما كان في أول النهار ثم يقبض قبضاً يسيراً خفياً سريعاً حين تقرب الشمس ويغشاه ظلام الليل . هذه آية من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته بعباده تجلت في الظل الذي

(١) جائز أن تكون الرؤية هنا بصرية وعلمية معاً إذ بالعين يشاهد الظل وزواله وبالقلب يعلم ذلك كذلك .

(٢) الظل بالغداء والفيء بالعشي قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحا نستطيعه ولا الفيء من برد العشي ندوق

قال تعالى فيه ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي تنظر إلى صنيع ربك جل جلاله ﴿كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ينتقل، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ إذ بضوءها يعرف، فلولا الشمس لما عرف الظل وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ حسب سنته ففي خفاء كامل وسرعة تامة يقبض الظل نهائياً ويحل محله الظلام الحالك.

وثانياً: في الليل والنهار قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ أي ساتراً^(١) يستركم بظلامه كما تستركم الثياب، ﴿والنوم سباتاً﴾ أي وجعل النوم قطعاً للعمل فتحصل به راحة الأبدان ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ أي حياة بعد وفاة النوم فينتشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله تعالى لذلك.

وثالثاً: إرسال الرياح للقيح السحب للإمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجذب قال تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ هو لا غيره من الآلهة الباطلة ﴿أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد.

ورابعاً: إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي إبلًا وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ أي وأناساً كثيرين وهم الأدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله تعالى.

وخامساً: تصريف المطر بين الناس فيمطر في أرض ولا يمطر في أخرى حسب الحكمة الإلهية والتربية الربانية. قال تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي بين الناس كما

(١) قال ابن العربي ظنَّ بعض الجهال أن كون الليل لباساً يجزيء من صلى فيه عارياً وهو لا يجزيء ولو أجزأ لأجزأ من أغلق باب غرفته وصلى عرياناً.

(٢) أصل السبت: القطع والتمدد فهو بانقطاع البدن عن العمل تحصل له الراحة لذا قيل للنوم سبات لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة.

(٣) كان النبي ﷺ إذا أصبح يقول: (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور).

(٤) قيل: إن تكوين الرياح سببه التقاء حرارة جانب من الجو ببرودة جانب آخر تنشأ السحب.

(٥) أكثر الفقهاء على أن الماء الطهور غير الطاهر فالطهور: هو الذي تزال به الأحداث بخلاف الطاهر فلذا كل طهور طاهر وليس كل طاهر طهوراً.

(٦) وجائز أن يراد بقوله (صرفناه بينهم) القرآن الكريم إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضاً.

هو مشاهد إقليم يسقى وآخر يحرم، وقوله تعالى: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾^(١) أي جحوداً لإنعام الله عليهم وربوبيته عليهم والوهيته لهم. وهو أمر يقتضى التعجب والاستغراب. هذه مظاهر الربوبية المقتضية للالوهية، ﴿وأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً.

٢- بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفياء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

٣- الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عن احتاج إليه من شرب أو طهارة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ

لِيَذَّكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا

لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ

(١) قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا، وآبده النحاس وقال: لا نعلم خلافاً أن الكفر هنا هو قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا وروى الربيع بن صبيح قال: مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة فلما أصبحوا قال النبي ﷺ: (أصبح الناس فيها رجلين: شاكراً وكافراً فاما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقيه وغياثه. واما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا). (٢) أحكام المياه: ١- قليل الماء ينجسه قليل النجاسة وكثيره لا ينجسه. ٢- الماء طهور ما بقي على أصل خلقته فإن خالطه ما غير أحد أوصافه: الريح واللون والطعم سلبت طهوريته. ٣- الماء المتغير بطول المكث طهور. ٤- كره بعض أهل العلم الوضوء بسؤر النصراني، وقد توضع عمر من بيت نصرانية وقال لها: اسلمي تسلمي فكشفت عن رأسها وإذا به مثل الثغامة وقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن فقال عمر: اللهم أشهد خُرْجَه الدارقطني. ٥- سؤر الكلب لا يتوضأ به وبغسل الإناث سبعاً. ٦- ما مات في الماء مما لادم له كالحشرات لا يسلب طهورية الماء. ٧- سؤر الهر طاهر لحديث ابي قتادة.

وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لبعثنا في كل قرية نذيراً : أي رسولاً ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.
 وجاهدهم به جهاداً كبيراً : أي بالقرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهادك.
 مرج البحرين : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء المالح أن يفسد
 الماء العذب.
 وجعل بينهما برزخاً : أي حاجزاً بين الملح منهما والعذب.
 وحجراً محجوراً : أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح ، ولا يملح
 العذب.
 خلق من الماء بشراً : أي خلق من الماء الإنسان والمراد من الماء النطفة .
 فجعله نسباً وصهراً : أي ذكراً وأنثى أي نسباً ينسب إليه ، وصهراً يصهر إليه أي
 يتزوج منه .

ما لا يضرهم ولا ينفعهم : أي أصناماً لا تضر ولا تنفع .
 وكان الكافر على ربه ظهيراً : أي معيناً للشيطان على معصية الرحمن .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعداد مظاهر الربوبية المستلزمة للتوحيد قال تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا
 في كل قرية نذيراً﴾ أي في كل مدينة نذيراً أي رسولاً ينذر الناس عواقب الشرك والكفر،

ولكننا لم نشأ لحكمة اقتضتها ربوبيتنا وهي أن تكون أيها الرسول أفضل الرسل وأعظم منزلة وأكثرهم ثواباً فحبوناك بهذا الفضل فكنتم رسول كل القرى أبيضها وأسودها فاصبر وتحمل ، واذكر شرف منزلتك ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ في أي أمر أرادوه منك ﴿ وجاهدهم ﴾ به أي بالقرآن وكله حجج وبيانات جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى جهدك . بعد هذه الجملة الاعتراضية من الكلام الإلهي قال تعالى مواصلاً ذكر مظاهر ربوبيته تعالى على خلقه . ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ الملح والعذب أي أرسلهما مع بعضهما بعضاً ﴿ هذا عذب فرات ﴾ أي حلو ﴿ سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ﴾ أي لا يشرب ﴿ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ أي ساتراً مانعاً من اختلاط العذب بالملح مع وجودهما في مكان واحد ، فلا يعني هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب . وقوله تعالى ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً أي من المني ونطقته خلق الإنسان وجعله ذكراً وأنثى وهو معنى قوله نسباً وصهراً أي ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور ، وذوات صهر يصاهر بهن وهن الإناث . وقوله تعالى ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ أي على فعل ما يريد من الخلق والإيجاد أو التحويل والتبديل ، والسلب والعطاء هذه مظاهر الربوبية المقتضية لعبادته وتوحيده والمشركون يعبدون من دونه أصناماً لا تنفعهم إن عبدوها ، ولا تضرهم إن لم يعبدوها وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم فيعبدون الشيطان إذ هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وبذلك كان الكافر على ربه ظهيرا إذ عبادته للشيطان يعينه على معصية الرب تبارك وتعالى وهو معنى قوله تعالى ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وكان الكافر على ربه ظهيرا . أي معيناً للشيطان على الرحمن والعياذ بالله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ يقول تعالى لرسوله إننا لم نرسلك لغير بشارة المؤمنين بالجنة ونذارة الكافرين بالنار أما هداية القلوب فهي إلينا من شئنا هدايته

(١) ولا يخالطه فتور، وقيل الجهاد بالسيف ويرده أن السورة مكية ولم يجز للسيف ذكر فكيف يكون المراد، وقيل: بالإسلام وهو أولى من السيف والقرآن أصح، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما .
 (٢) الملح يوصف به الماء، ولا يقال ملح إلا نادراً والأجاج ما كان ملحاً مرأً والعذب . الحلو والفرات : زائد الحلاوة، والبرزخ : الحاجز المانع والحرام المحرم أن يعذب الملح أو يملح العذب .
 (٣) صهر الرجل : قريب زوجته وأصهاره : أقارب زوجته . وختن الرجل من تزوج قريبته ، وأختانه : أقارب من تزوج قريبته ، والحم والجمع أحماء أقرباء زوج المرأة ، والصهر والنسب : معنيان يُعْمَّان كل قريبى تكون بين آدميين ، قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والأنثى على وجه الشرع . وما في التفسير أوضح لأنه كقوله تعالى : (إننا خلقناكم من ذكر وأنثى) .

اهتدى ومن لم نشأها ضل . إلا أن الله يهدي ويضل حسب سنن له قد مر ذكرها مرات^(١) .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد ﷺ .

٢- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع .

٣- من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية .

٤- مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد .

وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع .

٥- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

مِنْ أَجْرٍ إِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ

عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبِ

عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ

خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ

أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِيفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا ﴿٦٢﴾

(١) من سنن الله تعالى في الهداية والإضلال، أن من طلب الهداية ورجب فيها وسألها من ربه تعالى ولازم الطلب هداه الله، ومن رغب عن الهداية وطلب الغواية وسلك مسالكها مفضلاً لها على الهداية وأصر على ذلك أضله الله والعياذ بالله .

شرح الكلمات :

- عليه من أجر : أي على البلاغ من أجر اتقاضه منكم .
 سبيلاً : أي طريقاً يصل به إلى مرضاته والفوز بجواره ، وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله .
 وسبح بحمده : أي قل سبحان الله وبحمده .
 في ستة أيام : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد . . . والجمعة .
 ثم استوى على العرش : العرش سرير الملك والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب .
 فاسأل به خبيراً : أي أيها الإنسان إسأل خبيراً بعرش الرحمن ينبئك فإنه عظيم .
 وزادهم نفوراً : أي القول لهم اسجدوا للرحمن زادهم نفوراً من الإيمان .
 جعل في السماء بروجاً : هي إثنا عشر برجاً انظر تفصيلها في معنى الآيات .
 سراجاً : أي شمساً .
 خلفه : أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد .
 أن يذكر : أي ما فات في أحدهما فيفعله في الآخر .
 أو أراد شكوراً : أي شكراً لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة .

معنى الآيات :

بعد هذا العرض العظيم لمظاهر الربوبية الموجبة للألوهية أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين ما أسألكم على هذا البيان الذي بينت لكم ما تعرفون به إلهكم الحق فتعبدونه وتكملون على عبادته وتسعدون أجراً أي مالاً ، لكن من شاء أن ينفق من ماله في وجوه البر والخير يتقرب به إلى ربه فله ذلك ليتخذ بنفقته في سبيل الله طريقاً إلى رضا ربه عنه ورحمته له .

وقوله ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ يأمر تعالى رسوله أن يمضي في طريق

(١) وجائز أن يكون (اتخذ إلى ربه سبيلاً) باتباع ديني أي : الإسلام حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة والإنفاق في سبيل الله تعالى داخل فيه ، والحمد لله .

(٢) التوكل معناه : اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور مع اتیان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف وأمر ادراك المطلوب إلى الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خلاقه ونجاح وغيره .

دعوته مبلغاً عن ربه داعياً إليه متوكلاً عليه أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي الذي لا يموت وغيره يموت، وأمره أن يستعين على دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال ﴿وسبح بحمده﴾ أي قل سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصبر. وقوله تعالى ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أي فلا تكرب لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم وسيجزئهم بها في عاجل أمرهم أو آجله. ثم أثنى تبارك وتعالى على نفسه بقوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ مقدره بأيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله وكماله. ﴿الرحمن﴾ الذي عمّت رحمته العالمين ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي فاسأل يا محمد بالرحمن خبيراً بخلقه فإنه خالق كل شيء والعليم بكل شيء فهو وحده العليم بعظمة عرشه وسعة ملكه وجلال وكمال نفسه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ أي وإذا قال لهم الرسول أيها المشركون اسجدوا للرحمن ولا تسجدوا لسواه من المخلوقات. قالوا منكربين متجاهلين ﴿ما الرحمن؟﴾ أنسجد لما تأمرنا أي أتريد أن تفرض علينا طاعتك ﴿وزادهم﴾ هذا القول ﴿نفوراً﴾، أي بعداً واستنكاراً للحق والعياذ بالله تعالى. وقوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون له شريك في خلقه أو في عبادته الذي بعظمته جعل في السماء بروجاً وهي منازل الكواكب السبعة السيارة فلذا سميت بروجاً جمع برج وهو القصر الكبير وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة السيارة هي: المريخ، والزهرة وعطارد، والقمر، والشمس، والمشتري، وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها.

(١) قال (بينهما) ولم يقل بينهما لأنه أراد الصنفين أو النوعين أو الشيتين وهو أخص من كلمة بينهما وأخف على اللسان والمقصود ظاهر بكل من العبارتين جمع أو ثني.

(٢) رجح بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي: أسأل عن الرحمن خبيراً واستشهد بقول الشاعر:

فإن سألتني بالنساء فإني خبير بأدواء النساء طبيب

فقوله بالنساء أي: عن النساء. ورأي ابن كثير أن المسؤول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق ويعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) إنهم بجهلهم أنكروا اسم الرحمن لله، وقالوا: يأمر بعبادة إله واحد وهو يدعو الله ويدعو الرحمن فأنزل الله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعو فله الأسماء الحسنى) (الإسراء).

وقوله تعالى ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾^(١) هو القمر أي تعظم وتقدس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وقوله ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه﴾ أي يخلف بعضهما بعضاً فلا يجتمعان أبداً وفي ذلك من المصالح والفوائد ما لا يقادر قدره ومن ذلك أن من نسي عملاً بالنهار يذكره في الليل فيعمله، ومن نسي عملاً بالليل يذكره بالنهار فيعمله، وهو معنى قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ فإن الليل والنهار ظرفان للعبادة الصيام والنهار والقيام بالليل فمن أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه فقد وهبنا له فرصة لذلك وهو الليل للتهجد والقيام والنهار للجهد والصيام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له .
- ٢- وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذي لا يموت وغيره يموت .
- ٣- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه .
- ٤- مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع^(٥).
- ٥- صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما .
- ٦- الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة .

(١) قرىء في الشاذ قُمرًا بضم القاف وإسكان الميم وصاحب القراءة هو عصمة الذي يروي القراءات قال فيه أحمد بن حنبل : لا يكتبوا عنه وقد أُلغ أبو حاتم بالرواية عنه مع الأسف .

(٢) الخلفة : كل شيء بعد شيء ومنه قيل الليل والنهار خلفه لأن كلاً منهما يخلف الثاني إذا ذهب ومنه قيل لورق النبات الذي يخلف الورق الأول خلفه ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

بها العين والأرام يمشين خلفه وأطلاؤهن ينهض من كل مجثم

خلفة : هذه تذهب وتلك تأتي . والعين : جمع عيناء وأعين : واسعات العيون والمراد بقروحش والأطلاء : جمع طلا : ولد البقرة وولد الظبية الصغير، والمجثم : موضع الجثوم : أي المقام .

(٣) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) .

(٤) لو أعطي الداعي إلى الله تعالى من أوقاف وقفت لهذا الغرض أو أعطي من بيت المال ما يسد به خلته ويقضي به حاجته فأخذ فلا حرج .

(٥) هذه السجدة من عزائم السجودات فلا ينبغي أن يتركها القارىء ولا المستمع .

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^٤ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ^٥ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يمشون على الأرض هوناً: في سكينه ووقار.

وإذا خاطبهم الجاهلون: أي بما يكرهون من الأقوال.

قالوا سلاماً: أي قولاً يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا إسلام^(١)

المتاركة.

سجداً وقياماً: أي يصلون بالليل سجداً جمع ساجد.

إن عذابها كان غراماً: أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه.

(١) اسلام المتاركة: هو أن يقول قولاً يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتى هي أحسن من الكلمات.

إنها ساءت مستقراً ومقاماً: أي بثست مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

لم يسرفوا ولم يقتروا : أي لم يبذروا ولم يضيعوا.

وكان بين ذلك قواماً : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً.

التي حرم الله : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب.

إلا بالحق : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو

قتل ظلم وعدوان.

يلقى أثاماً : أي عقوبة شديدة.

يبدل الله سيئاتهم حسنات: بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق

طاعاتهم.

معنى الآيات :

لما أنكر المشركون الرحمن ﴿وقالوا وما الرحمن﴾ وأبوا أن يسجدوا للرحمن، وقالوا أن محمداً ينهانا عن الشرك وهو يدعو مع الله الرحمن فيقول يا الله يا رحمن، ناسب لتجاهلهم هذا الاسم الرحمن أن يذكر لهم صفات عباد الرحمن ليعرفوا الرحمن بعباده على حد (خيركم من إذا رُؤي ذكر الله) فقال تعالى ﴿وعباد الرحمن﴾ ووصفهم بثمان صفات وأخبر عنهم بما أعده لهم من كرامة يوم القيامة. الأولى في قوله ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ أي ليسوا جبابة متكبرين، ولا عصاة مفسدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار، ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون^(١) به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة.

الثانية: في قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ أي يقضون ليلهم بين السجود

(١) (وعباد الرحمن) مبتدأ والخبر: إن أريد بهم أصحاب الرسول ﷺ خاصة فالخبر: (الذين يمشون) وما بعده نعت لهم وصفات، وإن أريد بهم عامة المؤمنين فالخبر: (أولئك يجزون الغرفة) والصلوات الثمانية: صفات ونعت لهم. وهذا الراجع.

(٢) الهون: اللين والرفق، والمشى الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو غير مشى المتكبرين المعجبين بنفسهم، وعباد الرحمن يمشون وعليهم السكينة والوقار وفي الحديث: (أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البرليس بالأيضاع وهو السير مثل الخبب) إن الرسول ﷺ كان إذا زال زال تلعلاً ويخطو تكفواً ويمشي هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صيب، قيل: نعم هو كما وصف فالتقلع معناه رفع الرجل بقوة حتى لا يمشي مشية المتمسكن الذليل والذريع، الواسع الخطا ومعناه أنه كان يرفع رجله بسرعة ويوسع خطوه كأنما ينحط من صيب فأين هذا الهون المحمدي في المشي من الاختيال والتمايل اعجاباً بالنفس وضرب الأرض كأنما يريد أن يخرقها بنعله. والله تعالى قال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ والمرح: هو مشي الخيلاء، والفخر، وقال: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي بضربك إياها برجليك بشدة. ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ مهما حاولت العلو والارتفاع.

(٣) هذا كقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم لا ينبغي للجاهلین).

والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم .

والثالثة : في قوله ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أي مُلِحاً لازماً لا يفارق صاحبه ، ﴿إنها ساءت﴾ أي جهنم ﴿مستقراً ومقاماً﴾ أي بثست موضع إقامة واستقرار .

والرابعة : في قوله ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم ، ولم يقتروا فيقصر وافي الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً .

والخامسة : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم كما لا يشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها وهي كل نفس آدمية ما عدا نفس الكافر المحارب فإنها مباحة القتل غير محرمة . ﴿إلا بالحق﴾ وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول ﷺ في حديث الصحيحين (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يرتكبون فاحشة الزنا والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح وقوله تعالى ﴿ومن يفعل ذلك﴾ هذا كلام معترض بين صفات عباد الرحمن . أي ومن يفعل ذلك المذكور من الشرك بدعاء غير الرب أو قتل النفس بغير حق ، أو زنا ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقاباً ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ أي في العذاب ﴿مهاناً﴾ مخزياً ذليلاً ، وقوله تعالى ﴿إلا من تاب﴾ من الشرك وآمن بالله وبلغائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق ﴿وعمل صالحاً﴾ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ﴿فأولئك﴾ المذكورون أي التائبون ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أي يمحو سيئاتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانها صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم ، وقوله ﴿ومن تاب﴾ من غير هؤلاء المذكورين أي رجع إلى الله تعالى بعد غشيانه الذنوب

(١) الأثام : قيل فيه إنه واد في جهنم : قال الشاعر :

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك نلقي أثامنا

وقيل الأثام : العقاب كما في التفسير وشاهده قول الشاعر :

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

أي : جزاء وعقوبة .

﴿وعمل صالحاً﴾ بعد توبته ﴿فإنه يتوب الى الله متاباً﴾ أي يرجع إليه تعالى مرجعاً مرضياً حسناً فيكرمه وينعمه في دار كرامته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل .
- ٢- فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار .
- ٣- فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم .
- ٤- فضيلة قيام الليل والخوف من عذاب النار .^(١)
- ٥- فضيلة الاعتدال والقصد في النفقة وهي الحسنة بين السيئتين .^(٢)
- ٦- حرمة الشرك وقتل النفس والزنى وأنها أمهات الكبائر .^(٣)
- ٧- التوبة تجب ما قبلها . والندب إلى التوبة وأنها مقبولة مالم يغرغر .^(٤)

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

(١) أنشد بعضهم الآيات التالية في صفة أولياء الله جعلنا الله منهم : فقال :

الله قوم أخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خداماً

قوم إذا جن الظلام عليهم باتوا هنالك سجداً وقياماً

خمس البطون من التعفف ضمراً لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

(٢) روي أن عبدالملك بن مروان سأل بنته فاطمة وهي تحت ابن أخيه عمر بن عبدالعزيز وقد زارهما بالمدينة فقال لها كيف نفقتكم؟ فقالت : الحسنة بين السيئتين . تعني قول الله تعالى (والذين إذا أشفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقيل : المسؤول زوجها عمر وهو الذي أجاب والله أعلم وفي الحديث : (إن من السرف أن تاكل كل ما تشتهي) .

(٣) روى مسلم أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي الذنب أكبر عند الله؟ قال : (أن تجعل الله نداً وهو خلقك قال ثم أي؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي؟ قال : أن تزاني حليلة جارك) فأنزل الله تصديقها (الذين لا يدعون مع الله إله آخر) إلى (ولا يزنون) .

(٤) وفي الحديث الصحيح : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) والشاهد : (إن الحسنات يذهبن السيئات) .

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
 لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
 صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
 فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
 لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

- لا يشهدون الزور : أي لا يحضرون مجالسه ولا يشهدون بالكذب والباطل .
 وإذا مروا باللغو : أي بالكلام السيء القبيح وكل ما لا خير فيه .
 مروا كراماً : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه .
 وإذا ذكروا آيات ربهم : أي إذا وعظوا آيات القرآن .
 لم يخروا عليها صماً وعمياناً : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها عمياً لا يبصرون
 ولا صماً لا يسمعون بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه ويبصرون ما تعرضه .
 قرة أعين : أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم مطيعين لك يعبدونك
 وحدك .
 واجعلنا للمتقين إماماً : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك قدوة يقتدون
 بنا في الخير .
 يجزون الغرفة : أي الدرجة العليا في الجنة .
 بما صبروا : أي على طاعتك بامتنال الأمر واجتناب النهي .
 حسنت مستقراً ومقاماً : أي صلحت وطابت مستقراً لهم أي موضع استقرار

(١) أي : أعيننا .

واقامة .

ما يعبأ بكم ربي : أي ما يكثرث ولا يعتد بكم ولا يبالي .
 لولا دعاؤكم : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره .
 فسوف يكون لزاماً : أي العذاب لزاماً أي لازماً لكم في بدر ويوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر صفات عباد الرحمن الذي تجاهله المشركون وقالوا : وما الرحمن فها هي ذي صفات عباده دالة عليه وعلى جلاله وكماله، وقد مضى ذكر خمس صفات :

والسادسة : في قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾^(١) الزور هو الباطل والكذب وعباد الرحمن لا يحضرون مجالسه ولا يقولونه ولا يشهدونه ولا ينطقون به ﴿وإذا مروا باللغو﴾^(٢) وهو كل عمل وقول لا خير فيه ﴿مروا كراماً﴾ أي مكرمين أنفسهم من التلوث به، بالوقوع فيه .

والسابعة : في قوله تعالى ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ أي إذا ذكروهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يحنوا رؤوسهم عليها صمماً حتى لا يسمعوا مواعظها ولا عمياناً حتى لا يشاهدوا آثار آياتها بل يحنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها .

والثامنة : في قوله تعالى ﴿والذين يقولون﴾ أي في دعائهم ﴿ربنا هب لنا﴾ أي أعطنا ﴿من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي ما تقر به أعيننا وذلك بأن نراهم يتعلمون الهدى ويعملون به طلباً لمرضاتك يا ربنا ﴿واجعلنا للمتقين﴾ من عبادك الذين يتقون سخطك

(١) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين وقال عكرمة: اللعب كان في الجاهلية يسمى الزور، وقال مجاهد: الغناء: ويطلق اليوم على التصوير والصور إذ هو الزور والكذب قطعاً. والحكم في شاهد الزور أن يجلد أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه. وتسخيم الوجه أن يسود بالفحم.

(٢) اللغو: كل سقط من قول أو فعل فيدخل فيه الغناء واللغو وذكر النساء وغير ذلك من المنكر، وقال بعضهم اللغو كل قول أو عمل لم يحقق لك درهما لمعاشك ولا حسنة لمعادك .

(٣) كراماً: أي معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون أهله .

(٤) قرة العين مأخوذ من القر وهو البرد إذ دموع الفرح باردة ودموع الحزن حارة قال الشاعر:

فكم تسخنت بالأمس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

ومن ثم قالوا في الدعاء: اقر الله عينك أي: أفرحك .

(١) بطاعتك بفعل أمرك وأمر رسولك واجتناب نهيك ونهي رسولك ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا . قال تعالى مخبراً عنهم بما أنعم به عليهم : ﴿أولئك﴾ أي السامون أنفسهم العالون أرواحاً ﴿يجزون الغرفة﴾ وهي الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة مولاهم ، وما يلحقهم من أذى في ذات ربهم ﴿ويلقون فيها﴾ أي تتلقاهم الملائكة بالتهاني والتحيات ﴿تحية وسلاماً﴾ أي بالدعاء بالحياة السعيدة والسلامة من الآفات إذ هي حياة بلا ممات ، وسعادة بلا منغصات . وقوله تعالى ﴿خللدين فيها﴾ أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة ﴿حسنت مستقراً﴾ أي طابت موضع إقامة واستقرار . إلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم . وقوله تعالى : ﴿قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ أي قل يا رسولنا لأولئك المشركين المنكرين للرحمن ﴿ما يعبا بكم ربي﴾ أي ما يكثرث لكم أو يبالي بكم ﴿لولا دعاؤكم﴾ إياه أي عبادة من يعبده منكم إذ الدعاء هو العبادة ما أبالي بكم ولا أكثرث لكم . أما وقد كذبتكم بي وبرسولي فلم تعبدوني ولم توحّدوني وإذا ﴿فسوف يكون﴾ العذاب ﴿لزماً﴾ وقد أذقتموه يوم بدر ، وسوف يلازمهم في قبورهم إلى نشورهم ، وسوف يلاحقهم حتى مستقرهم في جهنم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- حرمة شهود الزور وحرمة شهادته .^(٤)

٢- فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً .

(١) وحّد إماماً ولم يجمعه (أئمة) لأن الإمام مصدر كالقيام والصيام أم القوم يؤمهم فهو إمام لهم ، والمصدر يطلق فيدل على الواحد والجمع وجائز أن يراد أئمة كقول الرجل أميرنا هؤلاء ومنه قول الشاعر :

ياعدلاتي لا تزدن ملامتي إن العوائل لسن لي بأمير

(٢) إذ كانوا يدعونه تعالى في حال الشدة وعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل (إياه) معمول للدعاء . المصدر، وجائز أن يكون معناه لولا دعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره فيكون المصدر الذي هو الدعاء مضافاً إلى مفعوله وجواب لولا محذوف تقديره لم يعبا بكم .

(٣) قال الطبري : معناه عذاباً دائماً لازماً . وقيل : فقد كذبتهم فسوف يكون تكذيبكم لزماً لكم أي : جزاؤه وهو العذاب والمعنى واحد وهو لزوم العذاب لهم من أجل تكذيبهم الذي منعهم من تزكية نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال .

(٤) وفي الصحيح : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكفراً فجلس وقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)

- ٣- فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاعتنا بمواعظه والعمل بهدائه.
- ٤- فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقُدوة في الخير.
- ٥- لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليفة^(١).

(١) شاهده قوله تعالى: (أولئك هم شر البرية) وهم الكفار من أهل الكتاب والمشركون (من سورة البينة).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية

وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

طسّم	: الله أعلم بمراده بذلك .
الكتاب المبين	: أي القرآن المبين للحق من الباطل .
باخع نفسك	: أي قاتلها من الغم .
ألا يكونوا مؤمنين	: أي من أجل عدم إيمانهم بك .
آية	: أي نخوفهم بها .
من ذكر	: أي من قرآن .
معرضين	: أي غير ملتفتين إليه .
زوج كريم	: أي صنف حسن .
العزیز	: الغالب على أمره ومراده .
الرحيم	: بالمؤمنين من عباده .

معنى الآيات :

طسّم هذه أحد الحروف المقطعة تكتب طسم، وتقرأ طا سين ميم بإدغام النون من سين في الميم الأولى من ميم والله أعلم بمراده منها. وفيها إشارة إلى أن القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف وعجز العرب عن تأليف مثله بل سورة واحدة من مثله دال قطعاً على أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله ﷺ. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾^(١) أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب أي القرآن ﴿المبين﴾ أي المبين للحق من الباطل والهدى من الضلال، والشرائع والأحكام. وقوله تعالى ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتلها ومهلكها ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي إن لم يؤمن بك وبما جئت به قومك، فأشفق على نفسك يا رسولنا ولا تعرضها للغم القاتل فإنه ليس عليك هدايتهم وإنما عليك البلاغ وقد بلغت، إنا لو أردنا هدايتهم بالقسر والقهر لما عجزنا عن ذلك ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾^(٢) لها خاضعين ﴿أي إنا لقادرون على أن ننزل عليهم من السماء آية كرفع جبل أو إنزال كوكب أو رؤية ملك فظلت أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنوا حينئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري.

وقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾^(٣) أي وما يأتي قومك المكذبين لك من موعظة قرآنية وحجج وبراهين تنزلية تدل على صدقك وصحة دعوتك مما يحدثه الله إليك ويوحى به إليك لتذكرهم به إلا أعرضوا فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه. وقوله تعالى: ﴿فقد كذبوا به﴾^(٤) يخبر تعالى رسوله بأن قومه قد كذبوا بما أتاهم من ربهم من ذكر محدث وعليه ﴿فسيأتهم أنباء﴾ أي أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو عذاب الله تعالى الذي كذبوا برسوله ووحيه وجحدوا وتوحيده وأنكروا طاعته وفي الآية وعيد شديد وهم عرضة له في أية لحظة إن لم يتوبوا.

(١) تلك آيات الكتاب) قال القرطبي رفع على إضمار مبتدأ أي: هذه تلك.. الخ وما في التفسير أولى أي: هي آيات الكتاب.
(٢) لأنهم إذا ذلت أعناقهم ذلوا ولا داعي إلى أن يقال: أعناقهم: كبراًؤهم ورؤسأؤهم وإن ساغ لغة، إذ المراد أن ينزل عليهم آية تخضعهم وتذلهم رؤساء ومرؤوسين، والأعناق جمع عنق يضم العين والنون وهو الرقبة ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها ومقتضى ظاهر الكلام هو فضلوا لها خاضعين بأعناقهم، وعدل عنه إلى إسناد الخضوع إلى الأعناق لأنه يحمل الإشارة إلى خضوع رؤسائهم الحاملين على الكفر والعناد وهذا من بليغ الكلام وبديعه.

(٣) محدث) أي: مستجد متكرر بعضه يعقب بعضاً ويؤيده.

(٤) فقد كذبوا) الفاء هي الفصيحة أفصحت عن تكذيبهم الناتج عن إعراضهم والفاء في فسيأتهم) للتعقيب والأنباء جمع نبأ وهو الخبر ذو الشأن، والجملة تحمل التهديد والوعيد الشديد.

وقوله تعالى ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾^(١) إن كانت علة هذا التكذيب من هؤلاء المشركين هي إنكارهم للبعث والجزاء وهو كذلك فلم لا ينظرون إلى الأرض الميتة بالقحط ينزل الله تعالى عليها ماء من السماء فتحيا به بعد موتها فبينت الله فيها من كل زوج أي صنف من أصناف النباتات كريم أي حسن . أليس في ذلك آية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم وحشرهم للحساب والجزاء ، فلم لا ينظرون؟ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة واضحة للمشركين على صحة البعث والجزاء . ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الناس بعد موتهم . وقوله تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾^(٢) يخبر تعالى أن فيما ذكر من إنباته أصناف النباتات الحسنة آية على البعث والحياة الثانية ولكن قضى الله أولاً أن أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه فاصبر لحكمه وتوكل عليه وواصل دعوتك في غير غم ولا هم ولا حزن وإن العاقبة لك وللمؤمنين بك المتبعين لك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طاسين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله .
- ٢- بيان ما كان الرسول ﷺ يناله من الغم والحزن وتكذيب قومه له .
- ٣- بيان أن إيمان المكروه لا ينفعه ، ولذا لم يكره الله تعالى الكفار على الإيمان بواسطة الآيات .
- ٤- التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها .
- ٥- في إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر .

(١) الاستفهام إنكاري والهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه نحو: اعملوا ولم يروا . الرؤية: معناها النظر بالعين ، ولذا عدّي الفعل بالي . والزوج : النوع ، والكريم : النفس في نوعه وكم : للتكثير ومن للتبعيض .
 (٢) المراد ممن نفى الإيمان عن أكثرهم هم : أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجاً .
 (٣) الجملة تعليلية تضمنت التذكير بعزة الله تعالى ورحمته فذوا العزة قادر على أن ينزل عذابه بأعدائه وذو الرحمة قادر على رحمة أوليائه كما أن هناك إشارة إلى أن تخلف العذاب اقتضته رحمته سبحانه وتعالى .

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ لَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
 إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
 كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَ فِرْعَوْنَ
 فَقَوْلًا ۖ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- وإذ نادى ربك : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى .
 أن آيت : أي بأن آت القوم الظالمين .
 ألا يتقون : ألا يخافون الله ربهم ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم؟
 ويضيق صدري : أي من تكذيبهم لي .
 ولا ينطلق لساني : أي للعقدة التي به .
 فأرسل إلى هرون : أي إلى أخي هرون ليكون معي في إبلاغ رسالتي .
 ولهم على ذنب : أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين .
 قال كلا : أي قال الله تعالى له كلا أي لا يقتلونك .
 فاذهبا : أنت وهرون .
 إنا رسول رب العالمين : أي إليك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ هذا بداية سلسلة من القصص بدت بقصة موسى وختمت بقصة شعيب وقصها على المشركين ليشاهدوا أحداثها ويعرفوا نتائجها

وهي دمار المكذبين وهلاكهم مهما كانت قوتهم وطالت أعمارهم قال تعالى في خطاب رسوله محمد ﷺ ﴿وَإِذ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ أي اذكر إذ نادى ربك موسى في ليلة باردة شاتية بالواد الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ﴿أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ إذ ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا بني إسرائيل باضطهادهم وتعذيبهم ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي قل لهم ألا تتقون أي يأمرهم بتقوى ربهم بالإيمان به وتوحيده وترك ظلم عباده فلا استفهام معناه الأمر. وقوله تعالى ﴿قَالَ رَبُّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ أي قال موسى بعد تكليفه رب إنني أخاف أن يكذبون فيما أخبرهم به وأدعوهم إليه، ﴿ويضيق صدري﴾ لذلك ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعقدة التي به، وعليه ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي جبريل يبلغه أن يكون معي معيناً لي على إبلاغ رسالتي، وقوله ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ هذا قول موسى عليه السلام لربه تعالى شكاً إليه خوفاً من قتلهم له بالنفس التي قتلها أيام كان بمصر قبل خروجه إلى مدين فأجابه الرب تعالى ﴿كَلَّا﴾ أي لن يقتلوك. وأمرهما بالسير إلى فرعون فقال ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ وهي العصا واليد ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ أي فبلغاه ما أمرتكما ببلاغه وإنا معكم مستمعون لما تقولان ولما يقال لكما ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ﴾ عند وصولكما إليه ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نحمل رسالة منه مفادها أن ترسل معنا بني إسرائيل لنخرج بهم إلى أرض الشام التي وعد الله بها بني إسرائيل هذا ما قاله موسى وهرون رسولا رب العالمين أما جواب فرعون ففي الآيات التالية.

(١) (أن) تفسيرية لأنها واقعة بعد النداء وهو قول.

(٢) قوم فرعون: بدل من الظالمين.

(٣) (أن يكذبون): الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناصب وهو أن فصارت يكذبونني ثم حذفت باء الضمير للدلالة الكسرة عليها فصارت (يكذبون).

(٤) قرأ الجمهور يضيق صدري ولا ينطلق لساني بالرفع للفعلين معاً على الاستثناف وقرئ بنصبهما لغير الجمهور.

(٥) المراد بالنفس: نفس القبطي واسمه فاثور.

(٦) (كلا) للردع والزجر عن هذا الظن.

(٧) لم يقل: رسولا إما لأن رسول بمعنى رسالة إنا ذو رسالة رب العالمين وإما لأن الرسول بمعنى الجمع كالمصادر نحو. هذا عدوي وهؤلاء عدوي، والعرب تقول: هذان رسولي وهؤلاء رسولي.

(٨) قيل: أقام بنو إسرائيل في مصر أربعين سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إثبات صفة الكلام لله تعالى بندائه موسى عليه السلام .
- ٢- لا بأس بإبداء التخوف عند الإقدام على الأمر الصعب ولا يقدر في الإيمان ولا في التوكل .
- ٣- مشروعية طلب العون والمساعدة من المسؤولين إذا كلفوا المرء بما يصعب .

قَالَ الْمُرْتَبِكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾
 قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
 فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
 عَلَى أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- قال : أي قال فرعون رداً على كلام موسى في السياق السابق .
- ألم نريك فينا وليداً : أي في منازلنا وليداً أي صغيراً قريباً من أيام الولادة .
- ولبثت فينا من عمرك سنين : أي أقمت بيننا قرابة ثلاثين سنة وكان موسى يدعى ابن فرعون لجهل الناس به ورؤيتهم له في قصره يلبس ملابسه ويركب مراكبه .
- وفعلت فعلتك التي فعلت : أي قتلت الرجل القبطي .
- وأنت من الكافرين : أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد .
- وأنا من الضالين : إذ لم يكن عندي يومئذ من علم ربي ورسالته ما عندي الآن .
- أن عبدت بني إسرائيل : أي هل تعبيدك لبني إسرائيل يعد نعمة فتمن بها علي ؟

معنى الآيات

ما زال السياق والحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن فرد فرعون على موسى بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال ألم نريك فينا وليداً﴾ أي أتذكر معترفاً أنا ربيناك وليداً أي صغيراً وأنت في حال الرضاع ﴿ولبثت فينا﴾ أي في قصرنا مع الأسرة المالكة ﴿سنين﴾ ثلاثين سنة قضيتها من عمرك في ديارنا ﴿وفعلت فعلتك﴾ أي الشنعاء التي فعلت وهي قتل موسى القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ أي لنعمنا عليك الحاجد بها، كان هذا رد فرعون فلنستمع إلى رد موسى عليه السلام كما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال فعلتها إذا﴾ أي يومئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين لأنه لم يكن قد علمني ربي ما علمني الآن وما أوحى إلي ولا أرسلني إليكم رسولاً ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ من أجل قتلي النفس التي قتلت وأنا من الجاهلين ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يحكممني دون فعل ما لا ينبغي فعله ﴿وجعلني من المرسلين﴾ أي من أنبيائه ورسله إلى خلقه ثم قال له ردأ على ما امتن به فرعون بقوله ﴿ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ فقال ﴿وتلك نعمة﴾ أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولداً حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون، نترك رد فرعون إلى الآيات التالية.

(١) الاستفهام للتقرير ومعناه المنّ على موسى والاحتقار له.

(٢) الفعلية: المرة وبالكسر: الهيئة وقرأ الجمهور (فعلتك) وهي المرة من الفعل، وشاهد الفعلية بالكسر للهيئة قول الشاعر:

كان مشيتها من بيت جارتها مَرَّ السحابة لا ريث ولا عجل

يذكره بقتله القبطي تخويفاً له وتهديداً.

(٣) كان خروج موسى من مصر إلى أن عاد إليها أحد عشر عاماً إلا أشهراً.

(٤) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٥) بناء على أنه قضى ثلاثين سنة في مصر وأحد عشر عاماً خارجها فقد نبيء على رأس الأربعين وهي سنة الله تعالى في

الرسل.

(٦) حرف الاستفهام مقدر أي: أو تلك كما هو في التفسير والاستفهام إنكاري أي ينكر موسى على فرعون أن يكون استعباد

بني إسرائيل نعمة تعدّ عليهم وهذا التقدير أولى من قول: (إن موسى اعترف لفرعون بنعمة التربية من حيث استعباد غيره

وتركه هولم يتعبده) ومن اعترض بأن همزة الاستفهام لا تحذف إذا لم يكن في الكلام أم الدالة عليها محجوج بشواهد كثيرة

منها قول الشاعر:

لم أنس يوم الرحيل وقتنتها وجفنتها من دموعها شرق

وقولها والركاب واقفة تركنتي هكذا وتنطلق

والشاهد في قوله: تركنتي إذ الأصل: أتركتني فحذفت همزة الاستفهام مع عدم (أم).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري .
- ٢- جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل .
- ٣- جواز إطلاق لفظ الضلال على الجاهل كما قال تعالى ﴿ووجدك ضالاً﴾ كم قال موسى ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي .
- ٤- مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ

الْأُولَئِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ

لَيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ

أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- وما رب العالمين : أي الذي قلت إنك لرسوله من أي جنس هو؟
- رب السموات والأرض وما بينهما : أي خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما .
- إن كنتم موقنين : بأن السموات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات مخلوقة قائمة فخالقها ومالكها هو رب العالمين .
- لمن حوله : أي من أشرف قومه ورجال دولته .
- ألا تستمعون : أي جوابه الذي لم يطابق السؤال في نظره .

أو لو جئتك بشيء مبین : أي أتسجنني ولو جئتك ببرهان وحجة على رسالتي .
فأت به إن كنت من الصادقين: أي فأت بهذا الشيء المبین إن كنت من الصادقين فيما
تقول .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن
الرحمن لما قال موسى ﴿إني رسول رب العالمين﴾ في أول الحوار قال فرعون مستفسراً
في عناد ومكابرة ﴿وما رب العالمين﴾؟ أي أي شيء هو أو من أي جنس من أجناس
المخلوقات فأجابه موسى بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما﴾
أي خالق السموات والأرض وخالق ما بينهما . ومالك ذلك كله ، إن كنتم موقنين بأن كل
مخلوق لا بد له من خالق خلقه ، وهو أمر لا تنكره العقول . وهنا قال فرعون في استخفاف
وكبرياء لمن حوله من رجال دولته وأشراف قومه : ﴿ألا تستمعون﴾^(١) كأن ما قاله موسى أمر
عجب أو مستنكر فعرف موسى ذلك فقال ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي خالقكم
وخالق آبائكم الأولين الكل مربوط له خاضع لحكمه وتصرفه . وهنا اغتاظ فرعون فقال :
﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أراد أن ينال من موسى لأنه أعاظه بقوله
﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فرد موسى أيضاً قائلاً ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾
أي رب الكون كله ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي ما تخاطبون به ويقال لكم وفي هذا الجواب
ما يتقطع له قلب فرعون فلذا رد بما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري﴾
أي رباً سواي ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ أي لأسجننك وأجعلك في قعر تحت الأرض
مع المسجونين . فرد موسى عليه السلام قائلاً ﴿أولو جئتك بشيء مبین﴾ أي أتسجنني ولو

(١) لما غلب فرعون في جداله لموسى استفهم بقوله : (فما رب العالمين) وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن رب العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال : (وما رب العالمين) وكان المطلوب أن يقول : ومن رب العالمين؟ ولكنه العلو والتكبر .
(٢) لما علم موسى جهل فرعون وتجاهله أجابه بما يلقيه الحجر ويطل دعواه في أنّ الربوبية تكون لبشر أو حجر فقال : (رب السموات ... الخ .

(٣) استفهم اللعين استفهام تعجب وتهكم مستخفاً بجواب موسى قائلاً (ألا تسمعون) أي إلى قول هذا الذي زعم إبطال عقيدتكم وعقيدة آبائكم ، ولذا أجاب موسى بتقرير جوابه الأول وهو مفحم مبطل لدعوى ربوبية فرعون .

(٤) في جواب موسى عليه السلام هذا تلطف بفرعون وطمع في إيمانه لما بهره به من الردود المحكمة والإجابات المفحمة .

جئت بحجة بينة وبرهان ساطع على صدقي فيما قلت وأدعوكم إليه؟ وهنا قال فرعون ما أخبر تعالى به ﴿قال فات به إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعي وتقول

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار لسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون.

٢- سنة أهل الباطل أنهم يفجرون في الخصومة وفي الحديث (وإذا خصم فجر) ^(١).

٣- أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعتبهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة.

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ
 عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
 تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
 ﴿٣٦﴾ يَا تَأُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
 لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾
 لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا الْفِرْعَوْنَ أَبْنِ لَنَا لَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

(١) نص الحديث الشريف كما هو في الصحيح: (أربع من كُنْ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خصم فجر).

شرح الكلمات :

ثعبان مبین	: أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك .
ونزع يده	: أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه .
لساحر عليم	: أي متفوق في علم السحر .
أرجه وأخاه	: أي آخر أمرهما .
حاشرين	: أي جامعين للسحرة .
سحار عليم	: أي متفوق في الفن أكثر من موسى .
يوم معلوم	: هو ضحى يوم الزينة عندهم .
هل أنتم مجتمعون	: أي اجتمعوا كي نتبع السحرة على دينهم إن كانوا هم الغالبين .

وإنكم إذاً لمن المقربين : أي لكم الأجر وهو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لقد تقدم في السياق أن فرعون طالب موسى بالإتيان بالآية أي الحجّة على صدق دعواه وها هو ذا موسى عليه السلام يلقي عصاه أمام فرعون وملائته فإذا هي ثعبان ظاهر لا شك فيه ، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين لا يشك في بياضها وأنه بياض خارق للعادة هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٣٢) والثانية (٣٣) ﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبین^(١) ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين^(٢)﴾ واعترف فرعون بأن ما شاهده من العصا واليد أمر خارق للعادة ولكنه راوغ فقال ﴿إن هذا﴾ أي موسى ﴿لساحر عليم﴾ أي ذو خبرة بالسحر وتفوق فيه قال هذا للملأ حوله كما قال تعالى عنه ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ وقوله تعالى عنه ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال فرعون هذا تهيجاً للملأ ليثوروا ضد موسى عليه السلام وهذا من المكر السياسي إذ جعل القضية

(١) الثعبان : الحية الضخمة الطويلة ، و(مبين) بمعنى بَيِّن لا خفاء فيه ولا غموض (ونزع يده) أي أخرجها من قميصه بسرعة وشدة إذ هذا ما يدل عليه لفظ النزع ، ولم يذكر المنزع منه لدلالة اللفظ عليه أي : من جيب قميصه .

(٢) إذا : هي الفجائية ومعنى : (لِلناظرين) أي : مما يقصده الناظرون لما فيه من العجب ، وكان جلد موسى أسمر وكانت اليد بيضاء فكان ذلك آية أخرى .

سياسية بحثة وأن موسى يريد الاستيلاء على الحكم والبلاد ويطرد أهلها منها بواسطة السحر، وقال لهم كالمستشير لهم ﴿فماذا تأمرون؟﴾ فأشاروا عليه بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي أخر أمرهما ﴿وابعث في المدائن﴾ أي مدن المملكة رجلاً ﴿حاشرين﴾ أي جامعين ﴿يأتوك﴾ أيها الملك ﴿بكل سحار^(١) عليم﴾ أي ذو خبرة في السحر متفوقة، وفعلاً أخذ بمشورة رجاله ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ أي لموعد معلوم وهو ضحى يوم العيد عندهم واستحثوا الناس على الحضور من كافة أنحاء البلاد وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ فجمع^(٢) السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ﴿فبقى على ديننا ولا نتبع موسى وأخاه على دينهما الجديد﴾ إن كانوا﴾ أي السحرة ﴿هم الغالبين﴾ وهذا من باب الاستحاث والتحريض على الالتفات حول فرعون وملائه. وقوله تعالى ﴿فلما جاء السحرة﴾ أي من كافة أنحاء البلاد قالوا لفرعون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أئن لنا لأجراً﴾ أي جعلاً إن كنا نحن الغالبين؟ ﴿فأجابهم فرعون قائلاً﴾ نعم وإنكم إذا لمن^(٣) المقربين ﴿أي زيادة على الأجر مكافأة أخرى وهي أن تكونوا من المقربين لدينا، وفي هذا إغراء كبير لهم على أن يبذلوا أقصى جهدهم في الانتصار على موسى عليه السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام.
- ٢- مشروعية استشارة الأمير رجاله في الأمور ذات البال.
- ٣- ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين
- ٤- إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام.

(١) (سحار) فيه وصف ثابت دال على تعاطيه للمهنة ورسوخه فيها كنجار وخياط وبناء والوصف بعليم: فيه الحث على الإتيان بالمهارة من السحرة لعظم الموقف.

(٢) دلت الفاء على الفورية واللام كذلك في الميقات أي: لأول الوقت كقوله: (الصلاة لوقتها) أي: في أول وقتها، وقوله (للناس) المراد بالناس أهل بلاده، والاستفهام في (هل أنتم مجتمعون) للاستحاث على الاجتماع.

(٣) سؤال السحرة الأجر إِدلال بخيرتهم والتذكير بالحاجة إليهم لعلمهم بأن فرعون حريص على غلبهم لموسى، وخافوا أيضاً أن يستخدمهم فرعون بدون أجر لأن الخال حال التعبئة العامة للدفاع عن المعتقدات وأهلها فلذا شرطوا أجرهم قبل الشروع في العمل.

(٤) (إذا) أي: إذا كنتم فعلاً غالبين إن لكم لأجراً عظيماً.

قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
 رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ يَا مَنَّمُ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَعِزَّنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيِّدِكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ألقوا ما أنتم ملقون : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق .
 ما يأفكون : أي ما يقبلونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى .
 رب موسى وهرون : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر .
 من خلاف : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى .
 ولاصلبنكم أجمعين : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على
 الأخشاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن
 إنه بعد إرجاء السحرة فرعون وسؤالهم له : هل لهم من أجر على مباراتهم موسى إن هم غلبوا
 وبعد أن طمأنهم فرعون على الأجر والجائزة قال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾^(١) من
 الحبال والعصي في الميدان ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ وأقسموا بعزة فرعون إنهم هم

(١) جاء في سورة الأعراف أن السحرة عرضوا على موسى أن يلقى عصاه أو يلقوا حبالهم وعصيهم وهنا قال لهم موسى عليه السلام (ألقوا) بناء على عرضهم ذلك .

الغالبون وفعلاً انقلبت الساحة كلها حيات و ثعابين حتى أوجس موسى في نفسه خيفة فأوحى إليه ربه تعالى أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. هذا معنى قوله تعالى في هذا السياق ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون^(١) إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون^(٢)﴾ ومعنى تلقف ما يأفكون أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات و ثعابين، وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي أنهم لاندهاشهم وما بهرهم من الحق ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله تعالى مؤمنين به، فسئلوا عن حالهم تلك فقالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وهنا خاف فرعون تفلت الزمام من يده وأن يؤمن الناس بموسى وهرون ويكفروا به فقال للسحرة: ﴿آمنتكم به قبل أن أذن لكم﴾ بذلك أي كيف تؤمنون بدون إذني؟ على أنه يملك ذلك منهم وهي مجرد مناورة مكشوفة، ثم قال لهم ﴿إنه﴾ أي موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي انه لما كان استاذكم تواطأتم معه على الغلب فأظهرتم أنه غلبكم، تمويهاً وتضليلاً للجماهير. ثم تهددهم قائلاً ﴿فلسوف تعلمون﴾ عقوبتي لكم على هذا التواطؤ وهي ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي أقطع من الواحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ فلا أبقى منكم أحداً إلا أشده على خشبة حتى يموت مصلوباً، هل فعل فرعون ما توعده به؟ الله أعلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كر عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه تعالى.

(١) يبدو أن الباء في قولهم (بعزة فرعون) هي كالباء في بسم الله للاستعانة والتبرك لا للقسم وهذا أولى بالمقام من الحلف على شيء لا يملكه المرء، وتكون جملة: (إنا لنحن الغالبون) مستأنفة استئنافاً بيانياً وليست جواب قسم إلا أنها حملت معنى القسم بما فيه من المؤكدات كأنهم قالوا إنا وربنا لغالبون.

(٢) قرأ نافع (تلقف) بتشديد القاف، والأصل: تتلقف فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ حفص (تلقف) بتخفيف القاف من: لقف الشيء يلقفه لقفاً: إذا أخذه بسرعة.

(٣) اللام للقسم. وبم يقسم فرعون؟ يقسم بحسب عادته في إيمانه فقد يقسم بعزته.

٢- مظهر من مظاهر الهداية الإلهية هداية السحرة إذ هم في أول النهار سحرة كفرة وفي آخره مؤمنون برة.

٣- ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا

إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا

أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ

مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذِهِ لَأَهْلَاءٌ

لَشِرْذِمَةٍ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ

﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

- لا ضير : أي لا ضرر علينا .
 لمنقلبون : أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر .
 إن كنا أول المؤمنين : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم لأنهم سبقوا بالإيمان .
 أن أسر بعبادي : السرى المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل .
 إنكم متبعون : أي من قبل فرعون وجيوشه .
 لشردمة : أي طائفة من الناس .
 لغائظون : أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا .
 حادرون : أي متيقظون مستعدون .
 ومقام كريم : أي مجلس حسن كان للأمرء والوزراء .
 كذلك : أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة .
 مشرقين : أي وقت شروق الشمس .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قالوا لا ضير﴾^(١) هذا قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم وتوعدهم ﴿قالوا لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا بتقطيعك أيدينا وأرجلنا وتصليك إيانا ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي راجعون إن كل الذي تفعله معنا إنك تعجل برجعنا إلى ربنا وذلك أحب شيء إلينا . وقالوا ﴿إنا نطمع﴾^(٢) أن يغفر لنا ربنا خطايانا ﴿أي ذنوبنا﴾ إن كنا أول المؤمنين ﴿في هذه البلاد برب العالمين رب موسى وهرون .

بعد هذا الانتصار العظيم الذي تم لموسى وهرون أوحى تعالى إلى موسى ﴿أن أسر﴾^(٤) بعبادي ﴿أي امش بهم ليلاً﴾ إنكم متبعون ﴿أي من قبل فرعون وجنوده . وعلم فرعون بعزم موسى على الخروج ببني إسرائيل فأرسل في المدائن^(٥) وكانت له مآت المدن حاشرين من الرجال أي جامعين وكأنها تعبئة عامة . يقولون محرضين ﴿إن هؤلاء﴾^(٦) أي موسى وبني إسرائيل ﴿لشردمة﴾ أي طائفة أفرادها قليلون ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ أي لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا ﴿وإنا﴾ أي حكومة وشعباً ﴿لجميع حذرون﴾ أي متيقظون مستعدون فهلم إلى ملاحقتهم وردهم إلى الطاعة . وعجل تعالى بالمسرة في هذا الخبر فقال تعالى ﴿فأخرجناهم﴾ أي آل فرعون ﴿من جنات وعيون وكنوز﴾ أي كنوز الذهب والفضة التي كانت مدفونة تحت التراب ، إذ الطمس كان على العملة فسدت وأما مخزون الذهب هو الكنز ما لم تؤد زكاته سواء كان تحت الأرض أو فوقها .

وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي إخراجنا لهم كان كذلك ، ﴿وأورثناها﴾^(٨) أي تلك النعم بنى إسرائيل أي بعد هلاك فرعون وجنوده أجمعين . وقوله تعالى ﴿فاتبعوهم مشرقيين﴾ أي فاتبع آل فرعون بنى إسرائيل أنفُسهم في وقت شروق الشمس ليردوهم ويحولوا بينهم

(١) الضير: مرادف الضّر يقال: ضاره يضيره بمعنى ضره يضره سواء .

(٢) الجملة تعليلية لتفهم الضرر عليهم .

(٣) لفظ الطمع يطلق ويراد به الظنّ الضعيف غالباً ويراد به الظنّ القوي أيضاً كقول إبراهيم عليه السلام: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) .

(٤) قرأ نافع (أن أسر) بهمة وصل إذ هو من سرى يسري وحركت النون لالتقاء الساكنين . وقرأ عاصم: (أن أسر) بسكون أن وقطع همزة أسر لأنه من أسرى ، وأسرى وسرى بمعنى واحد .

(٥) المدائن جمع مدينة وهي البلد العظيم .

(٦) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقيق شأن بني إسرائيل ، والشردمة الطائفة القليلة العدد .

(٧) الغيظ: أشد الغضب ، وغائظون: اسم فاعل من: غاظه بمعنى أغاظه أي: أغضبه أشد الغضب .

(٨) يرى بعضهم أن الله أورث بني إسرائيل نعماً نظير ما كان لفرعون وقومه بدليل آية الدخان: (وأورثناها قوماً آخرين) وبدليل أن بني إسرائيل ما رجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها والله أعلم .

وبين الخروج من البلاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه .

٢- حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته ، وفضل الأسبقية في الخير.

٣- مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهديء من مخاوف الأمة حكومة وشعباً .

٤- دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
 وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
 ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

فلما تراءى الجمعان: أي رأى بعضهما بعضاً لتقاربهما والجمعان جمع بني إسرائيل وجمع فرعون .

إننا لمدركون : أي قال أي أصحاب موسى من بني إسرائيل إننا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده .

قال كلا : أي قال موسى عليه السلام كلا أي لن يدركونا ولن يلحقوا بنا .

فانفلق : أي انشق .

فكان كل فرق كالطود: أي شقُّ أي الجزء المنفرد والطود: الجبل .

وأزلفنا ثم الآخرين : أي قربنا هنا لك الآخرين أي فرعون وجنده .

إن في ذلك لآية : أي عظة وعبرة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهرون .
معنى الآيات :

هذا آخر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى في بيان نهاية الظالمين وفوز المؤمنين ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ جمع موسى وجمع فرعون وتقاربا بحيث رأى بعضهما بعضا ﴿ قال أصحاب موسى ﴾ أي بنو إسرائيل ﴿ إنا لمدركون ﴾ أي خافوا لما رأوا جيوش فرعون تتقدم نحوهم صاحوا ﴿ إنا لمدركون ﴾ فطمأنهم موسى بقوله ﴿ كلا ﴾ أي لن تدركوا، وعلل ذلك بقوله ﴿ إن معي ربي سيهدين ﴾ إلى طريق نجاتي قال تعالى ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب ﴾ أي اضرب بعصاك البحر فضرِب امتثالاً لأمر ربه فانفلق البحر فرقتين كل فرقة منه كالجبل العظيم ﴿ وأزلفنا ﴾ أي قربنا ﴿ ثم الآخرين ﴾ أي أدنينا هناك الآخرين وهم فرعون وجيوشه ﴿ وأنجينا موسى ومن معه ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿ أجمعين ﴾ ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده . قوله تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور من إهلاك فرعون وإنجاء موسى وبني إسرائيل ﴿ لآية ﴾ أي علامة واضحة بارزة لربوبية الله وألوهيته وقدرته وعلمه ورحمته وهي عبرة وعظة أيضاً للمعتبرين ، وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون .

وقوله ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أي وإن ربك يا محمد لهو الغالب على أمره الذي لا يمانع في شيء يريده ولا يحال بين مراده الرحيم بعباده فاصبر على دعوته وتوكل عليه فإنه ناصرٌك ومذل أعدائك .

(١) التراثي : تفاعل إذ هو من الجانبين كل جانب رأى الثاني .
(٢) ردع موسى عليه السلام بقوله كلاً الظانين أنّ فرعون مدرّكهم وعلل لعدم إدراك فرعون بقوله : (إن معي ربي سيهدين) أي : سيّبين لي سبيل النجاة فنسلّكه فتنجوا بإذن الله .
(٣) (الفرق) : القسم من الشيء المنفلق، وعليه فالفرقة : القسمة من البحر التي كانت كالجبل العظيم . ولذا قال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق أي : لكل قبيلة من قبائل بني إسرائيل طريق خاص بها فالبحر انقسم قسمين كان ما بين جانبيه كالفتح العظيم ، وفي ذلك الفتح كانت طرق بني إسرائيل .
(٤) (أزلفنا) أي : جمعنا وقربنا فرعون وملاه لإغراقهم وإهلاكهم وسميت مزدلفة وليلة جمع : لازدلفها : أي لقربها من منى أو عرفات وسميت ليلة جمع لاجتماع الحجّاج فيها ، قال الشاعر :

وكل يوم مضى أول ليلة سلفت فيها النفوس إلى الأجال تزدلف

(٥) القرطبي رحمه الله تعالى رد الضمير في قوله تعالى : (وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى فرعون وملئه فقال : لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا امرأة فرعون . . . الخ في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات .
- ٢- ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى ﴿ إن معي ربي ﴾ إذ قال له عند إرساله (إنني معكما) .
- ٣- ثبوت الوحي الإلهي .
- ٤- آية انفلاق البحر من أعظم الآيات .
- ٥- تقرير نبوة محمد ﷺ بقصة مثل هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بوحي خاص .

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا

نَعْبُدُ أَصْنَامًا مَّا فَنَظَلُّ لَهَا عَظَمِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ

يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ

﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- واتل عليهم نبأ إبراهيم : أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم .
 لأبيه وقومه : أي آزر والبابليين .

فنظّل لها عاكفين : أي فنقيم أكثر النهار عاكفين على عبادتها .
 قالوا بل وجدنا : أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر بل وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن
 تبع لهم .
 فإنهم عدو لي : أي أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرءون من
 عابديهم .
 إلا رب العالمين : فإن من يعبده لا يتبرأ منه يوم القيامة بل ينجيهِ من النار ويكرمه
 بالجنة .
 فهو يهدين : أي إلى ما ينجيني من العذاب ويسعدني في دنياي وأخراي .
 والذي يميتني ثم يحييني : أي يميتني عند انتهاء أجلي ، ثم يحييني ليوم الدين .
 يوم الدين : أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة والبعث الآخر .
 معنى الآيات :

هذا بداية قصص إبراهيم عليه السلام والقصد منه عرض حياة إبراهيم الدعوية على
 مسامع قريش قوم محمد ﷺ عليهم يتعظون بها فيؤمنوا ويوحّدوا فيسلموا ويسلموا من خزي
 الدنيا وعذاب الآخرة قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ أي اقرأ على قومك من قريش خير
 إبراهيم في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ﴿ما تعبدون﴾ مستفهماً إياهم ليرد على جوابهم
 وهو أسلوب حكيم في الدعوة والتعليم يسألهم ويجيبهم بناء على مقتضى سؤالهم فيكون
 ذلك أدعى للفهم وقبول الحق : ﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ أي في صور تماثيل ﴿فنظّل لها
 عاكفين﴾ فنقيم أكثر النهار عاكفين حولها نتقرب إليها ونتبرك بها خاشعين خاضعين
 عندها . ولما سمع جوابهم وقد صدقوا فيه قال لهم ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾ أي إذ
 تدعونها ﴿أو ينفعونكم﴾ إن طلبتم منهم منفعة ﴿أو يضرّون﴾ إن طلبتم منهم أن يضرّوا
 أحداً تريدون ضره أنتم؟ فأجابوا قائلين في كل ذلك لا ، لا ، لا . وإنما وجدنا آباءنا كذلك

(١) (نبأ إبراهيم) قصته مع قومه والهزمة الثانية تخفف وهو أجد من تحقيقها . نبأ إبراهيم أو نبأ إبراهيم، والمقصود من تلاوة
 هذه القصة طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعيلهم أخبار الأولين ومشاهدة ما دار من جدال بين الرسل وأمهم .

(٢) (فنظّل) هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار عاكفين حولها لعبادتها وأما في الليل فيعبدون الكواكب
 لمشاهدتها والتماثيل إنما هي صور لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار .

(٣) أراد أي : إبراهيم بقوله : (هل يسمعونكم) فتح باب المجادلة ليصل إلى إقناعهم إن شاء الله ذلك ، وليست هذه أوّل
 محاجة بل حاج إبراهيم آباءه على انفراد وحاجه هذه المرة مع قومه ولا شك أن الحجاج دام سنوات فما ذكر هنا غير ما ذكر
 في الصفات والأنبياء ومريم .

يفعلون ففعلنا مثلهم اقتداءً بهم واتباعاً لطريقتهم، وهنا صارحهم إبراهيم بما يريد أن يفهموه عنه فقال ﴿أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الذين هم أجدادكم الذين ورث عنهم آباؤكم هذا الشرك والباطل ﴿فإنهم عدولي﴾ أي أعداء لي وذلك يوم القيامة إن أنا عبدتهم معكم، لأن كل مَنْ عُبِدَ من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن عبده ويعلمن عداوته له طلباً لنجاة نفسه من عذاب الله. وقوله ﴿إلا رب العالمين﴾ فإنه لا يكون عدواً لمن عبده بل يكون ودوداً له رحيماً به. ألا فاعبدوه يا قوم واتركوا عبادة من يكون عدواً لكم يوم القيامة!!

ثم أخذ إبراهيم يذكر ربه ويشني عليه ويمجده تعريفاً به وتذكيراً لأولئك الجهلة المشركين فقال ﴿الذي خلقتني فهو يهدين^(١)﴾ أي إلى طريق نجاتي وكمالي وسعادتي وذلك ببيانه لي محابه لأتيتها، ومسأخطه لأتجنبها، ﴿والذي هو يطعمني ويسقيني﴾ أي يغذوني بأنواع الأطعمة ويسقيني بما خلق ويسر لي من أنواع الأشربة من ماء ولبن وعسل، ﴿وإذا مرضت﴾ بأن اعتل جسمي وسقم فهو لا غيره يشفيني، ﴿والذي يميّتي﴾ يوم يريد إمامتي عند انتهاء ما حدد لي من أجل تنتهي به حياتي، ثم يحييني يوم البعث والنشور، ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي^(٢)﴾ أي يسترها ويمحو أثرها من نفسي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب على عمل الإنسان في هذه الدار إذ هي دار عمل والآخرة دار جزاء.

وإذا قيل ما المراد من الخطيئة التي ذكر إبراهيم لنفسه؟ فالجواب إنها الكذبات الثلاث التي كانت لإبراهيم طوال حياته الأولى قوله ﴿إني سقيم﴾ والثانية ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ والثالثة قولي للطاغية إنه أخي ولا تقولي إنه زوجي، هذه الكذبات التي كانت لإبراهيم فهو خائف منها ويوم القيامة لما تطلب منه البشرية الشفاعة عند ربها يذكر هذه الكذبات ويقول إنما أنا من وراء وراء فاذهبوا إلى موسى.

ألا فليتعظ المؤمنون الذين كذبهم لا يعد كثرة!!

(١) حذف الباء في (يهدين) و(يسقيني) و(يشفين) و(يحيين) لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلهما.
(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافع؟ (قال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص .
- ٢- تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين .
- ٣- بيان أن كل من عبد معبوداً غير الله تعالى سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة .
- ٤- بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك .
- ٥- بيان الاسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى من طريق السؤال والجواب .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾
 وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
 النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
 يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزْتِ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ
 ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
 أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

رب هب لي حكماً : أي يا رب أعطني من فضلك حكماً أي علماً نافعاً وارزقني العمل به .

والحقني بال صالحين : لأعمل عملهم في الدنيا وأكون معهم في الدار الآخرة .
 واجعل لي لسان صدق في الآخرين : أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي بعدي
 واغفر لأبي : كان هذا منه قبل أن يتبين له أنه عدو لله .
 ولا تخزني يوم يبعثون : أي لا تفضحني .
 بقلب سليم : أي من الشرك والنفاق .
 وأزلفت الجنة : أي أدنيت وقربت للمتقين .

وبرزت الجحيم للغاوين : أي أظهرت وجلت للغاوين .
هل ينصرونكم : أي يدفع العذاب عنكم .

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم وخاتمه لما ذكر إبراهيم قومه ووعظهم رفع يديه إلى ربه يسأله ويتضرع إليه فقال ﴿رب هب لي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يمنعني من فعل ما يسخطك عني ويدفعني إلى فعل ما يرضيك عني ، ﴿والحقني بالصالحين﴾ في أعمالهم الخيرية في الدنيا وبمرافقتهم في الجنة^(١) . ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي من عبادك المؤمنين ، ﴿واجعلني^(٢) من ورثة جنة النعيم﴾ الذين يرثونها بالإيمان والتقوى بعد فضلك عليهم ورحمتك بهم ، ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ أي الجاهلين بك وبمحابك ومكارهك فما عبدوك ولا تقربوا إليك . وكان هذا من إبراهيم قبل العلم بأن أباه عدو لله حيث سبق له ذلك أولاً ، إذ قد تبرأ منه بعد أن علم ذلك وقوله ﴿ولا تخزني﴾ أي لا تذلني ﴿يوم يبعثون﴾ أي من قبورهم للحساب والجزاء على أعمالهم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ وهو يوم القيامة ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي لكن من أتى الله أي جاءه يوم القيامة وقلبه سليم من الشرك والنفاق فهذا ينفعه عمله الصالح لخلوه مما يحبطه وهو الشرك والكفر الظاهر والباطن وقوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت وأدנית للمتقين الله ربهم فلم يشركوا به في عبادته ولم يجاهروا بمعاصيه ، ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت وارتفعت للغاوين ﴿أي أهل الغواية والضلالة في الدنيا من المشركين والمسرفين في الإجمام والشر والفساد﴾ وقيل لهم ﴿أي سئلوا في عرصات القيامة﴾ أين ما كنتم تعبدون من دون الله ؟ أروناهم ﴿هل ينصرونكم﴾ مما أنتم فيه

(١) وفي أعالي الدرجات .

(٢) وقد استجاب الله تعالى له حيث اجتمع أهل الأديان على الثناء عليه والانتساب إلى ملته وإن كانوا مبطلين لما خالطهم من الشرك وها هي ذي أمة الإسلام لا تصلي صلاة إلا وتصلي عليه وعلى آله فهذا ذكر حسن خالد وثناء عطر باق قال مالك : لا بأس أن يحب المرء أن يشي عليه صالحاً ويرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى لهذه الآية وغيرها نحو : (سيجعل لهم الرحمن وداً) (وألقيت عليك محبة مني) .

(٣) في هذا رد على من زعم أنه لا يسأل الله جنة ولا يستجيره من النار .

(٤) السليم من الشك والشرك وأمراض الكبر والحسد والعجب والغل ولأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح لحديث : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (من الصحيح) .

(٥) أي : تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة المسرة والفرح قبل دخولها . إذ الجنة تزلف والجحيم تبرز ، وهذا في عرصات القيامة .

فيدفعون عنكم العذاب، ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم فيدفعون عنها العذاب إن كانوا من أهل النار لأنهم رضوا بأن يعبدوا ودعوا الناس إلى عبادتهم كالشياطين والمجرمين من الإنس والجن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الجنة تورث ويذكر تعالى سبب إرثها وهو التقوى في قوله ﴿تلك الجنة التي تورث من عبادنا من كان تقياً﴾.
- ٢- مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد.
- ٣- بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته.
- ٤- الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية.

فَكَبِّبُوا فِيهَا لَهُمُ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودَ إبْلِيسَ
 أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
 إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
 فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

- فككببوا فيها : أي القوا على وجوههم في جهنم ودحرجوا فيها حتى انتهوا إلى قعرها.
- والغاوون : جمع غاؤ وهو الفاسد القلب المدنس الروح من الشرك والمعاصي .
- وجنود إبليس : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن .

(١) الآية من سورة مريم عليها السلام .

إذ نسويكم برب العالمين : أي في العبادة فعبدناكم كما يعبد الله جل جلاله .
 ولا صديق حميم : أي يهمله أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعدب .
 فلو أن لنا كرة : أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحده ونعبد ربنا بما شرع لنا .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فكذبوا﴾^(١) بعد ذلك الاستفهام التوبيخي التقريري الذي تقدم في قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾؟ وفشلوا في الجواب ولم يجيدوه إذ هو غير ممكن فأخبر تعالى عنهم بأنهم كذبوا في جهنم - أي كبوا على وجوههم ودحرجوا فيها هم والغاؤون جمع غاو أي فاسد العقيدة والعمل وجنود إبليس أجمعون من أتباع الشيطان وأعوانه من دعاة الشرك والمعاصي والجريمة في الأرض من الإنس والجن قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ أي وهم في جهنم يختصمون كل واحد يحمل الثاني التبعة والمسؤولية فقال المشركون لمن أشركوا بهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ أي ظاهر بين لا يختلف فيه، وذلك ﴿إذ كنا نسويكم برب العالمين﴾ عز وجل فنعبدكم معه، ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ وهم دعاة الشرك والشر والضلال الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها، وأجرموا علينا فأفسدوا نفوسنا بالشرك والمعاصي، وقوله تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ هذا قولهم أيضاً قرروا فيه حقيقة أخرى وهي أنه ليس لهم في هذا اليوم من شافعين يشفعون لهم عند الله تعالى لا من الملائكة ولا من الإنس والجن إذ لا شفاعاة تنفع من مات على الشرك والكفر، وقولهم ولا صديق حميم أي وليس لنا أي من صديق حميم تنفعنا صداقته وولايته .

وقالوا متمنين بعد اليأس من وجود شافعين ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى دار الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ فنؤمن ونوحده ونتبع الرسل . وهذا آخر ما أخبر تعالى به عنهم من كلامهم في

(١) (كذبوا) أي : كذبوا فيها كذباً بعد كذب لأن كذبوا مضاعف : كذبوا بالتكرير نحو : فكف الدمع أي : كفه مرة بعد مرة .
 (٢) من الجائز أن يكون هذا من كلام إبراهيم إلا أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رحمه الله تعالى وجملة (وهم فيها يختصمون) حالية ، وجملة تالله الخ مقول القول .
 (٣) (إذ) ظرفية وليست تعليلية أي : الوقت الذي كنا نسويكم برب العالمين ، وهذا الكلام منهم كلام متندم حزن على ما فاتته وصدر منه كقول أبي بكر وقد أمسك بلسانه وقال له : أنت أوردتني الموارد وقوله : يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شرّ تسلّم .

(٤) (لو) حرف تمن وأصلها : لو الشرطية لكنها تنوسي منها معنى الشرط إذ المراد : لورجعنا إلى الدنيا لآمنّا وعملنا صالحاً ، ولما لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمحضت لو للتمني .

جهنم .

وقوله تعالى ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾^(١) أي المذكور من كعبة المشركين والغاوين وجنود إبليس أجمعين في جهنم وخصومتهم فيها وما قالوا وتمنوه وحرمانهم من الشفاعة وخلودهم في النار ﴿لآية﴾ أي لعبرة لمن يعتبر بغيره ، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ولم يكن أكثر قومك يا رسولنا مؤمنين وإلا لانتفعوا بهذه العبر فآمنوا ووجدوا وأسلموا ﴿وإن ربك لهُو العزيز الرحيم﴾ أي الغالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الرحيم بعباده إن أنابوا إليه وأخلصوا العبادة له يكرمهم في جواره في جنات النعيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس .
- ٢- تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي .
- ٣- تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر .
- ٤- لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلاً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم .

كَذَّبَتْ

قَوْمٌ نُّوحٍ **الْمُرْسَلِينَ** **(١٠٥)** إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ **(١٠٦)**
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ **أَمِينٌ** **(١٠٧)** فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا **(١٠٨)** وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ **أَجْرٍ** إِن **أَجْرِي** إِلَّا **عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ** **(١٠٩)** فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا **(١١٠)** **﴿﴾** قَالُوا **أَنُؤْمِنُ لَكَ** وَاتَّبَعَكَ **الْأَرْدَلُونَ** **(١١١)**
 قَالَ **وَمَا عَلَيَّ** بِمَا **كَانُوا يَعْمَلُونَ** **(١١٢)** **﴿﴾** **إِن حِسَابُهُمْ** إِلَّا **عَلَىٰ رَبِّي**
لَوْ تَشْعُرُونَ **(١١٣)** **﴿﴾** **وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ** **لِّلْمُؤْمِنِينَ** **(١١٤)**

(١) هذا تكرر ثالث لهذه الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم على الشرك والتكذيب بالنبوة والبعث .

شرح الكلمات :

كذبت قوم نوح المرسلين : قوم نوح الأمة التي بعث فيها ، والمراد من المرسلين نوح عليه السلام .

أخوهم نوح : أي في النسب .

ألا تتقون : أي اتقوا الله ربكم فلا تعصوه بالشرك والمعاصي .

رسول أمين : أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم .

من أجر : أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ .

أنؤمن لك واتبعت الأردلون: أي كيف نتبعك على ما تدعوننا إليه وقد اتبعك أراذل الناس

أي سفلتهم وأهل الخسة فيهم .

إن حسابهم إلا على ربي : أي ما حسابهم إلا على ربي .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص نوح عليه السلام فقال تعالى ﴿ كذبت قوم نوح ﴾^(١) أي بما جاءهم به نوح من الأمر بالتوحيد وترك الشرك ﴿ إذ قال لهم أخوهم ﴾ أي في النسب ﴿ نوح ألا تتقون ﴾ أي عقاب الله وأنتم تشركون به ، وتكذبون رسوله ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ على ما أبلغكم من وحي الله تعالى فاتقوا الله بترك الشرك وأطيعوني فيما أَدْعُوكُمْ إليه وأمركم به ﴿ وما أسألكم عليه من أجر ﴾ أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم مقابل ما أبلغكم من رسالة ربكم . ﴿ إن أجرى إلا على الله ﴾ إذ هو الذي كلفني ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي خافوا عقابه أن يحل بكم وأنتم تكفرون به وتكذبون برسوله وأطيعون فيما أمركم به وأنهاكم عنه . بعد هذا الذي أمرهم به وكرره عليهم من تقوى الله وطاعة لرسوله كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله : ﴿ قالوا أنؤمن لك ﴾ أي أنصدقك ونتابعك على ما جئت به من الدين ﴿ واتبعت الأردلون ﴾^(٢) أي سفلة الناس وأخسأؤهم ؟ .

فأجابهم نوح بقوله ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ فيما يعملونه بعيدين عني من

(١) (كذبت قوم نوح) أنت الفعل إرادة جماعة قوم نوح ونظيره: (قالت الأعراب).

(٢) وأخوةً مجانسةً أو هو من باب قول العرب: يا أخا بني تميم: يريدون: يا واحداً منهم، قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً

(٣) جمع التفسير: (أراذل) والأثنى: الرذلي والجمع: الرذُل، وجملة: (واتبعك) حالية، وفيها إضمار قد أي: وقد اتبعك.

الباطن أو الظاهر أنا لا أعلمه ولا أسأل عنه ولا أحاسب عليه، ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾^(١) هو الذي يحاسبهم ويجزيهم لو تشعرون بهذه الحقيقة لما عبتموهم لي وحملتُموني مسئولية عملهم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾^(٢) أي من حولي، ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾^(٣) فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس وظيفتي أني أنذر الناس عاقبة الكفر والمعاصي ليقلعوا عن ذلك فينجوا من عذاب الله ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعبَدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتركيهم .
- ٢- إثبات أخوة النسب ، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين .
- ٣- عدم جواز أخذ أجره على دعوة الله تعالى . ووجوب إبلاغها مجاناً .
- ٤- وجوب التقوى لله تعالى ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٥- لا يجوز طرد الفقراء من مجالس العلم ليجلس مجالسهم الأغنياء وأهل الجاه .

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْطَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِحَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِئْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾

(١) قيل لسفيان: إن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون).

(٢) ظاهر الكلام أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء من المؤمنين كما فعلت قريش.

(٣) جملة: (إن أنا إلا نذير) استئناف في معنى التعليل لعدم طردهم والقصر في الجملة إضافي قصر موصوف على صفة.

شرح الكلمات :

- لئن لم تنته : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده .
 من المرجومين : أي المقتولين رجماً بالحجارة .
 فافتح بيني وبينهم فتحاً: أي أحكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم وتنجيني ومن معي من المؤمنين .
 في الفلك المشحون^(١) : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى .
 بعد الباقيين : أي بعد إنجائنا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة أغرقنا الكافرين إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين نوح وقومه إنه لما دعاهم إلى التوحيد وكرر عليهم الدعوة وأفحمهم في مواطن كثيرة وأعتيهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾ أي قسماً بآلهتنا لئن لم تنته يا نوح من تسفيهننا وسب آلهتنا ومطالبتنا بترك عبادتها ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾^(٢) أي لنقتلنك رمياً بالحجارة . وهنا وبعد دعوة دامت ألف سنة إلا خمسين عاماً رفع نوح شكواه إلى الله قائلاً : ﴿ رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ أي احكم بيننا وافصل في قضية وجودنا مع بعضنا بعضاً فأهلكهم ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ قال تعالى ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ﴾ أي المملوء بأنواع الحيوانات ﴿ ثم أغرقنا بعد الباقيين ﴾ أي بعد إنجائنا نوحاً ومن معه من المؤمنين بأن ركبوا في الفلك وما زال الماء يرتفع النازل من السماء والنابع من الأرض حتى غرق كل من على الأرض والجبال ولم ينج أحد إلا نوح وأصحاب السفينة ، قال تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ أي المذكور من الصراع الذي دار بين التوحيد والشرك وفي عاقبة التوحيد وهي نجاة أهله والشرك وهي دمار أهله ﴿ لآية ﴾ أي

(١) الشحن : ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يقل : المشحونة بل قال : (المشحون) لأنه هنا واحد لا جمع .

(٢) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله : (لئن لم تنته لأرحمك) فإنه بمعنى لأسببك وأشتمك .

(٣) هذه الجملة قالها تمهيداً للدعاء عليهم .

(٤) ثم : للتراخي الرتي في الاخبار لأن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس .

عبرة^(١). ولكن أهل مكة لم يعتبروا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لما سبق في علم الله تعالى من عدم إيمانهم إذاً فلا تحزن عليهم. ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول الكريم لهو لا غيره العزيز الغالب الرحيم بمن تاب من عباده فإنه لا يعذبه بل يرحمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة أن الظلمة والطغاة إذا أعتهم الحجج يلجأون إلى القوة.
- ٢- جواز الاستنصار بالله تعالى وطلب الفتح بين المظلوم والظالمين.
- ٣- سرعة استجابة الله تعالى لعبده نوح وذلك لصبره قروناً طويلة فلما انتهى صبره ورفع شكاته إلى ربه أجابه فوراً فأنجاه وأهلك أعداءه.

كذبت

عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَأَيَّةٌ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾

شرح الكلمات :

- كذبت عاد : عاد اسم أبي القبيلة وسميت القبيلة به .
 أخوهم هود : أخوهم في النسب .
 فاتقوا الله : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً .

(١) وجه العبرة أن الله تعالى أنجى الموحدين وأهلك المشركين بعد أن أبلغ نوح رسالته بصبر واحتساب لا نظير لهما إذ دعا وبلغ وأوذى وصبر وصابر ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٢) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزؤون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر أو نفى الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه .

أُتبنون بكل ريع	: أي مكان عال مرتفع .
آية	: أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً .
تعبثون	: أي بينيانكم حيث تبثون مالا تسكنون .
وتتخذون مصانع	: أي حصوناً منيعة وقصوراً رفيعة .
لعلكم تخلصون	: أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه .
وإذا بطشتم	: أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة .
جبارين	: أي عتاة متسلطين .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص هود عليه السلام يقول تعالى ﴿كذبت عاد﴾^(١) أي قبيلة عاد ﴿المرسلين﴾ أي رسول الله هوداً، ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾^(٢) أي ألا تتقون عقاب الله بترككم الشرك والمعاصي بمعنى اتقوا الله ربكم فلا تشركوا به، وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يخبرهم بأنه رسول الله إليهم يبلغهم عن الله أمره ونهيه وأنه أمين على ذلك فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم، وعليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾^(٣) أي بوصفي رسول الله إليكم فإن طاعتي واجبة عليكم حتى أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

وقوله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على إبلاغ رسالتي إليكم من أجر أي من أي أجر كان . ولوقل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى إذ هو الذي أرسلني وكلفني فهو الذي أرجو أن يثيبني على حمل رسالتي إليكم وإبلاغها إليكم . وعليه فاتقوا الله أي خافوا عقابه بترك الشرك به والمعاصي وأطيعوني بقبول ما أبلغكم به لتكملوا وتسعدوا .

وقوله: ﴿أُتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ ينكر هود على قومه إنهماكهم في الدنيا

(١) جملة مستأنفة استئنافاً لعرض الأحداث التاريخية تسلياً للرسول ﷺ وموعظة وذكرى لغيره، وعاد بمعنى القبيلة فلذا أتت الفعل معها، وكانت منازل عاد وديارهم ما بين عُمان وحضر موت شرقاً وغرباً ومتغلغلة في الشمال إلى الرمال وهي الأحقاف .

(٢) الاستفهام معناه الأمر والحض على التقوى التي هي خوف من الله تعالى يحمل على الإيمان به وعبادته وترك عبادة ما سواه .

(٣) الفاء : للتفريع فالجملة متفرعة عن جملة (إني لكم رسول أمين) أي : فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم (واتقوا الله وأطيعون) وحذفت الباء من (فاتقون) مراعاة لرؤوس الآي .

(٤) الرِّيع : المكان المرتفع أو الطريق الفجج بين الجبيلين، والآية العلامة : الدالة على الطريق والمراد : بناء عالٍ هو آية في الفن المعماري .

وانشغالهم بما لا يعني وإعراضهم عما يعينهم فيقول لهم كالمنكر عليهم أتبنون بكل ريع أي مكان عال مرتفع أية أي قصراً مشيداً أية في ارتفاعه وعلوه . تعبثون حيث لا تسكنون فيما تبنون فهو لمجرد اللهو والعبث وقوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ وهي مبان عالية كالحصون أو خزانات الماء أو الحصون ﴿لعلكم تتخذون﴾ أي كيما تتخذون ، وما أنتم بخالدين ، وإنما مقامكم فيها قليل . وقوله ﴿وإذا بطشتم بطشتهم جبارين﴾ أي إذا سطوتم على أحد تسطون عليه سطو العتاة الجبارين فتأخذون بعنف^(١) وشدة بلا رحمة ولا رفق ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم فخافوا عقابه وأليم عذابه ، ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه وأبلغكموه عن ربي فإن ذلك خير لكم من الإعراض والتمادي في الباطل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأمر بالتقوى من النصيح للمأمور بها ، لأن النجاة والفوز لا يتمان للعبد إلا عليها .
- ٢- الرسل أمناء على ما يحملون وما يبلغون الناس .
- ٣- حرمة أخذ الأجرة على بيان الشرع والدعوة إلى ذلك .
- ٤- ينبغي للعبد أن لا يسرف فيبني ما لا يسكن ويدخر ما لا يأكل .
- ٥- استنكار العنف والشدة في الأخذ وعند المؤاخذة .

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ ﴿١٣٣﴾
 وَجَنَّتِ وَعْيُونِ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
 إِنَّ هَذَا إِلَّا الْإِخْلَاقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكَنَّهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

(١) في الجمل الثلاثة تبنون وتتخذون ولعلكم تتخذون توييح لهم على هذا السلوك وإنكار عليهم .

(٢) البطش : السطوة والأخذ بعنف ، والجبار : القتال في غير حق والمتسلط العاتي .

(٣) ويدل على قوتهم وشدتهم قولهم : (من أشد منا قوة) من سورة فصلت وكان العرب ينسبون الشيء القوي إلى عاد فيقولون : هذا عادي .

شرح الكلمات :

أمدكم : أي أعطاكم منعماً عليكم .
 بأنعام : هي الإبل والبقر والغنم .
 عذاب يوم عظيم : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة .
 سواء علينا : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه فإننا لا نطيعك .
 إن هذا إلا خلق الأولين : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين فنحن على طريقتهم ، وما نحن بمعذبين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين نبي الله هود عليه السلام وبين قومه المشركين إذ أمرهم بالتقوى وبطاعته وأمرهم أيضاً بتقوى الله الذي أمدهم أي أنعم عليهم بما يعلمونه من أنواع النعم فإن طاعة المنعم شكر له على إنعامه ومعصيته كفر لإنعامه فقال ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ وبين ذلك بقوله ﴿أمدكم بأنعام﴾ أي مواشي من إبل وبقر وغنم ﴿وبنين﴾ أي أولاد ذكور وإناث ﴿وجنات﴾ أي بساتين ﴿وعيون﴾ لسقيها وسقيكم وتطهيركم ، ثم قال لهم في إشفاق عليهم ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إن أنتم أصررتم على الشرك والمعاصي وقد يكون عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، وقد عذبوا في الدنيا بإهلاكهم ويعذبون في الآخرة لأنهم ماتوا كفاراً مشركين عصاة مجرمين ، كان هذا ما وعظهم به نبيهم هود عليه السلام ، وكان ردهم على وعظه ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أي مستوٍ عندنا وعظك أي تخويفك وتذكيرك وعدمه فما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين وقالوا ﴿إن هذا﴾ الذي نحن عليه من البناء والإشادة وعبادة آلهتنا ﴿إلا خلق الأولين﴾ أي دأب وعادة من سبقنا من الناس ، وما نحن بمعذبين عليه قال تعالى مخبراً عن نتيجة ذلك

(١) قرأ الجمهور (خُلِق) بضم كل من الخاء واللام وهو بمعنى السجية المتمكنة في النفس الباعثة على عمل ما يناسبها ويقال له : القوى النفسية وقرأ غير الجمهور (خَلَق) بفتح الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الاختلاق والكذب أي : ما نقوله لنا إنما هو كذب واختلاق .

(٢) أي : من الخيرات ثم فسرها بقوله : (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) .

(٣) فهو الذي يحب أن يعبد فيذكر ويشكر ولا يكفر .

(٤) اختلف في تحديد معنى قولهم : (إن هذا إلا خلق الأولين) بفتح الخاء وإسكان اللام أي : اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ (خُلِق) بضم الخاء واللام معناه عاداتهم لأن الخلق يطلق على الدين والطبع والمرءة ، وما في التفسير أولى بتوجيه الآية .

الحوار وتلك الدعوة التي قام بها نبي الله هود ﴿فكذبوه﴾ أي كذبوا هوداً فيما جاءهم به ودعاهم إليه وحذرهم منه، ﴿فأهلكناهم﴾ أي بتكذيبهم وإعراضهم ﴿إن في ذلك﴾ الإهلاك للمكذبين عبرة لقومك يا محمد لو كانوا يعتبرون ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لما سبق في علم الله من عدم إيمانهم فلذا لم تنفعهم المواعظ والعبر، وإن ربك لهو العزيز الرحيم فقد أخذ الجبابة العتاة فأنزل بهم نقمته وأذاقهم مر عذابه، ورحم أوليائه فأنجاهم وأهلك أعداءهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- تنوع أسلوب الدعوة وتذكير الجاحدين بما هو محسوس لديهم مرأي لهم.
- ٢- التخويف من عذاب الله والتحذير من عاقبة عصيانه من أساليب الدعوة.
- ٣- بيان سنة الناس في التقليد واتباع آباءهم وإن كانوا ضلالاً جاهلين.
- ٤- تقرير التوحيد والنبوة والبعث إذ هو المقصود من هذا القصص.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالْتَقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضَيْمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

(١) أي: يبيع صرصر سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً (من سورة الحاقة).

شرح الكلمات :

كذبت ثمود المرسلين : أي كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحاً .
 فيما هاهنا آمين : أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد .
 طلعمها هضيم : أي طلع النخلة لئِن ناعم ما دام في كُفْرَاهُ أي غطاؤه الذي عليه .

وتنحتون من الجبال بيوتاً: أي تنجرون بآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتاً .

فرهين : أي حذقين من جهة وبطرين متكبرين مغترين بصنيعكم من جهة أخرى .

وأطيعون : أي فيما أمرتكم به .
 المسرفين : أي في الشر والفساد بالكفر والعناد .
 الذين يفسدون في الأرض : أي بارتكاب الذنوب العظام فيها .
 ولا يصلحون فيها : أي بفعل الطاعات والقربات .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾^(١) أي جحدت قبيلة ثمود ما جاءها به رسولها صالح ، ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ في النسب لافي الدين إذ هو مؤمن وهم كفرون ﴿ألا تتقون﴾ أي يحضهم على التقوى ويأمرهم بها لأن فيها نجاتهم والمراد من التقوى اتقاء عذاب الله بالإيمان به وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يعلمهم بأنه مرسل من قبل الله تعالى إليهم أمين على رسالة الله وما تحمله من العلم والبيان والهدى إليهم . ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ كرر الأمر بالتقوى وبطاعته إذ هما معظم رسالته ومتى حققها المرسل إليهم اهتدوا وأفلحوا ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أبعث تهمة المادة لما قد يقال أنه يريد مالاً فأخبرهم في صراحة أنه لا يطلب على إبلاغهم دعوة ربهم أجراً من أحد إلا من الله رب العالمين إذ هو الذي يثيب ويجزي العاملين له وفي دائرة طاعته وقوله فيما أخبر تعالى به عنه ﴿أتركون فيما ههنا﴾ بين

(١) ثمود : أمة تسكن بالحجر شمال الحجاز، وتعرف اليوم بمدائن صالح والمراد من المرسلين : نبي الله صالح عليه

السلام ، وتكذيبها به معتبر تكذيباً لكل الرسل ، لأن دعوة الرسل واحدة .

(٢) الاستفهام للإنكار أي : ينكر عليهم عدم تقواهم ويحضهم عليها .

(٣) الاستفهام انكاري توبيخي وفيه حضهم على الشكر إذ ما هم فيه من النعمة يقتضي ذلك .

أيديكم من الخيرات ﴿آمين﴾ غير خائفين ، وبين ما أشار إليه بقوله فيما ها هنا فقال ﴿في جنات﴾ أي بساتين ومزارع بمدائهم وهي إلى الآن قائمة ﴿وعيون وزروع ، ونخل طلعها هضيم﴾ أي لين ناعم ما دام في كفراه أي غلافه ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ لما خولكم الله من قوة ومعرفة بفن النحت حتى أصبحتم تتخذون من الجبال الصم بيوتاً تسكنونها شتاء فتقيكم البرد . وقوله ﴿فرهين﴾ هذا حال من قوله ﴿وتنحتون من الجبال﴾ ومعنى ﴿فرهين﴾ حذقين فن النحت ويطرين متكبرين مغترين بقوتكم وصناعتكم ، إذا ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم بترك الشرك والمعاصي ﴿وأطيعون﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه وأدعوكم إليه ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ أي على أنفسهم بارتكاب الكبائر وغشيان الذنوب . ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي بمعاصي الله ورسوله فيها ﴿ولا يصلحون﴾ أي جمعوا بين الفساد والإفساد ، وترك الصلاح والإصلاح .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الرسل واحدة ولذا التكذيب برسول يعتبر تكديماً بكل الرسل .
- ٢- الأمانة شعار كل الرسل والدعاة الصادقين الصالحين في كل الأمم والعصور .
- ٣- مشروعية التذكير بالنعم ليذكر المنعم فيحب ويطاع .
- ٤- التحذير من طاعة المسرفين في الذنوب والمعاصي لوخامة عاقبة طاعتهم .
- ٥- تقرير أن الفساد في الأرض يكون بارتكاب المعاصي فيها .

(١) الطلع : وعاء كمنصل السيف يباطنه شماريخ القنوي وسمى هذا الطلع بالكم بكسر الكاف ويقال له : الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينفلق من نفسه ويؤثر وبعد قليل يصبح بلحاً فبُسرأ فُوطباً فتمراً وذكر النخل يقال له : فُحال بضم الفاء وتشديد الحاء مفتوحة والجمع فحاحيل .

(٢) (فرهين) قراءة الجمهور ، وقرئ (فارهين) مشتق من الفراهة التي هي الحذق والكياسة أي : عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال .

(٣) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

شرح الكلمات:

إنما أنت من المسحرين : الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم .
 فأت بآية إن كنت من : إن كنت من الصادقين في أنك رسول فاتنا بآية تدل على
 الصادقين ذلك .

لها شرب ولكم شرب يوم معلوم : أي لها يوم تشرب فيه من العين ولكم يوم آخر معلوم .
 فعقروها فأصبحوا نادمين : أي فلم يؤمنوا فقتلوا فأصبحوا نادمين لما شاهدوا
 العذاب .

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين صالح عليه السلام وقومه ثمود فلما ذكرهم
 ووعظهم ردوا عليه بما أخبر تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ أي
 الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتى غلب على عقولهم فهم لا يعرفون ما يقولون ﴿ما
 أنت إلا بشر مثلنا﴾ تأكل الطعام وتشرب الشراب فلا أنت رب ولا ملك فنخضع لك

(١) وقيل: (من المسحرين) أي: من المعلنين بالطعام والشراب مأخوذ من السحر وهو: الرثة يعنون أنه بشر له رثة يأكل

ويشرب كسائر الناس فلا يفضلهم وشاهده قول الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

موضعين مسرعين إلى الموت وما في التفسير أولى وأظهر.

(١) ونطيعك ﴿فأت بآية﴾ علامة قوية ودلالة صادقة تدل على أنك رسول الله حقاً وأنت من الرسل الصادقين، فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال هذه ناقة﴾ أي عظمة الخلقه سأل ربه آية فأعطاه هذه الناقة فما زال قائماً يصلي ويدعو وهم يشاهدون حتى أنفلق الجبل وخرجت منه هذه الناقة الآية العظيمة فقال ﴿هذه ناقة لها شرب﴾ أي حظ ونصيب من ماء البلد تشربه وحدها لا يرد معها أحد ولكم أنتم شرب يوم معلوم لكم تردونه وحدكم. ﴿ولاتمسوها بسوء﴾ وحذرهم أن يمسوها بسوء لا يضرب ولا يقتل ولا يمنع من شرب، فإنه يأخذكم عذاب يوم عظيم قال تعالى ﴿فعقروها﴾ أي فكذبوه وعقروها بأن ضربوها في يديها ورجلها فبركت وقتلواها. فلما عقروها قال لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ فأصبحوا بذلك نادمين^(٢) ففي صبيحة اليوم الثالث أخذتهم الصيحة مع شروق الشمس فاهلكوا أجمعين ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة كبرى على قدرة الله تعالى وعلمه وأنه واجب الألوهية ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع وضوح الأدلة لأنه لم يسبق لهم إيمان في قضاء الله وقدره ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب الذي لا يغالب الرحيم بأوليائه وصالحى عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير أن السحر من عمل الناس وأنه معلوم لهم معمول به منذ القدم.
- ٢- سنة الناس في المطالبة بالآيات عند دعوتهم إلى الدين الحق.
- ٣- وجود الآيات لا يستلزم بالضرورة إيمان المطالبين بل أكثرهم لا يؤمنون.
- ٤- الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: إن كنت صادقاً فداع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن نظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لنا فدعا فعل الله ذلك. فقال: (هذه ناقة... الخ).

(٢) الشرب بكسر الشين وسكون الراء: التوبة في الماء للناقة يوماً تشرب فيه لا يراحمونها فيه بأنعامهم وأنفسهم.

(٣) إن قيل: لِمَ ما ينفع الندم وهو توبة فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرض).

(٤) كان: مزيدة لتقوية الكلام، والعبارة جائز أن يراد بها قوم صالح إذ لم يؤمن منهم إلا القليل، وأن يراد بها كفار مكة إذ أكثر المكابرين ما آمن ومات كافراً أو ما آمن في تلك الفترة ثم آمن بعد الفتح.

(٥) قيل: ما آمن معه إلا ألفان وثمانمائة رجل وامرأة وأن قومه كانوا اثني عشر ألف قبيل كل قبيل نحو: اثني عشر ألفاً من سوى النساء والذرية وكان قوم عاد مثلهم ثلاث مرات. ذكر هذا القرطبي في تفسيره ولم يعزه لأحد.

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
 ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
 أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
 مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات : : هم سكان مدن سدوم وعمورية وقرى أخرى ولوط هو نبي
 قوم لوط الله لوط بن هاران ابن أخى إبراهيم .
 أخوهم لوط : هذه أخوة بلد وسكنى لا أخوة نسب ولا دين .
 إني لكم رسول أمين : أي إني مرسل إليكم لا إلى غيركم أمين في إبلاغكم
 رسالتي فلا أنقص ولا أزيد .
 فاتقوا الله : بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه .
 وما أسألكم عليه : أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم .
 أتأتون الذكران من العالمين : أي أتأتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء .
 بل أنتم قوم عادون : أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في
 الشر .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص لوط مع قومه أصحاب المؤتفكات قال تعالى ﴿كذبت قوم لوط
 المرسلين﴾ أي كذبوا لوطاً الرسول وتكذيبه يعتبر تكذيباً لكافة الرسل لأن دعوة الله واحدة
 كذبه لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك الفواحش والظلم والشر والفساد إذ قال
 لهم أخوهم لوط هذه أخوة الوطن لا غير إذ لوط بابلي الموطن ودينه الإسلام وأبوه هاران

(١) أي : أخوة مواطنة كما يقال اليوم .

أخو إبراهيم عليه السلام، وإنما لما أرسل لوط إلى أهل هذه البلاد وسكن معهم قيل لهم أخوهم بحكم المعاشرة والمواطنة الحاصلة ﴿ألا تتقون﴾ يأمرهم بتقوى الله ويحضهم عليها لأنهم قائمون على عظام الذنوب فخاف عليهم الهلاك فدعاهم إلى أسباب النجاة وهي تقوى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه. وقال لهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فلا تشكوا في رسالتي وأطيعون، وإني غير سائلكم أجراً على تبليغ رسالتي إليكم إن أجري آخذه من رب العالمين الذي حملني هذه الرسالة وأمرني بإبلاغكم إياها وهنا أنكر عليهم أعظم منكر فقال موبخاً مقررماً ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ فترتكبون الفاحشة معهم ﴿وتذرون﴾ أي تتركون ما خلق الله لكم من أزواجكم ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي متجاوزون الحدود التي رسمها الشرع والعقل والادمية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز إطلاق أخوة الوطن دون الدين والنسب.
- ٢- الأمانة من مستلزمات الرسالة، إذ كل رسول يقول ﴿إني لكم رسول أمين﴾.
- ٣- سبيل نجاة الفرد والجماعة في تقوى الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ.
- ٤- وجوب إنكار المنكر وتبليغه على فاعله لعله يرعوي.
- ٥- أكبر فاحشة وقعت في الأرض هي فاحشة اللواط. والعياذ بالله تعالى.

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنلُوطُ

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَجِنْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

- (١) الاستفهام للحض على التقوى وهو متضمن الإنكار والتوبيخ.
- (٢) جملة: (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إياهم بالتقوى والطاعة.
- (٣) الاستفهام للإنكار والتوبيخ إذ كانوا يعملون الفاحشة مع الغرباء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة ومع بعضهم بعضاً بصورة خاصة.
- (٤) بل: للانتقال من الوعظ إلى التنديد وتسجيل أكبر العدوان عليهم إذ الجملة الأسمية (أنتم قوم عادون) مبالغ في تحقيق نسبة العدوان إليهم وفي الإخبار بالجملة: (قوم عادون) إعلام بأن العدوان أصبح سجية فيهم وطبعاً لهم.
- (٥) العادي: من تجاوز حد الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام، فالقوم قد أحل الله لهم فروج نسائهم بالكنكاح الشرعي وحرم عليهم إتيان الرجال في أدبارهم فتجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك عادين.

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

شرح الكلمات :

- لئن لم تنته : أي عن إنكارك علينا ما تأتيه من الفاحشة .
من المخرجين : أي من بلادنا وطرديك من ديارنا .
لعملكم من القالين : أي المبغضين له البغض الشديد .
رب نجني وأهلي مما يعملون : أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش .
فنجيناه وأهله : أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة
وابنتاه .
إلا عجوزاً في الغابرين : أي فإننا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين فتركناها
معهم حتى هلكت بينهم لأنها كانت كافرة وراضية بعمل
القوم .
وأمطرنا عليهم مطراً : أي أنزل عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب
البلاد عاليها سافلها .
فساء مطر المنذرين : أي فقبح مطر المنذرين ولم يمتثلوا فما كفوا عن الشر
والفساد .

معنى الآيات :

ما زال السياق فيما دار بين نبي الله لوط وقومه المجرمين فإنه لما ذكرهم ووعظهم
وأمرهم ونهاهم وسمعوا ذلك كله منه أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا لئن لم تنته يا
لوط﴾ أي عن إنكارك علينا ما تأتيه من الفاحشة ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي نخرجك
من بلادنا وطرديك من بيتنا ولا تبقى ساعة واحدة عندنا إنتبه يا رجل . . فأجابهم لوط

(١) في الجملة إقسام دلت عليه اللام ولا شك أنهم يحلفون بالهتمة الباطلة والجملة متضمنة تهديداً وإيعاداً بالإبعاد والإخراج من البلد .

(١) الرسول عليه السلام بقوله ﴿إني لعملكم من القالين﴾ أي إني لعملكم الفاحشة من المبغضين أشد البغض، ثم التفت إلى ربه داعياً ضارعاً فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعلمون﴾ وهذا بعد أن أقام يدعوهم ويتحمل سنين عديدة فلم يجد بداً من الفرع إلى ربه ليخلصه منهم فقال ﴿ربي نجني وأهلي﴾ من عقوبة وعذاب ما يعملونه من إتيان الفاحشة من العالمين قال تعالى ﴿فنجيناها وأهلها﴾ وهم امرأته المسلمة وابنتاه المسلمتان طبعاً إلا عجوزاً وهي امرأته الكافرة المتواطئة مع الظلمة الراضية بالفعلة الشعاء كانت في جملة الغابرين (٢) أي المتروكين بعد خروج لوط من البلاد لتهلك مع الهالكين قال تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي بعد أن أنجينا لوطاً وأهله أجمعين باستثناء العجوز الكافرة دمرنا أي أهلكنا الآخرين ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ إنه بعد قلب البلاد سافلها على عاليها أمطر عليهم مطر حجارة من السماء لتصيب من كان خارج المدن المأفوكة المقلوبة.

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذا الذي ذكرنا من إهلاك المكذبين والمسرفين الظالمين آية وعلامة كبرى لمن يسمع ويرى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ (٣) لما سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون فسبحان الله العظيم. وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وإن ربك يا رسولنا هو لا غيره العزيز الغالب القاهر لكل الظلمة والمسرفين الرحيم بأوليائه وعباده المؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التهديد بالنفي سنة بشرية قديمة .

(١) القلى : البغض يقال : قليتة أقلية قلى وقلاء قال الشاعر:

عليك السلام لا مللت قريبة . ومالك عندي أن تأيت قلاء

أي قلى .

(٢) فعل (غبر) يطلق على البقاء والذهاب كالجون : يطلق على الأبيض والأسود قال الشاعر:

فما وني محمد منذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر

أي : ما بقي .

والأغبار : بقيات الألبان . قال الشاعر:

لا تكسع السول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

يقال كسع الناقة : ترك في ضرعها بقية من اللبن ، ويعدده البيت التالي :

واحلب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

(٣) إذ لم يؤمن إلا إحدى نسائه وابنتاه .

- ٢- وجوب بغض الشر والفساد في أي صورة من صورهما .
- ٣- استجابة دعوة المظلوم لا سيما إن كان من الصالحين .
- ٤- توقع العذاب إذا انتشر الشر وعظم الظلم والفساد .
- ٥- الآيات مهما كانت عظيمة لا تستلزم الإيمان والطاعة .
- ٦- من لم يسبق له الإيمان لا يؤمن ولو جلب عليه كل آية .
- ٧- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته .

كَذَّبَ أَصْحَابُ

لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ الْأَنْتَقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَقِمْ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات :

- أصحاب الأيكة : أي الغيضة وهي الشجر الملتف .
 إذ قال لهم شعيب : النبي المرسل شعيب عليه السلام .
 أوفوا الكيل : أي أتموه .
 ولا تكونوا من المخسرين : الذين ينقصون الكيل والوزن .
 بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل .
 ولا تبخسوا الناس أشياءهم : أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً .
 ولا تعتوا في الأرض مفسدين : أي بالقتل والسلب والنهب .
 والجيلة الأولين : أي والخليقة أي الناس من قبلكم .

معنى الآيات :

هذه بداية قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف كشجر الدوم وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين وشعيب أرسل لهما معاً وفي سورة هود ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فليل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة جماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكذبوه وهو قوله تعالى ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ أي اتقوا الله وخافوا عقابه ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فاتقوا الله بعبادته وترك عبادة ما سواه وأطيعون أهدكم إلى ما فيه كمالكم وسعادتكم ﴿وما أسألكم عليه﴾ أي على بلاغ رسالة ربي إليكم أجراً أي جزاء وأجرة ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين. وأمرهم بترك أشهر معصية كانت شائعة بينهم وهي تطفيف الكيل والوزن فقال لهم ﴿أوفوا الكيل﴾ أي أتموها ولا تنقصوها ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي الذين ينقصون الكيل والوزن ﴿وزنوا﴾ أي إذا وزنتم ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالميزان العادل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً فما يساوي ديناراً لا تعطوا فيه نصف دينار وما يساوي عشرة لا تأخذوه بخمسة مثلاً ومن أجرته اليومية عشرون لا تعطوه عشرة مثلاً، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تفسدوا في البلاد بأي نوع من الفساد كالقتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصي والذنوب ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ أي الله فخافوا عقابه ﴿والجبلَةَ الأولين﴾ أي وخلق الخليفة من قبلكم

(١) الأيكة وليكة بمعنى واحد كمكة وبكة، وقيل : الأيكة : الشجر الملتف أي الغليظة وليكة : وهي قراءة نافع . اسم للبلدة ومنعها من الصرف ومن قرأ الأيكة صرفها، والراجح أنها بمعنى واحد، وعدم الصرف لانعدام ال لاغير.

(٢) لم يقل : أخاهم شعيباً : لأنه لا قرابة بينهم بخلاف أهل مدين فهو من أهلها فلذا قال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيباً) وأصحاب الأيكة أي بادية وهي الشجر الملتف فلذا يقال له الغيضة وكان من شجر الدوم وهو المُقل والسدر وثماره النبق.

(٣) الاستفهام للحض على التقوى والإنتكار عليهم عبادة غير الله تعالى . وجملة (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره بإياهم بالتقوى وفي (لكم) إشارة إلى أن رسالته إليهم عارضة وكانت بعد رسالته إلى أهل مدين، فلعلهم أنكروا أن يكون أرسل إليهم فلذا قال : (إني لكم رسول أمين) وفي آية الحجر قال تعالى (وإنهما ليأمام مبين) والثنية في إنهما إشارة إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين، ولما جاء العذاب أخذ الكل لأن ذنبهم واحد وقرب المنازل والديار.

(٤) الظاهر من السياق أن ذنب أصحاب الأيكة وأهل مدين كان واحداً الشرك والتطفيف والبخس للناس فلذا أدمج خطابهم فصاروا فيه أمة واحدة.

(٥) الجبلَةَ : الخلفة وأريد بها المخلوقات ولذا قال : (الأولى) أي : وذوي الجبلَةَ الأولى والمعنى خلقكم وخلق الأمم من قبلكم.

انقوه بترك الشرك والمعاصي تنجوا من عذابه ، وتظفروا برضاه وإنعامه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- الأمر بالتقوى فريضة كل داع إلى الله تعالى وسنة الدعاة والهداة إذ طاعة الله واجبة .
- ٢- لا يصح لداع إلى الله أن يطلب أجره ممن يدعوهم فإن ذلك ينفرهم .
- ٣- وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة التطفيف فيهما .
- ٤- حرمة بخس الناس حقوقهم ونقصها بأي حال من الأحوال .
- ٥- حرمة الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

شرح الكلمات :

إنما أنت من المسحرين : أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فليست بملك تطاع .

وإن نظنك لمن الكاذبين : أي وما نحسبك إلا واحداً من الكاذبين .

فأسقط علينا كسفاً : أي قطعاً من السماء تهلكتنا بها إن كنت من الصادقين فيما

تقول .

عذاب يوم الظلة : أي السحابة التي أظلتهم ثم التهبت عليهم ناراً .

إن في ذلك لآية : أي لعبرة وعلامة عبرة لمن يعتبر وعلامة دالة على صدق

الرسول ﷺ .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة وأهل مدين إنه لما ذكروهم ووعظهم وأمرهم كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت ﴿أي يا شعيب ﴿من المسحرين﴾ الذي غلب السحر على عقولهم فلا يدرون ما يفعلون وما لا يقولون﴾ كما أنك بشر مثلنا تأكل الطعام وتشرب الشراب فما أنت بملك من الملائكة حتى نطيعك ، ﴿وإن نظنك﴾ أي وما نظنك إلا من الكاذبين من الناس ﴿فأسقط علينا كسفا﴾ أي قطعاً من السماء تهلكنا بها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعوى أنك رسول من الله إلينا . فأجابه قائلاً بما ذكر تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ ولازم ذلك أنه سيجازيكم بعملكم قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ في كل ما جاءهم به واستوجبا لذلك العذاب ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿فقد أنزل الله تعالى عليهم حراً شديداً أذهب منه الجوّ أو كاد فلجأوا إلى المنازل والكهوف والسراديب تحت الأرض فلم تغن عنهم شيئاً، ثم ارتفعت في سماء بلادهم سحابة فذهب إليها بعضهم فوجدها روحاً وبرداً وطيباً فنادى الناس أن هلموا فجاءوا فلما اجتمعوا تحتها كلهم انقلبت ناراً فأحرقتهم ورجفت بهم الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم .

قال تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة لقومك يا محمد على قدرتنا وعلما ووجوب عبادتنا وتصديق رسولنا ولكن أكثرهم لا يؤمنون لما سبق في علمنا أنهم لا يؤمنون ، وإن ربك يا محمد لهو العزيز أي الغالب على أمره الرحيم بمن تاب من عباده .

(١) في قولنا: كما أنك... الخ دمج للقولين الذين قيلوا في تفسير: (إنك لمن المسحرين) إذ كل منهما جائز، والقرآن حمّل الوجوه.

(٢) إطلاق الظن على اليقين شائع كقوله تعالى: (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم).

(٣) (كسفاً) بكسر الكاف وسكون السين قراءة عامة القراء ما عدا حفصاً فقد قرأ (كسفاً) بتحريك السين جمع كسف بسكونها، والكسف: القطعة والجمع: كسف.

(٤) (الظلة) السحابة التي تظل من تحتها وهي سحابة عظيمة أظلت مساحة كبيرة لما قرأوا إليها أظلتهم ثم أرسلت عليهم الصواعق فأحرقتهم وكانت من جنس ما طلبوه وهو: الكسف من السماء.

(٥) أي: في ذلك المذكور من عذاب يوم الظلة آية لكفار قريش إذ حالهم كحال أصحاب الأيكة وأهل مدين في الشرك والتطيف في الكيل والوزن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- هذا آخر سبع قصص ذكرت بإيجاز تسليية للنبي ﷺ وتهديداً للمشركين المكذابين .
- ٢- دعوة الرسل واحدة وأسلوبهم يكاد يكون واحداً : الأمر بتقوى الله وطاعة رسوله .
- ٣- سنة تعلل الناس بأن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فلذا هم لا يؤمنون .
- ٤- المطالبة بالآيات تكاد تكون سنة مطردة، وقل من يؤمن عليها .
- ٥- تقرير التوحيد والنبوة والبعث وهي ثمرة كل قصة تقص في هذا القرآن العظيم .

وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
 الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
 مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ
 عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
 فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
 فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
 الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------------|--|
| وإنه لتنزيل رب العالمين : | أي القرآن الكريم تنزيل رب العالمين . |
| الروح الأمين : | جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى . |
| وإنه لفى زبر الأولين : | أي كتب الأولين ، واحد الزبر : زبرة وكصفحة وصحف . |
| أولم يكن لهم آية : | أي علامة ودليلاً علم بني إسرائيل به . |
| على بعض الأعجمين : | الأعجمي من لا يقدر على التكلم بالعربية . |
| كذلك سلكناه : | أي التكرذب في قلوب المجرمين من كفار مكة . |

معنى الآيات :

لقد أنكروا كفار مكة أن يكون القرآن وحياً أوحاه الله تعالى وبذلك أنكروا أن يكون محمد رسول الله، ومن هنا ردوا عليه كل ما جاءهم به من التوحيد وغيره، فإيراد هذا القصص يتلوه محمد ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب دال دلالة قطعية على أنه وحى إلهي أوحاه إلى محمد ﷺ وهو بذلك رسوله. فقولته تعالى ﴿وإنه﴾ أي القرآن الذي كذب به المشركون ﴿تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين﴾ جبريل عليه السلام ﴿على قلبك﴾ أي الرسول لأن القلب هو الذي يتلقى الوحي إذ هو محط الإدراك والوعي والحفظ، وقوله ﴿لتكون من المنذرين﴾ هو علة لنزول القرآن عليه وبه كان من الرسل المنذرين. وقوله ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ أي القرآن مذكور في الكتب الإلهية التي سبقته كالتوراة والإنجيل. وقوله تعالى ﴿أو لم يكن لهم﴾ أي لكفار قريش ﴿آية﴾ أي علامة على أن القرآن وحى الله وكتابه وأن محمداً عبداً لله ورسوله ﴿أن يعلمه علماء بنى إسرائيل﴾ أي علم بني إسرائيل به كعبد الله بن سلام فقد قال والله إني لأعلم أن محمداً رسول أكثر مما أعلم أن فلاناً ولدي، لأن ولدي في الإمكان أن تكون أمه قد خانتني أما محمد فلا يمكن أن يكون غير رسول الله وفيهم قال تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ ومن عرف محمداً رسولاً عرف القرآن وحياً إلهياً.

وقوله تعالى ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾^(١) أي وبلسان عربي مبين فكان ذلك آية، وقرأه عليهم الأعجمي، ما كانوا به مؤمنين. أي من أجل الأنفة والحمية إذ يقولون أعجمي وعربي؟ وقوله تعالى: ﴿كذلك سلكتنا﴾ أي التكذيب وعدم الإيمان ﴿في قلوب

(١) قرأ نافع وحفص وغيرهما (نزل) بالتخفيف، و(الروح) مرفوع على الفاعلية وقرأ بعض (نزل) بالتضعيف و(الروح) منصوب على المفعولية والفاعل هو الله جل جلاله، والباء في (به) للمصاحبة.

(٢) (على): حرف استعلاء وكون القرآن نزل به جبريل على قلب الرسول ﷺ دال على تمكن وصول الوحي واستقراره في القلب. نحو: (على هدى من ربهم) وقد روى البخاري في صفة الوحي فقال عن عائشة: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول).

(٣) جاء في التوراة قال لي الرب (أي لموسى) أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. فالمراد من إخوة بني إسرائيل هم العرب. وفي الإنجيل: وأنا أطلب من الأب فيعطيك مغزياً (أي رسولاً) آخر ليملك معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قتله لكم.

(٤) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لا اعتدروا بأنهم لا يفهمون عنه، والمراد من الأعجمي: هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربياً، والعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية.

المجرمين ﴿ أي كما سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين لو قرأ القرآن عليهم أعجمي سلكناه أي التكذيب في قلوب المجرمين إن قرأه عليهم محمد ﷺ ، والعلة في ذلك هي أن الإجرام على النفس بارتكاب عظام الذنوب من شأنه أن يحول بين النفس وقبول الحق لما ران عليها من الذنوب وأحاط بها من الخطايا . وقوله ﴿ لا يؤمنون به ﴾ تأكيد لنفي الإيمان حتى يروا العذاب الأليم أي يستمر تكذيبهم بالقرآن والمنزل عليه حتى يروا العذاب الموعود ، وحيث لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير معتقد الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .
- ٢- بيان أن جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي القرآني على النبي محمد ﷺ .
- ٣- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً من المنذرين .
- ٤- بيان أن القرآن مذكور في الكتب السابقة بشهادة علماء أهل الكتاب .
- ٥- إذا تراكمت آثار الذنوب والجرائم على النفس حجبها عن التوبة ومنعتها من الإيمان .

فِي آتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
 هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
 إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾
 مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا
 لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ
 الشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
 عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

(١) ومذكور من نزل عليه وهو محمد رسول الله ﷺ لإقامته له فيهم كما تقدم في المثليين المذكورين أحدهما من التوراة والثاني من الإنجيل .

شرح الكلمات :

- هل نحن منظرون : أي مهملون لنؤمن . والجواب قطعاً : لا لا .
 أفرأيت : أي أخبرني .
 إن متعناهم سنين : أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون .
 ما كانوا يوعدون : أي من العذاب .
 ما أغنى عنهم : أي أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه .
 إلا لها منذرون : أي رسل يندرون أهلها عاقبة الكفر والشرك .
 ذكرى : أي عظة .
 وما تنزلت به الشياطين : أي لا يتأتى لهم ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به .
 وما يستطيعون : أي لا يقدر .
 إنهم عن السمع : أي لكلام الملائكة لمعزولون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير النبوة المحمدية واثبات الوحي . لقد جاء في السياق أن المجرمين لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي لا يعلمون به حتى يفاجئهم . فيقولون حينئذ : ﴿هل نحن منظرون﴾ أي يتمنون أن لو يمهلوا حتى يؤمنوا ويصلحوا ما أفسدوا .
 وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ عندما قالوا للرسول ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كسفاً من السماء﴾ أي قطعاً ، أحق هم أم مجانيين يستعجلون عذاب الله الذي إن جاءهم كان فيه حتفهم أجمعين؟ ثم قال لرسوله : ﴿أفرأيت﴾ يا رسولنا ﴿إن متعناهم سنين﴾ بأن أطلنا أعمارهم ووسعنا في أرزاقهم فعاشوا سنين عديدة ثم جاءهم عذابنا أي

(١) ذكر القرطبي أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ : (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم يبكي ويقول :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
 فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في النوم بناج فسالم
 تسر بما يفنى وتفرح بالمنسى كما سر بالذات في النوم حالم
 وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش الهائم

أخبرني هل يعني ذلك التمتع عنهم شيئاً؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي لم يُغن عنهم شيئاً لابدفع العذاب ولا بتأخيرهِ ولا بتخفيفهِ .

وقوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ كلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة ﴿إلا لها منذرون﴾ أي كان لها رسل يندرون أهلها عقاب الله إن أصروا على الشرك والكفر والشر والفساد . وقوله ﴿وذكري﴾ أي عظة لعلهم يتعظون . وقوله ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاك من أهلكنا بعد أن أنذرنا .

ونزل رداً على المشركين المجرمين الذين قالوا إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد كما يأتون للكهان بأخبار السماء . ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ كما يزعم المكذبون ﴿وما ينبغي لهم﴾ أي للشياطين أي لا يصلح لهم ولا يتأتي منهم ذلك لأنهم معزولون عن السمع ، أي سماع كلام الملائكة إذ أرصد الله تعالى شهباً حالت بينهم وبين السماع من السماء . . فلذا دعوى المشركين باطلة من أساسها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن المجرمين إذا شاهدوا العذاب تمنوا التوبة ولا يمكنون منها .
- ٢- بيان أن استعجال عذاب الله حمق ونزغ في الرأي وفساد في العقل .
- ٣- بيان أن طول العمر وسعة الرزق لا يغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به .
- ٤- بيان سنة الله تعالى في أنه لا يهلك أمة إلا بعد الإنذار والبيان .
- ٥- إبطال مزاعم المشركين في أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان ، وأن الشياطين تنزل به .

فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ

مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي

(١) (من قرية) من : صلة أي زائدة لتقوية الكلام وتأكيدهِ لأن زيادة المبنى تزيد في المعنى كذا يُقال .

(٢) ذكري : يصح إعرابها حالاً ومصدراً وخبراً .

(٣) قرأ محمد بن السميع : وما تنزلت به الشياطين وردّ عليه ولم يقبل منه ولعله نظر إلى أن الشيطان مشتق من شاط يشيط ، والصواب أنه من شطن لا من شاط .

بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
يُرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

شرح الكلمات :

فلا تدع مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة .
وأندر عشيرتك الأقربين : وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب .
واخفض جناحك : أي ألن جانبك .
فإن عصوك : أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه .
فقل إني بريء مما تعملون : أي من عبادة غير الله سبحانه وتعالى .
الذي يراك حين تقوم : أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك .
وتقلبك في الساجدين : أي ويرى تقلبك مع المصلين راكعاً ساجداً قائماً .

معنى الآيات :

(١) ما زال السياق الكريم في طلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقله تعالى ﴿ فلا تدع مع
الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين ﴾ فيه إحياء وإشارة واضحة بأنه تعريض للمشركين
الذين يدعون آلهة أصناماً وهي دعوة ترفظهم من نومتهم إنه إذا كان رسول الله ينهى عن عبادة
غير الله وإلا يعذب مع المعذبين فغيره من باب أولى فكأن الكلام جرى على حد إياك
أعني واسمعي يا جارة!! وقوله تعالى ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ أمر من الله لرسوله أن
يخص أولاً بيانذاره قرابته لأنهم أولى بطلب النجاة لهم من العذاب، وقد امتثل الرسول
أمر ربه فقد ورد في الصحاح عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ لما أنزل عليه ﴿ وأندر^(٢)

(١) إن الخطاب وإن كان في السياق ما يدل على أنه موجه إلى النبي ﷺ فإنه صالح لكل من يسمعه .

(٢) الجملة معطوفة على التي قبلها وهي ؛ (فلا تدع مع الله إلهاً آخر) إذ نهاه عن الشرك وأمره أن يندر أقرباءه منه لأنه لا فلاح
معه .

(٣) في هذه الآية دليل على أن القرب في الأنساب مع البعد في الأسباب ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر لإرشاده
ونصحه . وقال ﷺ (إن لكم رحماً سألها بيلالها) .

(١) قال «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله (يعني بالإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي) فإنني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله أي من عذابه شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

وقوله تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويطأبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿فإن عصوك﴾ أي من أمرت بدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وخلع الأنداد والتخلي عن عبادتها ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ أي من عبادة غير الله تعالى وغير راضٍ بذلك منكم ولا موافق عليه لأنه شرك حرام وباطل مذموم. وقوله تعالى ﴿وتوكل على العزيز﴾ أي الغالب القاهر الذي لا يمانع في شيء يريد الرحيم بالمؤمنين من عباده، والأمر بالتوكل هنا ضروري لأنه أمره بالبراءة من الشرك والمشركين وهي حال تقتضي عداوته والكيد له بل ومحاربتة ومن هنا وجب التوكل^(٢) على الله والاعتماد عليه، وإلا فلا طاقة له بحرب قوم وهو فرد واحد وقوله ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي في صلاتك وحدك ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي ويرى قلبك قائماً وراكعاً وساجداً مع المصلين من المؤمنين، بمعنى أنه معك يسمع ويرى فتوكل عليه ولا تخف غيره وامض في دعوتك ومفاصلتك للمشركين. وقوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تقرير لتلك المعية الخاصة إذ السميع لكل صوت والعليم بكل حركة وسكون يحق للعبد التوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد، وحرمة دعاء غير الله تعالى من سائر مخلوقاته لأنه الشرك الحرام.

(١) رواه مسلم وغيره بألفاظ فيها بعض الاختلاف.

(٢) قرأ نافع (فتوكل) بالفاء وقرأ غيره بالواو، وكلا الحرفين عاطف فالفاء عاطفة على قوله: (فقل إني بريء مما تعملون) وهي للتفريع أيضاً والواو عاطفة على جواب الشرط وهو (إني بريء مما تعملون).

(٣) التوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مهمه وما دام لا كافي إلا الله وجب إذاً التوكل عليه عز وجل.

(٤) في الآية دليل على مشروعية صلاة الجماعة وتأكيدها واضح.

- ٢- من مات يدعو غير الله فهو معذب لا محالة مع المعذبين .
- ٣- تقرير قاعدة البدء بالأقارب في كل شيء لأنهم ألصق بقربيهم من غيرهم .
- ٤- مشروعية لين الجانب والتواضع للمؤمنين لاسيما الحديثو عهد بالإسلام .
- ٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله .
- ٦- وجوب التوكل على الله والقيام بما أوجبه الله تعالى .
- ٧- فضل قيام الليل وصلاة الجماعة لما يحصل للعبد من معية الله تعالى .

هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ
 كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
 وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
 يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
 بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات :

- أنبئكم : أي أخبركم .
 أفك أثيم : أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً أثيم غارق في الآثام .
 يلقون السمع : أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين
 فيلقون منهم مما أكثره كذب وباطل .
 الغاؤون : جمع غاوٍ : الضال عن الهدى الفاسد القلب والنية .
 في كل وادٍ : أي من أودية الكلام وفنونه .
 يهيمون : أي يمشون في كل شعب ووادٍ من الكلام مدحاً أو ذماً كان
 صدقاً أو كذباً .
 يقولون ما لا يفعلون : أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا .
 وانتصروا من بعدما ظلموا : أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا
 المسلمين .

أي منقلب ينقلبون : أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم .

معنى الآيات :

لما ادعى المبطلون من مشركي قريش أن الرسول ﷺ يتلقى من الشياطين كما تتلقى الكهان منهم رد تعالى عليهم بقوله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟﴾ وأجاب عن السؤال قائلاً ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب يقلب الكذب قلباً فيقول في الظالم عادل، وفي الخبيث طيب، وفي الفاسد صالح، ﴿أثيم﴾ أي كثير الأثام إذ لم يترك جريمة إلا يقارفها ولا سيئة إلا يجترحها حتي يغرق في الإثم فهذا الذي تتحد معه الشياطين وتلقي إليه بما تسمعه من السماء لكونه مثلها في ظلمة النفس وخبث الروح، وأما محمد ﷺ فهو أبعد الناس عن الكذب والإثم فلم يجرب عليه كذب قط ولم يعرف منه ذنب أبداً فكيف تتحد معه الشياطين وتخبره وتلقي إليه بخبر السماء؟ وبهذا بطلت التهمة وقوله ﴿يلقون^(١) السمع وأكثرهم كاذبون﴾ أي إن الشياطين قبل أن يحال بينهم وبين استراق السمع بإرصاد الشهب لهم . كانوا يلقون أسمعهم للحصول على الخير وأكثرهم كاذبون حيث يخلطون مع الكلمة التي سمعوها مائة كلمة كلها كذب منهم ويلقون ذلك الكذب إلى إخوانهم في الكفر والخبث من كهنة الناس .

وقوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ أي أهل الغواية والضلال هم الذين يتبعون الشعراء فيروون لهم وينقلون عنهم، ويصدقونهم فيما يقولون . والدليل على ذلك ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ على وجوههم

(١) هذا الاستفهام صوري واختير له هل لإفادتها التحقيق كقند وهو يحمل التعريض بأن المستفهم عنه مما يسوءهم فلذا استفهموا في هذا السؤال (هل أنبئكم)؟

(٢) وجائز أن يكون من يلقون السمع : الكهان، إذ هم يلقون أسمعهم عند مشاهدة كواكب لتنزل عليهم شياطينهم بالخبر وذلك من إفكهم، وعليه فجملة : (يلقون السمع) صفة (لكل أفاك أثيم) وما في التفسير عليه الكثيرون وكلا المعنيين وارد وصحيح .

(٣) أي : أكثر هؤلاء الأفاكين كاذبون فيما يزعمون أنهم تلقوه من الشياطين فبعضهم لا يتلقى شيئاً وإنما يدعي ذلك، والبعض يتلقى قليلاً فيزيد عليه أضعافه، وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقال : (ليسوا بشيء قيل : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون عليها أكثر من مائة كذبة).

ماضين في قولهم فيمدحون ويذمون، يهجون، ويفخرون، ويدعون أنهم فعلوا كذا وكذا وما فعلوا فهل محمد ﷺ الذي اتهمتموه بأنه شاعر وما يقوله من جنس الشعر أتباعه غاؤون انظروا إليهم واسألوا عنهم فإنهم أهدى الناس وأبرهم فعلاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم عن الريبة، فلو كان محمد شاعراً لكان أتباعه الغاوين فبذا بطلت الدعوى من أساسها.

وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا﴾ إنه لما ذم الشعراء، استثنى منهم أمثال: عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ممن آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا يردون هجاء المشركين لرسول الله ﷺ وينافحون عن الإسلام وأهله بشعرهم الصادق النقي الطاهر الوفي.

وقوله تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ رسول الله باتهامه بالكهانة مرة وبالشعر مرة أخرى وظلموا الوحي الإلهي بوصفه بما هو بعيد عنه من الكهانة والشعر ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي مرجع يرجعون إليه، إنه النار وبئس القرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- إبطال فرية المشركين من أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان.
- ٢- إبطال أن الرسول ﷺ كاهن وشاعر.
- ٣- بيان أن الشياطين تتحد مع ذوي الأرواح الخبيثة بالإفك والآثام.
- ٤- بيان أن الشعراء المبطلين أتباعهم في كل زمان ومكان الغاؤون الضالون.
- ٥- جواز نظم الشعر وقوله في تقرير علم أو تسجيل حكمة، أو انتصار للإسلام والمسلمين بالرد على من يهجو الإسلام والمسلمين.
- ٦- التحذير من عاقبة الظلم فإنها وخيمة.

(١) من كان أتباعه غاوين لا يكون هو إلا غاوباً بل أشد غواية.

(٢) في الآية دليل على جواز دراية الشعر الحسن فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يوماً لعمر بن الشريد: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قال: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت.

(٣) روى عن ابن سيرين أنه أنشد شعراً فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر؟ فقال: ويلك بالك: وهل الشعر إلا كلاماً لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح.

(٤) من شعر نصرة الحق قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه والرسول ﷺ يمشي بين يديه وذلك يوم الفتح:

خلو بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم عن تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقبله
ويذهل الخليل عن خليله

ومنه قول حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذلك الجزاء
فإن أبي والوالدي وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

أنتشتمه ولست له بكفاء
فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه
وبحرى لا تكدره الدلاء

فهرس المجلد الثالث

٥ سورة الرعد من الآية (١)
٣٨ سورة إبراهيم من الآية (١)
٧٠ الجزء الرابع عشر
٧٠ سورة الحجر من الآية (١)
٩٧ سورة النحل من الآية (١)
١٧٢ الجزء الخامس عشر
١٧٢ سورة الإسراء من الآية (١)
٢٣٦ سورة الكهف من الآية (١)
٢٧٦ الجزء السادس عشر
٢٧٦ سورة الكهف من الآية (٧٥)
٢٩٢ سورة مريم من الآية (١)
٣٣٧ سورة طه من الآية (١)
٣٩٤ الجزء السابع عشر
٣٩٤ سورة الأنبياء من الآية (١)
٤٤٩ سورة الحج من الآية (١)
٥٠٤ الجزء الثامن عشر
٥٠٤ سورة المؤمنون من الآية (١)
٥٤٦ سورة النور من الآية (١)
٥٩٦ سورة الفرقان من الآية (١)
٦٠٧ الجزء التاسع عشر
٦٠٧ سورة الفرقان من الآية (٢١)
٦٣٦ سورة الشعراء من الآية (١)